

# جامع اللازم

شرح: بدء الأمتالي

في علم العقائد

للإمام سراج الدين علي بن عثمان الأوشي

المتوفى في عام ٥٧٥ للهجرة النبوية



للقاضي الشيخ محمد أحمد كنعان

رئيس المحكمة الشرعية السنية العليا في لبنان

دار النشر الإسلامية



صَحِيحُ بَيْعِ الْحَقُودِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الْأُولَى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

شركة دار البشائر الإسلامية

للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

أسسها الشيخ رزقي دسوقي رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣ م - ١٩٨٣ م

بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥ هاتف: ٧٠٢٨٥٧

فاكس: ٧٠٤٩٦٣ / ٩٦١١٠٠ e-mail: bashaer@cyberia.net.lb



جَامِعُ الدَّالِي  
شَرْحُ بَدْءِ الْأَمَّالِي  
فِي عِلْمِ الْعَقَائِدِ

لِلْإِمَامِ سِرَاجِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ عُثْمَانَ الْأَوْشِيِّ  
الْمُتَوَفَّى ١٠٧٥ هـ لِلْحِجَةِ السَّبَوِيَّةِ

لِلْقَاضِي  
الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ أَحْمَدَ كَنْعَانَ  
رَئِيسِ الْمَحْكَمَةِ السَّرْعِيَّةِ السُّنِّيَّةِ الْعُلْيَا فِي لُبْنَانَ

دَارُ الْبَشَرِ الْإِسْلَامِيَّةِ







## مقدمة الكتاب

الْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى، مَالِكِ الْمَلِكِ، وَخَالِقِ الْخَلْقِ، رَبِّ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَمَلِيكِه، الْوَاحِدِ الْأَحَدِ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، لَهُ  
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتُ الْعُلَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ  
الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا نَبِيِّنَا الْأَكْرَمِ: «مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ»  
الْهَاشِمِيِّ الْقُرَشِيِّ الْعَرَبِيِّ، هَادِي الْعِبَادِ إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ، بِمَا أَنْزَلْتَهُ  
عَلَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ، وَأَوْحَيْتَ إِلَيْهِ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَعَلَى آلِ بَيْتِهِ الْأَطْهَارِ  
وَصَحَابَتِهِ الْأَبْرَارِ أَجْمَعِينَ، وَكُلِّ مَنْ اتَّبَعَ هَذَا، وَدَعَا بِدَعْوَتِهِ، وَعَمِلَ بِسُنَّتِهِ،  
وَنَصَرَ شَرِيعَتَهُ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ عَلَى الْمُكَلَّفِ: مَعْرِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى مَعْرِفَةً  
صَحِيحَةً يَقِينَةً، مُطَابِقَةً لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُنَا الْأَكْرَمُ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ  
تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ إِبْرَاهِيمُ اللَّقَانِيُّ صَاحِبُ «الْجَوْهَرَةِ»:

أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَةُ الْإِلَهِ بِاسْتِيقَانٍ

وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ، إِلَّا بِالتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ، وَمَعْرِفَةِ قَوَاعِدِ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ، كَمَا  
وَرَدَ بِهَا الشَّرْعُ الشَّرِيفُ، عَلَى أَيْدِي أَهْلِ الْعِلْمِ الثَّقَاتِ الْمُعْتَبَرِينَ، وَعَلَى هَذَا  
جَرَى الْعَمَلُ مِنْ لَدُنِ الصَّدْرِ الْأَوَّلِ لِلْإِسْلَامِ.

فَمَنْ قَامَ بِهَذَا الْوَاجِبِ، فَهُوَ الْعَاقِلُ الْفَائِزُ الْمَبْرُورُ، وَمَنْ تَقَاصَرَتْ هِمَّتُهُ



عن ذلك، وأُخْلِدَ إلى الأرضِ وَاتَّبَعَ هواه، فهو العاجزُ الخاسِرُ المَغْرورُ، قال محمد بن يوسف السَّنُوسِيُّ في شرح عقيدته «الوسطى»: وَمِنْ أَعْظَمِ الْبُخْلِ وَأَفْبَحِهِ عَلَى النَّفْسِ، بُخْلُ مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى الْعَقْلَ السَّلِيمَ، وَالْفَهْمَ الْفَهِيمَ، ثُمَّ قَعَدَ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَصَارَ يَجْمَعُ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَبَقِيَ جَاهِلًا، وَهَذَا خُسْرَانٌ مُبِينٌ أَهْلُ الدُّنْيَا بِكُلِّ مَا فِيهَا، لَا تَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بُعُوضَةٍ، فَمَنْ حَرَصَ عَلَيْهَا وَأَفْنَى عُمْرَهُ فِي طَلَبِهَا، كَانَ كَمَنْ يَطْلُبُ مِنَ السَّرَابِ الرَّيِّ، وَمِنَ السُّمِّ الشِّفَاءَ، أَمَّا الْعِلْمُ: فَهُوَ هُدًى وَنُورٌ، يَقْذِفُهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قُلُوبِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِهِمْ، قَالَ السَّنُوسِيُّ فِي تَرْجُومَتِهِ: «عَمَّ الْكَمُنُوقُ»: فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ عَاقِلٍ: أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ تَعَالَى وَيَشْكُرَهُ، عَلَى كُلِّ مَا بَانَ لَهُ مِنَ الْأُمُورِ، وَمَا وَجَدَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْعُلُومِ، وَلَا يَحْتَقِرُهُ، وَإِنْ كَانَ مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ الْبَدِهيَّاتِ، إِذْ كَمْ مِنْ أَمْثَالِهِ مَنْ قَدْ سَلِبَهُ وَلَمْ يُعْطَهُ أَضْلًا أَهْلًا.

إِنْ انْصَرَفَ النَّاسُ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ، وَفِي الْعُقَائِدِ الدِّينِيَّةِ خَاصَّةً، أَوْ: تَقْصِيرَ أَهْلِهِ فِي تَعْلِيمِهِ، يُوَدِّي إِلَى فُسَادِ الْعُقَائِدِ وَالْأَعْمَالِ، وَانْتِشَارِ الْبِدْعِ وَالْخُرَافَاتِ، وَقَدْ حَلَّ هَذَا الْوَبَاءُ بِالْأُمَّةِ فِي مِرَاحِلَ مِنْ تَارِيخِهَا، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُ عَصْرُنَا، فَهَا هُوَ السَّنُوسِيُّ يَتَحَسَّرُ وَيَتَوَجَّعُ وَيَتَفَجَّعُ عَلَى حَالِ أَهْلِ زَمَانِهِ فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ، فَيَقُولُ فِي شَرْحِ عَقِيدَتِهِ «الكبرى»:

وَأَمَّا أَزْمَنَتُنَا هَذِهِ، فَالْسُّنَّةُ فِيهَا بَيْنَ الْبِدْعِ، كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، فَمَنْ لَمْ يَجَاهِدْ نَفْسَهُ فِي تَعَلُّمِ الْعِلْمِ، وَأَخْذِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ - وَمَا أَنْدَرُ الْيَوْمَ وَجُودَهُمْ وَأَعَزَّ لِقَاءَهُمْ، لَا سِيَّمَا فِي هَذَا الْعِلْمِ - مَاتَ عَلَى أَنْوَاعٍ مِنَ الْبِدْعِ وَالْكَفَرِيَّاتِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ الْيَوْمَ لَيْسَ فِي دَرَجَةِ الْإِعْتِقَادِ التَّقْلِيدِيِّ الْمَطَابِقِ، بَلْ فِي دَرَجَةِ الْإِعْتِقَادِ الْفَاسِدِ وَالْجَهْلِ الْمُرْكَبِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِقُرْبِ هُجُومِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الْكُبْرَى، وَقِلَّةِ الْعُلَمَاءِ



العاملين العارفين، وانعدام المتعلمين الفطنين، وكثرة أبناء الدنيا المعجبين بآرائهم، الضالّين المضلّين اهـ.

لقد ظهرت في الأمة منذ القرن الأول، فرق ضالّة مبتدعة في الدين، كالخوارج والرافضة والجهميّة والمعتزلة وأضرابهم، أظهرت في الأرض الفساد، وشوّشت على كثير من المسلمين عقائدهم، وكان لهم سلطنة وسطوة، كما قال الشهرستاني في «الميل والنحل»: وهذا التصاد بين كل فريق وفريق، كان حاصلًا في كل زمان، ولكل فرقة مقالة على حيالها، وكُتِبَ صنفوها، ودوّلة عاونتهم، وصولة طاوعتهم اهـ.

فكان واجباً على الأئمة من أهل العلم، أن يتصدّوا لأولئك المبتدعة، لحماية عقائد المسلمين من شبههم وضلالتهم، فألقوا وصنّفوا، وكان لكلّ عصر طريقته في الردّ والبيان، ومنها الطريقة الكلاميّة المبنية على القواعد العقلية، بالإضافة إلى النصوص الشريفة من الكتاب والسنة، المليئة بمثل تلك القواعد.

وكان من أوائل من اعتنى بالردّ على تلك الفرق، أحد شيوخ مالك: «أبو بكر: عبد الله بن يزيد المعروف بابن هُرْمُز» المتوفى عام ١٤٨هـ، وكان مالك يتردّد عليه لنحو تسع سنين، ويبقى عنده من البكرة حتى الليل، وقد قال مالك: كان «ابن هُرْمُز» بصيراً بالكلام، وكان يرّد على أهل الأهواء، ودكر أبو بكر: محمد بن الحسن الزبيدي - نسبة إلى القبيلة - المتوفى عام ٣٧٩هـ في كتابه «طبقات النحويين واللغويين»: ويروى أن مالكا اختلف إلى ابن هُرْمُز عدّة سنين، في علم لم يثبته في الناس، يرون: أن ذلك من علم أصول الدين، وما يرّد به مقالة أهل الزيغ والضلالة اهـ، وهذا الذي قاله الزبيدي صحيح: فإن مالكا لم ينشر هذا العلم في الناس، وكان ينهى عن مناظرة أهل الأهواء ويقول: «أما المستخبر فنعم، وأما غيره فلا، لأن ذلك



وَهُنَّ فِي الدِّينِ» اهـ. بل قال السَّنُوسِيُّ فِي شَرْحِ «عَقِيدَتِهِ الْوَسْطَى»: وَقَدْ أَلَفَّ مَالِكٌ رِسَالَةً فِي هَذَا الْعِلْمِ، قَبْلَ أَنْ يُؤَلِّدَ الْأَشْعَرِيَّ، ثُمَّ إِنَّهُ بَيَّنَّ مَنَاجِجَ الْأَوَّلِينَ، وَلَخَّصَ مَوَارِدَ بَعْضِ الْبَرَاهِينِ، وَلَمْ تُحَدِّثْ فِيهِ بَعْدَ السَّلَفِ، إِلَّا مُجَرَّدُ الْأَلْقَابِ وَالْإِصْطِلَاحَاتِ، وَقَدْ حَدَّثَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ مِنَ الْعُلُومِ اهـ.

وَقَدْ ذَكَرَ الْقَاضِي عِيَاضُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ لِمَالِكٍ، فَقَالَ فِي كِتَابِهِ: «تَرْتِيبُ الْمَدَارِكِ»: وَسَائِرُ تَأْلِيفِهِ إِنَّمَا رَوَاهَا عَنْهُ مَنْ كَتَبَ بِهَا إِلَيْهِ، أَوْ سَأَلَهُ إِيَّاهَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَلَمْ تَرَوْهَا الْكَافَّةُ، فَمِنْ أَشْهَرِهَا: رِسَالَتُهُ إِلَى ابْنِ وَهْبٍ فِي «الْقَدَرِ» وَالرَّدُّ عَلَى «الْقَدَرِيَّةِ»، وَهُوَ مِنْ خِيَارِ الْكُتُبِ فِي هَذَا الْبَابِ، الدَّالَّةُ عَلَى سَعَةِ عِلْمِهِ بِهَذَا الشَّأْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى اهـ.

وَبَلَغَتْ حَمَلَةُ الرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الزَّيْغِ ذُرُوتَهَا، بظهور إمامي أهلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: «أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيَّ» الْمَتَوَفَّى عَامَ ٣٣٠ هـ، و«أَبِي مَنْصُورِ الْمَآثُرِيدِيَّ» الْمَتَوَفَّى عَامَ ٣٣٣ هـ، وَتَابِعَهُمَا وَسَلَّكَ نَهْجَهُمَا كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ بَعْدِهِمَا، مِنْهُمْ: «أَبُو بَكْرٍ: مُحَمَّدٌ الْبَاقِلَانِيُّ» الْمَتَوَفَّى عَامَ ٤٠٣ هـ، و«مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْغَزَالِيُّ» الْمَتَوَفَّى عَامَ ٥٠٥ هـ، و«عُمَرُ النَّسْفِيُّ» صَاحِبُ «الْعُقَايِدِ النَّسْفِيَّةِ» الْمَتَوَفَّى عَامَ ٥٣٧ هـ، و«سَعْدُ الدِّينِ مَسْعُودُ التَّفْتَازَانِيُّ» الْمَتَوَفَّى عَامَ ٧٩٢ هـ، و«مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسُفَ السَّنُوسِيِّ» صَاحِبُ «الْعُقَايِدِ السَّنُوسِيَّةِ» الْأَرْبَعِ، الْمَتَوَفَّى عَامَ ٨٩٥ هـ، وَإِبْرَاهِيمُ اللَّقَّانِيُّ - بَفَتْحِ اللَّامِ وَالْقَافِ مَخْفُفَةً، نَسَبَةً إِلَى قَرْيَةِ «لَقَّانَةَ» مِنَ الْبَحِيرَةِ بِمِصْرَ، صَاحِبُ مَنْظُومَةِ «الْجَوْهَرَةِ» وَشُرُوحِهَا، الْمَتَوَفَّى عَامَ ١٠٤١ هـ، وَلَيْسَ كُلُّ وَاحِدٍ مِمَّنْ ذَكَرْنَا بِأَوَّلَى بِالذِّكْرِ مِمَّنْ لَمْ نَذْكُرْ، فَأَهْلُ الْعِلْمِ فِي كُلِّ زَمَانٍ كَثِيرٌ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، فَقَدْ حَمَلَ عِلْمَاءُ الْأُمَّةِ هُمُومَهَا وَجَعَلُوهَا هَمَّهُمْ، فَقَدْ رُوي: أَنَّ أَبَا إِسْحَاقَ الْإِسْفَرَايِنِيَّ الْمَتَوَفَّى عَامَ ٤١٨ هـ، صَعَدَ فِي زَمَنِ هَيْجَانِ الْمَبْتَدِعَةِ إِلَى «جَبَلِ لُبْنَانَ»، وَهُوَ مُتَعَبِّدٌ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَخُلُوةٌ لَهُمْ عَنِ النَّاسِ، فَوَجَدَهُمْ



هنالك يتعبّدون، فقال لهم: يا أَكَلَةَ الحَشِيشِ، هَرَبْتُمْ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ تَتَعَبَّدُونَ وَتَرَكْتُمْ أُمَّةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَيْدِي الْمُبْتَدَعَةِ!، فقالوا له: يا أستاذ، لا قُدْرَةَ لَنَا عَلَى مَخَالَطَةِ الْخَلْقِ، وَأَنْتَ الَّذِي أَقْدَرَكَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ، فَأَنْتَ أَهْلُهُ، فَرَجَعَ وَاشْتَغَلَ بِالرَّدِّ عَلَى الْمُبْتَدَعَةِ، وَأَلَّفَ كِتَابَهُ: «الْجَامِعُ بَيْنَ الْجَلِيِّ وَالْخَفِيِّ».

وَلَأَنَّ الْفَضْلَ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا ذَوُوهُ، فَقَدْ عَابَ هَذَا الْعِلْمَ فِي كُلِّ عَصْرِ، قَوْمٌ لَمْ تُسَعِفْهُمْ عَقُولُهُمْ عَلَى إِدْرَاكِ مَكَانَتِهِ وَإِتْقَانِهِ، وَآثَرُوا الْخُلُودَ إِلَى حُمُولِ الْفِكْرِ، وَبِلَادَةِ الدَّهْنِ، مُسْتَتَرِينَ بِدَعْوَى الْأَخْذِ بِالْأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ دُونَ الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ، لِأَنَّ الْخَوْضَ فِي الْعَقْلِيَّاتِ بِزَعْمِهِمْ مَفْسَدَةٌ لِلْعَقِيدَةِ، وَغَابَ عَنْ أَذْهَانِهِمْ: أَنَّهُ لَا فَضْلَ مَا بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، وَلَا مَنَاصَ مِنَ الْأَخْذِ بِالطَّرِيقَتَيْنِ، وَكَيْفَ يُنْكِرُ هَؤُلَاءِ الْبَرَاهِينَ الْعَقْلِيَّةَ، وَهُمْ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى، وَفِيهِ مِنْ آيَاتِ الْأَمْرِ بِالتَّفَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ، وَالِاعْتِبَارِ وَالتَّعَقُّلِ، وَالسَّمْعِ وَالْإِبْصَارِ، الْعَدُّ الْوَفِيرُ، وَفِي آيَاتِهِ أَيْضاً: أَنَّ الَّذِينَ «يَفْقَهُونَ» وَ«يَعْلَمُونَ» هُمْ: «أُولُو الْأَلْبَابِ»، أَي: الَّذِينَ اسْتَدَلُّوا بِحُكْمِ الْعَقْلِ عَلَى الْحَقِّ، وَيَكْفِي قَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ فِي وَصْفِ عُمَيِّ الْبَصِيرَةِ: «هُمْ بِكُمْ عُنَى فَهُمْ لَا يَقُولُونَ» [البقرة: ١٧٨]، أَي: هُمْ كَأَنَّهُمْ فَاقِدُو السَّمْعِ وَالنُّطْقِ وَالْبَصَرِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَعْمِلُوا عَقُولَهُمْ فِيمَا خُلِقَتْ وَمُنِحَتْ لِلْإِنْسَانِ لِأَجْلِهِ.

وَاسْتَنَدَ الْعَائِبُونَ لِهَذَا الْعِلْمِ فِيمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ، إِلَى أَنَّ بَعْضَ أَئِمَّةِ السَّلَفِ قَدْ ذَمُّوه، وَفَاتَهُم: أَنَّ الَّذِي ذَمَّهُ أَهْلُ الْعِلْمِ مِنَ السَّلَفِ وَمَنِ الْخَلَفِ أَيْضاً، إِنَّمَا هُوَ: الْكَلَامُ الْمَلِيءُ بِشُبْهِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالضَّلَالَةِ، مِنَ الْفَلَاسِفَةِ وَالْمُبْتَدَعَةِ، أَمَّا الَّذِينَ اشْتَغَلُوا بِالرَّدِّ عَلَى أَصْحَابِ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ، عَلَى طَرِيقَةِ عِلْمِ الْكَلَامِ، فَهُمْ أَهْلٌ لِلثَّنَاءِ وَالدُّعَاءِ، لِأَنَّ هَؤُلَاءِ، اشْتَغَلُوا بِعِلْمِ الْكَلَامِ، لِلرَّدِّ عَلَى عَقَائِدِ الْفَلَاسِفَةِ وَالزَّانَادِقَةِ وَالْمُبْتَدَعَةِ، وَهَؤُلَاءِ يَعْتَمِدُونَ فِي نَهْجِهِمْ عَلَى الْقَوَاعِدِ الْعَقْلِيَّةِ الْكَلَامِيَّةِ الْمُنَطْقِيَّةِ، وَهُمْ: إِمَّا لَا يُؤْمِنُونَ بِالنُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ



أَصْلًا، وَإِمَّا يُؤُولُونَهَا تَأْوِيلًا فَاسِدًا، فَكَانَ لَا بُدَّ مِنْ مُحَارَبَتِهِمْ بِسِلَاحِهِمْ، وَالاحتجاج عليهم بما لَا يَسَعُهُمْ إنكارُ نتائجه، من الأحكام والبراهين العقلية، فالإمام الغزالي سَمَّى كتابه: «تهافتُ الفلاسفة» بهذا الاسم لأنه رَدٌّ عليهم، وَلَمْ يُسَمِّه: «تهافتُ السَّلَفِيِّينَ»، وَلَا «تهافتُ عوامِّ المسلمين»، وذلك لأنه نَاطَرَ أولئك القومَ في قولهم بقدَم العالم، وقولهم بخلود الروح، ونفي بَعَثِ الأجساد، وإنكارهم الجنة والنَّارَ، والنعيم والعذاب على الحقيقة، وغير ذلك من أضاليلهم، كما سيأتي مُبَيَّنًا في هذا الكتاب، وكان للخوارج سَطْوَةٌ فاجرة، وللمعتزلة دَوَلَةٌ جائرة، وأساسُ مذهبهم: «حُكْمُ العقل»، فَحَكَّمُوا العقلَ في كُلِّ شيءٍ، وَأَوَّلُوا النِّصَوصَ تأويلاتٍ غريبةة تُوافِقُ أهواءهم، فَرَدَّ عليهم أهلُ العلم في كُلِّ العصور، وها هي كتبهم مَلَأَى بالردودِ عليهم، وَتَفَنَّدَ آرائهم ودعاويهم الباطلة، فكيف يُنَاطَرُ هُؤُلَاءِ بِالْأَدَلَّةِ السَّمْعِيَّةِ وَخُذَهَا، وَهُمْ لَا يَقْرَءُونَ وَلَا يَقْبَلُونَ بما يقوله أهلُ السُّنَّةِ والجماعة في معانيها؟ وهذا يَنْسَجِبُ على سائرِ الْفِرَقِ الأخرى.

وَمِنْ أَجْلِ تعليمِ النَّاسِ مسائلَ الاعتقادِ الصَّحِيحِ أَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ الْمُؤَلَّفَاتِ شعراً وَنَثْراً، وَكَانَ مِنْ أَهْمِّهَا منظومةُ: «بَدْءُ الْأَمَالِي» للشيخ «سراج الدين: أبي الحسن: علي بن عثمان التَّيْمِي الأَوْشِي»، نِسْبَةً إِلَى «أَوْش» بضم أوله وسكون الواو، وهي: بلدة كبيرة من منطقة «فَرَّغانة»، الواقعة في زماننا في بلاد «أُوزْبَكِسْتَان» في آسيا الوسطى، التي تقع فيها أيضاً: بُخَارَى، وَسَمَرْقَنْدُ، وَنَسَفُ، وغيرها من مُدُنِ أَهْلِ الْعِلْمِ المشهورين، و«الأَوْشِي» من فقهاء الحنفية المشهورين، وصاحب كتاب «الفتاوى السَّراجية».

وهذه المنظومة لامية القافية، مِنْ الْبَحْرِ «الْوَافِر»، وقد اختار النَّاطِمُ كلماتها عن عِلْمٍ وَفَقْهِ، لُغَةً وَمَعْنَى، فَهِيَ مُحْكَمَةٌ النَّظْمِ، مَتِينَةُ السَّبْكِ، دَقِيقَةُ الْمَعْنَى، لَا يَسْتَطِيعُ الْقَارِئُ الْإِحَاطَةَ بِبُلْبَابِ مَعَانِيهَا، إِلَّا بَعْدَ الْعَوْدَةِ إِلَى مُعَاجِمِ اللَّغَةِ، وَلِهَذَا اسْتَعَجَلَ بَعْضُ شَارِحِيهَا كَالْمُلَّا عَلِي الْقَارِي، وَمُحَمَّدُ



الرَّيْحَاوِيُّ وغيرهما، فَحَمَلُوا بعضَ كلماتها على غير معانيها، وأَبْعَدُوا في تفسير بعضها، وَخَطَّأُوا النَّازِمَ حيناً، واقترحوا عليه بدائل حيناً آخر، وهم في الواقع جَانَبُوا الصَّوَابَ، وقد يَبَيَّنُ ذلك في مواضعه كما سترى.

وبالجملة: فلم أَر من أعطى هذه المنظومة ما تستحقُّه من العناية والشرح، فَعَزَمْتُ مُتَوَكِّلاً على الله جَلَّ وَعَزَّ، على شرحها شَرْحاً يَسْتَوْعِبُ مسائلها، وَيَسْتَخْرِجُ من كلماتها مقاصدَ ناظمها، فأكرمني المولى العظيم بالتوفيق إلى ما قَصَدْتُ، وَأَفْرَغَ عَلَيَّ الصَّبْرَ والجَلَدَ، وَسَهَّلَ الحَزْنَ، وَيَسَّرَ العسير، فتوقَّفتُ عند كلِّ كلمةٍ، بعد تصويبٍ ما اختلفت فيه النُّسخُ، أو: حَرَفُهُ النَّاسِخُونَ، أو: تَوَهَّمَهُ بعضُ الشَّارِحِينَ، بما يَتَّفِقُ والمعنى المراد في لُغَةِ العربِ، والمعنى المعهود في اصطلاح علماء «فَنِّ التَّوْحِيدِ»، وأَعَدْتُ ترتيبَ أبياتِ المنظومةِ وَفْقَ مضمونِ كلِّ منها، تحت الباب الذي يَخُصُّهُ، لأنَّ الناظم كما هو الظاهر، قد نَظَّمَ المسائلَ الواردةَ في مَثْنِ «العقائد النَّسَفِيَّةِ»، وهي ليست مُبَوَّبَةً ولا مُرَتَّبَةً على التَّمَطِّ المعهود، فجاءتْ مسائلُ المنظومة على نَسَقِها، وَرَتَّبْتُ الشَّرْحَ على أبوابٍ، وجعلتُ لكلِّ بابٍ عُنواناً، وَضَمَنْتُ البابَ «مَبَاحِثَ» أو: «مسائلَ»، وَفَرَّغْتُ المَبْحَثَ إلى «مسائل» عند الحاجة، وَسَمَّيْتُهُ:

### ﴿ جَامِعُ اللَّائِي شَرْحُ بَدْءِ الْأَمَالِي ﴾

وأقولُ لمن يَظْلَعُ على هذا الكتاب: لا تَعَجَلْ أَخِيَّ في الاستنكار والاستغراب والاعتراض، إذا وَجَدْتَ فيه ما لم تَعْهَدُهُ من صريح القول، أو: ما هو مخالفٌ لما تَرَسَّبَ في الأذهان من عَوَالِقِ الأوهام، إذ كُلُّ هَمِّي أَنْ أَجْلُوَ لَكَ الحَقَّ، حتى تراه وَتَتَّبِعَهُ، فالحقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ، إِنْ أَلْهَمَكَ الله تعالى ذلك، وَفَتَحَ قلبَكَ عليه، فما أَغَسَرَ الفَهْمَ على قَلْبٍ وَقَفَ الجَهْلُ ببابه، وَطَافَ الشَّيْطَانُ في مِحْرَابِهِ، مُنْصَبّاً نَفْسُهُ ناصحاً أميناً، وقريناً حَمِيماً.



وَإِذَا أَرَدْتَ يَا أُخَيَّ أَنْ تَكُونَ مَعَ الْحَقِّ، تَدُورُ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ، فَتَحَرَّرَ مِنْ  
 غُرُورِكَ أَوَّلًا، وَتَوَاضَعَ لَتَنَالِ الْعِلْمَ ثَانِيًا، ثُمَّ تَحَرَّرَ مِنْ قُبُودِ التَّبَعِيَّةِ لِفُلَانٍ  
 وَعِلَّانٍ، وَاعْلَمْ: أَنَّ «الشَّيْخَ» هُوَ: مَنْ يُعَلِّمُكَ لَا مَنْ يَسْتَخْدِمُكَ، وَمَنْ يُرِيكَ  
 لَوْجَهَ اللَّهِ تَعَالَى، لَا مَنْ يَرْبُو مَالًا وَجَاهًا عَلَى حَسَابِكَ، وَمَنْ يُعْطِيكَ عِلْمَهُ،  
 لَا مَنْ يَأْخُذُ مِنْكَ عَقْلَكَ وَمَالَكَ.

إِنْ هَذَا الَّذِي أَقُولُهُ لَكَ، لَا يَعْنِي عَدَمَ إِكْرَامِ أَسْتَاذِكَ، وَلَا التَّقْلِيلَ مِنْ  
 فَضْلِهِ وَعِلْمِهِ، وَلَيْتَكَ تَعْلَمُ مَا أَغْنِي.

وَلَنَشْرِعَ الْآنَ فِي الْمَقْصُودِ، بِعَوْنِ الْمَلِكِ الْمَعْبُودِ، فَنَقُولُ بِوَاللَّهِ  
 التَّوْفِيقُ:





## فَاتِحَةُ الْمَنْظُومَةِ

قال الإمام العلامة المحقق الفقيه اللُّغَوِيُّ: «أبو الحسن: علي بن عثمان الأوشِي» رحمه الله تعالى: مُفْتِحاً «مَنْظُومَتَهُ» بِالْبِسْمَلَةِ تَبْرُكاً بِذِكْرِ اللَّهِ تعالى كما جاء في الْخَبَرِ فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ - يَقُولُ الْعَبْدُ فِي بَدْءِ الْأَمَالِي لِتَوْحِيدِ بِنَظْمٍ كَاللَّالِي  
قوله: «يقول العبد»:

«جِهَاتُ التَّكْلِيفِ فِي الْعَبْدِ ثَلَاثَةٌ: «اللِّسَانُ، وَالْقَلْبُ، وَالْجَوَارِحُ»،  
فهو مُؤَاخِذٌ بِمَا يَعْمَلُهُ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا: إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

أَمَّا «اللِّسَانُ»: فهو من أخطر أعضاء الْإِنْسَانِ، وَنِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ  
جَلَّ وَعَزَّ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَّهُمْ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾﴾ [البَلَد: ٨ و ٩].

وَعَمَلُ «اللِّسَانِ»: الْقَوْلُ وَاللَّفْظُ، وَافَقَ ذَلِكَ مَا فِي النَّفْسِ مِنْ كَلَامٍ  
أَمْ لَا، قَالَ الشَّاعِرُ:

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا

وقال تعالى في ذَمِّ الْمُنَافِقِينَ: ﴿يَقُولُونَ بِاللِّسَانِ مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾  
[الْفَتْح: ١١]، وَلِهَذَا سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى اللُّغَةَ «لِسَانًا»، وَجَعَلَهُ آيَةً مِنْ آيَاتِهِ، فَقَالَ  
سُبْحَانَهُ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَبَاطِكُمْ﴾  
[الرُّوم: ٢٢].



وَتَكْتُبُ الْمَلَائِكَةُ كُلَّ قَوْلٍ يَلْفِظُهُ الْإِنْسَانُ الْمَكْلُوفُ، قَالَ جَلَّ وَعَزَّ:  
﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

وأفضل ما نطق به الإنسان وقاله اللسان: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ثم صدق الحديث في كل أمر.

وأخس ما ينطق به الإنسان وأفحشه: الشرك بالله والكفر به تعالى، ثم الكذب والبهتان والزور والغيبة والنميمة ونحوها.

وحفظ اللسان واجب على العبد، ومثله الفرج، روى البخاري عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»، قوله ﷺ: «لحييه» بفتح أوله وثالته وسكون ثانيه: مثني «لحي» وهو: «الفك»، أي: ما بين فكّيه وهو: اللسان، و«ما بين رجليه» يعني: الفرج.

وأما «القلب»: فعمله الاعتقاد مطلقاً، إذ كل ما ينعقد عليه القلب يُسمى: «اعتقاداً» و«عقيدة»، حقاً كان أو: باطلاً، فلا يخلو قلب من عقيدة، فالمؤمن: عقيدته الإيمان، والكافر: عقيدته الكفر على اختلاف أسبابه، والمُلحد الذي يزعم أنه لا يؤمن بشيء، عقيدته: أنه لا يؤمن بشيء من عقائد الإيمان.

و«الاعتقاد»، كسب القلب، كما أن «العمل» كسب الجوارح، وعلى أساسه يكون الحساب والجزاء، قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

و«حديث النفس» ليس من عمل القلب، وهو: ما لا يملك الإنسان دفعه من وسوسة النفس وحديثها، فلا مؤاخذه به، لما رواه الشيخان



وأصحابُ السُّنَنِ الأربعة، عن عِمْرَانَ بنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لَأُمَّتِي عما حَدَّثْتُ به أَنْفُسَهَا، ما لم تتكَلَّمْ أو تَعْمَلْ»، وفي ضبط كلمة أنفُسها وجهان: النَّضْبُ، واستظهره القاضي عياض والنووي أي: «المرءُ يحدِّث نفسه»، والرفع أي: «ما تُحدِّثُ به النفس بغير اختيارها»، كما سيأتي في شرح البيت «السابع والثلاثين»:

والوسوسةُ مَعْفُوٌّ عنها وإن كانت في أمور الإيمان، فقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء ناسٌ من أصحابِ النَّبِيِّ ﷺ فسألوه: إِنَّا نَجِدُ في أَنْفُسنا ما يَتَعَاضَمُ أَحَدُنَا أَنْ يتكَلَّمْ به، قال: «وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟»، قالوا: نعم، قال: «ذَاكَ مَحْضُ الإِيْمَانِ»، وفي مسلم أيضاً: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سئل النَّبِيُّ ﷺ عن الوسوسة قال: «تلك مَحْضُ الإِيْمَانِ»، أي: تَدُلُّ على الإيمان الخالص من الشُّكوك، لأنَّها من عمل الشَّيْطان، والشَّيْطانُ يَغِيْظُهُ اطمئنانُ قلبِ المؤمنِ بالإيمان، فَيَسْوَشُ عليه بالوسوسة.

وَمِنْ «عَمَلِ القلب»: «النِّيَّةُ»، وعليها يتوقف: الثواب والعقاب، وصحة الأعمال وعدمها، كما هو مُبَيَّنُّ في كُتُبِ الفقه.

والاعتقادُ الواجب شرعاً على كلِّ مكَلَّفٍ هو: الإِيْمَانُ الجازِمُ بالله تعالى، وبما أنزل سبحانه على رسله عليهم الصلاة والسلام، وقد اجتمع ذلك كُلُّه فيما جاء به سيِّدنا ومولانا محمد ﷺ من العقائد الدينيَّة، لأن دين الأنبياء والمرسلين جميعاً واحد هو: «الإسلام»، وبه أرسلوا إلى النَّاسِ، والذي يختلف هو: «الشَّرْع»، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَمَلًا مِنْكُمْ شَرْعَةٌ وَمِنْهَا جَاءَ﴾ [المائدة: ٤٨].

ومن «الجهل المَرَكَّب»: قولُ بعض «المشايخ» - وفي عصرنا منهم كثير -: «الأديانُ السَّماويَّةُ الثلاثة: اليهوديَّةُ، والنَّصرانيَّةُ، والإسلامُ»، فجمعوا دينَ الله تعالى الذي هو: «الإسلام»، مَعَ تحريفات أهل الكتاب وابتداعاتهم،



وهم بهذا القول يَعْشُونَ الْأُمَّةَ فِي دِينِهَا، وَيَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ، إِذْ يُوْهَمُونَ النَّاسَ: أَنَّ «الْيَهُودِيَّةَ» الْكَافِرَةَ بِالنُّبُوتِ وَبِالْوَحْيِ، هِيَ دِينُ سَمَاوِيٍّ أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى، بَلْ إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَزْعُمُ: أَنَّ مُوسَى ﷺ كَانَ يَهُودِيًّا، ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ اسْمَ دِينِ مُوسَى وَرِسَالَتِهِ هُوَ: «الْيَهُودِيَّةُ»، وَأَنَّ اسْمَ دِينِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ هُوَ: «النَّصْرَانِيَّةُ»، أَوْ «الْمَسِيحِيَّةُ» كَمَا يُقَالُ فِي زَمَانِنَا، وَكَأَنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَقْرَأُوا الْقُرْآنَ، وَإِنْ هُمْ قَرَأُوهُ فَمَا فَهَمُوهُ، وَلَوْ تَعَلَّمُوا عَقَائِدَ دِينِهِمْ لَعَلِمُوا: أَنَّ الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ، بَدْءَتَانِ ابْتِدَعَتَا بَعْدَ مُوسَى وَعِيسَى ﷺ، وَلَيْسَتَا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى فِي شَيْءٍ، وَأَنَّ دِينَ مُوسَى وَعِيسَى الَّذِي جَاءَا بِهِ هُوَ: «الْإِسْلَامُ»، بَلْ لَوْ أَنَّهُمْ فَهَمُوا هَذِهِ الْآيَةَ لَكَفَتَهُمْ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا إِلَيْكَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْوَعْدُ بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَأُولَئِكَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩].

أَمَّا «الْجَوَارِحُ»: فَهِيَ مُشْتَقَّةٌ مِنْ: «الْإِجْتِرَاحُ» وَهُوَ: «الْإِكْتِسَابُ»، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠] أَي: كَسَبْتُمْ، وَمُرَادُنَا بِ«الْجَوَارِحِ» هُنَا: جَمِيعُ أَعْضَاءِ الْبَدَنِ، مَا عَدَا اللِّسَانَ وَالْقَلْبَ لِسَبْقِ الْكَلَامِ فِي عَمَلِهِمَا.

فَبِالْجَوَارِحِ يَكْتَسِبُ الْإِنْسَانُ أَعْمَالَهُ كُلَّهَا، خَيْرَهَا وَشَرَّهَا، فَيَعْمَلُ الْفَرَائِضَ وَالنَّوَافِلَ وَالْقُرْبَاتِ وَالْمُبَاحَاتِ، وَيُرْتَكِبُ بِهَا الْمَعَاصِيَ وَالْمَكْرُوهَاتِ.

وَقَوْلُهُ: «الْعَبْدُ»: أَي: «عَبْدُ اللَّهِ»، يَعْنِي النَّاطِقُ نَفْسَهُ، وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِ«الْعَبْدِ» فِي أَوَّلِ مَنْظُومَتِهِ وَفِي خَتَامِهَا كَمَا سَيَأْتِي تَقْرِيرًا لِمَقَامِ الْعِبَادِيَّةِ، وَالْعِبَادَةُ هِيَ: الطَّاعَةُ وَالْخُضُوعُ، يُقَالُ: عَبَدَ الْمُؤْمِنُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَعْبُدُهُ عِبَادَةً: أَطَاعَهُ وَخَضَعَ لَهُ، فَهُوَ: عَابِدٌ، وَهِيَ: عَابِدَةٌ.

وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى أَفْضَلَ خَلْقِهِ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا ﷺ بِهَذَا



الوصف فقال: ﴿وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩].  
 أمّا «العبودية» في حَقِّ الأَرْقَاءِ المملوكين فهي مجازيَّةٌ، و«الرَّقُّ» بكسر  
 الراء: المِلْكُ، و«الرَّقِيقُ» المملوك، ويكره أن يقول السَّيِّدُ: «عَبْدِي وَأَمْتِي»،  
 وَلَيَقُلْ: «فَتَايَ وَفَتَاتِي»، كما ورد في حديث أبي داود والنسائي وفي الصحيحين  
 بمعناه، وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَنَكُمْ عَلَى إِلِغَاءِ﴾  
 [النور: ٣٣].

وقوله: «في بَدْءِ الأَمَالِي»: أي: في بَدْءِ نظمه هذه القصيدة التي  
 سَمَّاها: «الأَمَالِي»، وهذه التسمية: إمَّا باعتبارها مِنْ إِمْلَاءِ الإِلَهَامِ الإِلَهِيِّ،  
 فهو يَنْظُمُ ويَكْتُبُ ما يُلهمه الله تعالى، وإمَّا باعتبار ما سيكون، فهو وَكُلُّ مَنْ  
 يُدْرِسُهَا غَيْرُهُ: سَيُمْلِيهَا على الطَّلَبَةِ، فهي بهذا الاعتبار مُعَدَّةٌ للإِمْلَاءِ.

ومَقُولُ قَوْلِ الناظمِ هو: مِنْ قوله في أوَّل البيتِ التَّالِي: «إِلَهُ الْخَلْقِ  
 مولانا قديمٌ» إلى آخر القصيدة، وقوله: «لتوحيد بَنْظُمٍ كاللَّأَلِيِّ» اعتراضٌ.

وقوله: «لتوحيد»: اللام للتعليل، أي: لبيان «علم التوحيد»، وهو:  
 «علم العقائد الإسلامية»، وسُمِّي بذلك، لأنَّ أَهَمَّ مباحثِهِ وأشرفها: وَحْدَانِيَّةُ  
 الله تعالى وأَحَدِيَّتُهُ في ذاته وصفاته وأفعاله، والفرق ما بين «الواحدية»  
 و«الأحدية»: أَنَّ «الواحدية» تنفي تَعَدُّدَ الصِّفَاتِ، و«الأحدية» تنفي تَعَدُّدَ  
 الذات، وقيل: مترادفتان.

وَيُسَمَّى هذا العلمُ أيضاً: «علم الكلام» لأنَّ صِفَةَ «الكلام» الإلهية،  
 كانت أشهرَ مباحثه وأكثرها نزاعاً وجدالاً، بين أهل السُّنَّةِ والجماعة وبين  
 المعتزلة، أو: لأنَّه يُورِثُ قُدْرَةً على الكلام في تحقيق المسائل، وإلزام  
 الخصوم.

وقوله: «بَنْظُمٍ كاللَّأَلِيِّ»: «النَّظْمُ»: التَّأْلِيفُ وَضَمُّ الشَّيْءِ إِلَى شَيْءٍ



آخر، يقال: نَظَمَ اللَّؤْلُؤَ: جَمَعَهُ فِي السَّلَكِ، ومنه: نَظْمُ الشَّعْرِ، و«النَّظْمُ»  
 أَيضًا: المنظوم، و«اللَّأَلِي» حُذِفَتِ الْهَمْزَةُ مِنْ آخِرِهِ لِمُضَرَّةِ النَّظْمِ، لِئَلَّا تَتَغَيَّرَ  
 الْقَافِيَةُ وَهُوَ: جَمْعُ «لُؤْلُؤَةٍ» وَتُجْمَعُ أَيْضًا عَلَى «لُؤْلُؤٍ»، وَهُوَ مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ  
 تَعَالَى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٢٢].

فَهُوَ يُشَبَّهُ كَلِمَاتِ مَنْظُومَتِهِ بِحَبَّاتِ اللَّؤْلُؤِ، فِي انْتِظَامِهَا فِي السَّلَكِ  
 وَجَمَالِهَا، وَالْوَاقِعُ هُوَ كَمَا قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَا مَبَالِغَةَ فِيهِ وَلَا تَكَلُّفَ،  
 وَمُرَادُهُ مِنْ مَدْحِهَا وَإِبْرَازِ مَحَاسِنِهَا هُنَا فِي أَوَّلِهَا، وَفِي خَتَامِهَا أَيْضًا، حَتَّى  
 طَلَبَتِ الْعِلْمَ عَلَى حِفْظِهَا وَفَهْمِهَا وَاعْتِقَادِ مَا فِيهَا، وَهَذَا مِنْ بَابِ النَّصِيحَةِ  
 الْوَاجِبَةِ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ.





## الباب الأول:

### في الألوهيات

- وفيه: أربعة مباحث

#### ﴿المبحث الأول: «الألوهية، وصفة الوجود، والصفات السلبيّة»﴾

وفيه: خمس مسائل:

- المسألة الأولى: «معنى: الإله»
- المسألة الثانية: «معنى: الخلق»
- المسألة الثالثة: «معنى: المولى»
- المسألة الرابعة: «صفة الوجود»
- المسألة الخامسة: «الصفات السلبيّة»

#### ﴿المبحث الثاني: «الصفات الوجوبية والقدر»﴾، وفيه: تسع مسائل:

- المسألة الأولى: «صفات الذات: المعاني والمعنوية»
- المسألة الثانية: «صفات الأفعال»
- المسألة الثالثة: «القضاء والقدر»
- المسألة الرابعة: «قضاء الله تعالى وقدره مُبَرَّم لا رادَّ له»:
- المسألة الخامسة: «المخو والإنبات والزيادة والنقصان»
- المسألة السادسة: «قَدَمُ الصِّفَاتِ وبقاؤها»
- المسألة السابعة: «القرآنُ كَلَامُ الله غيرُ مخلوقٍ»
- المسألة الثامنة: «التكوِينُ غَيْرُ المَكُونِ»
- المسألة التاسعة: «التغايرُ والعينيةُ في الصِّفَاتِ»

#### ﴿المبحث الثالث: «الأسماء الحُسنى»﴾ وفيه: أربع مسائل:

- المسألة الأولى: «خَصَرُ الأَسْمَاءِ الحُسنى وتعيينها»
- المسألة الثانية: «تَسْمِيَةُ الله تعالى: شيئاً وذاتاً»
- المسألة الثالثة: «أَسْمَاءُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ»
- المسألة الرابعة: «الاسم عَيْنُ المُسَمَّى»

#### ﴿المبحث الرابع: «حُسْنُ الخَيْرِ، وَقُبْحُ الشَّرِّ»﴾، وفيه: ثلاث مسائل:

- المسألة الأولى: «معنى: الخَيْرُ والشَّرُّ»
- المسألة الثانية: «التَّحْسِينُ والتَّقْبِيحُ»
- المسألة الثالثة: «الإرادةُ والمشيئةُ والرِّضَا والأَمْرُ»







## الباب الأول:

### في «الألوهيات»

المراد بـ «الألوهيات»: الأمور الواجب اعتقادها في حق المولى تبارك وتعالى من صفات الكمال، واعتقاد تَنَزُّهِهِ جَلَّ وَعَزَّ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِذَاتِهِ الْمُقَدَّسِ، وفي هذا الباب أربعة مباحث:

#### المَبْحَثُ الْأَوَّلُ: «الألوهية، وصِفَةُ الوجود، والصفات السِّلْبِيَّةُ»

وإليه أشار الناظم في الشَّطْرِ الْأَوَّلِ من قوله:

٢ - إِلَهُ الْخَلْقِ مَوْلَانَا قَدِيمٌ وَمَوْصُوفٌ بِأَوْصَافِ الْكَمَالِ  
وأما الشَّطْرُ الثَّانِي فقد أشار فيه إلى «الصفات الوجودية» التي سَنُبَيِّنُهَا فِي «المبحث الثاني» التالي.

فقوله: «إله»: مبتدأ مضاف إلى ما بعده، ولهذا جاز الابتداء به وهو نكرة، وقوله: «مولانا»: بَدَلٌ مِنْهُ، و«قديم» خبر المبتدأ.

وقوله: «إله الخلق» يُفِيدُ: اتصافه تعالى وحده بالألوهية وبصفة «الوجود»، والإضافة إلى «الخلق» تفيد: الاختصاص، أي: الوجدانية، فلا إله للخلق سوى الله تعالى، ويُشِيرُ قَوْلُهُ: «قديم» إلى سائر «الصفات السِّلْبِيَّةُ».

وفي هذا المَبْحَثِ خَمْسُ مَسَائِلَ:

المسألة الأولى: «معنى: الإله».

«الإله»: اسم مفرد، جمعه: «آلهة» ومُثَنَّاؤه: «إِلَهَانٍ»، وَلَا يُطْلَقُ إِلَّا عَلَى



المعبود بحق وهو: الله سبحانه وتعالى، لأنَّه واجبُ الوجود، المستغني عن كلِّ ما سواه، والمُفْتَقِرُ إليه كلُّ ما عداه، إذ لا يستحقُّ أَنْ يُعْبَدَ، أي: أَنْ يَذَلَّ له كلُّ شيءٍ إِلَّا مَنْ كَانَ كَذَلِكَ.

وزعم محمد الرِّيحَاوِيُّ، وأبو بكر الأحسائي في شرحيهما: أَنَّ «الإله» اسمُ جنسٍ، يَقَعُ على كلِّ معبودٍ بحقٍّ أو باطلٍ، ثم غَلَبَ على المعبود بحقٍّ، وزَعَمُهما ذلك غيرُ صحيحٍ لُغَةً وَمَذَلُولاً، وَالصَّوَابُ مَا ذَكَرْنَاهُ، فانتبه إلى هذا، فهو مَزَلَّةٌ فَهَمَّ الكثيرين.

ويؤيِّد ما ذكرناه: قولُ الله سبحانه وتعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، أي: لو كان في السَّمَاءِ والأَرْضِ إِلَهٌ يستحقُّ العبادةَ غيرُ الله تعالى لَفَسَدَتَا، وهذا بيانٌ واضحٌ لمعنى «الألوهية» الصَّحيح، والنتيجة: أَنَّ السَّمَاءَ والأَرْضَ لَمْ تَفْسُدَا، وَلَمْ يَحْتَلَّ نظامُهما، لأنَّه لا إِلَهَ يُعْبَدُ بحقٍّ فِيهِمَا إِلَّا اللهُ تعالى وحده، أمَّا معبوداتُ المشركين مِنْ دُونِ اللهِ تعالى، فلا يجوزُ أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهَا وَصْفُ «الإله»، لأنها لا تَتَّصِفُ بمعنى «الألوهية»، بل هي مخلوقةٌ مُفْتَقِرَةٌ إلى خالقها، وَبَعْضُهَا - كالأصنام - عابدوها أَشْرَفُ مِنْهَا خَلْقًا، والوصفُ الصحيحُ لها: أنها: «اتَّخَذَتْ» آلهَةً، و«الِاتِّخَاذُ» هو: من باب «الافْتِعَالِ» الذي يُحْدِثُهُ الفاعلُ، ولم يكن له وجودٌ قَبْلَ ذَلِكَ، كنحو: «الافْتِتَالِ» أي: إحداثُ القتال، وبهذه الصِّيْغَةُ وَصِفَتْ معبوداتُ الكُفَرَةِ كَافَّةً، كما في قوله تعالى في مَوْعِظَةِ إِبْرَاهِيمَ عليه الصلاة والسلام لأبِيهِ آزَرَ: ﴿اتَّخَذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾ [الأنعام: ٧٤]، وقوله سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]، فالأصنامُ ليستُ آلهَةً، والهوى ليسَ إِلَهًا، بل عابدوها هم الذين افْتَعَلُوا لها هذا الاسم وهي لا تَسْتَحِقُّهُ.

والخلاصة: أَنَّ «الإلهة» لا يجوزُ أَنْ يُطْلَقَ مُجَرَّدًا إِلَّا على الله تعالى، فلا يقال في معبودات الكفرة: إنها «آلهة»، ولكن يقال: اتخذوها آلهَةً، أو يقال: معبودات قوم فلان.



## المسألة الثانية: «معنى: الخلق» .

أراد الناظم بـ «الخلق»: المخلوق، وهو بهذا المعنى: كل ما سوى الخالق جلّ وعزّ من عوالم وموجودات، فهي كلّها خلق الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٨] .

وأشار بقوله: «إِلَهُ الخلق»: إلى أنّ الذي يَخْلُقُ حقاً هو: الله تعالى، ولأنّه تعالى هو: «الخالق» فهو: «الإله»، ولأنّه «الإله» فهو وحده يستحقّ العبادة، أمّا معبودات المشركين التي اتخذوها آلهة فليست آلهة، لأنها مخلوقة ولا تَخْلُقُ، قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَوةً وَلَا نُشُوراً﴾ [الفرقان: ٣] .

أمّا «الخلق» بمعنى: الفعل، فهو: «إيجاد الشيء من العدم على تقدير واستواء»، قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتَكُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً﴾ [مريم: ٩]، وأصل معناه في اللغة: «التقدير»، ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أي: المُقدِّرِينَ، قال الجوهري في «الصّحاح»: «الخلق»: التقدير، يقال: خَلَقْتُ الأديم: إذا قَدَرْتُهُ قَبْلَ الْقَطْعِ، وَخَلَقَ الْإِفْكَ وَاخْتَلَقَهُ: أي: افترأه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكَاً﴾ [الغنكوت: ١٧] اهـ .

ولا يكون الإيجاد إلّا بتقدير، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القم: ٤٩]، ولا يُنسَبُ «الخلق» بهذا المعنى، أو: على إطلاقه، إلّا إلى الله تعالى، فهو سبحانه وحده الخالق لكلّ شيء، قال تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦] .

## المسألة الثالثة: «معنى: المولى» .

قال الناظم: «إِلَهُ الخلق مولانا»، أي: «مُتَوَلَّى أمورِ خَلْقِهِ جميعاً»، وللمولى مُسنداً إلى الله تعالى معانٍ عديدة هذا أَجْمَعُهَا .



وفي إضافة «المولى» إلى ضميرِ جَمْعِ المتكلمين في قوله: «مولانا»: إشارة لطيفة إلى أَنَّ الله سبحانه وتعالى، يتولَّى عبادة المؤمنين بولاية مخصوصة لا تكون لغيرهم، وهي التي في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

أما «المولى» من العباد فيعني: السَّيِّد، والمناصِر، وولِّي الأمر، ولا يكون ذلك إلاَّ بَيْنَ المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٦]، أما الكافرون فلا ولاية لهم على المؤمنين، ولا يجوز للمؤمنين موالاتهم، بمناصرتهم وتركِ أمور الأُمَّة إليهم، كما هو حاصل في زماننا حيث صار أمرنا بيد أعدائنا من مِلَلِ الكُفْرِ، الذين احتلُّوا فلسطين في عام ١٩٤٨م وجعلوها دولة لليهود، وشرَّدوا أهلها، واحتلُّوا بلاد الأفغان في عام ٢٠٠١م وعاثوا فيها فساداً، واحتلُّوا العراق في عام ٢٠٠٣م ودمَّروهُ وأهلكوا شَعْبَهُ، وكذلك فَعَلُوا في بلاد إسلامية أخرى وما زالوا يفعلون، والله المستعان.

#### المسألة الرَّابِعة: «صِفَةُ الوجود».

أشار الناظم إلى هذه الصِّفة بقوله: «إِلَهُ الْخَلْقِ»، و«الوجود»: «معنى ثابت للذَّات»، وهو عند الأشعري: صفةٌ نَفْسِيَّةٌ تعني: عَيْنَ الذَّات، وليس معنى زائداً عليها، وبرهان وجوده تعالى هو: حَدُوثُ الْعَالَمِ أَي: وُجُودُهُ مِنْ عَدَمٍ، إذ لا يُتَصَوَّرُ في الْعَقْلِ السَّلِيم وجودُ الْعَالَمِ بنفسه، لأنَّ كُلَّ كائِنٍ فيه أَمْرَانِ متساويان من حيث إمكان الوجود، كالطُّول والقصر، والكِبَر والصَّغَر ونحوها، فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْكَائِنُ طَوِيلاً، كما يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَصِيراً عَلَى السَّوَاءِ، ولا يَتَرَجَّحُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ إِلَّا بِمَرَجِّحٍ، فلو وُجِدَ شَيْءٌ مِنَ الْعَالَمِ بنفسه، للزم اجتماعُ الِاسْتَوَاءِ والرُّجْحَانِ الْمُتَنَافِيَيْنِ وذلك مُحَالٌ، فلولا أَنَّ الله تعالى خَصَّ كُلَّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْعَالَمِ بِمَا اخْتَصَّ بِهِ: مِنْ



الجنس، والحجم، واللون، والزمان، والمكان، وغير ذلك، لما وُجد شيء من المخلوقات، وهذا هو «التقدير» في الخلق، أي: تَرْجِيحُ أَحَدِ الْمُتَسَاوِينَ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

### المسألة الخامسة: «الصفات السلبية».

وقد أشار الناظم إلى إحدى هذه الصفات وهي: «الوحدانية» بقوله «إِلَهَ الْخَلْقِ»، أي: هو تعالى إلههم الذي لا إله لهم سواه، وصرّح بصفة أخرى وهي: «القدم» بقوله: «قديم».

و«الصفات السلبية» خمس، هي: «القدم»، والبقاء، ومُخَالَفَتُهُ تعالى للحوادث، وقيامه تعالى بنفسه، والوحدانية.

وسُمِّيَتْ هذه الصفات سَلْبِيَّةً: لأنها تَسْلُبُ وتَنْفِي عن الله تعالى عَكْسَهَا، وهو: ما لا يليق به جُلٌّ وعِزٌّ، وقال السَّنُوسِيُّ في شرح عقيدته «الصغرى»: السَّلْبُ يعني: أَنَّ مَذْلُولَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا هو: عَدَمُ أَمْرٍ لا يليق بمولانا جُلٌّ وعِزٌّ، وليس مَذْلُولُهَا صِفَةً موجودةً في نفسها، كما في العلم والقدرة ونحوهما من سائر «صفات المعاني» اهـ، وستأتي في شرح البيت التالي.

### الصِّفَةُ الْأُولَى: «القدم»:

وهو: «سَلْبُ الْعَدَمِ السَّابِقِ عَلَى الْوُجُودِ» أو: «عَدَمُ الْأَوَّلِيَّةِ لِلْوُجُودِ»، فالله تعالى هو: الْأَوَّلُ بلا بداية، قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣]، إذ لو كان لوجوده بدايةً لكان مخلوقاً، والمخلوق لا يكون إلهاً.

ولا يجوز أن يوصَفَ بالقديم غيره تعالى، إذ كلُّ ما سواه حادثٌ، خَلَقَهُ اللهُ تعالى بعد عَدَمٍ، وقد ضلَّ بعضُ الفلاسفة ومن تبعهم، بقولهم بقديم العالم، كما سنبين.



أَمَّا إِطْلَاقُ «الْقَدِيمِ» عَلَى الْمَخْلُوقِ كَقَوْلِنَا: بِنَاءٌ قَدِيمٌ، فَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ طُولِ مُدَّةِ وُجُودِهِ، وَهُوَ جَائِزٌ بِهَذَا الْمَعْنَى، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾ [يس: ٣٩].

### وَالصِّفَةُ الثَّانِيَّةُ: «الْبَقَاءُ».

وَهُوَ: «سَلْبُ الْعَدَمِ اللَّاحِقِ»، أَوْ: هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ: «عَدَمِ الْآخِرِيَّةِ لِلْوُجُودِ»، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣]، أَي: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى: بَاقٍ لَا نِهَايَةَ لَوْجُودِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦ و٢٧]، وَفِي «الْبَخَارِيِّ» قَوْلُهُ ﷺ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ»، وَفِي «الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ»: قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ، لَا يُفْنَى وَلَا يَبِيدُ، اهـ.

وَذَهَبَ الْأَشْعَرِيُّ وَأَتْبَاعُهُ، إِلَى أَنَّ «الْبَقَاءَ» صِفَةٌ وَجُودِيَّةٌ مِنْ «صِفَاتِ الْمَعَانِي» الْآتِيَةِ، وَنَفَاهُ بَعْضُهُمْ صِفَةً وَجُودِيَّةً، بِاعْتِبَارِ أَنَّ «الْبَقَاءَ» عَنْدهُمْ هُوَ: نَفْسُ الْوُجُودِ فِي الزَّمَانِ الثَّانِي، وَسَنَبِّئُ ذَلِكَ فِي شَرْحِ «الْبَيْتِ الثَّانِي».

### وَالصِّفَةُ الثَّالِثَةُ: «مُخَالَفَتُهُ تَعَالَى لِلْحَوَادِثِ».

«الْحَوَادِثُ»: جَمْعُ «حَادِثٍ» وَهِيَ: الْمَخْلُوقَاتُ، وَجَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ: «أَجْرَامٌ»، أَي: ذَوَاتٌ قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا، وَ«أَعْرَاضٌ» أَي: صِفَاتٌ لَا تَقُومُ بِنَفْسِهَا، وَلَكِنِهَا تَفْتَقِرُ إِلَى ذَاتٍ تَقُومُ بِهَا، وَسُمِّيَتْ «حَادِثَةً» لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ فَكَانَتْ.

فَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُمَاطِلُهُ شَيْءٌ مِنْهَا، لَا فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وَالْكَافُ فِي «كَمِثْلِهِ» صِلَةٌ - أَي: زَائِدَةٌ - لِلتَّوَكِيدِ عَلَى قَوْلِ الْأَكْثَرِينَ، كَمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ فِي «مُعْنِي اللَّبِيبِ»، وَالتَّقْدِيرُ: «لَيْسَ مِثْلُهُ شَيْءٌ»، فَ«شَيْءٌ» اسْمُ «لَيْسَ» مُؤَخَّرٌ، وَ«كَمِثْلُ» خَبَرُهَا مُقَدَّمٌ مَنْصُوبٌ بِفَتْحَةٍ مُقَدَّرَةٍ عَلَى آخِرِهِ، مَنَعَ



من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وذهب بعضهم إلى أن: «مثل» زائدة أي: «ليس كهو تعالى شيء»، وهو بعيد، لأن «مثل» اسم، و«الكاف» حرف، والقول بزيادة الحرف للتأكيد أولى.

وبرهان وجوب مخالفته تعالى للحوادث: أنه لو مائل شيئاً منها لكان حادثاً مثلها، لأن كل مثليين لا بد أن يجب لأحدهما ما يجب للآخر، وكذا المستحيل والجائز، وقد علم بالدليل القاطع: أن كل ما سوى الله تعالى يجب له الحدوث، فلو مائل تعالى شيئاً من الحوادث، لوجب له تعالى الحدوث ما وجب لذلك الشيء، وذلك باطل، لما ثبت بالبرهان القاطع من وجوب قدمه تعالى وبقائه.

#### والصفة الرابعة: «قيامه تعالى بنفسه».

القيام بالنفس يعني: «عدم الافتقار إلى محل ولا مخصص»: فهو تعالى لا يفتقر إلى «محل»، أي: إلى ذات يوجد فيها كما توجد الصفة في الموصوف، فالصفة لا تقوم بنفسها، فهي مفتقرة إلى المحل وهو: «الموصوف» لتقوم به، والله تعالى ليس صفة ولكنه ذات، والذات لا تفتقر إلى محل تقوم به، بل هي قائمة بنفسها.

ولا يفتقر تعالى إلى «مخصص» أي: «فاعل مختار» يخصه بالوجود بدل العدم، لا في ذاته، ولا في صفة من صفاته تعالى، لوجوب القدم والبقاء والمخالفة للحوادث لذاته تعالى، ولجميع صفاته، وإنما يحتاج إلى «المخصص» الشيء الذي يقبل العدم، وهو كل ما سوى الله تعالى.

و«المخصص» أو: الفاعل، كما عرّفه السنوسي في «مقدماته» هو: «الفاعل المختار الذي يخصص الممكن الحادث، بجائز أراده دون جائز لم يؤده» اهـ، والممكن أو: الجائز هو: ما يصح في العقل وجوده وعدمه.



ف «الْقِيَامُ بِالنَّفْسِ» مُرَكَّبٌ مِنْ أَمْرَيْنِ: الْإِسْتِغْنَاءُ عَنِ الْمَحَلِّ، وَالْإِسْتِغْنَاءُ عَنِ الْمَخْصُصِ.

وبرهانُ استغنائه تعالى عن «المَحَلِّ»: أَنَّهُ لَوْ احتاجَ إِلَى مَحَلٍّ لَكَانَ صِفَةً، وَالصِّفَةُ لَا تَتَّصِفُ بِصِفَاتِ الْمَعْنِيِّ كَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ، وَلَا بِالصِّفَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ كَكُونِهِ تَعَالَى: قَادِرًا وَمُرِيدًا، الْآتِي ذِكْرَهَا فِي شَرْحِ الْبَيْتِ التَّالِي، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجِبُ اتِّصَافُهُ بِهَا، فَلَيْسَ بِصِفَةٍ.

وبرهانُ عَدَمِ افْتِقَارِهِ تَعَالَى إِلَى «مَخْصُصٍ»: أَنَّهُ لَوْ احتاجَ إِلَى الْمَخْصُصِ لَكَانَ حَادِثًا، لِأَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى الْمَخْصُصِ إِلَّا الْحَادِثُ، وَقَدْ ثَبَتَ بِالْبَرْهَانِ وَجُوبُ قِدَمِهِ تَعَالَى وَبِقَائِهِ، وَمُخَالَفَتِهِ لِلْحَوَادِثِ كَافَّةً.

وَالصِّفَةُ الْخَامِسَةُ مِنَ الصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ: «الْوَحْدَانِيَّةُ».

وَمَعْنَى «الْوَحْدَانِيَّةِ»: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى:

أَحَدِيُّ الذَّاتِ، فَلَا مِثْلَ لَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، [«١» الصَّمَدُ].

وَوَاحِدٌ فِي صِفَاتِهِ، فَهُوَ سَبْحَانَهُ الْمُتَفَرِّدُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، كَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ وَالْعِلْمِ وَغَيْرِهَا مِمَّا سَيَأْتِي بَيَانُهُ.

وَوَاحِدٌ فِي أَعْمَالِهِ، فَلَا يُشَارِكُهُ شَيْءٌ فِي الْخَلْقِ، وَالْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ، وَالْخَفْضِ وَالرَّفْعِ وَغَيْرِهَا، فَلَا خَالِقَ وَلَا مُدَبِّرَ لِأُمُورِ الْخَلْقِ سِوَاهُ تَعَالَى، قَالَ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

فَاللَّهُ تَعَالَى خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ، وَخَالِقُ لِعَبْدِهِ وَلِأَعْمَالِ عَبْدِهِ وَأَعْمَالِهِ كُلِّهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [٩٦] [الصافات: ٩٦] أَيْ: وَخَلَقَ عَمَلَكُمْ كَذَلِكَ، كَمَا هُوَ مُعْتَقِدُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا مَنَاصَ مِنْهُ لِمَنْ طَلَبَ النِّجَاةَ، وَقَدْ خَالَفَ الْمُعْتَرِضُ فِي هَذَا وَزَعَمُوا: أَنَّ الْعَبْدَ هُوَ الَّذِي يُوجِدُ أَعْمَالَهُ الْإِخْتِيَارِيَّةَ، بِالْقُوَّةِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى لَهُ



على سبيل الاستقلال، وليس لله تعالى فيها اختراع عندهم، واختلف علماؤنا في كفرهم بهذا، والصحيح عدم كفرهم، بل هم فسقة مبتدون.

وهو تعالى: خالق الأسباب وآثارها بلا واسطة، فهو سبحانه: خالق المَرَضِ وخالق الشِّفاء، وخالق الطَّعام والشَّبع، وخالق الماء والرِّيِّ، وغيرها، وليس للأسباب أيُّ تأثير في وجود ما افترن عادة بها من آثار.

«المذاهب في تأثير الأسباب»:

والناس في تأثير الأسباب مذاهب، أبرزها ثلاثة:

المذهب الأول: «مذهب كثير من الفلاسفة والطبائعين».

وهؤلاء يعتقدون قَدَمَ الأسباب واستقلالها بالتأثير بطبيعتها، أي: حقائقها، ولا يرون: أنَّ الله تعالى هو الذي جعلها كذلك، لأنهم ينفون وجود الصَّانع جلَّ وعزَّ، فيقولون: الدواء يشفي بطبيعته، والنار تحرق بطبيعتها وهكذا، وهؤلاء كفرٌ بالإجماع.

والمذهب الثاني: «مذهب المعتزلة».

وهؤلاء يعتقدون: أنَّ الأسباب حادثة، وهي تؤثر فيما قارنَها لا بطبيعتها، ولكن بقوة مؤثرة أودعها الله تعالى فيها، لو نزعها منها لبطل تأثيرها، وفي كفرهم قولان، والصحيح عدم كفرهم، وأنهم مُبتدعة مُفسِّق يؤدَّبون ويُزَجَّرون.

فإن قيل: ما فائدة مناقشة المعتزلة في هذه المسألة، وهم فرقة قد انقرضت، ولم يبق لها وجود إلا في الكتب؟

فنقول: صحيح أنَّ «المعتزلة» قد ذهبوا مع الداهيين، ولكنَّ أسوأ عقائدهم ومنها هذه المسألة، يقول بها كثير من المنتسبين إلى العلم في عصرنا، ولا يُسمَّون أنفسهم: «معتزلة»، فهؤلاء ينكرون على أهل السنة



والجماعة معتقدتهم في خَلْقِ الآثارِ بقدرَةِ الله تعالى رَأْساً، وَيُسَمُّونَ «الْقُوَّةَ» المودَعَةَ في الأسبابِ كما قال المعتزلة: «خَاصِيَّةً»، وَيَزْعُمُونَ كالمعتزلة تماماً: أَنَّ الأسبابَ توجِدُ آثارها، بتلك «الخَاصِيَّةِ» التي أودَعها الله تعالى فيها، فَيَرَوْنَ في «الدَّوَاءِ» خَاصِيَّةَ «الشِّفَاءِ» وهكذا، وهو مذهب فاسد كما ستري.

### المذهبُ الثالثُ: «مذهب أهل السنة والجماعة».

فاعتقاد أهلِ السُّنَّةِ والجماعة هو: أَنَّ الأسبابَ حادثَةٌ، وَأَنَّهُ لا تأثيرَ لها فيما قَارَنَهَا مِنْ آثارها، لا بطبعها، ولا بقوةٍ أو: خَاصِيَّةٍ جُعِلَتْ فيها، ولكنَّه تعالى جَعَلَ الأسبابَ أُمَاراتٍ ودلائلَ، على ما شاء خَلَقَهُ من الحوادثِ، من غيرِ ملازِمَةٍ عَقْلِيَّةٍ: بين وُجُودِ الأسبابِ، وبين وُجُودِ آثارها التي جُعِلَتْ الأسبابُ دليلاً عليها، ولكنَّه تعالى جَعَلَ بين الأسبابِ وآثارها تَلَازُماً عَادِيّاً، نُلَاحِظُهُ بِحُكْمِ العادةِ والتَّكَرُّارِ، مِنْ غيرِ تأثيرٍ للأسبابِ في آثارها، بحيثِ يَصِحُّ تَخَلُّفُ الآثارِ، مع وُجُودِ الأسبابِ، وتَوْفُّرِ الشُّرُوطِ، وزَوَالِ المانعِ، كَتَخَلُّفِ «الإحراقِ» في نارِ قومِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، لا لِأَنَّ الله تعالى قد سَلَبَ منها «قُوَّةَ» الإحراقِ، أو: «خَاصِيَّةَ» الإحراقِ، ولكنْ: لِأَنَّ الله تعالى لم يَشَأْ خَلْقَ «الإحراقِ» حينَ مَسَّتِ النَّارُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، فكانت بَرْدًا وسلاماً عليه، وكان تَخَلُّفُ العادةِ معجزةً لِسَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عليه الصلاة والسلام، وقد خَرَقَ الله تعالى «العادةَ» الرَّابِطَةَ بين الأسبابِ وآثارها، لأنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، معجزةً لهم، وَحُجَّةً على مَنْ أُرْسِلُوا إليهم، وقد خَرَقَهَا تعالى أيضاً ويخْرِقُها كرامةً لأوليائه، كما سَنَبِّينُ في «المبحث الثاني» من «الباب الخامس».

والغريب: أَنَّ لا يَتَفَقَّهَ كَثِيرٌ مِمَّنْ أَشْرَنَّا إليهم مِنْ مُدَّعي العلمِ في زماننا: أَنَّ الله تعالى هو وحده خالقُ كُلِّ شيءٍ، وَأَنَّ مِنْ جُمْلَةِ الأشياءِ: الأسبابُ وآثارها، بلا واسطةٍ، ولا طَبْعٍ، إِذْ كَيْفَ تُقَرَّرُ عقولُهم بأنَّ الجَمَلَ والجَبَلَ هما: «شيئان» وَمِنْ خَلْقِ الله تعالى، ولا يَفْقَهُونَ: أَنَّ «الشِّفَاءَ»، و«الشَّبَعَ»،



و«المرَضَ»، ونحوها، هي أيضاً «أشياء»، ومن خلق الله تعالى، وهم يقرأون في كتاب الله تعالى ذلك صريحاً، على لسان مَنْ لم تُحْرِقْهُ النَّارُ سَيِّدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، وكأنَّه يريد تأكيد حقيقة تخلُّف الإحراق، بعدم خلق الله تعالى إياه حين مَسَّتْهُ النَّارُ، بأمثلة أخرى، وهو يقول عليه السلام: ﴿كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١)﴾ [الشعراء: ٧٨ - ٨١].

والمعنى: أن الله تعالى الذي خلقه، يخلق فيه أيضاً: الهداية، والشِّعْبَ، والرِّيَّ، ويخلق المرَضَ، والشفاء وأسبابها جميعها، وإنما أضاف إبراهيم عليه السلام المرضَ إلى نفسه تأدُّباً، ويخلق مَوْتَهُ حين يموت، وحياته حين يحييه يوم الدين، فهو سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: ٢]، وهو تعالى خالق «الهداية» في قلوب المؤمنين، ولذلك: نفى خلقها عن رسوله سيِّدنا محمد عليه السلام في قوله جلَّ وعزَّ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصر: ٥٦]، أي: إنَّك يا محمد لا تقدر على خلق الهداية في قلب مَنْ تُحِبُّهُ، ولكنَّ الله تعالى هو القادر على خلقها فيمن يشاء من عباده.

وبمثل قول إبراهيم عليه السلام، قال سيِّدنا محمد عليه السلام، ففي «البخاري» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في «صوم الوصال» قوله عليه السلام: «إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي»، وليس معنى الحديث: أنَّ الله تعالى يُنَزِّلُ على رسوله محمد عليه السلام مائدة عليها طعامٌ وشرابٌ، فيأكلُ ويشربُ، ولكنَّ المعنى: أنَّ الله تعالى يخلق فيه الشِّعْبَ والرِّيَّ، فلا يُحْسُ بجوع ولا عطشٍ، فكأنَّه أطعمه وسقاه على الحقيقة، باعتبار أنَّ النتيجة واحدة وهي: الشِّعْبُ والرِّيُّ.

### المبحث الثاني: «الصفات الوجودية والقدر»

وفي إثبات: «الصفات الوجودية»، وإثبات «القدر»، و«أسماء الله

الحسنى» قال النَّاطِمُ:



٣ - هُوَ الْحَيُّ الْمَدْبِّرُ كُلُّ أَمْرٍ هُوَ الْحَقُّ الْمُقَدَّرُ ذُو الْجَلَالِ

فَقَوْلُهُ «هُوَ الْحَيُّ»: يَشِيرُ إِلَى «صِفَاتِ الذَّاتِ»، وَقَوْلُهُ: «الْمَدْبِّرُ كُلُّ أَمْرٍ»: إِلَى صِفَاتِ الْأَفْعَالِ، وَقَوْلُهُ: «الْمُقَدَّرُ»: إِلَى «الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ»، وَقَوْلُهُ: «هُوَ الْحَقُّ - ذُو الْجَلَالِ»: إِلَى «الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى».

وَذَكَرَ أَيْضاً فِي آيَاتٍ أُخْرَى مَسَائِلَ تَتَعَلَّقُ بِالصِّفَاتِ، فَتَحَصَّلَ فِي هَذَا الْمَبْحَثِ تِسْعَ مَسَائِلَ هِيَ:

المسألة الأولى: «صِفَاتُ الذَّاتِ: الْمَعْنِي وَالْمَغْنَوِيَّةُ».

ذَهَبَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ قَاطِبَةً إِلَى: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى صِفَاتِ وَجُودِيَّةٍ قَدِيمَةً قَائِمَةً بِذَاتِهِ تَعَالَى، زَائِدَةٌ عَلَى الذَّاتِ، فَهُوَ سَبْحَانَهُ: قَادِرٌ بِقُدْرَةٍ، وَعَالِمٌ بِعِلْمٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ.

وَذَهَبَتِ الْفَلَسَفَةُ وَالشَّيْعَةُ وَالْمُحَدِّثُونَ مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ، إِلَى نَفْيِ الصِّفَاتِ وَقَالُوا: اللَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِذَاتِهِ، وَقَادِرٌ بِالذَّاتِ لَا بِصِفَةٍ، وَكَذَا سَائِرُ الصِّفَاتِ، أَمَّا قَدَمَاءُ الْمُعْتَزَلَةِ وَمِنْهُمْ: أَبُو عَلِيٍّ الْجَبَائِيُّ وَابْنُهُ: أَبُو هَاشِمٍ عَبْدُ السَّلَامِ، فَذَهَبُوا إِلَى أَنَّ الصِّفَاتِ لَيْسَتْ بِمَوْجُودَةٍ وَلَا مَعْدُومَةٍ، وَأَثْبَتُوا «الْأَحْوَالَ» كَالْأُلُوهِيَّةِ الْمُتَمَيِّزَةِ لِدَاثِهِ تَعَالَى عَنْ غَيْرِهِ، وَالْقَادِرِيَّةِ وَالْعَالِمِيَّةِ، كَمَا سَيَأْتِي مُفْصَلاً فِي شَرْحِ الْبَيْتِ «الثَّالِثُ عَشَرَ».

وَمَعْنَى «صِفَاتِ الذَّاتِ»: «مَا يَلْزَمُ مِنْ نَفْيِهِ نَقِيضُهُ» كَالْقُدْرَةِ، فَلَا زُمْ نَفْيُهَا: «الْعَجْزُ» بِالْقَوْلِ: «لَمْ يَقْدِرْ»، وَهُوَ نَقْصٌ، وَتَقْيِيدُ «الصِّفَاتِ» بِ«الذَّاتِ»، لِإِخْرَاجِ «صِفَاتِ الْأَفْعَالِ» الَّتِي ذَكَرَهَا فِي الْمَسْأَلَةِ الثَّالِيَةِ.

وَالْمُرَادُ بِ«صِفَاتِ الْمَعْنِي»: الصِّفَاتُ الَّتِي هِيَ مَوْجُودَةٌ فِي نَفْسِهَا، كَعِلْمِهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ، فَكُلُّ صِفَةٍ مَوْجُودَةٍ بِنَفْسِهَا، تُسَمَّى فِي اصْطِلَاحِ



المتكلمين: «صفة معنى»، ولازمها يُسمى: «صفة معنوية»، نسبة إلى «المعنى».

و«الصفات المعنوية»: هي: التي ليست موجودة في نفسها، إلا أنها مُعلَّلة بعلة، وتجب للذات ما دامت علَّتها قائمة بالذات، ككون الذات «عالماً» أو «قادراً» ونحوها، فهذه «صفات معنوية» علَّتها وجود صفة العلم والقدرة وغيرها من «صفات المعاني» في الذات، فيلزم من اتصافه تعالى بالقدرة كونه «قادراً»، وبالعلم كونه «عالماً»، وهكذا سائر الصفات.

وقولنا في تعريف «الصفات المعنوية»: «وتجب للذات ما دامت علَّتها قائمة بالذات»: هو باعتبار أن التعريفات تشمل صفات المخلوق أيضاً، وصفاته ليست باقية.

و«صفات المعاني» سبع هي:

الصفة الأولى: «القدرة»، وهي: «صفة يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة»، وعرفها السيّد الجرجاني في شرح «المواقف» بأنها: «صفة تؤثر وفق الإرادة»، قال تعالى: ﴿وَكَانَ رِيبُكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤].

والصفة الثانية: «الإرادة»، وهي: صفة يتأتى بها تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه، قال تعالى: ﴿فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].

وتتعلق القدرة والإرادة بالممكنات، دون الواجب والمستحيل، فلا تتعلّقان بالواجب لأنه واجب الوجود أصلاً، وهو الخالق جلّ وعزّ، ولا بالمستحيل لأنه لا يقبل الوجود عقلاً أصلاً، وهو عدم محض.

والقدرة والإرادة لا تتعلّقان بالعدم عند أهل السُنّة والجماعة، لأنه: ليس بشيء، كما سيأتي في شرح البيت «العشرين»، فتتعلّق القدرة والإرادة



بالممكن، ليصير بعد إيجاده شيئاً مذكوراً وهو المراد، إذ الوجودُ والعَدَمُ في حقِّ كلِّ ممكنٍ سَيَّانٍ، فإذا شاءَ الله تعالى إيجاده خَلَقَهُ فصار «شيئاً»، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٧) [يس: ٨٢]، فقولنا: «ما شاء الله كان» هو: تَعَلَّقُ إيجاد، وإن لم يَشَأْ تعالى إيجاد الممكن، فلا يقال: هو: تَعَلَّقُ عَدَمِ إيجادٍ، فتأثيرُ القدرة هو: في الإيجاد وليس في إيجاد عَدَمِ الإيجاد.

**والصفة الثالثة من صفات المعاني: «العلم»:** وهي: «صفة ينكشف بها ويتَّضح المعلوم على ما هو عليه، انكشافاً لا يَحْتَمِلُ النقيض بوجهٍ من الوجوه»، قال تعالى: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأنعام: ٨٠]، وهذا التعريف يشمل صفة «العلم» عند المخلوق أيضاً، ولهذا جاء فيه: «الانكشاف والاتِّضاح»، وهذا المعنى غَيْرُ مرادٍ في حَقِّه تعالى.

ويتعلَّق علمُه تعالى: بالواجب، فهو سبحانه يعلم ذاته وصفاته، وبالمستحيل، فهو جَلَّ وَعَزَّ يعلم أنه لا شريك له، وبالممكن، فيعلم كلَّ شيءٍ من أمور خَلَقِهِ ما كان منه، وما سيكون، وما هو كائن.

**والصفة الرابعة: «الحياة»:** وهي: صفة تَقْتَضِي صِحَّةَ وجودِ الصفات الأخرى، من العلم والقدرة وغيرهما، وهي لا تَتَعَلَّقُ بشيءٍ، لأنها ليست من صفات التأثير، أو: التَّخصيص، أو: الكَشْف، قال تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: ٦٥].

**والصفتان الخامسة والسادسة: «السَّمْع والبصر»:** وقد جمعناهما لأنَّ الله تعالى جمع بينهما في كتابه العزيز كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وهما: صفتان يَنكشِف بهما الشيء ويتَّضح، انكشافاً مغايراً لانكشاف «العلم»، كما أنَّ الانكشافَ بأحدهما مغايرٌ للانكشاف بالآخر، وليس أحدهما عَيْنَ الآخر.



والسَّبب في عَدَم تعريف كلِّ واحدٍ منهما بتعريفٍ لا يدخل فيه الآخر، هو: تَعَذُّر معرفة ما يَخْصُ كلُّ واحدٍ منهما من الانكشافات، وحيث لم يَذْكِرِ العقلُ كُنْهَ هذه الانكشافات، لَجَأَ إلى السَّمْع، والسَّمْعُ إِنَّمَا دَلَّ على مُجَرَّد إثباتهما، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، على أَنَّ المقصودَ من التعريف، تمييزُهما من غيرهما من بقيَّة الصِّفَات، وتمييزُ أحدهما من الآخر.

«والسَّمْعُ والبَصَرُ» يتعلَّقان بجميع الموجودات، فالله تعالى يَسْمَعُ وَيَرى كلَّ موجودٍ، قال السَّنُوسِيُّ في شرح «عقيدته الوسطى»: ويلزم أن يكون تعالى سميعاً بصيراً، بسمع وبصرٍ قديمين متعلِّقين بكلِّ موجودٍ، يعني: يجب أن يكون تعالى سميعاً، أي: مُدركاً لكلِّ موجودٍ، بإدراكٍ زائدٍ على العلم يسمى: «السَّمْع»، ويجب أن يكونَ تعالى «بصيراً»، أي: مُدركاً لكلِّ موجودٍ، بإدراكٍ زائدٍ على العلم يسمى: «البَصَر».

وليس سَمْعُهُ تعالى خاصّاً بالأصوات كما في حَقَّنَا، بل هو تعالى يسمع كلَّ موجودٍ، وبَصَرُهُ تعالى كذلك.

والصِّفَةُ السَّابِعَةُ وَالْأَخِيرَةُ مِنْ «صفات المعاني»: «الكلام»، والمراد بصفة «الكلام»: المعنى القائم بذاته تعالى، وهو: صفة أزلِّيَّة ليست بحرفٍ ولا صوتٍ، «مُنَزَّة» عن البعض والكلِّ، والتقديم والتأخير، والشُّكُوت والتجذُّد، وسائر أنواع التغيُّرات التي هي من لوازم كلام البَشَرِ.

فالقرآن الكريم هو: «كلامُ الله تعالى غَيْرُ مخلوقٍ»، أمَّا الحروفُ والأصواتُ التي تُسْمَعُ من قارئه، فهي مخلوقةٌ حادثةٌ، وقد نَسَبَ التفتازانيُّ في شرح «العقائد النَّسْفِيَّة» إلى «الحنابلة»، القولَ بأن القرآنَ الذي هو الحروفُ والأصوات قديمٌ، والصحيح: أن القائلين بهذا هم جماعة من الحنابلة، أمَّا جمهورهم، فعلى مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، بل على مذهب إمامهم أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى.



والدليل على ثبوت صفة الكلام: قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وتواتر النقل عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: أنه تعالى متكلم، مع القطع والجزم باستحالة وجود «التكلم»، من غير ثبوت صفة «الكلام»، وعلى هذا إجماع الأمة، وفي الصحيحين من حديث عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحدٍ إلَّا سيُكلِّمُهُ رَبُّهُ، ليس بينَهُ وبينَهُ ترجمان»، فالله تعالى متكلم بكلام هو صفة له أزلية.

وذهب المعتزلة إلى أن كلام الله تعالى حروف وأصوات حادثة، لأنها فعل من أفعاله تعالى، أي: هو حين يتكلم يخلق كلامه، لأنه يستحيل قيام الحوادث بذاته، فإذا أراد الله تعالى أن يتكلم بأمرٍ أو نهى أو غيرهما، خلق ذلك في جزم من الأجرام، وأسمع ذلك لمن شاء من ملائكته وأنبيائه ورسله، كتكليم الله تعالى موسى عليه السلام، فإنه كان بخلق حروف وأصوات في الشجرة، سمع منها موسى ما أراد الله تعالى إيصاله إليه.

أمّا أهل السنة والجماعة: فلهم في سماع موسى عليه السلام كلام الله تعالى قولان: أقواهما: أن الله تعالى قد أزال بفضله الحجاب عن موسى، وخلق له سمعاً وقواه حتى أدرك كلام الله تعالى، بجميع أعضائه، من جميع الجهات، ثم ردّ عليه الحجاب فرجع إلى ما كان، فلو لم يقوّه الله تعالى، لما تحمّل سماع كلامه، كما أنه لم يقوّه حين سأل الرؤية: ﴿قَالَ رَبِّ ارِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا بَلَغَ لَبِئْسَ مَا كُنَّا فِيهِ وَخَرَّ مُوسَى صَوِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ولو قواه هنا كما قواه هناك، لرأى موسى ربّه جلّ وعزّ مثلما سمع كلامه.

والقول الآخر هو: لأبي إسحق الإسفراييني والرازي، وهو أحد قولني



الماتريدي: أَنَّ كَلَامَهُ تَعَالَى الْأَزَلِيُّ لَا يُسْمَعُ، وَإِنَّمَا يُسْمَعُ صَوْتُ يَدُلُّ عَلَيْهِ، يَخْلُقُهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَمُوسَى إِنَّمَا سَمِعَ صَوْتاً وَلَفْظاً مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ، دَالًّا عَلَى الْمَعْنَى الْقَائِمِ بِذَاتِهِ تَعَالَى، وَسَيَأْتِي تَفْصِيلُ الْكَلَامِ فِي مَسْأَلَةِ «خَلْقِ الْقُرْآنِ» فِي شَرْحِ الْبَيْتِ «الخامس».

وَقَدْ أَثْبَتَ «الْأَشْعَرِيُّ» وَأَتْبَاعُهُ «صِفَةَ الْبَقَاءِ» صِفَةً وَجُودِيَّةً مِنْ «صِفَاتِ الْمَعْنَى»، وَقَالُوا: هُوَ صِفَةٌ وَجُودِيَّةٌ زَائِدَةٌ عَلَى «الْوُجُودِ»، إِذِ الْوُجُودُ مُتَحَقِّقٌ مِنْ دُونِ الْبَقَاءِ، فَصِفَاتِ الْمَعْنَى عِنْدَهُمْ ثَمَانٍ، وَتَقْدَمُ بَيَانُ مَعْنَى «الْبَقَاءِ» فِي «الصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ» مِنْ «الْمَبْحَثِ الْأَوَّلِ».

وَنَفَى «صِفَةَ الْبَقَاءِ»: الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَانِيُّ، وَإِمَامُ الْحَرَمَيْنِ الْجَوِينِيُّ، وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِمَا، فَقَالُوا: الْبَقَاءُ نَفْسُ الْوُجُودِ فِي الزَّمَانِ الثَّانِي، لَيْسَ أَمراً زائداً عَلَيْهِ.

وَأَثْبَتَ الْمَاتَرِيدِيُّ وَمَتَابِعُوهُ الْحَنْفِيَّةُ: «التَّكْوِينَ» صِفَةً وَجُودِيَّةً، قَالَ فِي «الْعَقَائِدِ النَّسْفِيَّةِ»: وَالتَّكْوِينُ صِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى أَزَلِيَّةٌ، أَهْ، وَإِلَى «صِفَةِ التَّكْوِينِ» تَرْجِعُ جَمِيعُ «صِفَاتِ الْأَفْعَالِ»، كَالْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ، كَمَا سَنَبَيِّنُ فِي «الْمَسْأَلَةِ الثَّانِيَةِ» التَّالِيَةِ.

أَمَّا «الصِّفَاتُ الْمَعْنَوِيَّةُ»: فَهِيَ سَبْعُ صِفَاتٍ مُلَازِمَةٌ لَصِفَاتِ الْمَعْنَى السَّبْعِ، وَاجِبَةٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَى وَهِيَ: كَوْنُهُ تَعَالَى: «قَادِراً، وَمُرِيداً، وَعَلِيماً، وَحَيّاً، وَسَمِيعاً، وَبَصِيراً، وَمُتَكَلِّماً».

وَسُمِّيَتْ مَعْنَوِيَّةً: نِسْبَةً إِلَى «الْمَعْنَى»، لِأَنَّ الْإِتِّصَافَ بِهَا فَرُعُ الْإِتِّصَافِ بِالسَّبْعِ الْأَوَّلَى.

#### المسألة الثانية: «صفات الأفعال».

«صفات الأفعال» هي: «مَا لَا يَلْزَمُ مِنْ نَفْيِهِ نَقِيضُهُ»، كَالْخَلْقِ



والإحياء، فإن قيل: «لَمْ يَخْلُقْ» لم يَكُنْ ذلك نَقْصاً: بخلاف «صفات الذات» كما قَدَّمْنَا، وإليها أشار الناظم بقوله: «الْمَدْبِّرُ كُلُّ أَمْرٍ».

وقد عَرَّفَ بعضُ الشُّرَاحِ كعلِيّ القاريّ «المدبّر» بأنّه: «العالمُ بعواقبِ الأمور»، وهذا ليس تعريفاً له، ولكنه من صفات «المدبّر»، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١] أي: العلمُ بها لا يعلمها سواه تعالى.

وأصلُ «التدبير» في حق البشر: «النَّظَرُ في عواقبِ الأمور، لتَقَعَّ على الوجهِ الأَصْلَحِ»، ومعناه في حَقِّه تعالى: «إبرامُ الأمر وتنفِيزُهُ»، أو: «تعلُّقُ القدرةِ بتمامِ الأمرِ وحُصولِهِ»، و«الْمَدْبِرُ»: «المُبرِمُ للأمور والمنقُذُ لها».

فالله سبحانه هو القائم بتدبير أمور الخلق كافةً، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ [الرعد: ٢]، قال الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾: وكلُّ واحدٍ من المفسرين حَمَلَ هذا - أي: «الأمر» - على تدبير نوعٍ آخَرَ مِنْ أحوالِ العالمِ، والأوّلَى حَمَلُهُ على الكلِّ، فهو يُدَبِّرُهُم بالإيجادِ والإعدامِ، وبالإحياءِ والإماتَةِ، والإغناءِ والإفقارِ، ويدخل فيه: إنزالُ الوحي، وبعثُ الرُّسُلِ، وتكليفُ العبادِ، والعاقِلُ إذا تأمَّلَ في هذه الآية، عَلِمَ أَنَّهُ تعالى، يُدَبِّرُ عَالَمَ الأجسامِ وعَالَمَ الأرواحِ، ويُدَبِّرُ الكبيرَ كما يدبّرُ الصَّغِيرَ، فلا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عن شَأْنٍ، ولا يَمْنَعُهُ تَدْبِيرٌ عن تدبيرٍ، وذلك يدلُّ على أَنَّهُ تعالى واحدٌ في: ذاته وصفاته وعلمه وقدرته، غَيْرُ مشابهٍ للمُحَدَّثَاتِ والممكناتِ اهـ.

ويجمع «صفات الأفعال» كلّها، صِفَةُ «التَّكْوِينِ»، وهو: «إخراجُ المعدومِ من العَدَمِ إلى الوجودِ»، فإن تَعَلَّقَ «التَّكْوِينُ» بالحياةِ يُسَمَّى: إحياءً، وبالموت: إماتَةً، إلى غير ذلك، فالكُلُّ «تكوين»، وإنَّما الخُصوصُ بخُصوصِ التعلُّقاتِ.

وهي صِفَةُ قديمةٌ وجوديَّةٌ، قائمةٌ بالذَّاتِ عند القائلين بها وهم: السَّادة الحنفيَّةُ الماتريديَّةُ، ودليلُهم على ذلك كما قال التفتازاني في شرح «العقائد»:



إطباق العقل والنقل على: أنه تعالى خالق للعالم مَكُونٌ له، وعلى امتناع إطلاق الاسم المُشْتَقَّ على الشيء، من غير أن يكون مأخُذ الاشتقاق وصفاً له قائماً بذاته اهـ، أي: إن اسم «المَكُونِ»، يُطْلَقُ على الله تعالى، وهو مُشْتَقٌّ من «التكوين»، فيمتنع إطلاق المشتق، إلا إذا كان مأخُذ الاشتقاق وصفاً له.

ونفى وجود صفة «التكوين»: الأشاعرة والمعتزلة، أمّا المعتزلة فعلى أصلهم في نفي كل الصفات، وأمّا الأشاعرة: فأعادوا «التكوين» إلى صفتي: القدرة والإرادة، وسيأتي مزيد تفصيل في «صفات الأفعال» في «المسألة السادسة» من هذا «المبحث».

وبقي في «التكوين» مسألتان ذكرهما الناظم:

إحداهما: «قَدَمُ صِفَاتِ الْأَفْعَالِ» عند القائلين بوجود صفة «التكوين»، وقد ذكرها الناظم في البيت «الرابع»، وسيأتي الكلام فيها في «المسألة الخامسة».

والثانية: أَنَّ «التكوين» غَيْرُ «المَكُونِ»، وقد ذكرها الناظم في البيت «الخامس»، وسيأتي الكلام فيها في «المسألة الثامنة» من هذا المبحث.

المسألة الثالثة: «الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ».

أشار الناظم إلى «الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ» بقوله: «هو الحقُّ المقْدَرُ»، أي: المقْدَرُ كلُّ أمرٍ، ويلازم الإيمان بالقَدَرِ الإيمان بالقضاء.

و«الْقَدَرُ» بفتح الدال وتُسَكَّنُ، هو لُغَةٌ: قَدَرُ الشيء ومَبْلَغُهُ، وهو أيضاً: «ما يُقَدَّرُ الله تعالى من القضاء» قاله في «مختار الصحاح»، يقال: «قَدَرْتُ الشيء» بفتح الدال مُخَفَّفَةً: إذا أَحْطَطُ بمقداره، و«القضاء» هو: الحكم، جمعه: «أَقْضِيَّة».

وتعريف «الْقَدَرِ» عند الماتريدية: «تَحْدِيدُهُ تعالى أَرْزَلاً كلَّ مخلوقٍ بِحَدِّهِ



الذي يوجَدُ به من حُسْنٍ وَفُجٍ، وَنَفْعٍ وَضُرٍّ، وما يَحْوِيهِ من زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وما يَتَرْتَبُ عَلَيْهِ من طَاعَةٍ وَعَصِيَانٍ، وَثَوَابٍ وَعِقَابٍ وَغُفْرَانٍ، وهو عند الْأَشْعَرِيَّةِ: «إِيجَادُ اللَّهِ تَعَالَى الْأَشْيَاءَ عَلَى قَدَرٍ مَخْصُوصٍ وَتَقْدِيرٍ مُعَيَّنٍ، فِي ذَوَاتِهَا وَأَحْوَالِهَا، طَبَقَ مَا سَبَقَ بِهِ الْعِلْمُ».

قال اللَّقَائِي فِي شرح «جَوهرته»: والظاهر: أَنَّهُ اخْتِلَافٌ عِبَارَةٍ، فَهَمَا رَاجِعَانِ إِلَى قَوْلٍ بَعْضُهُم: الْمَرَادُ مِنَ «الْقَدَرِ»: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلِمَ مَقَادِيرَ الْأَشْيَاءِ وَأَزْمَانَهَا قَبْلَ إِيجَادِهَا، ثُمَّ أَوْجَدَ مَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ يُوجَدُ، فَكُلُّ مُحَدِّثٍ صَادِرٌ عَنْ عِلْمِهِ تَعَالَى وَقَدَرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ اهـ. وَلَعَلَّ اللَّقَائِيَّ يَعْنِي بِقَوْلِهِ: «فَهَمَا رَاجِعَانِ إِلَى قَوْلٍ بَعْضُهُم»: نَفْسُهُ، وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ مِنْ قَوْلِهِ بَعْدَ ذَلِكَ: هَذَا هُوَ الْمَعْلُومُ مِنَ الدِّينِ بِقَوَاطِعِ الْبَرَاهِينِ، وَعَلَيْهِ كَانَ السَّلَفُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَخِيَارِ التَّابِعِينَ، قَبْلَ حَدُوثِ «الْقَدَرِيَّةِ» الْمَخَالِفِينَ، وَعِبَارَةُ النَّوَوِيِّ - وَهُوَ: أَشْعَرِيٌّ - الْعَقِيدَةُ: اَعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ الْحَقِّ إِثْبَاتُ الْقَدَرِ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَ الْأَشْيَاءَ فِي الْقِدَمِ وَعَلِمَ سُبْحَانَهُ أَنَّهَا سَتَقَعُ فِي أَوْقَاتٍ مَعْلُومَاتٍ عِنْدَهُ، عَلَى صِفَاتٍ مَخْصُوصَةٍ، فَهِيَ تَقَعُ عَلَى حَسَبِ مَا قَدَّرَهُ اهـ، وَقَالَ شَارِحُ «الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ»: «الْقَدَرُ» هُوَ: «التَّقْدِيرُ الْمَطَابِقُ لِلْعِلْمِ».

وَالْحَاصِلُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ حَدَّدَ بِإِرَادَتِهِ، وَعَلِمَ بِعِلْمِهِ، مَقَادِيرَ الْأُمُورِ كُلِّهَا، فَمَا عِلْمُهُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ عِبَادِهِ أَنَّهُمْ فَاعِلُوهُ، فَسَيَفْعَلُونَهُ قَطْعًا، فَمَا كَانَ مِنْهُ خَيْرًا، فَهُوَ: بِأَمْرِهِ تَعَالَى وَإِرَادَتِهِ وَرِضَاهُ وَيُثَبِّتُ عَلَيْهِ، وَمَا كَانَ مِنْهُ شَرًّا، فَهُوَ: بِإِرَادَتِهِ تَعَالَى، لَا بِأَمْرِهِ وَلَا بِرِضَاهُ وَيَعَاقِبُ عَلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنٌّ يَجْعَلُ لِكُفْرِكُمْ لَئِيمًا﴾ [الزُّمَرُ: ١٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [الْأَعْرَافُ: ٢٨]، وَسَيَأْتِي مَزِيدُ بَيَانٍ لِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي «الْمَبْحَثِ الرَّابِعِ» فِي شَرْحِ الْبَيْتِ «الْعَاشِرِ».

فَالْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ مُتَلَاZِمَانِ، إِذْ كُلُّ مَقْضِيٍّ مُقَدَّرٌ، وَكُلُّ مُقَدَّرٍ مَقْضِيٌّ،



وكلُّ قضاءٍ هو: قَدَرٌ، وكلُّ قَدَرٍ هو: قضاءٌ، والإيمانُ بهما معاً واجبٌ شرعاً على كلِّ مكلفٍ، وهو أحدُ أركانِ الإيمانِ السَّتَّةِ، الواردةٍ فيما رواه مسلم، من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفيه جواب جبريل عن «الإيمان» قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»، وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء مُشركو قريش يُخاصمون رسول الله ﷺ في القدر فنزل: ﴿يَوْمَ يُسْجَنُ فِي النَّارِ عَلَى نُجُومِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ ﴿[القمر: ٤٨، ٤٩]﴾، وقال الإمام أحمد: «القدر: قدرة الله تعالى»، واستحسن ابن عقيّل هذا الكلام جداً وقال: هذا يدلُّ على دقّة علم أحمد وتبحّره في معرفة أصول الدين، قال ابن القيم: وهو كما قال أبو الوفاء، فإنَّ إنكارَ القدرِ إنكارٌ لقدرةِ الرّبِّ على خلقِ أعمالِ العبادِ خيرها وشرّها، كتّبها عليهم في اللّوح المحفوظ قبل أن خلّقهم.

وقال ابن القيم في كتابه القيم: «شفاء العليل»: مراتبُ القضاء والقدر، التي مَنْ لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر، أربعُ مراتب: المرتبة الأولى: علمُ الرّبِّ تبارك وتعالى بالأشياء قبل كونها، والمرتبة الثانية: كتابتُهُ لها قبل كونها، والمرتبة الثالثة: مَشِيئَتُهُ لها، والمرتبة الرابعة: خَلْقُهُ لها اهـ.

ومن لازِمِ الإيمانِ بالقضاء والقدر: وجوبُ الرّضا بهما، وعدمُ التَّسَخُّطِ والاعتراضِ على الخالق جلّ وعزّ، خيراً كان ذلك أو شراً، ولا يقال: لو كان الرّضا بالقضاء واجباً لوجب الرّضا بالكفر، واللّازِمُ باطلٌ، لأنَّ الرّضا بالكفر كُفْرٌ، وهذا الاعتراضُ غيرُ واردٍ، لأنَّ الكُفْرَ «مُقْضِيٌّ» وليس «قضاءً»، والرّضا إنّما وَجَبَ بالقضاء دون المُقْضِي، فالْمُقْضِي والمُقَدَّر: منه ما يجب الرّضا به، كالإيمان والأعمال الصّالحات والنّعمِ الإلهيّة، ومنه ما لا يجوز الرّضا به، ككفر الكفرة ومعاصي العصاة، أمّا المصائب التي تُصيبُ العبدَ، فيجب الصّبرُ عليها والرّضا بها، ولا يجوز



التَّسَخُّطُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا الْإِعْتِرَاضُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَهَذَا مَعْنَى مَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَالْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «دَعَاءِ الْقُتُوبِ»: «وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ»، وَفِي الصَّحِيحِينَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ»، أَيْ: قِنِي شَرَّ عَدَمِ الرِّضَا بِقَضَائِكَ وَقَدْرِكَ، أَيْ: رَضْنِي بِهِمَا، مِنَ الْمَرَضِ وَنَحْوِهِ مِمَّا تَكْرَهُهُ النَّفْسُ، وَهَذَا هُوَ «سُوءُ الْقَضَاءِ» الَّذِي كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَوْ: مِنْ سُوءِ الْأَمْرِ الَّذِي قَضَيْتَهُ، أَمَّا حُكْمُهُ تَعَالَى فَكُلُّهُ حَسَنٌ.

وَيَجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَعْلَمَ: أَنَّ الْقَضَاءَ وَالْقَدَرَ هُمَا مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ، فَلَا يَعْلَمُهُ الْإِنْسَانُ إِلَّا بَعْدَ وَقُوعِهِ، فَلَوْ كَانَ يَعْلَمُ مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَقَضَاهُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَصَائِبِ لَاجْتَنَبَهُ، وَمِنْ الْخَيْرِ لَا اسْتَكْثَرَ مِنْهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وَقَالَ الْبَغَوِيُّ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ»: قَالَ طَاوُوسُ الْيَمَانِيُّ: «اجْتَنِبُوا الْكَلَامَ فِي الْقَدَرِ، فَإِنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ فِيهِ يَقُولُونَ بَغِيرَ عِلْمٍ»، وَقَالَ الْبَغَوِيُّ: وَجُمْلَةُ الْأَمْرِ: أَنَّ مَرْجَعَ الْعِبَادِ فِي الْمَعَادِ إِلَى مَا سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ.

وَمِنْ عَوَاقِبِ الْجَهْلِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ: ظَنُّ الْبَعْضِ: أَنَّ الْعَبْدَ مُسَيَّرٌ غَيْرُ مُخَيَّرٍ، وَقَدْ سَاعَدَ عَلَى تَفْشِي هَذَا الْفَهْمِ السَّقِيمِ، بَعْضُ مَنْ كَتَبَ فِي «الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ»، فَأَوْقَعُوا النَّاسَ فِي بَلْبَلَةٍ لَا مُبَرَّرَ لَهَا، وَالْدَّلِيلُ عَلَى خَطَا مَا تَوَهَّمُوهُ هُوَ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَإِنَّ أَحَدَهُمْ يَفْعَلُ وَيَتْرَكُ وَيَتَصَرَّفُ، وَهُوَ لَا يُحْسُ بِأَيِّ شَيْءٍ مِنَ الْإِجْبَارِ أَوْ التَّسْيِيرِ، فَنَحْنُ بِالْمُشَاهَدَةِ وَالْمَلُوسِ وَالْمَحْسُوسِ، نَفْعَلُ مَا نَفْعَلُهُ بِإِرَادَتِنَا، وَإِنْ لَمْ نَشَأْ لَمْ نَفْعَلْ إِلَّا مَكْرَهَيْنِ، كَمَنْ أَكْرَهَ عَلَى الْكُفْرِ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ، وَابْنُ الْقَيِّمِ فِي كِتَابِهِ «شِفَاءُ الْعَلِيلِ»، كَلَامٌ حَسَنٌ فِي هَذَا الْمَقَامِ، نَقْتَبِسُ مِنْهُ مَا يَلِي:



يسبق إلى أفهام الكثيرين من الناس: أن القضاء والقدر إذا كان قد سبق، فلا فائدة في الأعمال، وأن ما قضاه الله تعالى وقدره لا بُدَّ من وقوعه، فتوسَّط العمل لا فائدة فيه، وقد سبق إيرادُ هذا السؤال من الصحابة رضي الله عنهم على النبي صلى الله عليه وسلم، فأجابهم بما فيه الشفاء والهدى، ففي الصحيحين من حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو في جنازة في بقيع الغرقد: «ما منكم من أحدٍ، ما من نفسٍ منقوسة - أي: مولودة -، إلا كُتِبَ مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كُتِبَتْ شقية أو سعيدة»، فقال رجل: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا ونندع العمل؟ فقال: «اعملوا فكلُّ مُيسَّرٍ: أمَّا أهلُ السَّعادة فييسرون لعمل أهلِ السَّعادة، وأمَّا أهلُ الشَّقَاوة فييسرون لعمل أهلِ الشَّقَاوة، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ٥ - ١٠]، وقد اتفقت الأحاديث على أن القدر السابق لا يمنع العمل، ولا يوجب الاتكال عليه، بل يوجب الجِدَّ والاجتهاد، ولهذا لما سمع بعض الصحابة ذلك قال: «ما كنتُ أشدَّ اجتهاداً مِنِّي الآن»، وهذا مما يدلُّ على جلالة فقه الصحابة رضوان الله عليهم، ودقَّة فهمهم، وصحَّة علومهم، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرهم بالقدر السابق، وجريانه على الخليقة بالأسباب، فإنَّ العبدَ ينالُ ما قدَّرَ له، بالسبب الذي أقدرَ عليه، ومُكِّنَ منه، وهِيءَ له، فإذا أتى بالسبب أوصله إلى القدر الذي سبق له في «أم الكتاب»، وكلَّما زاد اجتهاداً في تحصيل السبب، كان حصولُ المقدور أدنى إليه، وهذا كما إذا قدَّرَ أن يكونَ من أعلمِ أهلِ زمانِهِ، فإنَّه لا ينالُ ذلك إلا بالاجتهاد والحرص على التعلُّم وأسبابِهِ، وإذا قدَّرَ أن يُرزقَ الولدَ، لم ينلُ ذلك إلا بالنكاح، وقد فطر الله تعالى عباده على الحرص على الأسباب، التي بها تتحقق مصالحهم الدنيويَّة والأخرويَّة، فالنبي صلى الله عليه وسلم أرشد الأُمَّة في القدر إلى أمرين هما سببا السعادة: «الإيمان بالأقدار»، فإنه نظامُ التوحيد،



و«الإتيان بالأسباب» التي توصل إلى خيره وتَحْجُزُ عن شره، وذلك نظامُ الشرع، والنَّبِيُّ ﷺ شديدُ الحرص على جمع هذين الأمرين للأُمَّة في قوله ﷺ: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ» رواه مسلم، فالعاجز مَنْ لَمْ يَتَّسِعْ لِلْأَمْرَيْنِ (انتهى).

ونفى القَدَرَ جماعةً، أنكروا سَبَقَ علمه تعالى بالأشياء قبل وجودها، وزعموا أن الله تعالى لم يُقَدِّرْ الْأُمُورَ أَزْلاً، ولم يتقدَّم علمه بها، وإنما يَأْتِنُفُهَا عِلْماً حَالٍ وَقوعها، وَسُمِّيَتْ هذه الطائفة بـ«الْقَدَرِيَّة» نِسْبَةً إِلَى «الْقَدَر»، لِأَنَّهُمْ نَفَوْهُ، وَيُسَمُّونَ «الْجَبَرِيَّة»، وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بِالْقَدَرِ فِي الْبَصْرَةِ: «مَعْبُدُ الْجُهَنِيِّ» الَّذِي قَتَلَهُ الْحَجَّاجُ، وَسَلَكَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ بَعْدَهُ مَسْلَكَهُ عَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ الْفَاسِدِ، وَقِيلَ: غَيْرُهُ، وَهَؤُلَاءِ كَفَرَةُ مُرْتَدُّونَ، رَوَى مَالِكٌ فِي «الْمَوْطَأِ» عَنْ عَمِّهِ: أَبِي سَهْلٍ بَنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ أَسِيرُ مَعَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُكَ فِي هَؤُلَاءِ الْقَدَرِيَّةِ؟ فَقُلْتُ: رَأَيْتُ أَنْ تَسْتَتِيْبَهُمْ، فَإِنْ تَابُوا وَإِلَّا عَرَضْتَهُمْ عَلَى السَّيْفِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: وَذَلِكَ رَأْيِي، قَالَ مَالِكٌ: وَذَلِكَ رَأْيِي.

أَمَّا «الْقَدَرِيَّةُ» أَيُّ: «الْمَعْتَزِلَةُ» وَهِيَ: الْقَدَرِيَّةُ الثَّانِيَةُ، فَهِيَ مُطْبِقُونَ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِأَفْعَالِ الْعِبَادِ قَبْلَ وَقْعِهَا، لَكِنَّهُمْ خَالَفُوا السَّلَفَ، فَزَعَمُوا أَنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ مَقْدُورَةٌ لَهُمْ، وَوَاقِعَةٌ مِنْهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِقْلَالِ، بِوَاسِطَةِ الْإِقْدَارِ وَالتَّمَكِينِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا مَذْهَبُ فَاسِدٍ سَبَقَ بَيَانُ فَسَادِهِ فِي شَرْحِ صِفَةِ «الْوَحْدَانِيَّةِ» مِنَ «الْصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ» مِنَ «الْمَسْأَلَةِ الْخَامِسَةِ» فِي «الْمَبْحَثِ الْأَوَّلِ»، وَسُمُّوا «قَدَرِيَّةً» لِقَوْلِهِمْ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُقَدِّرُ الشَّرَّ، وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ فِيهِ فِي شَرْحِ «الْبَيْتِ الْعَاشِرِ».

المسألة الرابعة: «قَضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدَرُهُ، مُبَرِّمٌ لَا رَادَّ لَهُ».

قال البخاريُّ في صحيحه: «بَابُ»: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾



[الأحزاب: ٣٨]، أي: قضاء مَقْضِيًّا لا مَحِيدَ عنه اهـ، وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]، وبُوب النووي في شرح مسلم بقوله: (باب: بيان أَنَّ الآجَالَ والأَرْزَاقَ وَغَيْرَهَا، لا تزيد ولا تنقص عمَّا سبق به القَدَرُ).

وقال ميمون النَّسْفِيُّ المتوفى عام ٥٠٨هـ في كتابه «بَحْرُ الْكَلَامِ»: قال أهلُ السُّنَّةِ والجماعة: الأَرْزَاقُ مقسومةٌ معلومةٌ، لا تزيد بتقوى المتقين، ولا تنقص بفجور الفاجرين، وكذلك الشَّدَائِدُ والمِحَنُ بتقدير الله تعالى وقضائه اهـ.

وقال «الطَّحَاوِيُّ» في «عقيدته»: «ونؤمنُ باللُّوحِ والقَلَمِ، وبجميع ما فيه قد رُقِمَ»، قال الشَّارِحُ: وكان الإمامُ أَحْمَدُ يَكْرَهُ أَنْ يُدْعَى له بطول العُمُرِ ويقول: هذا أَمْرٌ قد فُرِغَ منه اهـ.

وقال «الطَّحَاوِيُّ» أيضاً: «لا رَادَّ لقضائه، ولا مُعَقِّبَ لحُكْمِهِ، ولا غَالِبَ لأمره، آمَنَّا بذلك كُلَّهُ، وأيقنَّا أَنَّ كُلًّا من عنده»، قال الشَّارِحُ: أي: لا يَرُدُّ قضاء الله رَادًّا، ولا يُعَقِّبُ، أي: لا يُوَخِّرُ حُكْمَهُ مُوَخَّرًا، ولا يَغْلِبُ أمره غَالِبًا، بل هو الواحدُ القَهَّارُ، اهـ:

فَالرُّقِيَّةُ وَالِدَوَاءُ وَالثَّقَاةُ هِيَ: مَنْ قَدَرَ اللهُ تَعَالَى:

روى الترمذيُّ وَصَحَّحَهُ وابنُ مَاجَهَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سئل: يا رسول الله أَرَأَيْتَ رُقِيَ نَسْرَتُهَا، ودواءٌ تَنَدَاوَى به، وَثِقَاةٌ نَتَّقِيهَا، هل تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ شيئاً؟ قال: «هِيَ مِنْ قَدَرِ اللهِ».

ومعنى الحديث: أَنَّ «الرُّقِيَّةَ» و«الدَّوَاءَ» و«الثَّقَاةَ» أي: الاختِرَازَ من الأذى والاحتماء من الأخطار، هِيَ كُلُّهَا أسبابٌ، لا تؤثرُ بنفسها كما قَدَّمْنَا في «صفةِ الوَحْدَانِيَّةِ»، ولكن: إذا كان اللهُ تَعَالَى قد قَدَرَ خَلْقَ الأَثَرِ لفاعِلِها يَهْدِ فَعْلَهَا، فهي من جملة قَدَرِهِ تَعَالَى وقضائه بخلقِ الأَثَرِ حينئذٍ، ولا تَرُدُّ من



الْقَدَرِ شَيْئاً، فَمَنْ رَقَى أَوْ اسْتَرْقَى، أَوْ أَخَذَ دَوَاءً، فَشَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِسَبَبِ ذَلِكَ، كَانَتِ الرُّقِيَّةُ وَالِدَوَاءُ مِنَ الْقَدَرِ، وَمَنْ احْتَمَى مِنَ الْأَخْطَارِ بِلُبْسِ الدَّرْعِ، أَوْ الْإِخْتِبَاءِ فِي الْمَلَاجِيءِ، فَلَمْ يُصِبْهُ أَذًى، كَانَ فَعْلُهُ ذَلِكَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى، لَا أَنَّ هَذِهِ الْأَسْبَابَ هِيَ الَّتِي رَدَّتْ قَدَرَ اللَّهِ تَعَالَى وَقَضَاءَهُ.

### وَالْعَزْلُ لَا يَرُدُّ الْقَضَاءَ وَالْقَدَرَ:

سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ «الْعَزْلِ» فَقَالَ: «وَلِمَ يَفْعَلُ ذَلِكَ أَحَدُكُمْ؟ فَإِنَّهُ لَيْسَتْ نَفْسٌ مَخْلُوقَةٌ إِلَّا اللَّهُ خَالِقُهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: «فَإِنَّهُ لَيْسَتْ نَسَمَةٌ كَتَبَ اللَّهُ أَنْ تَخْرُجَ إِلَّا هِيَ كَاتِنَةٌ»، وَالْمَعْنَى: أَعَزَلْتُمْ عَنْ نَسَائِكُمْ أَمْ لَمْ تَعْزِلُوا، فَإِنَّ مَا كَتَبَهُ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ الْوَلَدِ كَائِنْ لَا مُحَالَةَ.

### وَالنَّذْرُ لَا يَرُدُّ شَيْئاً مِنَ الْقَدَرِ:

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ النَّذْرِ وَقَالَ: «إِنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئاً» أَيُّ: مِنَ الْقَدَرِ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى لَهُ: «لَا يَأْتِي ابْنَ آدَمَ النَّذْرُ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ قَدْ قُدِّرَ لَهُ»، وَلِمُسْلِمٍ: «لَا تَنْذَرُوا فَإِنَّ النَّذْرَ لَا يُغْنِي مِنَ الْقَدَرِ شَيْئاً».

قَالَ الْبَغَوِيُّ فِي «شرح السُّنَّةِ»: قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ الْمَتَوَفَّى عَامَ ٣٨٨ هـ: وَجْهُ الْحَدِيثِ: أَنَّهُ أَعْلَمَهُمْ: أَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَا يَجْلِبُ لَهُمْ فِي الْعَاجِلِ نَفْعاً، وَلَا يَصْرِفُ عَنْهُمْ ضَرّاً، وَلَا يَرُدُّ شَيْئاً قَضَاهُ اللَّهُ، يَقُولُ: فَلَا تَنْذَرُوا عَلَى أَنْكُمْ تُدْرِكُونَ بِالنَّذْرِ شَيْئاً لَمْ يُقَدَّرْهُ اللَّهُ لَكُمْ، أَوْ: تَصْرِفُونَ عَنْ أَنْفُسِكُمْ شَيْئاً جَرَى الْقَضَاءُ بِهِ عَلَيْكُمْ أهد..

### وَالْإِخْصَاءُ لَا يَمْنَعُ الْقَدَرَ:

رَوَى الْبُخَارِيُّ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ بِالْإِخْصَاءِ، لِأَنَّهُ شَابٌّ لَا يَجِدُ مَا يَتَزَوَّجُ بِهِ، وَيَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ الْعَنَتَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ، فَاخْتَصِرْ عَلَى



ذلك أو: ذَرَّ، والمعنى: أن الاختصاص أو: عَدَمَهُ، لا يُغَيِّرُ مما كتبه الله شيئاً، ومن ذلك: الزنى، فإن كان مُقَدَّرًا عليك شيء منه، فلن يَحْجُزَ عنه الخِصاءُ، وفي الصَّحِيحِينَ عن أبي هريرة رضي الله عنه قوله ﷺ: «إن الله كَتَبَ على ابن آدم حَظَّهُ من الزنى، أدركَ ذلك لا محالة»، ثم ذَكَرَ زِنَى العَيْنِ بالنظر، وزِنَى اللِّسَانِ بالكلام.. إلى آخر الحديث.

### وَأَرْزَاقُ الْخَلْقِ مَقْسُومَةٌ وَآجَالُهُمْ مَضْرُوبَةٌ:

قال الله تعالى: ﴿تَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعَنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَيْكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

قال مُحيي السُّنَّةِ البَغَوِيُّ في تفسير هذه الآية: ﴿تَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتُهُمْ﴾ فجعلنا هذا غنياً وهذا فقيراً، وهذا مَلِكاً وهذا مملوكاً، ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ بالغنَى والمال؛ ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ لِيَسْتَخْدِمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فيكون بعضهم لبعض سَبَبَ المعاشِ، هذا بماله، وهذا بأعماله، فَيَلْتَمَسَ قِوَامُ أَمْرِ الْعَالَمِ اهـ.

والتفاوتُ في الدَّرَجَاتِ بين العباد يشمل أيضاً: العقلَ، والعلمَ، والصَّحَّةَ، والقوَّةَ ونحوها، فالناسُ متفاضلون في ذلك، إذ لو كان البَشَرُ جميعاً في مستوًى واحدٍ مما ذُكر، لما أَطَاعَ الحاكمُ محكومٌ، ولا عَمِلَ أَحَدٌ عند أَحَدٍ، وَلَتَعَطَّلَتْ دَوْرَةُ الْحَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ.

وَبَتَّ في الصَّحِيحِينَ وغيرهما: أن الله تعالى: يَأْمُرُ الْمَلَكَ بِنْفُخِ الرُّوحِ فِي الْجَنِينِ، وَيَكْتُبُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ هِيَ: رِزْقُهُ، وَأَجَلُهُ، وَعَمَلُهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنَبَأًا مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، قال البَغَوِيُّ في تفسيرها: ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بقضائه وَقَدَرَهُ،



وقيل: بعلمه، وقيل: بأمره، ﴿كَتَبًا مُّوَجَّلًا﴾ أي: كَتَبَ لكلِّ نفسٍ أَجَلًا، لا يَقْدِرُ أَحَدٌ على تغييره وتأخيرها، اهـ.

وفي صحيح مسلم: أَنَّ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ: «أُمَّ حَبِيبَةَ» زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قالت: اللَّهُمَّ أَمْتُغْنِي بِزَوْجِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَبَأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبَأَخِي مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ لِأَجَالٍ مُّضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مُّعَدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مُّقْسُومَةٍ، وَلَنْ يُعْجَلَ شَيْئًا قَبْلَ حَلِّهِ، أَوْ يُؤَخَّرَ شَيْئًا عَنْ حَلِّهِ، وَلَوْ كُنْتَ سَأَلْتَ اللَّهَ أَنْ يُعَذِّبَكَ مِنْ عَذَابِ فِي النَّارِ، أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ، كَانَ خَيْرًا»، أَوْ: «أَفْضَلَ»، وفي رواية أخرى لمسلم: «لَكَانَ خَيْرًا لَّكَ».

وقوله ﷺ: «حَلِّهِ» بكسر أوله وفتحها، لغتان، ومعناه: وَجُوبُهُ وَحِينُهُ، قاله النووي، وأضاف: وهذا الحديث صريح في: أَنَّ الْأَجَالَ وَالْأَرْزَاقَ مُقَدَّرَةٌ، لا تتغيرُ عَمَّا قَدَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَعَلِمَهُ فِي الْأَزَلِ، فيستحيلُ زيادتها ونقصها حقيقةً عن ذلك اهـ.

قال صدر الدين الدمشقي شارح «العقيدة الطحاوية»: فالمقتول مَيِّتٌ بِأَجَلِهِ، فَعَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى وَقَدَّرَ وَقَضَى: أَنَّ هَذَا يَمُوتُ بِسَبَبِ الْمَرَضِ، وَهَذَا بِسَبَبِ الْقَتْلِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ، وَاللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ، وَخَلَقَ سَبَبَ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ، فَالْقَتْلُ لَا يَقْطَعُ عَلَى الْمَقْتُولِ أَجَلَهُ كَمَا زَعَمَتِ الْمَعْتَزَلَةُ، لِأَنَّهُ لَا يَلِيْقُ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى: أَنَّهُ جَعَلَ لَهُ أَجَلًا لَا يَعِيشُ إِلَيْهِ أَلْبَتَّةَ، أَوْ: يَجْعَلُ أَجَلَهُ أَحَدَ الْأَمْرَيْنِ: الْقَتْلَ أَوْ الْمَوْتَ كَفَعَلَ الْجَاهِلُ بِالْعَوَاقِبِ اهـ.

ونقول: الْفَرْقُ مَا بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْقَتْلِ: أَنَّ «الْقَتْلَ» مَوْتُ بِسَبَبٍ، وَهَذَا السَّبَبُ: قَدْ يَكُونُ فِي فِعْلِ الْعَبْدِ نَفْسِهِ كَالِانْتِحَارِ، أَوْ: مِنْ فِعْلِ غَيْرِهِ كَالْقَتْلِ بِأَيِّ سَبَبٍ، بِقَصْدٍ أَوْ: بِغَيْرِ قَصْدٍ، أَوْ: لَيْسَ مِنْ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ، كَأَنْ يَسْقُطَ عَلَيْهِ حَجَرٌ أَوْ: يَفْتَرَسَهُ سَبْعٌ.



أَمَّا «الموت» فهو: ما كان سَبَبُهُ غَيْرَ ما ذكرناه، كالمرض، أو: مَنْ دون سببٍ أصلاً، فالموتُ أَعَمُّ مِنَ القتلِ، والقتلُ أَخَصُّ من حيثِ السَّبَبِ، فكلُّ قَتْلِ مَوْتٌ، وليس كلُّ موتٍ قَتْلًا.

أَمَّا المُواخِذَةُ على قَتْلِ الإنسانِ نَفْسَهُ، ووجوبُ القصاصِ، أو: الدِّيَةِ، أو: الضَّمانِ على القاتلِ، فهو: لارتكابه المنهيَّ عنه شرعاً، ومباشرته السَّبَبَ المحظورَ.

### والدُّعَاءُ مِنَ الْقَدَرِ، وَلَا يَرُدُّ الْقَضَاءُ وَلَا الْقَدَرُ:

إذا دعا العبدُ ربَّهُ جَلَّ وَعَزَّ فاستجابَ له، كَانَ دَعَاؤُهُ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ تعالى، أي: قَدَّرَ اللَّهُ تعالى وَقَضَى، بِأَنَّ عَبْدَهُ فَلَانًا سِيدِعُوهُ بِكَذَا، وَأَنَّ المولى تعالى سَيَسْتَجِيبُ له، سواءً أَكَانَ الدُّعَاءُ بِجَلْبٍ نَفْعٍ أو بِدَفْعِ ضَرٍّ، وَلَا يَكُونُ الدُّعَاءُ جَالِباً أو دَافِعاً لِقَضَاءِ اللَّهِ تعالى وَقَدَرِهِ، بِدَلِيلٍ: أَنَّ سَيِّدَ الخَلْقِ وَأَكْرَمَهُمْ على اللَّهِ تعالى، مولانا محمداً ﷺ، قد دعا ربَّهُ فَأَعْطَاهُ مِمَّا سَأَلَ وَمَنَعَهُ، لِأَنَّ الْقَضَاءَ لَا يُرَدُّ، فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ، عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ من حديثه عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: «وإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي: أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بَسَنَةٌ عَامَّةٌ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْنَهُمْ - أي: جَمَاعَتَهُمْ -، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ: أَنْ لَا أَهْلِكَهُمْ بَسَنَةٌ عَامَّةٌ، وَلَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْنَهُمْ وَلَوْ اجْتَمَعَ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أو قال: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا -، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا».

وفي روايةٍ أُخْرَى لمُسْلِمٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقْبَلَ ذاتِ يَوْمٍ مِنَ «العالية»، حَتَّى إِذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ، دَخَلَ فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلًا، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَمَنْعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا



يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْعَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَلَّتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بِأَسْهُمَ بَيْنَهُمْ فَمَنْعَنِهَا».

فلو كان الدعاء يَرُدُّ ما قَدَّرَهُ اللهُ تعالى وقضاه، لَرَدَّه دعاء سيِّدنا محمد ﷺ، إذ كلُّ شروط الإجابة متوفِّرة في ذاته الشَّريفة ﷺ، فقد قضى الله تعالى أن يكون بأسُ هذه الأُمَّةَ بَيْنَهَا، فلم يَرُدِّ دعاؤه ﷺ هذا القضاء وهذا القَدَر، فأَنَّى يكون ذلك على الحقيقة لِسِوَاهُ ﷺ؟

### المسألة الخامسة: «الْمَخْوُ وَالْإِثْبَاتُ، وَالزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ».

من المعلوم المقطوع به في العقيدة الإسلامية: أَنَّ ما سَبَقَ في علم المولى تبارك وتعالى أَنَّهُ سيكونُ وَسَيَقَعُ، فلا مَرَدُّ له، وفي أَجَلِهِ ومكانه، من دون زيادة ولا نقصانٍ، ولا رَدُّ ولا تبديل؛ لأنَّه قضاء الله تعالى وقَدَرُهُ، والأدلة على ذلك من الكتاب الكريم والسُّنة الشَّريفة كثيرة، ذكرنا عَدَدًا منها في المسألة السَّابقة، وعلى هذا انعقد الإجماعُ، ولكن وَرَدَتْ نصوصٌ ظاهِرُها يَحْتَاجُ إلى فهم دقيقٍ صحيح، وإلى تأويلٍ يتوافقُ مع النُّصوص الأخرى التي هي الأساسُ في موضوع «القضاء والقَدَر»، وقد كان لبعضِ أئمةِ أهل العلم، في القرون المتعاقبة، تأويلٌ لكل نصٍّ منها أَزَالَ اللَّبْسَ، وَجَمَعَ بين الأدلة على أساسٍ سليمٍ وصحيح، وهذه النصوص هي:

أولاً: في القرآن الكريم ثلاث آيات:

الآية الأولى قوله جلَّ وعزَّ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢].

قال شيخُ المفسِّرين ابنُ جرير الطبريُّ: اختلفَ أهلُ التأويل في ذلك: فقال بعضهم: ﴿ثُمَّ قَضَى﴾ لكم أيُّها الناسُ ﴿أَجَلًا﴾، وذلك: ما بَيَّنَّ أَنَّ يُخْلَقُ إلى أن يموت، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾، وذلك ما بين أن يموت إلى أن يُبْعَثَ، وقال آخرون: بل معنى ذلك: ثم قَضَى الدنيا، وعنده الآخرة. وأولى الأقوال في



ذلك عندي بالصواب قول من قال معناه: ثم قَضَى أَجَلَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا، ﴿وَأَجَلَ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ وهو أَجَلَ البعث عنده، وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب، لأنه تعالى نَبَّهَ خَلْقَهُ عَلَى مَوْضِعِ حُجَّتِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ الَّذِي يَعْدِلُ بِهِ كُفَّارُكُمْ الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ، هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فابتدأكم وأنشأكم من الطين، فجعلكم صُوراً أَجْسَاماً أَحْيَاءَ، بعد أن كنتم طيناً جماداً، ثم قَضَى أَجَالَ حَيَاتِكُمْ لِفَنَائِكُمْ ومماتكم، لِيُعِيدَكُم تَرَاباً وَطِيناً كَالَّذِي كنتم قَبْلَ أَنْ يَنْشَأَكُمْ وَيَخْلُقَكُمْ ﴿وَأَجَلَ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ لإِعَادَتِكُمْ أَحْيَاءَ وَأَجْسَاماً كَالَّذِي كنتم قَبْلَ مماتكم، وذلك نظير قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨] اهـ.

أما البَعْوِيُّ فقد قَدَّمَ فِي تَفْسِيرِهِ الْقَوْلَ الَّذِي قَوَّاهُ الطَّبْرِيُّ، وَاقْتَصَرَ عَلَيْهِ الْبِيضَاوِيُّ وَالسَّيُوطِيُّ.

وَالْآيَةُ الثَّانِيَةُ هِيَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٨ - ٣٩].

وَقَالَ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: وَأَوَّلَى الْأَقْوَالِ الَّتِي ذَكَرْتُ فِي تَأْوِيلِ الْآيَةِ وَأَشْبَهَهَا بِالصَّوَابِ: الْقَوْلُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عَنِ الْحَسَنِ وَمَجَاهِدٍ، وَذَلِكَ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ، تَوَعَّدَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْآيَاتَ بِالْعُقُوبَةِ، وَتَهَدَّدَهُمْ بِهَا، وَقَالَ لَهُمْ: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ يُعْلِمُهُمْ بِذَلِكَ: أَنَّ لِقَضَائِهِ فِيهِمْ أَجَلاً مُثَبَّتاً فِي كِتَابٍ، هُمْ مُؤَخَّرُونَ إِلَى وَقْتٍ مُجِيءٍ ذَلِكَ الْأَجَلِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: فَإِذَا جَاءَ ذَلِكَ الْأَجَلُ، يَجِيءُ اللَّهُ بِمَا شَاءَ مِمَّنْ قَدْ دَنَا أَجَلُهُ، وَانْقَطَعَ رِزْقُهُ، أَوْ: حَانَ هَلَاكُهُ، أَوْ: اتَّضَاعُهُ مِنْ رِفْعَةٍ، أَوْ: هَلَاكٍ مَالٍ، فَيَقْضِي ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ، فَذَلِكَ مَحْوُهُ، وَيُثَبِّتُ مَا شَاءَ مِمَّنْ بَقِيَ أَجَلُهُ وَرِزْقُهُ وَأَكْلُهُ، فَيَتْرَكُهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ فَلَا يَمْحُوهُ، وَقَالَ



آخرون: بل معنى ذلك: أَنَّ اللهَ يَنْسَخُ ما يَشَاءُ من أَحْكامِ كِتَابِهِ، وَيُثَبِّتُ ما يَشَاءُ مِنْهَا فلا يَنْسَخُهُ، وَرُوي ذلك عن ابن عباس وقتادة اهـ، وبه قال الشَّافِعِيُّ في «الرَّسَالَةِ» قال: لا يَنْسَخُ كِتَابَ اللهِ إِلَّا كِتَابُهُ، كما كان المبتدئ لفرضه، فهو المزيلُ الْمُثَبِّتُ لما شاءَ منه جُلُّ ثَنائِهِ، ولا يكون ذلك لأحد من خَلْقِهِ، وكذلك قال: ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرَّعد: ٣٩]، وقد قال بعضُ أهل العلم: في هذه الآية والله أعلم دلالةٌ على: أَنَّ اللهَ جعلَ لرسوله أن يقول من تلقاء نفسه بتوقيفه، فيما لم يُنَزَّلْ به كتاباً والله أعلم، وقيل: في قوله: ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ [الرَّعد: ٣٩]: يمحو فرضَ ما يشاء، ويُثَبِّتُ فرضَ ما يشاء، وهذا يُشَبِّه ما قيل اهـ.

أَمَّا الْبَغَوِيُّ: فَقَدَّمَ هذا القولَ في الذِّكْرِ، ثم ذكر بعده ما اختاره الطبريُّ، ثم ذكر عشرة أقوال في معنى المَحْوِ والإثبات.

واقتصر السيوطيُّ على القولِ بالنَّسخِ فقال: يمحو ما يشاء ويُثَبِّتُ مِنَ الْأَحْكامِ، و«أُمُّ الْكِتَابِ»: أَضْلُهُ الَّذِي لا يَتَغَيَّرُ وهو: ما كتبه في الْأَرْزَلِ اهـ.

وأما القرطبيُّ: فبعد أن ذَكَرَ العديد من الأقوال قال: والعقيدة: أَنَّهُ لا تَبْدِيلَ لِقَضَاءِ اللهِ، وهذا هو المَحْوُ والإثباتُ مما سبق به القضاء، وأنَّ من القضاء ما يكون واقعاً محتوماً وهو الثابت، ومنه ما يكون مصروفاً بأسبابٍ وهو: المَحْوُ والله أعلم اهـ.

ومعنى قول القرطبي هذا: أَنَّ الثَّابِتَ الْوَاقِعَ من القضاء هو: «الْمُثَبِّتُ»، وَأَنَّ الْمَصْرُوفَ غَيْرَ الْوَاقِعِ هو: «الْمَمْحُوءُ»، لَعَدَمَ الْقَضَاءِ بِهِ، كقوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ [الرَّعد: ١٣]، أي: ويصرفها عَمَّنْ يَشَاءُ، أي: هو تعالى يُصِيبُ، وهو سبحانه يَصْرِفُ، لا شيءَ غَيْرُهُ، وكقوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَرٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور: ٤٣].



والآية الثالثة هي: قوله تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١].

قال الطبري في تفسيرها: اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: معناه: وما يُعَمِّرُ من مُعَمَّرٍ فَيَطْوِلُ عُمُرُهُ، ولا يُنْقِصُ من عُمُرٍ آخَرَ غَيْرِهِ، عن عُمُرٍ هذا الذي عُمِّرَ عُمُراً طويلاً، إلّا في كتاب عنده مكتوب، قبل أن تَحْمِلَ به أُمُّهُ، وقبل أن تَضَعَهُ، قد أحصى ذلك كله، وعَلِمَهُ قبل أن يَخْلُقَهُ، لا يُزَادُ فيما كُتِبَ له ولا يُنْقُصُ، فالهاء في قوله: «من عمره» على هذا التأويل: كناية اسم آخر غير المُعَمَّرِ الأوّل، وذلك كقولهم: عندي ثوبٌ ونصفُهُ، والمعنى: ونِصْفُ الآخر.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ﴿وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ بفناء ما فني من أيام حياته، فذلك نُقْصَانُ عُمُرِهِ، والهاء على هذا التأويل للمُعَمَّرِ الأوّل، لأنّ معنى الكلام: ما يُطْوِلُ عُمُرُ أَحَدٍ، ولا يَذْهَبُ من عُمُرِهِ شيءٌ فَيَنْقُصُ، إلّا وهو في كتاب عند الله مكتوبٌ، قد أحصاه وعَلِمَهُ. وأوّلَى التأويلين في ذلك عندي بالصواب: التأويل الأوّل، وذلك أنّ ذلك هو أظهر مَعْنِيَّهِ وَأَشْبَهُهَا بظاهر التنزيل اهـ.

ولم يذكر البَعَوِيُّ سوى القول الذي رَجَّحَهُ الطبري، وأَيَّدَهُ ابنُ كثير وقال: هو كما قال، يعني: الطبري، وسار عليه البيضاوي.

### وثانياً في السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ حديقان:

الحديث الأوّل: هو ما رواه الشَّيْخَانُ وغيرهما واللفظ لمسلم: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ».

نَقَلَ ابنُ حجر في «فتح الباري»، عن الإمام «عبد الواحد بن التَّيْنِ السَّفَاقِسِيِّ» المتوفى عام ٦١١ هـ في شرحه هذا الحديث قال:



قال ابن التَّيْنِ: ظاهر الحديث يُعارض قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩]، والجمعُ بينهما من وجهين:

أحدهما: أَنَّ هذه الزيادة كنايةٌ عن البركة في العُمُر، بسبب التوفيق إلى الطاعة وعمارة وَفْتِهِ بما يَنْفَعه في الآخرة، وصيانتِهِ عن تضييعه في غير ذلك، وحاصله: أن صلة الرَّحْم تكون سبباً للتوفيق للطاعة، والصيانة عن المعصية، فيبقى بَعْدَهُ الذِّكْرُ الجميلُ، فكأنَّه لم يَمُتْ، ثم قال بعد أن ذَكَرَ الوجهَ الثاني: والوجه الأولُ أَلْيَقُ بلفظ الحديث اهـ.

وبنحو كلام ابن التَّيْنِ، قال النَّوَوِيُّ في هذا الحديث من شرح مسلم ونَصُّهُ: وأما التأخير في الأجل، ففيه سؤالٌ مشهورٌ وهو: أَنَّ الآجالَ والأرزاقَ مُقَدَّرَةٌ لا تزيد ولا تَنْقُصُ: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩]، وأجاب العلماءُ بأجوبة، الصحيحُ منها: أَنَّ هذه الزيادة بالبركة في عمره، والتوفيق للطاعات، وعِمَارَةِ أوقاته بما يَنْفَعه في الآخرة، وصيانتها عن الضَّياع في غير ذلك، ثم ذكر القول الثاني كابن التَّيْنِ.

وقال صَدْرُ الدِّينِ الدَّمَشَقِيُّ في شرح «العقيدة الطحاوية»: إِنَّ صَلَةَ الرَّحْم سَبَبٌ طَوَّلِ العُمُرِ، وقد قَدَّرَ اللهُ تعالى: أَنَّ هذا يَصِلُ رَحْمَهُ فيعيشُ بهذا السَّبَبِ إلى هذه الغاية من العمر، ولولا هذا السَّبَبُ لم يَصِلْ إليها، وَأَنَّ ذَاكَ يَقْطَعُ رَحْمَهُ فيعيشُ إلى كذا، اهـ، وهذا يعني: أَنه قضاءٌ واحدٌ مُبْرَمٌ لا تعليق فيه.

أَمَّا الْقَسْطَلَانِيُّ صاحب «إرشاد السَّاري»، فقد ذكر القول الذي قَوَّاه ابنُ التَّيْنِ وَصَحَّحَهُ النَّوَوِيُّ، وَذَكَرَ قولاً آخر في معنى الحديث فقال: أو المراد: بقاء ذِكْرِهِ الجميل بعده، كالعلم النَّافع، والصَّدقة الجارية، والولد الصَّالح، فكأنَّه بسبب ذلك لم يَمُتْ، وفي «المُعْجَم الصَّغِير» للطبراني عن أَبِي الدرداء قال: ذَكَرَ عند رسول الله ﷺ: مَنْ وَصَلَ رَحْمَهُ أَنْسَى لَهُ فِي أَجَلِهِ، فقال:



«ليس زيادة في عمره، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَنْدِثُونَ﴾ [يونس: ٤٩]، ولكن الرجل يكون له الذرية الصالحة يدعون له من بعده» اهـ.

والحديث الثاني هو: حديث الترمذي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه: «لا يَرُدُّ الْقَدَرُ إِلَّا الدُّعَاءُ، ولا يزيد في العمر إِلَّا البرُّ»، وزاد الحاكم في روايته عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ: «وإنَّ الرجلَ لِيُحْرَمَ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ»، قال الترمذي: حَسَنٌ غَرِيبٌ، وفي سنده: أَبُو مَوْدُودٍ: فَضَّةُ الْمِصْرِيِّ اهـ، وقد ضَعَّفَ أَبُو حَاتِمٍ أَبُو مَوْدُودٍ الْمَذْكُورَ، وَصَحَّحَ الذَّهَبِيُّ إِحْدَى رَوَايَتِي الْحَاكِمِ عَنْ ثُوبَانَ، وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي رَوَايَةٍ أُخْرَى لِلْحَاكِمِ عَنْ ثُوبَانَ أَيْضاً: فِيهِ ثَلَاثَةُ رَوَاةٍ: أَحَدُهُمْ: كَذَّابٌ، وَالثَّانِي: وَاهٍ، وَالثَّالِثُ: ضَعَّفَهُ ابْنُ مَعِينٍ، وَالحديث الذي برواية الحاكم، رواه أيضاً البغوي وقال في شرحه: قلت: ذكر أبو حاتم البستي أنَّ: دَوَامَ الْمَرْءِ عَلَى الدُّعَاءِ، يُطَيِّبُ لَهُ وُرُودَ الْقَضَاءِ فَكَأَنَّهُ رَدَّهُ، وَالْبِرُّ يُطَيِّبُ عَيْشَهُ فَكَأَنَّهُ زَيْدٌ فِي عُمُرِهِ، وَالدَّنْبُ يُكَدِّرُ عَلَيْهِ صَفَاءَ رِزْقِهِ، إِذَا فَكَّرَ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِهِ، فَكَأَنَّهُ حُرِمَهُ اهـ.

وأبو حاتم هو: «محمد بن جَبَّان» صاحب «الصَّحِيح»، إمام عصره في الحديث، توفي عام ٣٥٤هـ، ومعنى قوله: «يُطَيِّبُ»: أَي: يجعل نفسه تطيب بقضاء الله تعالى وقدره، وتسلَّم به راضيةً.

وأما قوله ﷺ: «وإنَّ الرجلَ لِيُحْرَمَ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ»، فمعناه بالإضافة إلى تفسير ابن جَبَّان المذكور: حرمان لِبَرَكَةِ الرِّزْقِ، لا للرِّزْقِ عَيْنِهِ، وهو كقوله تعالى: «يَمَحُقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ أَلْفَ دَقَّةٍ» [البقرة: ٢٧٦]، قال الرازي في «مختار الصحاح»: يقال: مَحَقَهُ اللَّهُ: ذَهَبَ بِبِرْكَتِهِ، وقال «القرطبي» في تفسير هذه الآية: «يَمَحُقُ اللَّهُ الرِّبَا» يعني: في الدنيا، أي يذهب بركته وإن كان كثيراً، وقيل: في الآخرة، «وَيُزِيهِ أَلْفَ دَقَّةٍ»، أي: يُنْمِيهَا فِي الدُّنْيَا بِالْبَرَّةِ، وَيُكْثِرُ ثَوَابَهَا بِالتَّضَعِيفِ فِي الْآخِرَةِ اهـ.



ولو كان مَحَقُّ الرِّبَا بإزالة عين المالِ، لَمَا تَضَاعَفَ المَالُ بِالرِّبَا،  
والله تعالى يقول: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ [آل  
عمران: ١٣٠]، فَإِنَّ أَكْلَ الرِّبَا الَّذِي هُوَ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ، لَا يَمْنَعُ تَضَاعُفَ  
المَالِ أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً، فَكَيْفَ تَكُونُ مَعْصِيَةٌ أُخْرَى سَبَبًا لِحَرَمَانِ الْعَاصِي مِنْ  
رِزْقٍ قَدْ قَسَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ؟ وَمَعْلُومٌ: أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ يَرْزُقُ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ  
وَالْمُطِيعَ وَالْعَاصِي، وَيَرْزُقُ كُلَّ دَابَّةٍ عَلَى الْأَرْضِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَيْفَ يَكُنِ مِنَ  
دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٦٠]،  
وَلَيْسَ الرِّزْقُ مَعْلَقًا بِالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ، لِأَنَّهُ مِنْ مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الَّتِي  
لَا تَسَاوِي عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَلَوْ كَانَتْ تَسَاوِي عِنْدَهُ تَعَالَى ذَلِكَ، لَمَا  
سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرِبَةً مَاءٍ كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ، وَلَا مَنَاصَ مِنْ تَفْسِيرِ هَذَا  
الْحَدِيثِ بِمَا فَسَّرَهُ ابْنُ جَبَّانٍ، لِأَنَّ ظَاهِرَهُ يَعَارِضُ النُّصُوصَ الصَّرِيحَةَ، فِي أَنَّ  
الرَّزَاقَ مَقْسُومَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْزُقُ الْكَافِرَ وَالْمُؤْمِنَ، وَالْعَاصِيَّ وَالْمُطِيعَ،  
وَبِذَلِكَ بَوَّبَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ فَقَالَ: (بَابُ: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: أَنَا الرَّزَّاقُ  
ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)، ثُمَّ رَوَى عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ  
النَّبِيُّ ﷺ: «مَا أَحَدٌ أَضْبَرَ عَلَى أَدَى سَمْعِهِ مِنَ اللَّهِ، يَدْعُونَ لَهُ الْوَلَدَ ثُمَّ  
يَعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»، وَقَوْلُهُ: «يَدْعُونَ» بِتَشْدِيدِ الدَّالِ الْمَهْمَلَةِ، أَي: يَنْسُبُونَهُ لَهُ  
تَعَالَى، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ.

وَالْغَرِيبُ: أَنَّ لَا يَخَالِفَ أَحَدٌ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَمَحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾  
بِمَا فَسَّرَهُ بِهِ الْقُرْطُبِيُّ، ثُمَّ يَخَالِفُ الْبَعْضُ فِي تَفْسِيرِ رَوَايَةِ: «حَرَمَانِ الرِّزْقِ  
بِالذَّنْبِ» وَفِي سِنْدِ بَعْضِ رَوَايَاتِهَا مَا فِيهِ، وَيَفْتَعِلُ بِتَفْسِيرِهَا مُصْطَلَحًا مُخَدَّنًا  
هُوَ «الْقَضَاءُ الْمَعْلَقُ» كَمَا سَنُبَيِّنُ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ: عَدَمِ التَّرْوِي فِي التَّدْقِيقِ  
بِالنُّصُوصِ، وَعَدَمِ مَرَاعَاةِ قَاعِدَةٍ: تَفْسِيرِ النَّصِّ بِالنَّصِّ، وَعَدَمِ اسْتِعَادِ الْقَوْلِ  
بِالرَّأْيِ فِي مَسَائِلِ الْإِعْتِقَادِ، فَإِذَا وُجِدَ نَصٌّ فِي الْأُمُورِ الْإِعْتِقَادِيَةِ أَخَذْنَاهُ  
بِقُوَّةٍ، وَإِنْ لَمْ يَوْجَدْ نَصٌّ فَلَا نَقُولُ فِيهَا بِالرَّأْيِ مُطْلَقًا.



## «القضاء المعلق»:

لقد مرَّ مصطلح «القضاء المعلق» عند القائلين به، في مرحلتين مختلفتين في تحديد معناه كلَّ الاختلاف:

المرحلة الأولى: فيما نقله ابنُ حجر في «الفتح» عن «ابن التين السِّفَافُسيّ» في توجيهه معنى: زيادة العمر والرِّزْق بِصِلَةِ الرَّحِمِ، الواردة في الحديث المتقدم ذِكرُهُ، حيث قال: وظاهر الحديث يعارضُ قولَهُ تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ﴾ [يونس: ٤٩]، والجمع بينهما من وجهين: أحدهما: أنَّ هذه الزيادة كنايةٌ عن البركة في العُمُر بسبب التوفيق إلى الطاعة، ورَجَّحَ ابنُ التين هذا القول كما تقدَّم.

ثم ذكر الوجه الثاني وهو محلُّ الكلام هنا فقال: إنَّ الزيادة في العمر على حقيقتها، وذلك بالنسبة إلى علم المَلَكِ الموكِّلِ بالعُمُرِ، كأن يقال للمَلَكِ مثلاً: إِنَّ عُمُرَ فلانٍ مائةٌ مثلاً إن وَصَلَ رحمه، وستون إن قطعها، وقد سَبَقَ في علمه تعالى: أَنَّهُ يَصِلُ أو يقطعُ، فالذي في علم الله لا يَتَقَدَّم ولا يَتَأَخَّرَ وهو القضاء المُبْرَمُ، والذي في علم المَلَكِ هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩]، فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك وهو القضاء المعلق اهـ.

هذا ما قاله «ابنُ التين»، ونقله ابن حجر، في تقسيم القضاء إلى: مُبْرَمٍ ومُعَلَّقٍ، ولو أَنَّهُ اقتصر على ذِكرِ «القضاء المبرم» الذي هو ما سَبَقَ في علمه تعالى، والذي لا يَتَبَدَّل ولا يَتَغَيَّرُ، وقد قال هو ذلك، لكان أَحْسَنَ، خصوصاً أَنَّهُ رَجَّحَ الوجهَ الأوَّلَ وَقَوَّاهُ، وهذا ما فعله أئمةُ أعلامٍ ممن تقدم ذكرهم، ولكنَّهُ: إمَّا أَخْذاً عن غيره، وإمَّا عملاً برأيه، جَعَلَ لقضاءِ الله تعالى



وقدره قسيماً هو: «القضاء المعلق»، ونَسَبَهُ إلى علم المَلِك لا إلى علم الله تعالى، وفيما ذهب إليه نظرٌ من وجوه:

الوجه الأول: أَنَّ هذا التقسيم لا دليلَ عليه، ومِثْلُهُ لا يقال بالرأي والاستنتاج.

الوجه الثاني: رَبَّطُ هذا «القضاء» بعلم المَلِك، يلزَمُ عليه بالإضافة إلى عَدَمِ وجود دليلٍ على هذا الرِّبْط: أَنَّ المَلِك يجب أن يكون على علم بأعمال جميع العباد، مَنْ يَصِلُ منهم رَحِمَهُ وَمَنْ يَقْطَعُهَا، ومن يعملُ الخيرَ مطلقاً ومن لا يعملهُ، ليقبض الأرواح في آجالها الزائدة أو الناقصة، ولكي يعلمَ المَلِك ذلك: فإمّا أن يكون هو محيطاً بأفعالهم، وإمّا أن الله تعالى هو الذي يُطلعه على ذلك، والأوّل غير مُتَوَقَّرٍ للملك، لأنّ الملائكة ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]، وطالما أَنَّ المَلِك لا يعلم إلا ما يُعَلِّمُهُ الله إياه، فلماذا تعليق القضاء على عِلْمِهِ؟.

الوجه الثالث: أَنَّنَا لَسْنَا مكلفين بالإيمان بما يعلمه المَلِك، أو غيره من الخلق، ولكننا مكلفون بالإيمان بعلم الله تعالى الشامل المطلق، ومنه: ما قَدَرَهُ تعالى وقضاه، وعِلْمُهُ تعالى لا يتبدّل ولا يتغير قطعاً وجزماً بالإجماع.

الوجه الرابع: أَنَّ «التعليق» هو بحدّ ذاته، يناقضُ معنى «القَدَر»، الذي هو: «ما سَبَقَ في علمه تعالى أنّه كائن»، ولا يلجأ إلى تعليق أمر على وجود أمرٍ آخر إلا المخلوق، لأنّه لا يعلمُ الغيب، فأَحَدُنَا يقول: إن رَزَقَنِي الله تعالى وَلِداً فَسَأَتَصَدَّقُ بكذا، فلو كان يعلمُ أَنَّ الولدَ مُقَدَّرٌ له، وأنه آتٍ لا محالة، لما علّق.

الوجه الخامس: أَنَّ «ابن التَّيْن» لم يُصَرِّحَ بِمَنْ هو قائلُ ذلك للمَلِك فقال: «بأن يقال للملك»، فإن كان هذا القائلُ غيرَ الله جَلَّ وعَزَّ فهو من



أغرب الغرائب، ولا أظنُّ أنَّ «ابن التَّين» يعني ذلك، وطالما أنَّ قائل ذلك للملك هو الله تعالى، فلماذا لا يقول له ما سبق في علمه تعالى رأساً، وقولاً واحداً قطعياً، ليتولَّى الملكُ قَبْضَ كلِّ روح في أجلها الذي قَدَرَهُ الله تعالى لها؟ ولا نرى في تعمية الحقيقة على ملك الموت أو غيره، حِكْمَةٌ تليقُ بنسبتها إلى المولى تبارك وتعالى، وهو سبحانه يقول: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، ويقول جلَّ وعزَّ: ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَهُ الْمَوْتَ﴾ [الواقعة: ٦٠]، والملائكة عبادٌ مُكْرَمُونَ: ﴿لَا يَسْأَلُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧].

أمَّا المرحلةُ الثانية: فقد اختلفَ فيها معنى: «القضاء المعلق»، ولو أنَّ الأمرَ توقَّفَ عند ما قاله «ابن التَّين» لهان الأمرُ، ولكنَّ بعضَ العلماء الذين جاؤوا من بعدُ، قد تجاوزوا ما ذكره في «القضاء المعلق»: أنَّه بالنسبة إلى «علم الملك»، فأطلقوا التقسيم وقالوا: القضاء: «إمَّا مُبْرَمٌ، وإمَّا معلقٌ»، من دون تفصيل، وتناقلوه على أنَّه حقيقةٌ مُسَلَّمةٌ لا خلاف فيها، ومعلوم: أنَّ إطلاقَ هذا التقسيم يُفْهَمُ منه حُكْماً: أنَّه ما سَبَقَ في علمه تعالى، بل إنَّ منهم مَنْ خالفَ السَّابِقِينَ ممن ذكرناهم، واللاحقين القائلين بقولهم، فَرَجَّحَ عكسَ الذي رَجَّحُوهُ. وهذه أمثلة من أقوالهم:

أولاً: مُلَّا عليُّ القاريُّ المتوفى عام ١٠١٦هـ:

قال في شرح هذه المنظومة: والمعنى: أنَّ لدعوات المطيعين تأثيراً بليغاً في صرف القضاء المعلق دون المبرم، لقوله تعالى: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ولقوله ﷺ: «لَا يَرُدُّ الْقَضَاءُ إِلَّا الدَّعَاءُ» ١هـ.

ولم يُبَيِّن «القاريُّ» كلامه هذا كما فعل في «شرح المشكاة»، ولكنه أغفلَ وعممه، ففَقَلَهُ عنه غيره وفهموه على غير ما يَعْنِيهِ كما سَنَرَى.

وثانياً: إبراهيم اللقاني المتوفى عام ١٠٤١هـ:



ومثله فعل ابنه «عبد السلام اللَّقَانِي» في شرح «جوهرة» أبيه، فقال الأَبُّ رَدًّا عَلَى الْمُعْتَزَلَةِ: بَأَنَّ الْقَضَاءَ «المعلَّق» جاز أن يكون رَفْعُهُ مَعْلَقًا عَلَى الدَّعَاءِ، وكذلك نزولُهُ، «والمُبْرَمُ» لسنا نعلم خصوصَ ما انبرم به، وبتقدير «المصادفة» فالإتيان بالدعاء عبادةً، وإن لم تنكشف به نِقْمَةٌ، ولم تنزل به نِعْمَةٌ اهـ.

وفي كلام اللَّقَانِي ثلاثُ مغالطات:

الأولى: قوله في «المبرم»: «لسنا نعلم ما انبرم عليه» وهذا صحيح، فمن أين إذن جاء العلمُ بالقضاءِ المعلَّق؟

الثانية: التعليق يكون ممن لا يعلم عواقبَ الأمور، ولا يعلم الغيب، والله بكلِّ شيءٍ عليم.

الثالثة: قوله: «وبتقدير المصادفة»، فالمصادفة مصطلح كلامي يستخدمه الفلاسفة الطبائعِيُّونَ النَّافُون لوجود الخالق جَلَّ وَعَزَّ، فيقولون: الكونُ وَجِدَ صُدْفَةً، وهذا الشيءُ وَقَعَ بالمصادفة. . والحقُّ: أَنَّهُ لا تأثير ولا تقدير لما يُسَمَّى بـ «المصادفة»، ولا ينبغي لأهل العلم استعمالها، فنحن نؤمن بأنَّ كلَّ شيءٍ بقضاء الله تعالى وَقَدَرِهِ، وَخَلْقِهِ ومشيئته سبحانه وتعالى، وتشريع العبادة لا يكون بالمصادفة، ولكنها بتقدير الله العزيز العليم.

وثالثاً: «محمد الرِّيحَاوِيُّ» المتوفى عام ١٢٢٨هـ:

لقد تَلَقَّفَ الرِّيحَاوِيُّ في شرح «بدء الأمالي» ما قاله «القاريُّ» أو: غيره، وزاد في طينه بِلَّةً فقال: اعلم: أنَّ تأثيرَ الدَّعَوَاتِ فِي «القضاءِ المعلَّق»، فَإِنَّ الْقَضَاءَ عَلَى نوعين: معلَّقٌ ومُبْرَمٌ، فالقضاءُ المعلَّق: يندفع بالدعاء بشروطه، وكذا بالصدقات، وفعل الخيرات، والبرِّ والإحسان، وصلة الأرحام، ومُبْرَمٌ لازمُ الوقوع لما عَلِمْتَ من قواعدنا: أنَّ ما سبق في علمه تعالى من غير تعليق لا بُدَّ مِنْ وقوعه اهـ.

فانظر قوله: «ما سبق في علمه تعالى من غير تعليق»، ما أَفْحَشَ مفهوم



عَكْسِهِ وهو: أَنَّ ما سَبَقَ في علمه تعالى معلقاً فهو غير مُبَرَم، أي: أَنَّ الله تعالى لم يَسْبِقْ في علمه: ما إذا كان عَبْدُهُ فلاناً سيدعوه أَوْ: لا، وأنه سيفعلُ البرَّ وصالَةَ الرَّحْمِ أَوْ: لا، فَعَلَّقَ وقوعَ القضاء، وزيادة الأعمار، وسَعَةَ الرِّزْقِ، على ما سيظهرُ مِنْ فِعْلِ العبدِ، فتأملْ يَرْحَمُكَ اللهُ.

ورابعاً: «محمد الشُّوكاني: المتوفى عام ١٢٥٠هـ:

لقد خالَفَ الشُّوكانيُّ جمهورَ أهل العلم، في ترجيح المعنى المراد بِرَدِّ القضاء بالدعاء، وزيادة الرِّزْقِ والأجل بالبرِّ، فقال في كتابه: «تُحْفَةُ الذَّاكِرِينَ»: قوله: «لا يَرُدُّ القضاء إِلَّا الدُّعاء»: فيه دليلٌ على أنه سبحانه يدفع بالدعاء ما قد قضاه على العبد، وقد وردت بهذا أحاديث كثيرة، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿يَمَحُوْا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩]، وهذه المسألة من المعارك لاختلاف الأدلة فيها من الكتاب والسنة.

وقوله: «ولا يزيد في العمر إِلَّا البرُّ»، فيه دليلٌ على أَنَّ ما يَصْدُقُ عليه البرُّ على العموم يَزِيدُ في العمر، وقد ثبت في الصحيح: أَنَّ صلة الرَّحْمِ تزيد في العمر، والمراد: الزيادة الحقيقية، وقيل: المراد: البركة في العمر، والظاهر الأوَّل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْمرُّ مِنْ مَّعْمَرٍ وَلَا يَنْفُصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [فاطر: ١١]، وقوله: ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ [الأنعام: ٢].

وقال: والحاصل: أَنَّ الدعاء من قَدَرِ الله عزَّ وجلَّ، فقد يقضي بشيءٍ على عبده قضاءً مقيّداً بأن لا يدعوه، فإن دعاه اندفع عنه (انتهى قول الشوكاني).

قف عند قوله: «والحاصل: أَنَّ الدعاء مِنْ قَدَرِ الله عزَّ وجلَّ»، فإنه يتعارض مع ما ذَهَبَ إليه قبله وبعده بالقول بالقضاء المعلق، لأنَّ اعتبار الدعاء من قَدَرِ الله تعالى، ومثله صلة الرحم، هو القولُ الصحيح الذي عليه



جمهورُ أهلِ العلم، كما تقدم في تفسير التَّصَوُّص، والدَّعَاءُ سَبَبٌ، وصلَةُ  
الرحم سَبَبٌ، كما أَنَّ الدَّوَاءَ سَبَبٌ، والأَكْلَ سَبَبٌ، فالله تعالى قَدَّرَ هذه  
الأسبابَ كُلَّهَا كما قَدَّرَ خَلْقَ آثارها، وهذا لا يتفق مع مفهوم «القضاء  
المعلَّق».

ومعنى قولهم: «الدَّعَاءُ مِنْ قَدَرِ الله» هو: أَنَّ الله سبحانه وتعالى قد  
عَلِمَ أَزْلاً: أَنَّ عبده فلاناً سيدعوه، وشَاءَ له الاستجابة، فلم يكن قضاءً بما  
سأل العبدُ رفعَهُ من البلاءِ أصلاً، لا قبلَ الدعاءِ ولا بعده، لا أَنَّ «القضاء» به  
كان أمراً مَقْضِيّاً، فجاء الدعاءُ فَرَدَّهُ.

ولأنَّ «القضاءَ والقَدَرَ» من الغيب الذي لا نعلمه، وقد أمرنا الله تعالى  
بالدعاء، فنحن ندعو المولى تبارك وتعالى كما أمر، وهو يستجيب متى شاء  
وكيف شاء، كما وَعَدَ جَلَّ وَعَزَّ، وسيأتي الكلام في «الدعاء» في شرح البيت  
«الثالث والثلاثين».

#### المسألة السادسة: «قَدَمُ الصِّفَاتِ وَبِقَاؤُهَا».

وفيهما يقول الناظم:

٤. صفاتُ الذَّاتِ والأَفْعَالِ طُرّاً قديماتُ مَصُوناتُ الرِّزْوَالِ

تقدّم معنى: «صفات الذَّاتِ» و«صفات الأفعال»، في «المسألتين:  
«الأولى والثانية» في شرح البيت «الثالث».

وقوله: «طُرّاً»: بضم الطاء المهملة وتَشْدِيدِ الرَّاءِ، أي: كافّةً، وقوله:  
«مَصُوناتُ الرِّزْوَالِ» أي: لا تَفْنَى ولا تزول.

والمراد بـ «صفات الذات»: الصفاتُ الوجوديّةُ السَّبْعَةُ وهي: «صفات  
المعاني»: «القدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والعلم، والحياة،  
والكلام»، وتقدم شرحها في «المسألة الأولى».



وخرج بـ «الوجودية»: «الصفات السلبية» الخمسة، المتقدم شرحها في «المسألة الخامسة» من «المبحث الأول» في شرح البيت «الثاني»، وخرج أيضاً: صفة «الوجود»، وقد سها الرِّحَاوِيُّ في شرحه، حين جمع «الصفات العشرين» تحت عنوان: «صفات الذات»، ولم يَتَنَبَّهْ إلى الفارق بين الصفة النفسية وهي: الوجود، و«الصفات السلبية» الوجودية، وبين «صفات الذات» الوجودية، والصفات المعنوية اللازمة عنها، فَلْيَعْلَمْ.

وقد اتفق أهلُ السُّنَّةِ والجماعة: على أَنَّ صفاتِ ذاته تعالى وهي: «صفات المعاني» السبع، وأضاف الأشعريُّ صفة «البقاء»، وهي قديمةٌ وباقيةٌ كذاته جَلَّ وعَزَّ، لأنَّ الصفة تَتَبَّعُ الموصوف، فصفاتُ القديم الباقي وهو: مولانا جَلَّ جلاله، قديمةٌ باقيةٌ كذاته المقدَّس، وصفةُ المخلوقِ حادثةٌ وفانيةٌ مثله.

واختلفوا في «صفات الأفعال»، كالتخليق والترزيق والإحياء والإماتة، ويجمعها «صفة التكوين»:

فأثبتها الماتريديَّة - ومنهم الناظم - صفةً لله عزَّ وجلَّ، وقالوا بأنَّها قديمةٌ وباقيةٌ تُغَيِّرُ القُدْرَةَ، قال صاحب «العقائد النَّسَفِيَّة»: «التكوين: صفةٌ لله تعالى أَرْزَلِيَّةٌ وهو: تكوينه تعالى للعالم، ولكلِّ جزءٍ من أجزائه، لوقت وجوده»، وقال السَّعْدُ التفتازانيُّ في شرحها: أي: على حَسَبِ عِلْمِهِ وإرادته تعالى، فالتكوين باقٍ أزلًا وأبدًا، والمكوَّنُ حادثٌ بحدوثِ التعلُّقِ اهـ.

وبهذا بَوَّبَ البخاريُّ في «صحيحه» فقال: (باب: ما جاء في تَخْلِيْقِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وغيرهما من الخلائق)، وهو: فعلُ الربِّ تبارك وتعالى وأمره، فالرَّبُّ بصفاته وفعله وأمره - وهو الخالق - هو: المكوَّنُ غَيْرُ مخلوق، وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو: مَفْعُولٌ وَمَخْلُوقٌ وَمُكَوَّنٌ اهـ.

واحتجُّوا على ذلك، بأنَّ «صفات الأفعال» لو كانت حادثةً في ذاته



تعالى، للزم خُلُوُّ ذاته تعالى عنها في الأزل، ثم اتصافه بها لاحقاً، ويلزم على ذلك التغيُّر وهو ممتنع في حقه تعالى.

قال السَّعْدُ التفتازاني في شرح «العقائد»: وَأَمَّا كَوْنُ كُلِّ مِنَ الْأَفْعَالِ كَالْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ وَنَحْوَهُمَا، هُوَ صِفَةٌ حَقِيقِيَّةٌ أَرْلِيَّةٌ تَحْتَ عَنَوَانٍ: «صِفَاتُ الْأَفْعَالِ»، فَمِمَّا انْفَرَدَ بِهِ بَعْضُ عُلَمَاءِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، وَفِيهِ تَكْثِيرٌ لِلْقَدَمَاءِ جَدًّا وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مُتَغَايِرَةً، وَالْأَقْرَبُ: مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ مِنْهُمْ وَهُوَ: أَنَّ مُرْجِعَ الْكُلِّ إِلَى «التَّكْوِينِ»، فَإِنَّهُ إِنْ تَعَلَّقَ بِالْحَيَاةِ يُسَمَّى: إِحْيَاءً، وَبِالْمَوْتِ: إِمَاتَةً، وَبِالصُّورَةِ: تَصْوِيرًا، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فَالْكُلُّ «تَكْوِينٌ»، وَإِنَّمَا الْخُصُوصُ بِخُصُوصِيَّةِ التَّعْلُقَاتِ، اهـ.

وقد ذكر الناظم القولين، فأشار هنا إلى قدم «صفات الأفعال» وبقائها، ثم ذكر في البيت التالي: أَنَّ «التَّكْوِين» غَيْرُ «المُكَوَّن» كما سيأتي.

وقال التفتازاني أيضاً: الْمُحَقِّقُونَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ عَلَى: أَنَّ «التَّكْوِين» مِنَ الْإِضَافَاتِ وَالْإِعْتِبَارَاتِ الْعَقْلِيَّةِ، كَكَوْنِ الصَّانِعِ تَعَالَى يُمَيِّنُنَا وَيُحْيِينَا، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَلَا دَلِيلَ عَلَى كَوْنِ «التَّكْوِين» صِفَةً أُخْرَى غَيْرَ الْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ، اهـ.

وقول التفتازاني، يوافق قولَ الأشاعرة الذين لم يُثَبِّتُوا «صفات الأفعال»، وَلَا صِفَةَ «التَّكْوِينِ»، وَأَرْجَعُوهَا إِلَى الْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ، وَقَالُوا: هِيَ حَادِثَةٌ، وَاحْتَجُّوا عَلَى حَدُوثِهَا: بِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ قَدِيمَةً لَوَجَبَ وَجُودُ «المُكَوَّن» فِي الْأَزَلِّ، لِأَنَّ الْقَوْلَ بِالتَّكْوِينِ وَلَا مُكَوَّنَ، كَالْقَوْلِ بِالضَّرْبِ وَلَا مَضْرُوبَ، وَهُوَ مُحَالٌّ، فَلَا بُدَّ مِنْ أَنَّ يَكُونُ «التَّكْوِين» حَادِثًا.

وَأَجَابَ الْمَآثِرِيَّةُ: بِأَنَّ «التَّكْوِين» قَدِيمٌ، وَالْمُتَعَلِّقُ بِهِ وَهُوَ: «المُكَوَّن» حَادِثٌ، كَمَا أَنَّ «الْعِلْمَ» قَدِيمٌ، وَبَعْضُ الْمَعْلُومَاتِ وَهِيَ: الْمَخْلُوقَاتُ حَادِثٌ.

وقيل: الْخِلَافُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ لَفْظِيٌّ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَوَجْهُ التَّوْفِيقِ بَيْنَ



القولين: أن حدوثها عند الأشاعرة هو: باعتبار تعلُّقها التَّنْجِيزِيَّ وهو حادث، وأمَّا باعتبار تعلُّقها الْأَزْلِيَّ وَيُسَمُّونَهُ: «المعنويَّ» أو: «الصَّلُوحِيَّ» فهي قديمة، لأنَّ «التكوين» باعتبار رُجوعه إلى صفة «القدرة» يكون أزلِّيًّا، فالخلق هو: القدرة على الخلق، باعتبار تعلُّقها بالمخلوق، وهو: التعلُّق الصَّلُوحِيَّ القديم، وهو ما قصده أصحاب القول الآخر، فحينئذٍ لا خلاف في الحقيقة.

وأمَّا المعتزلة: فقد نفوا «صفات الأفعال» و «صفات الذات» بناءً على أصلهم الفاسد في نفي الصفات كافةً.

المسألة السابعة: «القرآن كلام الله غير مخلوق».

وفيهما قال الناظم:

٥ - وَمَا الْقُرْآنُ مَخْلُوقًا، تعالى كلام الرب عن جنس المقال  
«ما» هنا: نافية تعمل عمل «ليس»، و«القرآن»: اسمها، و«مخلوقًا»: خبرها.

ومعنى البيت: أن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، لأنَّه صفة من صفاته سبحانه، وجميع صفات ذاته قديمة وباقية، وأنَّ كلامه جَلَّ وَعَزَّ، يتنزَّه عن أن يكون من جنس مقال البشر، أو غيرهم كالملائكة والجن، هذا ملخص مذهب أهل الحق: أهل السنَّة والجماعة في هذه المسألة.

وقالوا: إنَّ الكلام صفة أزلِّيَّة قائمة بذات المولى تبارك وتعالى، المنزَّل بالوحي باللُّغات المختلفة، المباين لجنس الحروف والأصوات، المنزَّه عن التقديم والتأخير، والسُّكوت والتجدُّد، وسائر أنواع التغيُّرات.

وإطلاق السَّلَف الصالح على كلام الله تعالى بأنه: محفوظ في الصدور، مقروء بالأسنَّة، مكتوب في المصاحف، هو: بطريق الحقيقة لا المجاز، ولا يَغْنُون بذلك حلول كلامه تعالى القديم في هذه الأجرام،



وإنما يريدون: أَنَّ كَلَامَهُ جَلٌّ وَعَلَا مَذْكُورٌ مَذْلُوعٌ عَلَيْهِ: بتلاوة اللِّسَانِ، وكَلَامِ الْجَنَانِ، وَكِتَابَةِ الْبَنَانِ، فهو موجودٌ فيها فَهْمًا وَعِلْمًا لَا حُلُولًا، لِأَنَّ الشَّيْءَ لَهُ وُجُودَاتٌ أَرْبَعَةٌ: وُجُودٌ فِي الْأَعْيَانِ، وَوُجُودٌ فِي الْأَذْهَانِ، وَوُجُودٌ فِي اللِّسَانِ، وَوُجُودٌ فِي الْبَنَانِ، فَالْوُجُودُ الْأَوَّلُ: هو الوجودُ الذاتيُّ الحَقِيقِيُّ، والوجوداتُ الثلاثة: إِنَّمَا هي باعتبار الدَّلَالَةِ وَالْفَهْمِ، وبهذا نَعْرِفُ: أَنَّ التَّلَاوَةَ غَيْرُ الْمَتْلُوعِ، والقراءةُ غَيْرُ الْمَقْرُوعِ، والكتابةُ غَيْرُ الْمَكْتُوبِ، لِأَنَّ: التَّلَاوَةَ والقراءةَ والكتابةَ حَادِثَةً، وَالْمَتْلُوعَ وَالْمَقْرُوعَ وَالْمَكْتُوبَ قَدِيمٌ لَا نَهَايَةَ لَهُ.

وخالَفَ في ذلك بعضُ المبتدِعةِ، وأشهرُهم المعتزلةُ الذين قالوا بخلق القرآن، وبأنه مُخَدَّثٌ غَيْرُ قَدِيمٍ، فإذا أَرَادَ اللهُ تعالى أَنْ يَتَكَلَّمَ بِأَمْرٍ أَوْ نَهْيٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، خَلَقَ كَلَامَهُ فِي جِزْمٍ مِنَ الْأَجْرَامِ، وَأَسْمَعَهُ مَنْ شَاءَ مِنْ مَلَائِكَتِهِ وَرَسُولِهِ.

قال التفتازانيُّ في شرح «العقائد النُفسِيَّةِ»: وتحقيقُ الخلافِ بيننا وبينهم يرجعُ إلى: إثباتِ الكلامِ النُفْسِيِّ وَنَفْيِهِ، وإلَّا فنحن لا نقولُ بِقَدَمِ الْأَلْفَاظِ وَالْحُرُوفِ، وَهَمَّ لَا يَقُولُونَ بِحَدُوثِ كَلَامٍ نُفْسِيٍّ، وَإِنَّمَا الْكَلَامُ فِي الْمَعْنَى الْقَدِيمُ وَهُوَ: الصِّفَةُ الْقَائِمَةُ بِذَاتِهِ تَعَالَى.

والمعتزلة: لَمَّا لَمْ يُمْكِنْهُمْ إنكارُ كونهِ تعالى متكلِّمًا، ذهبوا إلى أَنَّهُ «متكلِّمٌ» بِمَعْنَى: إيجادهِ الْأَصْوَاتَ وَالْحُرُوفَ، وَمِنْ أَقْوَى شُبْهَتِهِمْ: أَنَّ «القرآنَ» اسْمٌ لَمَّا نُقِلَ إِلَيْنَا بَيْنَ دَفْتِي الْمَصْحَفِ تَوَاتُرًا، وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ كونهِ مكتوبًا في المصاحفِ، مقروءًا بِالْأَلْسِنِ، مَسْمُوعًا بِالْأَذَانِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ سِمَاتِ الْحَدُوثِ بِالضَّرُورَةِ، وَاسْتَدَلُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا أَسْمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢] اهـ.

ولا دليل لهم في هذه الآية، لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى فِي وَصْفِ الْقُرْآنِ بِأَنَّهُ «مُخَدَّثٌ» لَا يَعْنِي: أَنَّهُ مَخْلُوقٌ، وَلَكِنْ مَعْنَاهُ: أَنَّهُ مُخَدَّثُ التَّنْزِيلِ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّهُ حَتَّى هَذَا الذِّكْرُ الَّذِي أَتَاهُمْ حَدِيثًا عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللهِ سَيَدُنَا



محمد ﷺ، لم يسمعوه بجدّ واهتمامٍ وتدبّرٍ، ولكنهم تلهّوا بالعَبَثِ واللَّعِبِ والإعراض عنه.

وقال البخاريُّ في «كتاب التوحيد» من صحيحه: (بابٌ في قولِ الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، و﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]، وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١]: «وإنَّ حَدَثَهُ لَا يُشَبِّهُ حَدَثَ المَخْلُوقِينَ، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال ابن مسعود عن النبي ﷺ: «إن الله عز وجل يُحْدِثُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ، وَإِنَّ مِمَّا أَخَذْتُ: أَنْ لَا تَكَلِّمُوا فِي الصَّلَاةِ» اهـ.

وقد مرَّ على الأُمَّة الإسلامية حينَ من الدَّهْرِ، كَانَتْ مَسْأَلَةُ «خَلْقِ الْقُرْآنِ» فِتْنَةً فِي الدِّينِ تَوَلَّاهَا الْمُعْتَزَلَةُ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَهَا، وَامْتَحَنَ أَهْلَ الْعِلْمِ بِهَا، وَأَكْرَهَ أَكْثَرَهُمْ عَلَى مُوَافَقَتِهِ فِيهَا هُوَ: الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيُّ الْمَأْمُونُ بْنُ هَارُونَ الرَّشِيدِ الْمَتَوَفَّى عَامَ ثَمَانِيَةِ عَشْرٍ وَمِائَتَيْنِ لِلْهِجْرَةِ، فَلَقِيَ عِلْمَاءَ الْأُمَّةِ بِسَبَبِهَا قَسْوَةً شَدِيدَةً، حَتَّى كَانَ عَهْدُ «الْمَتَوَكِّلِ» الَّذِي أَمَرَ فِي عَامِ سَبْعَةِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ بِالْكَفِّ عَنِ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالِاسْتِغْثَالِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَيْسَ غَيْرَ، وَاسْتَدْعَى الْإِمَامَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ إِلَيْهِ وَأَظْهَرَ إِكْرَامَهُ.

وَلَيْسَ عَضْرُنَا بِأَحْسَنَ حَالًا، فَالْفِتْنُ أَكْثَرُ وَأَفْحَشُ، وَالْإِسْلَامُ يَحَارِبُ، وَيَلَاخِقُ أَهْلَهُ، وَتُسَوِّهُ أَحْكَامُهُ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَإِلَيْهِ سُبْحَانُهُ وَحْدَهُ الشُّكُوى، وَمِنْ عِنْدِهِ تَعَالَى النَّصْرُ وَالْفَرَجُ.

لِلْمَسْأَلَةِ الثَّامِنَةِ: «التَّكْوِينُ غَيْرُ الْمُكُونِ».

وإليها أشار الناظم بقوله:

٦- وَغَيْرَانِ «الْمُكُونُ» لَا كَشْيَءٍ مَعَ «التَّكْوِينِ» خُذْهُ لِإِحْتِحَالِ



قوله: «غَيْرَان» هو: «مُثْنَى «غير»، خبر مقدّم، وقوله: «المكوّن» بفتح الواو مشدّدة، هو: المبتدأ المؤخر، و«لا» نافية تعمل عمل «ليس»، واسمها مُضمَر فيها يعود إلى «المكوّن»، والكاف في «كشيء» حرف جرّ زائد، و«شيء» خبر «لا» منصوب بفتحة مقدرة على آخره، مَنَع من ظهورها اشتغال المحلّ بحركة حرف الجرّ الزائد، و«مع» ظرف منصوب بمعنى: «موضع» وهو مضاف إلى «التكوين»، وشبه الجملة: «مَعَ التكوين»، في محلّ نصب على الحال من «المكوّن»، ومعنى البيت: أن: المكوّن في حال مقارنته بالتكوين هما غيران، أي: أحدهما غير الآخر، وليسا متّحدَيْن كشيء واحد في المدلول، فخذ أيها الطالب هذا القول، لتكحلّ به عين بصيرتك.

قال في «العقائد النُفسية»: و«التكوين غير المكوّن عندنا»، يُشير بذلك إلى خلاف الأشعريّ في ذلك على أصله في نفي صفة «التكوين»، وإرجاع صفات الأفعال إلى القدرة والإرادة، كما تقدم في شرح البيت السابق.

واستدلّ الحنفية على كَوْن «التكوين» غير «المكوّن»: بأنّ «الفاعل» يغير «المفعول»، كالضرب مع المضروب، والأكل مع المأكول، وأنّ السبب غير المسبّب.

وبسبب التمثيل بأنّ السبب غير المسبّب، تَوَهّم أبو بكر الأحسائي في شرحه، فوصف «التكوين» بأنّه «سبب»، و«المكوّن» بأنه مُسبّب فقال: فمذهب الحنفية: أنّ التكوين غير المكوّن، لأنّ التكوين سبب والمكوّن مُسبّب، والسبب غير المُسبّب اهـ.

وهذا الذي قاله الأحسائي خطأ جسيماً، لأنّ السبب والمسبّب مخلوقان حادثان، أمّا «التكوين» عند القائلين به فهو: صفة لله تعالى قديمة، ومتعلّقاتها حادثة، ولا يصحّ وصفها بالسبب والمسبّب، فليُعْلَم.



المسألة التاسعة: «التغاير والعينية في الصفات».

وفيها قال الناظم:

٧ - صِفَاتُ اللَّهِ لَيْسَتْ عَيْنَ ذَاتٍ      وَلَا غَيْراً سِوَاهُ ذَا انْفِصَالٍ

أُطْلِقَ النَّازِمُ «صفات الله» وأرادَ بها: «صفات الذات»، و«صفات الأفعال» التي تجمعها صفةُ «التكوين» عند القائلين بها وهم: الماتريدية والناظم منهم، كما تقدّم في «المسألة الثانية» من هذا «المبحث».

وقرّر الناظم في هذا البيت، مذهب أهل السنة والجماعة القائلين: بأنّ «الصفات» ليست عينَ الذات، ولا هي غيرَ ذاتِ الموصوفِ مُنفَصِلَةٌ عنه، بحيث يَنفَكُ أحدهما عن الآخر في الخارج، أمّا الذهنُ فيفرضُ ذاتاً وصفةً كلاً وحده، لكن: ليس في الخارج ذاتٌ غيرُ موصوفةٍ، فإنّ هذا محالٌ.

قال «البغوي» في «شرح السنة»: ولا يُعْتَقَدُ في صفاتِ الله تعالى أنها هو ولا غيره، بل هي صفاتٌ له أزلِيَّةٌ، لم يزلْ جلّ ذكرُهُ ولا يزالُ مَوْصُوفاً بما وصف به نفسه، ولا يبلغُ الواصفون كُنْهَ عَظَمَتِهِ ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣] ا هـ.

وخالف المعتزلة فقالوا: صفاته تعالى هي عينُ ذاته، بمعنى: أنّ ذاته تعالى يُسَمَّى باعتبار التعلُّق بالمعلومات: «عالمًا»، وبالمقدورات: «قادرًا»، إلى غير ذلك، لزعمهم: أنّ في إثبات الصفات إبطالاً للتوحيد، للزوم تعدّد القدماء، ولهذا سَمَوْا أنفسهم: «أَهْلَ الْعَدْلِ والتوحيد»، فَهُمْ «أَهْلُ الْعَدْلِ»: لقولهم بعدم نسبةِ خَلْقِ الشَّرِّ إلى الله تعالى، وبأنه من إيجاد العبد، وهم «أهلُ التوحيد»؛ لنفيهم الصفات أي: تعدّد القدماء بزعمهم.

ودليلُ أهل السنة والجماعة: أنّ الله تعالى، وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ: «قَدِيرٌ، وَعَلِيمٌ، وَسَمِيعٌ» ونحوها، ولا معنى لهذه الصفات إلّا بوجود ملزومها وهو: صفة «القدرة، والعلم، والسمع» ونحوها، وقد أخبرنا الله تعالى بهذه



الصفات ولوازمها في نحو قوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ١٧٦]، فأثبتت هذه الآية الكريمة صفة «العلم» ولازمها وهو: كونه تعالى «عالماً».

ومعلوم: أَنَّ الصِّفَةَ لَيْسَتْ عَيْنَ الْمَوْصُوفِ كَمَا زَعَمَ الْمُعْتَزَلَةُ، وَإِلَّا لَمَا كَانَتْ صِفَةً، وَلَيْسَتْ غَيْرَ الْمَوْصُوفِ، وَإِلَّا لَكَانَتْ ذَاتًا، وَلاَحْتَاجَتْ هِيَ إِلَى صِفَاتٍ.

فالصفات: معنًى قائمٌ بذاتِ الموصوف، فإن كان الموصوف قديماً كانت صفاته قديمةً، وهو: المولى تبارك وتعالى وصفاته وحده، وإن كان الموصوف حادثاً - وهو كلُّ ما سوى الله تعالى - كانت صفاته حادثاً مثله.

### الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: «الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى»

أشارَ النَّاظِمُ إِلَى «أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى» بقوله: «هُوَ الْحَقُّ... ذُو الْجَلَالِ» فِي «الْبَيْتِ الثَّالِثِ»:

هُوَ الْحَيُّ الْمُدَبِّرُ كُلِّ أَمْرٍ هُوَ الْحَقُّ الْمَقْدَرُ ذُو الْجَلَالِ  
وَأَسْمَاؤُهُ تَعَالَى ثَابِتَةٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَعَلَى ذَلِكَ إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ،  
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وَبَوَّبَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ فَقَالَ: (بَابُ): إِنَّ اللَّهَ مِائَةٌ اسْمٌ إِلَّا وَاحِدًا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «ذُو الْجَلَالِ»: الْعِظَمَةُ، وَ«الْبَرُّ»: اللَّطِيفُ، ثُمَّ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»، قَالَ الْبُخَارِيُّ: «أَحْصَيْنَاهُ»، حَفِظْنَاهُ أَهْ، فَقَسَّرَ «الْإِحْصَاءَ» بِالْحِفْظِ، وَرَوَى هَذَا الْحَدِيثَ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُمَا.

وَالْمَخْتَارُ: أَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ تَعَالَى تَوْقِيفِيَّةٌ كَصِفَاتِهِ جَلَّ وَعَزَّ، فَلَا يُطْلَقُ



على الله تعالى اسمٌ، إلّا إذا وَرَدَ به نصٌّ من الكتاب أو السُّنَّة الشريفة، قال صاحب «الجوهرة»:

واختير أن أسماء تَوْقِيفِيَّة كذا الصِّفَات، فاحْفَظِ السَّمْعِيَّة وقال البَغَوِيُّ في «شرح السُّنَّة»: ويجب أن يُعتقد: أَنَّ الله عَزَّ اسمُه قديم بجميع أسمائه وصفاته، لا يجوز له اسمٌ حادثٌ، ولا صفةٌ حادثَةٌ، كان الله خالقاً ولا مخلوقاً، وربّاً ولا مَرْبُوباً، ومالكاً ولا مملوكاً، كما هو الآخرُ قبل فناء العالم، والوارثُ بعد فناء الخلق، والباعثُ قبل مجيء البعث، ومالكُ يوم الدين قبل مجيء يوم القيامة.

وأسماء الله تعالى لا تُشبه أسماء العباد، لأنَّ أفعال الله تعالى مشتقة من أسمائه، وأسماء العباد مشتقة من أفعالهم، قال النبي ﷺ: «يقول الله سبحانه وتعالى: أَنَا الرَّحْمَنُ، خلقتُ الرَّحِمَ وشققتُ لها مِن اسمي»، رواه أحمد والترمذي وصحَّحه وغيرهما، فبيَّن: أَنَّ أفعاله مشتقة من أسمائه، فلا يجوز أن يُحدَّث له اسمٌ بحدوث فعله» اهـ.

أمّا أسماء مولانا وسيدنا محمد ﷺ، فليست توقيفية كما سُبِّحَ.

فَتَحَصَّلَ لنا في هذا المبحث «أربع مسائل»:

**المسألة الأولى:** «خَصَرُ الْأَسْمَاءِ الْخُسْنَى وَتَغْيِينُهَا».

جاء في حديث الصَّحِيحِينَ الْمُتَقَدِّم: أَنَّ الله تعالى تسعة وتسعين اسماً، ولم يُعَيِّنْها وَيَسْرُدْها، ولكن: جاء في بعض الروايات الأخرى سَرْدُ هذه الْأَسْمَاءِ التَّسْعَةِ والتَّسْعِينَ، بزيادة ونقصانٍ، وتقديم وتأخير، أشهرها بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ: ما رواه التَّرمِذِيُّ وابنُ حِبَّانَ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعاً، وهي: الْأَسْمَاءُ الْمُتَدَاوِلَةُ بَيْنَ النَّاسِ، وقد صَحَّحَ هذه الرواية: الْحَاكِمُ وابنُ حِبَّانَ، وقال النَّوَوِيُّ في «الأذكار»: إِنَّه حديث حَسَنٌ.



والذي عَوَّلَ عليه جماعةٌ من الحُفَظاءِ كابن حجر وابن كثير: أَنَّ سَرْدَ الأَسْمَاءِ مُدْرَجٌ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ بَعْضِ الرُّوَاةِ الَّذِينَ جَمَعُوها مِنَ النُّصُوصِ، وَلَيْسَ مَرْفُوعاً إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا مَوْقُوفاً عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَخَالَفَ فِي ذَلِكَ «الشُّوْكَانِي» فِي كِتَابِهِ: «تُحْفَةُ الذَّاكِرِينَ»، فَقَالَ بَعْدَ نَقْلِهِ قَوْلَ ابْنِ كَثِيرٍ: وَلَا يَخْفَاكَ أَنَّ هَذَا الْعَدَدَ قَدْ صَحَّحَهُ إِمَامَانِ، أَيُّ: الْحَاكِمُ وَابْنُ حَبَّانَ، وَحَسَنَهُ إِمَامٌ، أَيُّ: النَّوَوِيُّ، فَالْقَوْلُ بِأَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ جَمَعَهَا مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ غَيْرُ سَدِيدٍ أَه.

ونقول: إِنَّ عَدَدَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى الْوَاردَ فِي الرُّوَايَاتِ الْمَشَارِإِلَيْهَا يَفُوقُ الْمِائَةَ، وَيَتَعَذَّرُ بِالتَّالِيِ تَعْيِينَ الْأَسْمَاءِ التَّسْعَةِ وَالتَّسْعِينَ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا حَدِيثُ الصَّحِيحِينَ الْمُتَقَدِّمِ، مِنْ جُمْلَةِ الْأَسْمَاءِ الْوَاردَةِ فِيهَا، مَعَ الْقَطْعِ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ اسْمًا، هِيَ مِنْ جُمْلَةِ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْحُسْنَى، لِأَنَّ أَسْمَاءَهُ تَعَالَى هِيَ مِنْ كَمَالَاتِهِ الَّتِي لَا حَصْرَ لَهَا، فَقَدْ أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَابْنُ حَبَّانَ وَالبَزَّازُ، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَوْلَهُ: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ، أَوْ: أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ: عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ: اسْتَأْثَرْتُ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ: أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِبْعَ قَلْبِي».

المَسْأَلَةُ الثَّانِيَّةُ: «تَسْمِيَةُ اللَّهِ تَعَالَى: شَيْئًا وَذَلِذَا».

وَقَدْ ذَكَرَ النَّازِمُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ بِقَوْلِهِ:

٨ - نُسَمِّي اللَّهَ شَيْئًا لَا كَالْأَشْيَا      وَذَاتًا عَنْ جِهَاتِ السَّتِّ خَالِي  
أَشَارَ النَّازِمُ فِي هَذَا الْبَيْتِ إِلَى «ثَلَاثَةِ أُمُورٍ»:

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: تَسْمِيَةُ اللَّهِ تَعَالَى «شَيْئًا»: فَقَالَ: «نُسَمِّي اللَّهَ شَيْئًا لَا كَالْأَشْيَا»، وَقَوْلُهُ: «كَالْأَشْيَا» بِنَقْلِ حَرَكَةِ الْهَمْزَةِ إِلَى اللَّامِ وَإِسْقَاطِ الْهَمْزَةِ آخِرَهُ لِلْوَزْنِ، وَقَوْلُهُ: «نُسَمِّي» هُوَ: بِالنُّونِ أَوَّلُهُ، وَلَا دَاعِي لِلتَّوَقُّفِ عَلَى مَا سِوَاهُ



من نُسَخ أُخرى، والمعنى: أَنَّا نَرَى نحن أَهْل السُّنَّة والجماعة: جوازَ إطلاقِ اسم «شيء» على الله تعالى، لقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الفصص: ٨٨]، وَرَوَى البخاريُّ في صحيحه من حديث عمران بن حُصَيْنٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «كان الله ولم يكن شيءٌ غيرُهُ».

وَبَوَّبَ البخاريُّ أيضاً في صحيحه فقال: (بابُ): ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾، وَسَمَّى الله تعالى نَفْسَهُ «شيئاً» بـ ﴿قُلِ اللَّهُ﴾، وَسَمَّى النبيَّ ﷺ القرآن «شيئاً» وهو صِفَةٌ من صفات الله، وقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ اهـ.

وتسميةُ النبيِّ ﷺ القرآن شيئاً، جاءت فيما رواه البخاريُّ بعد الذي تقدَّم ذكرُهُ، عن سهل بن سعد السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه، قال النَّبِيُّ ﷺ لرجلٍ: «أَمَعَكَ من القرآن شيءٌ؟» قال: نعم، سورةٌ كذا، وسورةٌ كذا؛ لِسُورِ سَمَّاها، فزَوَّجَهُ رسول الله ﷺ تلك المرأة بما معه من القرآن.

وَوَجَّهَ تسميته تعالى «شيئاً»: أَنَّهُ تعالى موجودٌ، واسمُ «شيء» يُطْلَقُ على كلِّ موجود، سواءً أكان واجبَ الوجود وهو: الخالق عزَّ وجلَّ، أو: جائز الوجود وهو: كلُّ ما سواه تعالى من الموجودات، فيكون معنى الآيتين: قُلْ أَيُّ موجودٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً، وكلُّ موجودٍ هَالِكٌ إِلَّا الله تعالى، ويكون معنى الحديث: كان الله ولم يكن موجودٌ سواه، فهو تعالى القديم الذي لا أَوَّلَ لوجوده.

أَمَّا المعدومُ فليس بشيءٍ، ولا يُسَمَّى «شيئاً» لقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾ [الدمر: ١]، وسيأتي بيانه في شرح البيت «العشرين»، وهو قوله: «وما المعدومُ مرئياً و شيئاً».

والأمر الثاني: «جوازُ تسميته تعالى ذاتاً»: وإليه أشار الناظِمُ بقوله:



«وَذَاتًا» أي: ونُسِّي الله تعالى «ذاتًا»، نحن أهل السُّنَّة والجماعة، وفي هذا بَوَّب البخاريُّ في صحيحه فقال: (باب: ما يُذَكَّرُ في الذَّاتِ والنُّعُوتِ وأَسامي الله تعالى)، وقال خُبَيْبٌ: «وذلك في ذاتِ الإله»، فذَكَرَ الذَّاتَ باسمه تعالى، ثم رَوَى البخاريُّ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ خُبَيْبَ بنَ عَدِيَّ الأنصاريَّ رضي الله عنه قال حين أخرجهُ المشركون الذين أسروه من الحَرَمِ ليقتلوه:

وَلَسْتُ أَبالي حينَ أَقتلُ مُسلمًا      على أيِّ جَنبٍ كان في الله مَضَرعي  
وذلك في ذاتِ الإله وإن يَشَأْ      يُبارِكْ على أوصالِ شِلْوِ مُمَزَّعٍ  
أي: جَسَدٍ مُقَطَّعٍ، ثم قال البخاريُّ: فأضاف لفظَ «الذَّاتِ» إلى اسم الله تعالى، وَسَمِعَهُ النبيُّ ﷺ فلم يُنكَرْهُ، فكان جائزاً اهـ.

أما الأمرُ الثالث وهو: «تَنَزُّهُهُ تعالى عن الجهات»: فقد ذكره الناظم بقوله: «عن جهات السَّتِّ خالي»، وأضاف «جهات» إلى ما بعدها لضرورة النظم، والأصل: «الجهاتِ السَّتِّ»، فالسَّتُّ عَظْفٌ بيان للجهات وهي: «فَوْقُ وتَحْتُ، وَيَمِينُ وشِمَالُ، وَأَمَامُ وخَلْفُ»، قال في شرح «طَوَالِعِ الأنوار»: و«الجهة» موجودة ذاتٌ وَضْعٌ، لَأَنَّها مُشارٌ إليها إشارةً حِسِّيَّةً، ومَقْصِدُ المتحرك بالوصول إليه، وكلُّ ما هو مُشارٌ إليه إشارةً حِسِّيَّةً، ومَقْصِدُ المتحرك بالوصول إليه، يكون موجوداً غَيْرَ مجرد، فالجهة موجودةٌ غيرُ مجردةٍ عن المادَّةِ اهـ.

وقال الغزاليُّ في «الاقتصاد في الاعتقاد»: وَمَنْ عَرَفَ معنى لفظ «الجهة»، ومعنى لفظ «الاختصاص»، فَهَمَّ قطعاً استحالة الجهة على غير الجواهر والأعراض، وإنما صارت الجهة: «جهة فوق»، بخَلْقِهِ تعالى العالم في هذا الحَيِّزِ الذي خلقه فيه، فقبل خلق العالم، لم يكن فوق ولا تحت أصلاً اهـ.



والمعنى: أننا نحن أهل السنة والجماعة نعتقد: أن الله سبحانه وتعالى، يستحيل في حقه أن يكون في جهة من الجهات الست المذكورة، أو: يكون له تعالى جهة، فالله ليس في جهة لشيء ما، ولا هو جهة لشيء ما، لأن الجهة ملازمة للمخلوق، فلا ينفك عنها ولا تنفك عنه، ونفي الجهة يستلزم نفي المكان والزمان، فهو تعالى لا يتمكّن في مكان، ولا يجري عليه زمان، فقبل خلق المخلوقات، لم يكن زمان ولا مكان ولا جهات، ففي البخاري من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه المتقدم: «كان الله ولم يكن شيء غيره»، فالله تعالى لا يفتقر إلى شيء، لا قبل خلق الأشياء ولا بعد خلقها.

قال السنوسي في شرح عقيدته «الوسطى»: ولم يقل بالجهة أحد من أهل السنة، وإنما قال بها طائفة من المبتدعة، وهم «الحشوية» و«الكرامية»، الذين أجمعوا على أنه يتعين له تعالى من الجهات: «جهة فوق» أي: فوق العرش، ثم اختلفوا: فقال بعضهم: إنه مماس للعرش، وقال بعضهم: مباین له بمسافة متناهية، وبعضهم: بمسافة غير متناهية.

ونسب بعضهم القول بالجهة إلى بعض السلف كالإمام أحمد بن حنبل، وبعض الخلف كابن عبد البر، وذلك فاسد لا يلتفت إليه، وسبب وهم من نقل ذلك عن بعض السلف: ما عرفت منهم رضي الله عنه من التوقف عن تأويل الظواهر المستحيلة نحو: «على العرش استوى» وما أشبهه، فتوهم هذا البعض: أن توقفهم عن تأويلها لاعتقادهم بظواهرها، وحاشاهم ذلك، وإنما وقفوا عن تعيين تأويل لها، لتعدد التأويلات الصحيحة، من غير علم بالمراد منها، بعد قطعهم بأن الظواهر المستحيلة غير مرادة البتة، وما أقبح أن يُظنّ السوء بمن لا يليق به اهـ.

وسياتي بيان «نفي جريان الزمان» عليه تعالى، في شرح البيت «الثالث عشر» وهو قوله: «ولا يجري على الديان وقت..»، و«نفي المكان والجهة»



أَيْضاً فِي شَرْحِ الْبَيْتِ «الرَّابِعُ عَشَرَ» وَهُوَ قَوْلُهُ: «وَرَبُّ الْعَرْشِ فَوْقَ الْعَرْشِ لَكُنْ...».

المسألة الثالثة: «أَسْمَاءُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ».

لَمْ يُشِرِ النَّاظِمُ إِلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَلَكِنَّا أَثْبَتْنَاهَا فِي سِيَاقِ الْكَلَامِ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى الْحُسْنَى، لِبَيَانِ فَضْلِهِ ﷺ، لِأَنَّ تَعَدُّدَ الْأَسْمَاءِ لِمُسَمًّى وَاحِدٍ، يَدُلُّ عَلَى عُلُوِّ مَكَانَتِهِ وَرَفْعَةِ شَأْنِهِ، وَمَنْ أَعْلَى مَكَانَةً فِي الْخَلْقِ، وَأَرْفَعُ شَأْناً مِنْ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشَّح: ٤].

وَقَدْ ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ الشَّرِيفَةِ، عَدَدٌ مِنْ أَسْمَائِهِ ﷺ، مِنْهَا مَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ (٤٥) وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ [الْأَحْزَاب: ٤٥ - ٤٦].

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُمَا، عَنْ مُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ الطَّائِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُخَشِّرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ»، وَمَعْنَى: «يُخَشِّرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِي»: بِكَسْرِ الْمِيمِ، أَي: عَلَى أَثَرِي، لِأَنَّهُ ﷺ أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، وَ«الْعَاقِبُ»: أَي الَّذِي جَاءَ عَقِبَ الْأَنْبِيَاءِ، فَلَا يَعْقُبُهُ نَبِيٌّ بَعْدَهُ.

وَسَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ: مُحَمَّدًا وَأَحْمَدَ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ مُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ: «وَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ رُؤُوفًا رَحِيمًا»، وَفِي مُسْلِمٍ أَيْضاً، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً فَيَقُولُ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ».

وَمِنْ صِفَاتِهِ ﷺ الْمَذْكُورَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: «الْأَمِّيُّ، وَالْأَمِينُ، وَالْمُزْمَلُ، وَالْمُدَّثِّرُ»، وَأَشْهُرُ كُنْيَةٍ لَهُ ﷺ: «أَبُو الْقَاسِمِ».



ومما أَظْلَقْتَهُ عليه الأُمَّةُ، ولم يَرِدْ في كتابٍ ولا سُنَّةٍ: «المصطفى، والمُجْتَبَى، والمُخْتَارُ».

وليس «طه» و«يس» من أسمائه ﷺ على الصَّحِيح، ولا هما من الأسماءِ أصلاً، ولكنهما من الحروف المتقطعة في أوائل بعض السُّور.

وقد اعتنى بعضهم بجمع أسمائه وصفاته ﷺ، فبلغت عدداً وفيراً، وقُدِّرَ صلوات الله وسلامه عليه، أعلى عند الله تعالى وأسمى، فهو ﷺ أفضلُ الخلقِ على الإطلاق.

المسألة الرابعة: «الاسمُ عَيْنُ المُسَمَّى».

وإليها أشار الناظم بقوله:

٩- وَلَيْسَ الْإِسْمُ غَيْراً لِلْمُسَمَّى      لَدَى أَهْلِ الْبَصِيرَةِ خَيْرِ آلِ

قوله: «الاسم» هو بقطع الهمزة لضرورة الوزن، وهو وإن كان لَحْناً كما قال عليُّ القاريُّ في شرحه، إلَّا أَنَّهُ لا مانع منه في الشَّعْرِ، وفي مِثْلِ هذه المنظومة خاصَّةً، لأنَّها ليست مما يُحْتَجُّ به في اللُّغَةِ، ولكنها لتسهيل العلوم على طَلَبَةِ الْعِلْمِ فَيَتَسَاهَلُ فِيهِ.

وقد اقترح القاريُّ أَنْ يكون الشَّطْرُ الأوَّلُ كما يلي: «وإن الاسم عَيْنُ للمسمى»، وقال: هذا أَظْهَرُ وَأَسْمَى، وليس كما قال؛ لأنَّ فيه أيضاً قَطْعَ همزة «الاسم» الذي اعتبره لَحْناً في أصل البيت، إذ لا يستقيم الوزن المقترح إلا به، واقتراحه ليس بأظهرَ وَأَسْمَى، لأن في اقتراحه ذِكْرَ قولٍ واحدٍ فقط هو: إثبات العَيْنِيَّةِ بين الاسم والمسمى، أمَّا عبارة الناظم، ففيها الإشارة إلى القولين: نَفْيُ الْغَيْرِيَّةِ، وإثباتِ العَيْنِيَّةِ بين الاسم والمسمى.



وقد نَسَبَ بين العلماء خلافاً عريض في المراد بـ «الاسم»، حتى قال بعضهم: عَجِبْتُ من العقلاء كيف اختلفوا في هذه المسألة، لأنَّ قَصْدَ الناظم بـ «الاسم» واضح وهو: مَدْلُولُهُ.

ومعنى البيت: أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ الذين وصفهم الناظم بأنَّهم: «أهل البصيرة» المستنيرة، وأنهم «خير آل» الناظم، وهو واحد منهم، يقولون: إِنَّ «الاسم» هو: عين «المسمَّى» لا غيره، إِنَّ أُرِيدَ به ذاتُ الشيء أي: مدلوله.

قال البيضاوي في أول تفسيره: «الاسم»: إِنَّ أُرِيدَ به اللَّفْظُ فغير المسمَّى، لأنَّه يتألَّف من أصواتٍ متقطعةٍ غير قارَّة، ويختلف باختلاف الأُمم والأعصار، ويتعدَّد تارةً ويتَّحدُ أخرى، والمُسمَّى لا يكون كذلك، كقوله تعالى: ﴿بِزَكَّائِكَ أَنْتُمْ رَزَقْتُمْ﴾ [الرحمن: ٧٨]، و﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، فالمراد بالاسم هنا: لَفْظُ «الاسم»، لأنَّه كما يجب تنزيه ذاته تعالى وصفاته عن النقائص، يجب تنزيه الألفاظِ الموضوعَةِ لها عن الرَّفَثِ وسوءِ الأدبِ اهـ.

وفي شرح «المواقف» للإيجي قال السيّد الجُرْجَانِيُّ: قد اشتهر الخلاف في: أَنَّ «الاسم»: هل هو نفسُ المسمَّى أو غيره، ولا يشكُّ عاقلٌ أنَّه ليس النزاعُ في لفظِ «فَرَس» أنَّه: هل هو الحيوان المخصوص أو: غيره، بل النزاعُ في مدلولِ الاسمِ اهـ.

#### المبحث الرابع: «حُسْنُ الْخَيْرِ وَقُبْحُ الشَّرِّ»

يُعتبر هذا الموضوعُ من أَهَمِّ مباحث العقيدة، إذ يتوقَّفُ على فَهْمِهِ على النَّحْوِ السَّلِيمِ سَلَامَةُ المَعْتَقِدِ في «القضاء والقدر»، وفي الإيمان بصفات الخالق عَزَّ وَجَلَّ، ولهذا أفردَهُ الناظم رحمه الله تعالى بهذا البيت فقال:

١٠ - مُرِيدُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ الْقَبِيحِ      وَلَكِنْ لَيْسَ يَرْضَى بِالْمُحَالِ



قوله: «بالمُحال» بضم الميم هو: الكلامُ الفاسدُ، ويعني به هنا: «الكُفْر»، أخذاً من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، قال ابن منظور في «لسان العرب» في مادة «حَوَلَ»: المُحالُ من الكلام: ما عُذِلَ به عن وجهه، وأحالَ: أتى بمُحالٍ، يقال: أَحَلْتُ الكلامَ أُحِيلُهُ إِحَالَةً: إذا أَفْسَدْتُهُ اهـ.

والغريب: أَنَّ العديدَ من الشُّراح، قد أبعدوا في تفسير معنى هذه الكلمة، فظنَّ بعضهم: أنها من «المُحال العقلي»، الذي لا يُتَصَوَّرُ في العقل وجوده، وذهب آخرون إلى أنها من «المُحال الشرعي» وهو: ما يوجب ارتكابه العقاب، وهذا كُلُّهُ تَكَلُّفٌ لا يُؤدِّي إلى المطلوب، وكان يكفي هؤلاء العودة إلى معاجم اللُّغة.

ومعنى البيت: أَنَّ الله تعالى، مريدُ الخيرِ والشرِّ على السَّواءِ، فكلاهما يُحْدِثُهُ الله تعالى ويخلقه بإرادته ومشِيئَتِهِ، ولكنَّه تعالى لا يَرْضَى لعباده الكفر والعصيانَ والفسوق، ولا يأمرُ بها، بل نهى عنها وتَوَعَّدَ فاعلها بالعقاب، ونفصيلُ ذلك في ثلاث مسائل:

#### المسألة الأولى: «معنى: الخَيْرِ والشرِّ».

كَلِمَتَا: «خَيْرٍ وشرٍّ» هما: اسمان من صِبَغٍ «أفعل» التفضيل، وأصلهما: «أخَيْرُ» و«أَشْرُ» وجاز في اللُّغة حَذْفُ الهمزة، قال محمد بن خليفة التَّبْهَانِيُّ المتوفى عام ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م في شرح «المنظومة البيقونية» في «مصطلح الحديث»: أَمَلَى علينا شيخنا شُعَيْبٌ:

وغالِباً أَغْنَاهُمُ: خَيْرٌ وشرٌّ عَنْ قولهم: أَخَيْرُ مِنْهُ وَأَشْرُ ولم أَقِفْ للشيخ «شعيب» على ترجمة، ولكن قال لي شيخنا الذي قرأتُ عليه الكتابَ المذكور: هو: «شعيب المَغْرِبِيُّ»، كان يحفظ نحو أربعين أَلَفَ حديث.



وليس المراد بالخير والشر هنا التفضيل، ولكن: المطابقة والمقابلة، فالخير طِبْقُ الشَّرِّ، والشرُّ طِبْقُ الخَيْرِ.

ومعنى «الخير» هو: ما حَسَنَهُ الشَّرْعُ، واعتبره خيراً للعباد في دنياهم وآخرتهم، ومعنى «الشر» هو: ما قَبَحَهُ الشَّرْعُ، واعتبره شراً للعباد كذلك.

و«الخير» درجات بعضها أخير من بعض، ومنه ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ».

و«الشر» مراتب بعضها أشر من بعض، كقوله تعالى: ﴿يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]، أي: مُنْتَشِرًا، يقال: اسْتَطَارَ الحَرِيقُ: إذا انتشر، وهو: شرُّ يومِ القيامة.

وهذا كله بالنسبة إلى الإنسان وسائر المخلوقات، أمّا بالنسبة إلى الله تعالى: فجميع أنواع الخير والشر هي كلها خَلَقَهُ تعالى، أَوْجَدَهَا بمشيئته وقدرته كما سَنَّبِينَ لاحقاً في هذا المبحث، فلا ينفعه منها شيء، ولا يضره شيء، لأنَّ تحصيل النَّفْعِ ودَفْعِ الضَّرِّ، دليلُ العجزِ والافتقارِ والحاجة، وهذه صفاتُ المخلوق، والله سبحانه غنيٌّ عن العالمين.

والميزانُ الصَّحِيحُ لمعرفة الخير والشر هو: الشَّرْعُ الشَّرِيفُ، فهو سبحانه قد بَيَّنَّ: أَنَّ الْبَشَرَ قِسْمَانِ: مُؤْمِنٌ وَكَافِرٌ، وَوَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْخَيْرِيَّةِ وَالْكَافِرِينَ بِالْشَّرِّيَّةِ في قوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۖ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦ - ٧]، فلا يَمْلِكُ أَحَدٌ إِهَانَةَ مَنْ أَكْرَمَهُ اللَّهُ تعالى وهو القائل: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، كما لا يملك أَحَدٌ إِكْرَامَ مَنْ أَهَانَهُ المولى تبارك وتعالى القائل: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].



وقد جعلَ الله سبحانه الخيرَ والشرَّ ابتلاءً للعباد، ليُظهرَ لهم الخبيثَ من الطَّيِّب، قال تعالى: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، فوجودُ الخير والشر معاً، هو امتحان من الله تعالى لعبده المكلف، فالمؤمن: يَتَحَرَّى الخيرَ مُجِبّاً له، ويسعى إليه على هُدَى من الله تعالى ونور، ويعلم الشرَّ فيجتنبه مُقْبِحاً له ماقتاً أهله، فيفوزُ وينجو، والكافر يتخبطُ في حياته خَبْطَ عَشَوَاء، فيرى الخيرَ شراً ويحسبُ الشرَّ خيراً، حتى آثروا عبادةً أوثانهم على عبادة خالقهم، فَوَبَّخَهُم الله تعالى بقوله: ﴿أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، فخابوا وخسروا وهلكوا.

#### المسألة الثانية: «التَّحْسِينُ وَالتَّقْبِيحُ».

قال الإيجيُّ في «المواقف»، والجرجانيُّ في شرحه كلاماً حسناً في هذه المسألة هذا مجملُه:

يقال «الحُسْنُ والقُبْحُ» لمعانٍ ثلاثة هي:

المعنى الأول: أَنَّ «الحُسْنَ»: صفةُ «الكمال»، و«القُبْحُ»: صفةُ «النَّقْصِ»، فكلُّ «حُسْنٍ»: كمالٌ، وكلُّ «قُبْحٍ»: نَقْصٌ، يقال: العلمُ حُسْنٌ لَأَنَّهُ لِمَنْ اتَّصَفَ بِهِ كَمَالٌ وارتفاعُ شأنٍ، والجهلُ قُبْحٌ، لَأَنَّهُ لِمَنْ اتَّصَفَ بِهِ نُقْصَانٌ واتِّضَاعٌ حَالٍ، ولا نزاع في أَنَّ هذا المعنى، أمرٌ ثابتٌ لهذه الصِّفَاتِ في أَنْفُسِهَا، وَأَنَّ مُدْرِكَهُ هو: العقلُ، ولا تَعَلَّقَ له بالشرع، فلم يُعَرَفْ حُسْنُ الحَسَنِ من هذه الصِّفَاتِ، ولا قُبْحُ القبيح منها بالشرع.

والمعنى الثاني: «مُلَاءَمَةُ الغَرَضِ، وَمَنَافَرَتُهُ»: فما وافقَ غَرَضَ الفاعلِ كان حَسَنًا، وما خالفه كان قبيحاً، وما ليس كذلك، لم يكن حَسَنًا ولا قبيحاً، وقد يُعَبَّرُ عنهما بالمصلحة والمفسدة، فيقال: «الحَسَنُ»: ما فيه مصلحة، و«القبيحُ»: ما فيه مفسدة، وما خلا عنهما لا يكون شيئاً منهما.

وهذا المعنى أيضاً عقلي، ويختلفُ بالاعتبار: فَإِنَّ قَتْلَ زَيْدٍ يُعْتَبَرُ



مصلحةً لأعدائه؛ لأنه موافق لغرضهم، ومفسدة لأوليائه؛ لأنه مخالف لغرضهم.

والمعنى الثالث: هو: «ما تعلق بأفعال العباد»، وهو موضوع الكلام في التحسين والتقبيح، أمّا فعلُ الله جَلَّ وعَزَّ، فكلُّهُ حَسَنٌ أبداً بالاتفاق، فما تعلق به المدح من أفعال العباد في العاجل، والثواب في الآجل، يُسمَّى: «حَسَنًا»، وما تعلق به الذمُّ منها في العاجل، والعقاب في الآجل، يُسمَّى: «قبيحًا»، وما لا يتعلّق به شيءٌ منهما فهو خارج عنهما، وهذا المعنى للحسن والقبيح هو محلُّ النزاع:

فهو عندنا نحن أهل السُّنَّة والجماعة شرعيٌّ، فما نُهي عنه شرعاً نُهي تحريم أو تنزيه فهو: «القبيح»، وما أمر به شرعاً كالواجب والمندوب فهو «الحسن» بالاتفاق، أو: لم يُنه عنه ولم يؤمر به كالمباح، فهو «حسن» عند الأكثرين.

ولا حكم للعقل عندنا في حُسن الأشياء وقبحها، لأنَّ الأفعال كلّها سواسيةٌ، ليس شيءٌ منها في نفسه بحيث يقتضي مدح فاعله وثوابه، ولا ذم فاعله وعقابه، وإنما صارت الأفعال كذلك، بواسطة أمر الشارع بها ونهيه عنها، فكان «القبيح»: ما قَبَّحَهُ الشَّرْعُ، و«الحسن»: ما حَسَنَهُ الشَّرْعُ.

وليس الحُسنُ أو القُبْحُ، عائداً إلى أمرٍ حقيقيٍّ حاصلٍ ومُسْتَقَرٍّ في «الفعل» قبل ورود الشَّرْع، ثم جاء الشَّرْعُ يَكْشِفُ عنه، كما تزعمه المعتزلة، ولكنَّ الشَّرْعَ هو المَثْبُتُ له والمَبِينُ، فلا حُسنَ ولا قُبْحَ للأفعال قبل ورود الشَّرْع، ولو عَكَسَ الشارعُ القضيَّةَ: فَحَسَّنَ ما قَبَّحَهُ، وَقَبَّحَ ما حَسَنَهُ، لم يكن ذلك ممتنعاً، ولانْقَلَبَ الأمرُ، فصار القبيحُ حَسَنًا، والحسنُ قبيحاً، كما في «النسخ» من الحرمة إلى الوجوب، كنسخِ النَّهي عن القتال بفرضيَّته، ومن الوجوب إلى الحرمة، كنسخِ اعتدادِ المتوفى عنها زوجها حولاً كاملاً، بالاعتداد أربعة أشهرٍ وعشرة أيامٍ.



وقالت المعتزلة: إنَّ الحاكمَ بالتحسين والتقبيح هو: العقلُ بنفسه، والشرعُ كاشفٌ ومُبينٌ للحُسنِ والقُبْحِ الثابتين للفعل، وليس للعقل أن يعكس القضية من عند نفسه، إلَّا إذا اختلف حالُ الفعل من الحُسنِ والقُبْحِ، بالقياس إلى الأزمانِ والأشخاص والأحوال، فللعقل أن يكشف عما تغيَّر الفعلُ إليه، من حُسْنِهِ أو: قُبْحِهِ في نفسه.

وقالوا أيضاً: إنَّ للفعل في نفسه مع قَطْعِ النَّظَرِ عن الشرع، جهةٌ مُحَسَّنةٌ مُقْتَضِيَةٌ لاستحقاقِ فاعلهِ مَدْحاً وثواباً، أو: مُقَبَّحَةٌ مُقْتَضِيَةٌ لاستحقاقِ فاعلهِ دَمَماً وعقاباً، ثم اختلفوا في الجهة المحسنة والمقبَّحة: فذهب الأوائل منهم: إلى أنَّ حُسْنَ الأفعال وقُبْحها هما لذواتها لا لصفاتٍ فيها تقتضيها، وذلك على مذهبهم في نفي «الصفات» عن كلِّ شيءٍ مطلقاً، وذهب بعضُ الذين خَلَفُوهم، إلى إثبات صفةٍ حَقِيقِيَّةٍ للأفعال، توجبُ الحُسْنَ أو القُبْحَ، ونَفَى الجَبَائِثِ ذلك وقال: ليس حُسْنُ الأفعال وقُبْحها لصفاتٍ حَقِيقِيَّةٍ فيها، ولكن: لوجوهٍ اعتباريَّةٍ وأوصافٍ إضافيَّةٍ تختلف بحسَبِ الاعتبار، كما في لَظْمِ اليتيم تأديباً فهو حَسَنٌ، وَلَظْمُهُ ظُلماً فهو قبيحٌ، اهـ.

وأقول: إن قولَ المعتزلة هؤلاء، تحكُّمٌ عقليٌّ، تُعارِضُهُ الأدلَّةُ ويخالفه الواقعُ، إذ لولا الشرعُ لما استطاع العقلُ أن يُحَسِّنَ الحَسَنَ، ولا أن يُقَبِّحَ القبيحَ، ولا أن يَعْرِفَ الخيرَ والشرَّ.

والدليلُ على عدم استقلالِ العقلِ بالتحسين والتقبيح، أنَّ كثيراً من الأممِ والفِرَقِ من أهلِ الرِّيغِ، الذين كفروا وضلُّوا، قد استحسِنوا الكفرَ الذي قَبَّحَهُ اللهُ تعالى، واستقبحوا الإيمانَ، واستطابوا الخبائثَ كأكلِ لحم الخنزير، وشربِ الخمر، والزَّنى، وتركوا طيبات ما أحلَّ اللهُ تعالى، ونحن نرى بالمشاهدة: أن لكلِّ أُمَّةٍ من تلك الأممِ تحسِنَاتُها وتقبيحاتُها، وطيباتُها



وخبائثها المختلفة عما عداها، فهم يَتَخَبَّطُونَ في دينهم على غير هُدًى من الله جل وعزَّ، فَصَدَقَ فيهم قوله سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَغَلَّقَ عَلَى بَصَرِهِ غِشًّا فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

### المسألة الثالثة: «الإرادة والمشیئة، والرِّضا والأمر».

وإليها أشار الناظم في البيت المتَّقدم وهو قوله:

مُرِيدُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ الْقَبِيحِ      وَلَكِنْ لَيْسَ يَرْضَى بِالْمُحَالِ  
وهي مسألة مُهِمَّةٌ زَلَّتْ بها عقولُ بعض الفِرَقِ، وَعَسَرَ على كثيرٍ من  
طَلَبَةِ الْعِلْمِ تَفَهُُّهَا، وَإِلَيْكَ الْبَيَانُ:

ذهب أهلُ السُّنَّةِ والجماعة إلى أَنَّ «الإِرَادَةَ والمَشِیَّةَ» شيءٌ واحدٌ،  
أي: معنهما واحدٌ: لُغَةً وشرعاً.

ففي معاجم اللُّغة: «الإِرَادَةُ»: المَشِیَّةُ، و«المَشِیَّةُ»: الإِرَادَةُ، تقول:  
شِئْتُ إِشَاءَةً وَمَشِیَّةً: أَرَدْتُهُ.

أما شرعاً: فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ أَخْبَرَ عَنْ عَظِيمِ قَدَرِهِ مَعْلَقاً الْخَلْقَ عَلَى  
«الإِرَادَةِ» كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ  
فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وقوله في آيةٍ أُخْرَى مُعْلَقاً الْخَلْقَ عَلَى «المَشِیَّةِ»:  
﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، وَأَخْبَرَ سبحانه: أَنَّ كُفْرَ  
الكَافِرِينَ هُوَ بِمَشِیَّتِهِ فَقَالَ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ  
مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السَّجدة: ١٣]، وَجَمَعَ  
سبحانه بَيْنَ المَشِیَّةِ والإِرَادَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَلُوا وَلَكِنْ أَلَّهِ  
يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].



وأشار البخاري في صحيحه إلى وحدتهما فقال: (باب: في المشيئة والإرادة، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وقول الله تعالى: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وذكر البخاري آيات أخريات، يشير بذلك إلى وَحْدَةِ المشيئة والإرادة.

و«الرِّضَا» لغة: ضِدُّ الغَضَبِ، يقال: رضيْتُ الشيءَ وارتضيته فهو: مَرَضِيٌّ، وشرعاً: «قَبُولُ الشيء والاثابةُ عليه»، ومنه قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البينة: ٨]، أي: قَبِلَ الله أعمالهم وأثابهم عليها، والمؤمنون قَبِلُوا ثوابَ الله تعالى وقرحوا به.

و«الأمر» لغة: ضِدُّ «النَّهي»، وشرعاً «طَلَبُ الفعلِ طلباً جازماً»، كفرائض الإسلام.

فالمشيئة عند أهل السُنَّة والجماعة غَيْرُ «الأمر»، والأمرُ غيرُ «الرِّضَا»، والإرادة عندهم لا تستلزم الأمر، أي: لا يلزم من إرادته تعالى شيئاً من أفعال العبادِ أَنَّهُ أَمَرَ به، ولكنَّ «الإرادة» تُلَازِمُ الفِعْلَ، فكلُّ أفعال العبادِ مُرادَةٌ لله تعالى، بل كُلُّ ما يجري في الوجود هو بإرادته تعالى، خيراً كان أو شراً، فما شاء الله كان، وما لم يَشَأْ لم يكن، ولا تَلَازِمُ بين: الإرادة والرِّضَا، أي: لا يلزم من إرادته تعالى شيئاً من أفعال العبادِ أَنَّهُ راضٍ به، ولكنَّ «الرِّضَا» يَلَازِمُ «الأمر»، فكلُّ ما أَمَرَ الله تعالى به عبادةٌ يرضاهُ لهم، وكلُّ ما نهى عنه فلا يرضاه، فقد أَمَرَ الله سبحانه العباد بالإيمان والعمل الصالح، فمن آمن وعَمِلَ صالحاً: فبأمره تعالى وإرادته ورضاه، ونهى عباده عن الكفر والعصيان، فمن كفر وعَصَى: فبإرادته تعالى، لا بأمره ولا برضاه، قال جَلَّ وَعَزَّ: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزُّمَر: ٧].



وذهب المعتزلة إلى: أن «الإرادة والرضا» واحد، وأنَّ الإرادة تُلازمُ الأمر، فما يُريده تعالى أن يكونَ من أفعالِ العباد، فوجوده بأمر الله تعالى ورضاه، ولهذا نَفَوْا إِرَادَةَ الله تعالى الشرَّ، لئلاً يلزَمَ عليه أمرُهُ سبحانه به فقالوا: الخيرُ من الله سبحانه، أي: بإرادته يكون وبأمره ورضاه، والشرُّ ليس منه تعالى، وإلَّا لَزِمَ أَنَّهُ أَمَرُ به وراضٍ، ولكنَّهُ مِنَ العبد، واستدلُّوا بقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]، وليس هذا لهم بدليل على قولهم، لأنَّ الآية السابقة وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]، تخالفه، أي: كُلٌّ مِنَ السَّيِّئَةِ وَالْحَسَنَةِ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تعالى، وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]، أي: من فِعْلِ نَفْسِكَ وَكَسْبِهَا، لأنَّ الْأَدَبَ عَدَمُ إِضَافَةِ الشَّرِّ إِلَى اللَّهِ تعالى، ومنه قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ [الشعراء: ٧٩ - ٨٠]، ولم يَقُلْ: «أمرضني» تأدباً مع الله تعالى، مع الْجَزْمِ بَأَنَّ خَالِقَ الْمَرَضِ وَالشِّفَاءِ هُوَ اللَّهُ تعالى، وكقول الخضر صاحب موسى عليه السلام: حِينَ خَرَقَ السَّفِينَةَ، وَخَرَقَهَا ضَرَرٌ مَخْضٌ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]، فَأَضَافَ الْخَرَقَ إِلَى نَفْسِهِ، وَحِينَ أَقَامَ الْجِدَارَ لِحِفْظِ كَنْزِ الْيَتِيمِينَ وَهُوَ نَفْعٌ مَخْضٌ، أَضَافَهُ إِلَى اللَّهِ تعالى فقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢]، وَحِينَ كَانَ الْفِعْلُ مُشْتَرَكاً بَيْنَ النَّفْعِ وَالضَّرِّ، جَمَعَ الضَّمِيرَ فِي قَتْلِ الْغَلَامِ فَقَالَ: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨١]، وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ تُخَرَّجُ النُّصُوصُ الْمِمَّاثِلَةُ كَافَّةً.

فما يفعله العبادُ من خيرٍ أو شرٍّ، هو بخلقِ الله تعالى وإرادته، ويحاسبُ العبدُ على ما كَسَبَتْ يَدَاهُ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

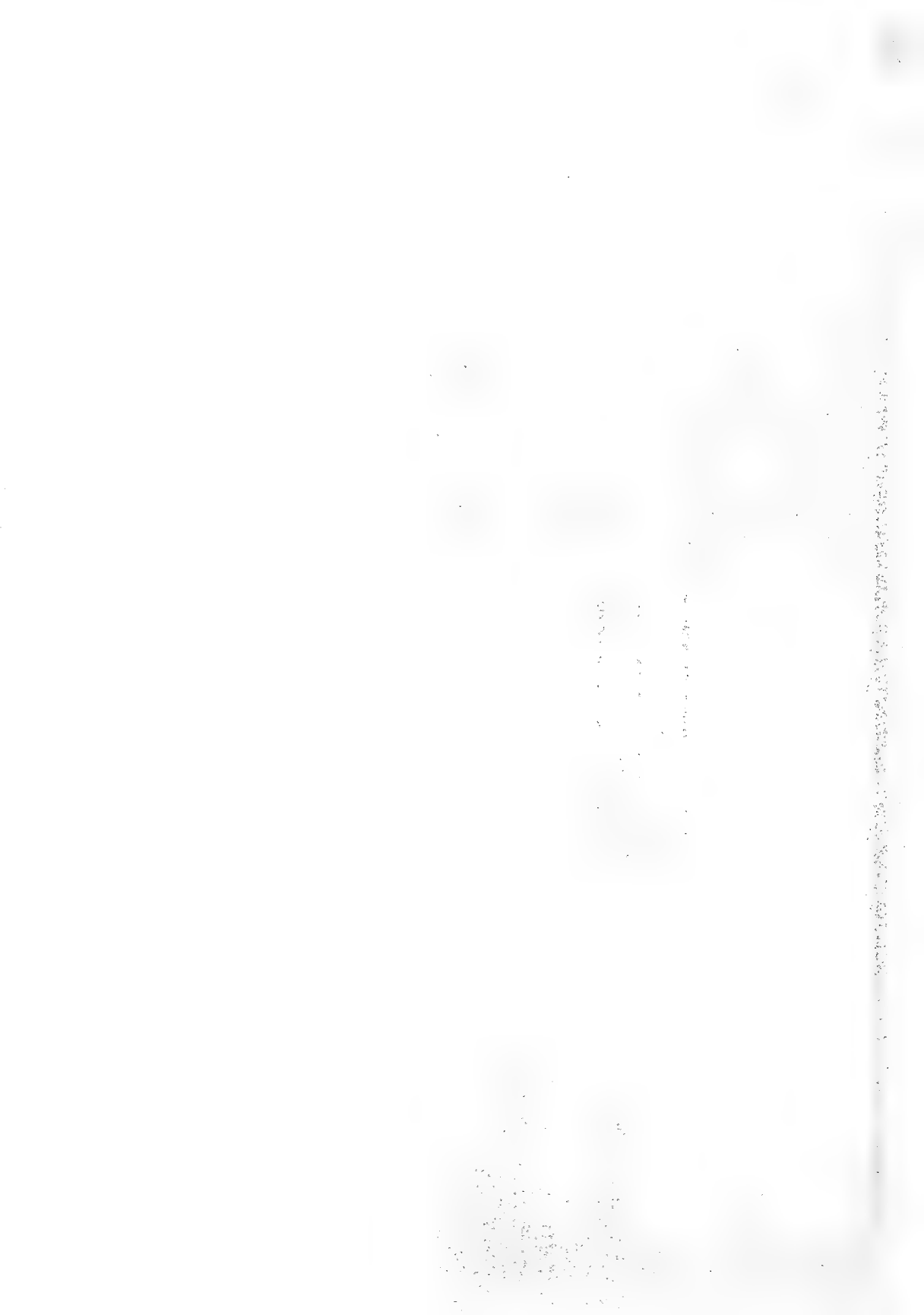
ويترتب على قول أهل الاعتزال: أن أكثر ما يفعله العبادُ، يقع بلا إرادة



من المولى تبارك وتعالى، وهذا يتعارض مع قوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، فكيف يُعْقَلُ وجودُ شيءٍ لم يشأ الله سبحانه وجوده، وهو قادرٌ على مَنْعِهِ، ونحن نعلم ونُحِسُّ بالمشاهدة: أَنَّ القادر على مَنْع وقوع ما لا يريد، لا يتردَّد في الْمَنْعِ، وإلَّا كان عاجزاً، والعاجز عن الْمَنْعِ مُكْرَهٌ، وهو ضَعْفٌ ونَقْصٌ، وذلك مستحيلٌ في حَقِّهِ جَلَّ جلالُهُ.









## الباب الثاني:

### في التَّنْزِيهَات

- وفيه: مَبْحَثَانِ

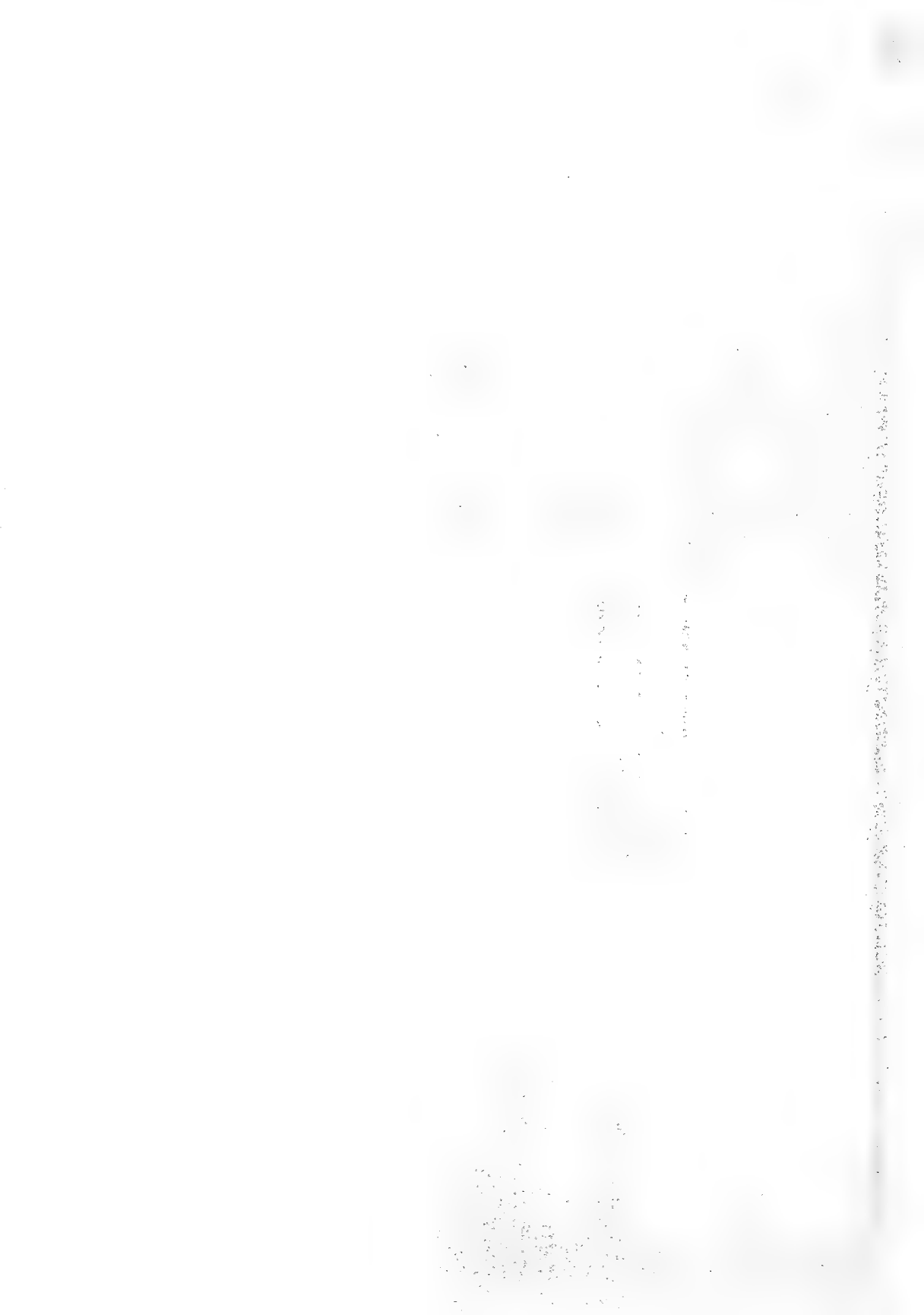
﴿المبحث الأول: «نفي التشبيه والتمثيل»﴾، وفيه: خمس مسائل

- المسألة الأولى: «المرجِعُ في نفي التشبيه والتمثيل»
- المسألة الثانية: «معنى: السَّلَفِ والخَلْفِ»
- المسألة الثالثة: «بيانُ معنى: التفويض والتأويل»
- المسألة الرابعة: «يُكْرَهُ أمثلةٌ للتفويض والتأويل عن السَّلَفِ والخَلْفِ»
- المسألة الخامسة: «بيانُ وَجْهِ الاختلاف بينَ: الجَهْمِيَّةِ وَمَنْهَجِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ»

﴿المبحث الثاني: «المنفيَّاتُ عنه تعالى»﴾ وفيه: خمس مسائل

- المسألة الأولى: «نفي الجسميَّةِ والجزئيَّةِ ونحوهما عنه تعالى»
- المسألة الثانية: «نفي جَرَيَانِ الزَّمانِ والأحوالِ على الله تعالى»
- المسألة الثالثة: «نفي الجهة والمكان في الاستواء وغيره»
- المسألة الرابعة: «نفي وجوب الصُّلَاحِ والأصلِحِ على الله تعالى»
- المسألة الخامسة: «استغناؤه تعالى عن الصَّاحِبَةِ والولدِ والمُعِينِ»







## البَابُ الثَّانِي:

## فِي التَّنْزِيهَاتِ

وفيه: مَبْحَثَانِ:

## المَبْحَثُ الأوَّلُ: «نفي التشبيه والتمثيل»

وإلى هذا المبحث أشار الناظم بقوله:

١١ - وما التشبيه للرحمن وجهاً      فُضُنْ عَنْ ذَاكَ أَصْنَافَ الْأَهَالِي

«ما»: نافية تعملُ عَمَلَ «ليس»، و«التشبيه» اسمها، و«وجهاً» خبرها، أي: ليس تشبيهه الله تعالى بشيءٍ من خلقه، أو: بما هو من صفاتِ خلقه، طريقاً مُسْتَحْسَناً، ولا وَجْهاً مَرْضِيّاً يجوز اعتقاده، عند أهل الحق أهل السُّنَّةِ والجماعة، الذين أشار إليهم بقوله: «فُضُنْ عَنْ ذَاكَ أَصْنَافَ الْأَهَالِي»، أي: لا تُنسَبْ إليهم مثلَ هذا القولِ الذي لا يليقُ بهم، فهم أهلُ التنزيه والتوحيد، سلفاً وخلفاً.

وفي هذا المبحث «خمس مسائل»:

## المسألة الأولى: «المرجع في نفي التشبيه والتمثيل».

إنَّ المرجعَ في نفي التشبيه والتمثيل وكلِّ نقصٍ عن مولانا تبارك وتعالى، هو قوله جَلَّ وَعَزَّ: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» [الشورى: ١١]، فهذه آيةٌ محكمةٌ صريحةٌ الدلالة، تُردُّ إليها جميعُ النصوصِ المتشابهات.

قال البيهقي في «الأسماء والصفات»، في هذه الآية الكريمة: ذهب



بعضهم إلى أَنَّ «مِثْل» زائدة، أي: «ليس كهو تعالى شيء»، وبعضهم إلى أَنَّ الكاف زائدة، أي: «ليس مثله شيء»، قيل: والعربُ إذا أَرَادَتْ التَّأَكِيدَ في إثباتِ المشبَّه كَرَّرَتْ حَرْفَ التشبيه، فلما أَرَادَ تعالى أَنَّ ينفي التشبيهَ على أَكْدٍ ما يكون من النَّفي، جَمَعَ في قراءتنا بين حرفِ التشبيه واسم التشبيه، حتى يكون النَّفي مُؤَكَّدًا للمبالغة اهـ، وهذا قولٌ حَسَنٌ، أمَّا القول بزيادة «مثل» فهو بعيد، لأنَّ «مثل» اسمٌ، والقول بزيادة الحرف وهو «الكاف» للتأكيد أولى من القول بزيادة الاسم.

وقولُ البيهقي: «جَمَعَ في قراءتنا» أي: فيما نقرأه من القرآن، الذي أنزله الله تعالى بلغتنا العربية التي هي حرفٌ وصوتٌ، يُنبُئُ بذلك إلى أَنَّ كلامَهُ تعالى ليس بحرفٍ ولا صوتٍ كما تقدم في شرح البيت «الخامس».

وفي سبب وجود هذه الكلمات المتشابهات في الكتاب والسنة الشريفين، قال أهل العلم: لقد ضاقت حوصلَةُ اللُّغَةِ العربية، عن كلمات لا تُطْلَقُ إِلَّا على الله تعالى، لأنَّ مفرداتِ كُلِّ لغةٍ تليقُ بأهلها، والله سبحانه أنزل وَحْيَهُ على رُسُلِهِ بالسِّنةِ أُمَمِهِم، ليعقلوه ويفقهوه، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، فوصف سبحانه ذاته في كُتُبِهِ بِاللُّغَةِ، وَضَعَتْ في معناها الحقيقي لبيان ما يَخُصُّ البَشَرَ، كاليد والعين والوجه ونحوها، وأَعْلَمَهُمْ تعالى بصريح النَّصِّ: أَنَّهُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، أي: لا تَفْهَمُوا من هذه الكلمات في حقِّ رَبِّكُمْ جَلَّ جلالُهُ، ما تفهمونه منها في حَقِّكُمْ، ولكن احمِلُوا المعنى على ما يليق بخالقكم تبارك وتعالى، مع نفي التشبيه والتمثيل، فَسَلِّكَ فريقٌ من أهل العلم من السَّلَفِ والخَلَفِ، مَسَلَّكَ التفويض مع التنزيه المطلق، وسَلِّكَ آخرون أيضاً مَسَلَّكَ تفسير النصوص وتأويلها بما يليق بالخالق جَلَّ وعَزَّ، على نحو ما سَنَبِّينُ، وللغزالي في كتابه: «الاقتصاد في الاعتقاد»، كلامٌ حَسَنٌ في هذا المقام ملخصه: أَنَّ الناسَ في الظواهر المذكورة في بعض النصوص فريقان:



عَوَامٌّ وعلماء، والذي نراه اللائق بعوامِّ الخَلْقِ: أَنْ لَا يُخَاضَ بِهِمْ فِي هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ، بَلْ نَنْزِعُ عَنْ عَقَائِدِهِمْ: مَا يُوْجِبُ التَّشْبِيهَ وَيَدُلُّ عَلَى الْحَدُوثِ، وَنُحَقِّقُ عِنْدَهُمْ: أَنَّهُ تَعَالَى مَوْجُودٌ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وَإِذَا سَأَلُوا عَنْ مَعَانِي هَذِهِ الْآيَاتِ قِيلَ لَهُمْ: لِكُلِّ عِلْمٍ رِجَالٌ، وَيَجَابُونَ بِمَا أَجَابَ بِهِ مَالِكٌ حَيْثُ سُئِلَ عَنْ «الاستواء» فَقَالَ: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، وَلَا يَقَالُ: كَيْفَ، وَكَيْفَ عَنْهُ مَرْفُوعٌ»، وَهَذَا لِأَنَّ عُقُولَ الْعَوَامِّ لَا تَتَّسِعُ لِقَبُولِ الْمَعْقُولَاتِ، وَلَا إِحَاطَتُهُمْ بِاللُّغَاتِ تَتَّسِعُ لِفَهْمِ تَوْسِيعَاتِ الْعَرَبِ فِي الْإِسْتِعَارَاتِ.

وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ: فَالْلاَّئِقُ بِهِمْ تَعْرِيفُ ذَلِكَ وَتَفْهَمُهُ، وَلَسْتُ أَقُولُ: إِنَّ ذَلِكَ فَرَضٌ عَيْنٍ، إِذْ لَمْ يَرِدْ بِهِ تَكْلِيفٌ، بَلِ التَّكْلِيفُ بِالتَّنْزِيهِ عَنْ كُلِّ مَا يُشَبِّهُهُ بغيره تَعَالَى، فَأَمَّا مَعَانِي الْقُرْآنِ، فَلَمْ يُكَلَّفِ الْأَعْيَانُ فَهْمَ جَمِيعِهَا أَضْلاً أَه.

#### المسألة الثانية: «معنى السَّلَفِ والخَلْفِ».

«السَّلَفُ» فِي اللُّغَةِ: كُلُّ مَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ آبَائِكَ وَقَرَابَتِكَ، جَمْعُهُ: «سُلَافٌ» بضم أوله، و«أَسْلَافٌ»، فَهُوَ مُفْرَدٌ، وَ«أَلٌ» فِيهِ لِلْجِنْسِ، مِثْلُ: «إِنْسَانٌ» وَ«الْإِنْسَانُ».

و«الخَلْفُ»: الْقَرْنُ بَعْدَ الْقَرْنِ، وَهُوَ بَفَتْحِ اللَّامِ: إِذَا كَانَ «الخَلْفُ» خَلْفَ خَيْرٍ، فَإِنْ كَانَ خَلْفَ سَوْءٍ فَهُوَ بِسُكُونِ اللَّامِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: «خَلْفٌ» فِي الدِّمِّ بِالْإِسْكَانِ، وَ«خَلْفٌ» بِالْفَتْحِ فِي الْمَدْحِ، هَذَا هُوَ الْمُسْتَعْمَلُ الْمَشْهُورُ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مَوْضِعَ الْآخَرِ أَه، وَ«الْخَالِفَةُ»: الْأُمَّةُ الْبَاقِيَةُ بَعْدَ الْأُمَّةِ السَّالِفَةِ.

وَفِي الْإِسْطِلَاحِ: «السَّلَفُ» هُمْ: أَجْيَالُ الْأُمَّةِ فِي الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ



الأولى، لما رواه الشَّيْخَانُ وأحمد وغيرهم، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قُرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، ولهذا الحديث روايات أخرى عن عدد من الصَّحابة، ومعنى: الخيرية في هذا الحديث الشريف: أَنَّ الخَيْرَ في تلك القرون أَكْثَرُ، وَأَهْلُهَا أَفْضَلُ، لكونِ القرنِ الأوَّلِ وهم: الصَّحابة رضوان الله عليهم، قد اقتبسوا العلم من أنوارِ مِشْكَاةِ النُّبُوَّةِ، وهي فضيلةٌ لن ينالها غَيْرُهُمْ من بعدهم، ولأنَّ التابعين قد تَلَقَّوا العلمَ عن أصحابِ رسول الله ﷺ، وهكذا جيلاً عن جيل.

قال إبراهيم اللَّقَانِيُّ في شرح «جوهريته»: و«السَّلفُ الصَّالح» متى أُطلق انصرفَ إلى الصحابة ا هـ، وهذه لَفْتَةٌ عزيزةٌ منه، تُنبِّهُ إلى أَنَّ الصحابة رضي الله عنهم هم جميعُهُم عدولٌ وثقاتٌ، تُقبلُ روايةُ أيِّ واحدٍ منهم وإنَّ أخطأ، والمخطيءُ منهم أخطأً باجتهادٍ، لأنهم أعلمُ علماءِ الأُمَّةِ، بل هم أساتيدُ علمائها، أمَّا مَنْ يَلِيهِمْ فليسوا مثْلهم، إذ فيهم العلماءُ الثقاتُ، وفيهم أيضاً الوضَّاعون والمبتدعة، ويشمل اسمُ «السَّلفِ الصَّالح» أيضاً: الأئمةُ في الفقه والحديث والتفسير وسائر العلوم، كالأئمة الأربعة، والأوزاعي، ومجاهد، والسُّفْيَانَيْنِ: الثَّورِيِّ وابن عُيَيْنَةَ، وغيرهم.

أمَّا «الخَلَفُ» فهم: أجيالُ الأُمَّةِ الإسلامية التي تَلَتْ تلك القرون الثلاثةَ إلى يومِ القيامة، وفي «الخَلَف» - كما في الأسلاف -: الصالحون من الأئمة الثقات، وفيهم أيضاً أهلُ بدْعةٍ وضلالةٍ، ولكنَّ الله سبحانه وتعالى، قد هيأَ لهذا الدِّينِ، ويَهَيِّئُ له في كلِّ عَصْرِ مِنْ أَهْلِ العلمِ، مَنْ لا يخاف فيه تعالى لَوْمَةَ لائِمٍ.

قال ابن حجر في «الزواجر»: قال الذَّهَبِيُّ: الحَدُّ الفاصلُ بين العلماء المتقدمين والمتأخرين: رأسُ القرنِ الثالث وهو: الثلاثمائة هـ.



المسألة الثالثة: «بيان معنى التفويض والتأويل».

«التفويض» لغة: قال في «مختار الصحاح»: فَوَضَّ إِلَيْهِ الْأَمْرَ تَفْوِيضًا: رَدَّهُ إِلَيْهِ، ومعناه اصطلاحاً: الإيمان بالنصوص التي فيها ما يُوهَمُ التشبيه كالاتواء واليد والعين كما جاءث، بلا كَيْفٍ، ولا تَوْهَمٍ، ولا تشبيه، ولا تمثيل.

و«التأويل» لغة: تفسير ما يُؤوَلُ إليه الشَّيْءُ، واصطلاحاً: حَمْلُ اللَّفْظِ عَلَى خِلَافِ ظَاهِرِهِ الْمُوْهَمِ تَشْبِيهًا، مع بيان المعنى المراد، كتأويل «الاتواء» بالاستيلاء، لثبوت إطلاقه عليه وإرادته لغةً، ومنه قوله:

فَلَمَّا عَلَوْنَا وَاسْتَوَيْنَا عَلَيْهِمْ جَعَلْنَاهُمْ صَرَغِي لِنَسْرِ وَطَائِرٍ  
وقد عُرفَ كُلُّ مَنْ «التفويض» و«التأويل»، في أَهْلِ «السَّلَفِ»  
و«الخَلَفِ»، فكان من «السَّلَفِ» الصالح مُفَوِّضُونَ وَمُؤَوَّلُونَ، وكان من  
«الخَلَفِ» الصالح كذلك، كما سنبين في المسألة التالية، وليس صحيحاً  
حَضَرَ التفويض في السَّلَفِ، وَحَضَرَ التأويل في الخَلَفِ، وقد أشار إلى هذا  
ابن كثير وهو من الخَلَفِ، مُقَدِّمًا وسالكَاً مَذْهَبَ السَّلَفِ، فقال في تفسير  
قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]: فللناس من أَهْلِ الْعِلْمِ في  
هذا المقام مقالات كثيرة جداً، ليس هذا موضع بَسْطِهَا، وَإِنَّمَا نَسْلُكُ في هذا  
المقام مَذْهَبَ السَّلَفِ الصالح: مالِكٍ، والأَوْزَاعِيّ، والثوريّ، واللَّيْثِ بن  
سَعْدٍ، والشافعي، وأحمد، وإسحاق بن راهَوَيْه، وغيرهم من أئمة المسلمين  
قديماً وحديثاً، وهو: إِمْرَارُهَا كما جاءث، من غير تَكْيِيفٍ ولا تَشْبِيهِ  
ولا تعطيلٍ اهـ.

وقال البَغَوِيُّ في «شرح السنّة»: والإصْبَغُ المذكورة في الحديث: صفة  
من صفات الله عَزَّ وَجَلَّ، وكذلك كُلُّ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ أَوْ السُّنَّةُ مِنْ هَذَا  
الْقَبِيلِ، في صفات الله تعالى، كالنَّفْسِ، والوجه، والعين، واليد، والرَّجْلِ،



وَالْإِتْيَانِ، وَالْمَجِيءِ، وَالنُّزُولِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَاسْتَوَاءٍ عَلَى الْعَرْشِ، وَالضَّحِكِ وَالْفَرَحِ، فَهَذِهِ وَنظَائِرُهَا صِفَاتُ اللَّهِ تَعَالَى، وَرَدَ بِهَا السَّمْعُ، يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهَا، وَإِمْرَارُهَا عَلَى ظَاهِرِهَا مُعْرِضاً فِيهَا عَنِ التَّأْوِيلِ، مُجْتَنِباً عَنِ التَّشْبِيهِ، مُعْتَقِداً: أَنَّ الْبَارِيَّ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَا يُشَبَّهُ شَيْءٌ مِنْ صِفَاتِهِ صِفَاتِ الْخَلْقِ، كَمَا لَا تُشَبَّهُ ذَاتُهُ ذَوَاتِ الْخَلْقِ، قَالَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وَعَلَى هَذَا مَضَى سَلَفُ الْأُمَّةِ، وَعِلْمَاءُ السُّنَّةِ، تَلَقَّوْهَا جَمِيعاً بِالْإِيمَانِ وَالْقَبُولِ، وَتَجَنَّبُوا فِيهَا عَنِ التَّمْثِيلِ وَالتَّأْوِيلِ، وَوَكَّلُوا الْعِلْمَ فِيهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

قال سفيان بن عُيينة: كلُّ ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه، فتفسيره قراءته، والسكوت عليه، ليس لأحد أن يفسره إلا الله عزَّ وجلَّ ورسله.

وسأل رجلُ مالك بن أنسٍ عن قوله سبحانه وتعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالاً، وأمر به أن يُخرج من المجلس، وقال الوليد بن مُسلم: سألتُ الأوزاعيَّ، وسفيان ابن عُيينة، ومالك بن أنسٍ، عن هذه الأحاديث في الصِّفَاتِ والرُّؤْيَا، فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف، وقال الزُّهريُّ: على الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم، وقال بعض السلف: قَدُمَ الْإِسْلَامُ لَا تَثْبُتُ إِلَّا عَلَى قَنْطَرَةِ التَّسْلِيمِ اهـ.

وزعم بعضهم: أَنَّ الصَّوَابَ هُوَ فِي مَذْهَبِ «التَّفْوِيزِ»، وَأَنَّ مَذْهَبَ «التَّأْوِيلِ» تَعْطِيلٌ وَجَهْمِيَّةٌ، وَإِلْحَادٌ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَهَذَا قَوْلُ الَّذِينَ



لا فِقَّةَ عندهم في المذهبين، لأنَّ الغايَةَ من التفويض والتأويل هو: تنزيه الله تبارك وتعالى عمَّا لا يليق بذاته المقدَّس، فالمذهبان صحيحان، ولكنَّ مذهب التفويض لمن يَفْهَمُهُ على وجهه الصَّحيح أَحْسَنُ وَأَسْلَمُ، أمَّا الذين لم ينالوا قِسْطاً كافياً من العلم، أو: لم يَهَبْهُمُ الله تعالى الفِطْنَةَ لِفَهْمِ المشكلات، فإنَّ الإصرارَ عليهم، وإرهاقَ أذهانهم، بما يَضَعُبُ عليهم فَهْمُهُ من صافي مذهب التفويض، قد يُوَدِّي بهم إلى التجسيم والتشبيه، أو: إنكار النُّصوص، فهؤلاء يجب صرفُهم عن ذلك، وتيسيرُ فهم النُّصص عليهم على مذهب التأويل، ولهذا قيل في مذهب التفويض: إِنَّهُ الْأَسْلَمُ، لأنَّ فيه السَّلامة من تعيين معنَى قد لا يكون مُراداً لله تبارك وتعالى، وقيل في مذهب التأويل: إِنَّهُ أَحْكَمُ، لأنَّه يُحْكِمُ غَلَقَ بابِ التَّوَهُّمِ والتردُّد، مع اتفاق جميع علماء الخَلَفِ، على أَنَّ طَرِيقَةَ التفويض هي المَقْدَمَةُ على وَجْهِ العموم، قال مِيمُونُ النَّسْفِيِّ في كتابه «بَحْرُ الْكَلَامِ»، عن محمد بن الحسن أنه كان يقول: نُؤْمِنُ بما جاء من عند الله تعالى، ولا نشتغل بكَيْفِيَّةِ مُرادِ الله تعالى، وبما جاء من عند رسول الله ﷺ، على ما أَرَادَهُ رسول الله ﷺ، وهو اختيار كثير من كبار الأئمة وعلماء أهل المِلَّة، ا هـ.

### «مناهج أهل العلم في: التفويض والتأويل»:

وأهل العلم منذ عصر الصَّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، هم في التأويل والتفويض على ثلاثة مناهج:

**الْمَنْهَجُ الْأَوَّلُ:** اعتمادُ القولِ بالتفويض في جميع النُّصوص المُوَهِّمَةِ تشبيهاً، وعلى هذا كان كثير من السَّلَفِ، كمالك والأوزاعي والثوري وغيرهم.

**وَالْمَنْهَجُ الثَّانِي:** اعتمادُ القولِ بالتأويل مطلقاً، وَعَلَبَ هذا المنهج بسببِ ظهورِ الفِرَقِ المبتدعة، كالجهمية، والخوارج، والرَّافضة، والمعتزلة.



وقد ذكر الترمذي في «جامعه»، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، أقوال أصحاب هذين المنهجين، كما سيأتي في المسألة التالية.

**المنهج الثالث:** اعتماد القول بالتفويض في بعض النصوص، وبالتأويل في البعض الآخر، وممن سلك هذا المنهج: أبو سليمان الخطابي المتوفى عام ٣٨٨هـ، ونقله عنه البيهقي في «الأسماء والصفات»، وسنذكر قوله في «المثال السادس» من «المسألة التالية» وهي:

**المسألة الرابعة:** «نكر أمثلة للتفويض والتأويل عن السلف والخلف».

ذكرنا في المسألة السابقة: أن «التفويض»، ليس محصوراً في السلف، وليس «التأويل» مذهب الخلف وحدهم، ولكن المذهبين كانا في الأمة سلفاً وخلفاً، وما زالوا، وسيظلون حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ويقضي بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون، ويتأيد ذلك بالأمثلة التالية:

**المثال الأول:** تأويل الضمير: «هو» في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

روى البيهقي في «الأسماء والصفات»: أن سفيان الثوري وهو من أئمة السلف، سئل عن هذه الآية فقال: «علمه»، أي: «وعلمه معكم»، وبه قال المفسرون ومنهم: شيخهم أبو جعفر الطبري قال: هو شاهد لكم أيها الناس، أينما كنتم يعلمكم.

**المثال الثاني:** تأويل: «النسيان» بالتترك في قوله سبحانه: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ [الأعراف: ٥١]، قال الترمذي في «جامعه» في تفسير هذه الآية: «وقد فسر بعض أهل العلم هذه الآية: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَهُمْ﴾ قالوا: إنما معناه: نتركهم في العذاب» اهـ.

فقوله: «وقد فسر بعض أهل...» يعني: أن آخرين من أهل العلم لم



يُفَسِّرُهَا، وَلَكِنَّهُ قَوَّضَ مَعْنَاهَا، وَنَقَلَ التِّرْمِذِيُّ قَوْلَ التَّأْوِيلِ وَحْدَهُ، دَلِيلٌ عَلَى إِقْرَارِهِ وَالْقَبُولِ بِهِ، وَمَعْلُومٌ: أَنَّ التِّرْمِذِيَّ فِي كُلِّ مَا نَسَبَهُ إِلَى أَهْلِ الْعِلْمِ فِي «جَامِعِهِ»، فَإِنَّمَا يَعْنِي بِهِمْ: أئِمَّةَ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَسَانِيدِهِ إِلَيْهِمْ، وَقَدْ جَمَعْنَا ذَلِكَ فِي كِتَابِنَا: «فِقْهُ الْحَدِيثِ عِنْدَ أئِمَّةِ السَّلَفِ»، بِرَوَايَةِ الْإِمَامِ التِّرْمِذِيِّ.

وَالْمَثَالُ الثَّلَاثُ: تَأْوِيلُ «الِاقْتِرَابِ وَالْهَرَوَلَةِ» فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ، وَفِيهِ يَقُولُ تَعَالَى: «وَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شَبْرًا، اقْتَرَبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا اقْتَرَبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً»، رَوَاهُ الشَّيْخَانُ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ، وَغَيْرُهُمْ.

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «وَيُرَوَّى عَنِ الْأَعْمَشِ فِي تَفْسِيرِ هَذَا الْحَدِيثِ: «تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا» يَعْنِي: بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَهَكَذَا فَسَّرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ هَذَا الْحَدِيثَ قَالُوا: إِنَّمَا مَعْنَاهُ: يَقُولُ: إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ الْعَبْدُ بِطَاعَتِي وَبِمَا أَمَرْتُ، أُسْرِعُ إِلَيْهِ بِمَغْفِرَتِي وَرَحْمَتِي» اهـ.

وَالْمَثَالُ الرَّابِعُ: تَأْوِيلُ حَدِيثِ: «لَهَبَطَ عَلَى اللَّهِ»، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي تَفْسِيرِ «سُورَةِ الْحَدِيدِ»، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْعَرْشِ، وَفِيهِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَوْلُهُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّكُمْ دَلَيْتُمْ رَجُلًا بِحَبْلِ إِلَى الْأَرْضِ السُّفْلَى لَهَبَطَ عَلَى اللَّهِ»، ثُمَّ قَرَأَ: «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ» [الْحَدِيدُ: ٣].

ثُمَّ قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «وَقَدْ فَسَّرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالُوا: إِنَّمَا هَبَطَ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدَرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَعِلْمُهُ وَقَدَرَتُهُ وَسُلْطَانُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَهُوَ عَلَى الْعَرْشِ كَمَا وَصَفَ فِي كِتَابِهِ» اهـ.

وَنَقُولُ: هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ أَحْمَدُ أَيْضًا وَلَيْسَ فِيهِ: «عَلَى اللَّهِ»، وَلَكِنْ: «لَهَبَطَ» فَقَطْ، وَإِنَّمَا ذَكَرْنَاهُ هُنَا لِفَائِدَةِ تَأْوِيلِهِ.



والمثال الخامس: «العين» و«الأعين»، فقد أولها بعض أهل العلم، وفوّض المراد بها آخرون:

قال البيهقي في «الأسماء والصفات»: «العين»: صفة لا من حيث الحدقة، قال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]، وجمّعها في قوله تعالى: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧]، وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال في تفسير الآية الثانية: «بعين الله تبارك وتعالى»، أي: فهي بمعنى المفرد، أي: الجمع صفة واحدة، قال البيهقي: قلت: ومن أصحابنا - يعني: أهل الحديث - من حمل «العين» المذكورة في الكتاب على «الرؤية» فقال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]، معناه: بمرأى مني، وقوله: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، أي: بمرأى منا.

وقد يكون ذلك من «صفات الذات»، وتكون - العين - صفة واحدة، والجمع فيها على معنى التعظيم.

ومنهم من حملها على الحفظ والكلاءة، وزعم أنها من صفات الفعل، والجمع فيها شائع، والذي يدل عليه ظاهر الكتاب والسنة: أن إثبات «العين» صفة له تعالى لا من حيث الحدقة أولى، اهـ.

والمثال السادس: تأويل: «كشف الساق» والتفويض فيه.

روى البخاري واللفظ له، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسُمعةً، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقاً واحداً»، ورواه مسلم وأحمد.

ثم قال البيهقي: قال أبو سليمان الخطابي - المتوفى عام ٣٨٨هـ -: هذا الحديث مما تهيب القول فيه شيوخنا، فأجروه على ظاهر لفظه، ولم



يكشفوا عن باطن معناه، على نحو مذهبهم في التوقف عن تفسير كل ما لا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب، وقد تأوله بعضهم على معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢]، فروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «عن شدّة وكرب»، فيحتمل أن يكون معنى قوله: «يَوْمَ يَكْشَفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ» أي: عن قدرته التي تنكشف عن الشدّة والكرب اهـ.

وقد أجاب الخطابي فيما نقل عنه البيهقي، عمّا اعترض عليه في تأويل بعض النصوص، والتفويض في نصوص أخرى فقال: فإن قيل: فهلاً تأولت اليد والوجه على هذا النوع من التأويل، وجعلت الأسماء فيها أمثالا كذلك؟ قيل: إن هذه الصفات وهي: اليد والوجه والعين، مذكورة في كتاب الله عز وجل بأسمائها، وهي صفات مدح، والأصل: أن كل صفة جاء بها الكتاب، أو: صححت بأخبار التواتر، أو: رويت من طريق الأحاد، وكان لها أصل في الكتاب، أو: خرّجت على بعض معانيه، فإننا نقول بها ونجربها على ظاهرها من غير تكييف، وما لم يكن له في الكتاب ذكر، ولا في التواتر أصل، ولا له في معاني الكتاب تعلق، وكان مجيئه عن طريق الأحاد، وأفضى بنا القول - إذا أجريناه على ظاهره - إلى التشبيه، كالقدم والرجل والساق، فإننا نتأوله على معنى يحتمله الكلام، ويزول معه معنى التشبيه اهـ.

والمثال السابع: «قول أهل العلم في: الاستواء والوجه واليد».

قال «الإيجي» في «المواقف» وشارحه «السيد الجرجاني»:

الصفة الثالثة: «الاستواء»: اختلف الأصحاب فيه، فقال الأكثرون: هو: الاستيلاء، وذهب الشيخ أبو الحسن الأشعري في أحد قوليّه إلى أنه: صفة زائدة ليست عائدة إلى الصفات السابقة، ولم يقم دليل عليه، فالحق التوقف مع القطع بأنه ليس كاستواء الأجسام.

الصفة الرابعة: «الوجه»: أثبتّه الأشعري في أحد قوليّه، وأبو إسحق



الإسفرائيلي والسلف: صفة ثبوتية زائدة على ما مر من الصفات، وقال الأشعري في قول آخر: «الوجه»: الوجود، ووافقه القاضي الباقلاني، وهو كالاتواء في عدم القطع، وعدم جواز التعويل على الظواهر مع قيام الاحتمال.

ثم مال الإيجي والجرجاني إلى تعيين المجاز في «الوجه» وهو: أن يُتَجَوَّزَ به عن «الذات وجميع الصفات»، فإن الباقي المقصود بقوله تعالى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٦]، هو: ذاته تعالى ومجموع صفاته، وما سواه هالك غير باقي.

الصفة الخامسة: «اليد»: فأثبت الشيخ الأشعري في قوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] صفتين ثبوتيتين زائدتين على الذات وسائر الصفات، ولكن: لا بمعنى الجارحتين، وعليه السلف، وإليه مال القاضي الباقلاني في بعض كتبه، وقال الأكثر: إنهما مجاز عن القدرة، فإنه شائع فقوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، أي: بقدرة كاملة، ولم يُرد: بقدرتين، وتخصيص خلق آدم بذلك، مع أن الكل مخلوق بقدرته تعالى، تشریف لآدم وتكريم اهـ.

وقد اقتصر القاضي البيضاوي في كتابه: «طوالع الأنوار»، على ذكر قول واحد للأشعري في: «الاستواء»، و«الوجه»، و«اليد»، وهو: أنها صفات، وقال البيضاوي: أثبتها الشيخ لورود النصوص بها، وكونها غير مُرادَ لسائر الصفات، وأولها الباقون وقالوا: لا صفة وراء السبعة - وهي: «صفات المعاني» -، وإن المراد بالاستواء: الاستعلاء، وباليد: القدرة، وبالوجه: الوجود، ثم قال البيضاوي: والأولى اتباع السلف، والرد إلى الله تعالى، بعد نفي ما يقتضي التشبيه والتجسيم اهـ.

فهؤلاء العلماء الثلاثة: الإيجي والجرجاني والبيضاوي، وهم من الخلف ومن أئمة علماء الكلام، أقوالهم واضحة في التفويض والتأويل.



المسألة الخامسة: «بيان وجه الاختلاف بين الجَهْمِيَّة ومنهج أهل التأويل».

دَرَج جماعة في عصرنا تزعمُ انتسابها إلى «السَّلف» الصالح، على اعتبار كلٍّ من يقول بتأويل نصٍّ، جهميًّا ومُعْطَلًا، وقد حَمَلَهُم على ذلك، جَهْلُهُم بحقيقة مذهب «الجَهْمِيَّة»، وبوجه الاختلاف بينه وبين منهج أهل التأويل سلفاً وخلفاً، فصار «التجهيم» ينطلق من ألسنتهم انطلاق السهم من الرميَّة، فأصابوا به السَّواد الأعظم من علماء الأُمَّة الذين أوَّلوا النصوص، وصرفوها عن ظواهرها التي لا تليق بالخالق جَلَّ وعَزَّ، على نحو ما بيَّناه في المسألة السابقة.

فمن هم: «الجَهْمِيَّة»؟ وهل منهج التأويل الذي قال به العلماء من السَّلف والخلف هو مذهب «جَهْم بن صَفْوان»؟ إذن: لكان هذا المذهب أكثر مذهب عدداً في الأُمَّة، وهذا لا يقول به إلا الجاهلون.

قال «الشُّهرستاني» في «المِلَل والنُّحل»: «الجَهْمِيَّة» هم: أصحاب «جَهْم بن صَفْوان»، وهو من الجَبَرِيَّة الخالصة، ظهرت بدعته بـ «تَرْمِذ»، وقُتِلَ بـ «مَرْو» في آخر ملك بني أمية اهـ. وقال ابن حجر في «الفتح»: وأَسَدُ أَبُو القاسم اللالكائي في كتاب «السُّنَّة» له: أَنَّ قَتْلَ «جَهْم» كان في سنة اثنتين وثلاثين ومائة اهـ، وفي هذه السنة قُتِلَ آخر خُلَفَاءِ بني أُمِيَّة: «مروان بن محمد»، وانتهى عَهْدُ «الدَّولة الأمويَّة»، وبويع: «أبو العباس السَّفَّاح» أوَّلُ الخلفاء العباسيين.

والجَهْمِيَّة يقولون: بنفي الصِّفَات الإلهية الأَزَلِيَّة، وبأنَّه لا يجوز أن يوصَفَ الله تعالى: بصفة يوصَفُ بها خَلْقُهُ، لأن ذلك يقتضي تشبيهاً، فينفون كونه تعالى: حيًّا وعالمًا، لأنَّ الخَلْقَ يوصفون بهما، وأثبتوا كونه تعالى قادراً وخالقاً، لأنَّه لا يوصَفُ شيءٌ مِنْ خلقه بذلك، ويعتقدون: أنَّ الإنسانَ مجبورٌ في أفعاله، لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار، وإنما يخلُقُ الله تعالى



الأفعال فيه على حَسَب ما يخلق في سائر الجمادات، وتُنَسَّبُ إليه الأفعال مجازاً، كما يُنَسَّبُ إلى الجمادات فيقال: أَثْمَرَتِ الشَّجَرَةُ، وَجَرَى الْمَاءُ، ويقولون بفناء الجنة والنار في المآل (انتهى ملخصاً).

وقال الترمذي في «جامعه» في سياق ذكر أقوال أهل العلم في نحو: اليد والوجه: وأمّا «الجهمية»، فأُنكرت هذه الروايات، وقالوا: «هذا التشبيه»، وقد ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في غير موضع من كتابه: اليد، والسمع، والبصر، فتَأَوَّلَتِ الجهمية هذه الآيات، ففسروها على غير ما فسر أهل العلم، اهـ.

فَجَمَعَ الترمذي في قوله هذا بين: «اليد والسمع والبصر»، لأنَّ الجهميَّة يَنفُونَهَا، وَيُؤَوِّلُونَ النُّصُوصَ الْوَارِدَةَ فِيهَا، وَهُوَ يُنْكِرُ عَلَيْهِمْ نَفْيُهُمُ الصِّفَاتِ الْأَزَلِيَّةَ، الْمَجْمَعِ عَلَى اتِّصَافِ الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهَا، وَمِنْهَا: السَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْحَيَاةُ وَالْعِلْمُ، وَيُنْكِرُ عَلَيْهِمْ تَأْوِيلَهُمْ تِلْكَ النُّصُوصَ وَفَقاً لِمَذْهَبِهِمُ الْفَاسِدِ، وَأَهْلُ التَّأْوِيلِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ يَنْكُرُونَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ الَّذِينَ أَقْتَمُوا بِقَتْلِ «جَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ»، وَلَوْ كَانَ التَّرمِذِيُّ - وَهُوَ إِمَامٌ فِي الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ - يَرَى تَأْوِيلَ أَيِّ نَصٍّ جَهْمِيَّةً، لَأَنْكَرَهُ كُلَّمَا أَتَى عَلَى ذِكْرِهِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي الْمَسْأَلَةِ سَابِقَةٍ هَذِهِ، وَصَفَهُ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ مِنْ أَهْلِ التَّفْوِيضِ وَالتَّأْوِيلِ بِقَوْلِهِ: «قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ»، وَهَذَا وَصَفٌ تَكْرِيمٌ يَخَالِفُ مَا وَصَفَ بِهِ الْجَهْمِيَّةَ.

### الْمَبْحَثُ الثَّانِي: «الْمَنْفِيَّاتُ عَنْهُ تَعَالَى»

وفيه: خمس مسائل:

المسألة الأولى: «نَفْيُ الْجِسْمِيَّةِ وَالْجَزْئِيَّةِ وَنَحْوَهُمَا عَنْهُ تَعَالَى».

وفيهما يقول الناظم:

١٢ - وَمَا إِنَّ جَوْهَرَ رَبِّي وَجْهَهُمْ وَلَا كُلٌّ وَبَعْضٌ ذُو اشْتِمَالٍ



«ما» نافية غيرُ عاملةٍ عَمَلَ «ليس»، و«إن» بسكون النون، زائدةٌ لتأكيد النَّفي، ولم تعمل «ما» هنا: لاقترانها بـ «إن» الزائدة، ولانعدام شرطٍ آخرٍ لعملها وهو: أَنْ يَتَقَدَّمَ اسمُها على خبرها، وهنا تَقَدَّمَ الخبرُ وهو: «جَوْهر»، الذي هو خبر المبتدأ: «رَبِّي»، الذي هو اسمها فيما لو عَمِلَتْ، ولم يوجد من شروط عملها عَمَلَ «ليس»، سوى شرطٍ واحدٍ هو: أَنَّ النَّفيَ لم يُنْتَفَضْ بِ«إِلَّا»، كالذي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٣]، ومثال «ما» العاملة: قوله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١]، والشَّطْرُ الأوَّلُ من البيت السابق وهو قوله: «وما التشبيه للرحمن وجهًا»، وقد تضاربت عبارة «الرَّيْحَاويِّ» في هذا البيت، والصواب، ما ذكرناه.

و«الجَوْهر»: يُطْلَقُ عند الفلاسفة - ويقال لهم: «الحُكماء» - على كل مُتَحَيِّزٍ، و«الْمُتَحَيِّزُ» هو: «ما أخذت ذاته قَدْرَها من الفراغ»، و«الْحَيِّزُ» هو: «الفراغُ المَوْهُومُ».

و«الجَوْهر» عند المتكلمين: «الموجودُ الْمُتَحَيِّزُ بالذات»، أي: ما يَتَحَيِّزُ غَيْرَ تابعٍ في تَحْيِيزِهِ لغيره، فخرج «الواجب» وهو: مولانا تبارك وتعالى، لانتفاء التَحْيِيزِ عنه لوجوبِ وجوده، وخرج «العَرَضُ»، لتَبَعِيَّتِهِ في التَحْيِيزِ لمحلِّه كالحركة والسكون، والهيئة والزَّمانَ وغيرها، ويقابل الجَوْهرُ: «العَرَضُ»، وقد عَرَّفَهُ «الإيجيُّ» في «المواقف» بأنه: «موجودٌ قائمٌ بمتحيزٍ»، واختاره الجُرْجَانِيُّ.

وأنواعُ «العَرَضِ» تسعةٌ، يضاف إليها «الجَوْهرُ» فهي: عَشْرَةٌ، وضعها الفيلسوفُ «أرسطو»، وعُرِفَتْ بـ «الْمَقُولَاتِ العَشْرَ»، وهي: «الجَوْهرُ، والكمُّ، والكَيفُ، والإضافة، والأَيْنُ، والْمَتَى، والوَضْعُ، والمِلْكُ، والفِعْلُ، والانْفِعَالُ»، وقد مَثَّلَ لها أَحَدُهُم بقوله:

زَيْدُ الطَّوِيلُ الْأَزْرَقُ ابْنُ مَالِكٍ      فِي بَيْتِهِ بِالْأُمْسِ كَانَ مُتَّكِيًا



بِيَدِهِ غُضُنٌ، لَوَاهُ فَالْتَوَى      فهذه عَشْرُ مَقُولَاتٍ سَوَا

ويدخل تحت هذا التعريف للجوهر: «الجوهرُ الفردُ» وهو: الجزء  
الَّذِي لَا يَتَجَزَّأُ عَقْلًا، وسيأتي بيانه في شرح البيت «التاسع عشر» وهو قول  
الناظم:

وفي الأذهانِ حَقٌّ كَوْنُ جُزْءٍ      بلا وَصْفِ التَّجْزِي يا ابنَ خالي

وهو المراد بقول الناظم هنا: «وما إن جوهرٌ ربي وجسمٌ»، لأنه جاء  
في مقابلة: «الجسم»، و«الجسم»: ما له أبعادٌ ثلاثة: الطُّولُ والعَرْضُ  
والعُمُقُ، ويتألف من جوهرين فَرْدَيْنِ فأكثر، ويُطْلَقُ على ما له رُوحٌ، وعلى  
ما لا رُوحَ له، ويُسمَّى كُلُّ مِّنَ: الجوهر الفرد والجسم: «جِزْمًا» بكسر  
الجيم.

وقال الغزالي في كتابه: «مِغْيَارُ الْعِلْمِ»: والمتكلمون يُخَصِّصُونَ اسْمَ:  
«الجوهر» بالجوهر الفرد المتخيز الذي لا ينقسم، ويُسمُّون المُنْقَسِمَ:  
«جِسْمًا» لا جوهرًا، وبحكم ذلك، يمتنعون عن إطلاق اسم «الجوهر» على  
الخالق جَلَّ وَعَزَّ، اهـ.

ولم تستعمل العرب «الجوهر» بهذا المعنى، لأنَّ هذه الاصطلاحات قد  
حدثت بعد نقل الفلسفة من اليونانية إلى اللغة العربية، في زمن الخليفة  
العباسي «المأمون»، في أوائل القرن الثالث الهجري.

ومعنى البيت: أَنَّ الله سبحانه وتعالى، يستحيلُ في حَقِّهِ أَنْ يَكُونَ  
جَوْهَرًا، أَوْ: جِسْمًا، ويستحيلُ أَنْ يَكُونَ كُلًّا مُشْتَمِلًا على أبعاضٍ وأجزاء،  
وَأَنْ يَكُونَ بَعْضًا مَشْمُولًا في كُلِّ، لأنَّ ذلك كُلُّهُ من صفات المخلوقين، فلو  
اتصف بشيءٍ منها، لكان حادثًا مثلها، وهو سبحانه وتعالى الخالق الذي  
ليس كمثله شيءٌ.



المسألة الثانية: «نَفِي جَرَيَانِ الزَّمَانِ وَالْأَحْوَالِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى». وإليها أشار النَّاظِمُ بقوله:

١٣ - وَلَا يَمْضِي عَلَى الدِّيَّانِ وَقْتُ وَأَحْوَالُ وَأَزْمَانُ بِحَالِ

«الدِّيَّانُ»: له في اللُّغَةِ عَدَدٌ مِنَ الْمَعَانِي كَمَا فِي «الْقَامُوسِ الْمَحِيطِ»، مِنْهَا: الْقَهَّارُ، وَالْحَاكِمُ، وَالْمُجَازِي، وَالْأَقْرَبُ مِنْهَا لِمَرَادِ النَّازِمِ هُوَ: الْمَعْنَى الْأَوَّلُ، لِأَنَّ الْبَيْتَ هُوَ: فِي تَنْزِيهِ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ عَنْ مِمَّاثِلَةِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهَذَا التَّنْزِيهِ يَنَاسِبُهُ مَعْنَى: «الْقَهَّارُ».

و«الدِّيَّانُ» مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى، وَلِهَذَا خَصَّهُ النَّازِمُ بِالذِّكْرِ، وَبِهِ قَالَ عَلِيُّ الْقَارِي فِي شَرْحِهِ، وَقَالَ مُسْتَدِلًّا: [كَمَا رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ فِي: (بَابُ: قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سَبَأ: ٢٣] اهـ، وَفِي قَوْلِهِ: «كَمَا رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ»، سَهْوٌ مَا كَانَ لَهُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، لِأَنَّهُ يُوْهَمُ: أَنَّ الْبَخَارِيَّ قَدْ رَوَى ذَلِكَ فِي الْمُسْنَدِ مِنْ صَحِيحِهِ، كَمَا يُفْهَمُ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ، وَالْوَاقِعُ: أَنَّ الْبَخَارِيَّ لَمْ يَرَوْهُ هَذَا الْحَدِيثَ الَّذِي فِيهِ ذِكْرُ «الدِّيَّانِ» مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى، فِي الْمُسْنَدِ مِنْ صَحِيحِهِ، وَلَكِنَّهُ رَوَاهُ مُعَلَّقًا وَبَصِيفَةً التَّمْرِيزِ وَالتَّضْعِيفِ، وَلَفْظُهُ فِي الْبَابِ الْمَشَارِإِلِيهِ: «وَيُذَكِّرُ عَنْ جَابِرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يَخْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ، فَيَنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قُرْبُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدِّيَّانُ»»، وَفَوَلَهُ ﷺ: «بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ» أَي: فَيَنَادِيهِمْ فَيَسْمَعُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ صَوْتًا.

فَكَانَ عَلَى الْمَلَأِ الْقَارِيَّ، أَنْ يُقَيِّدَ رَوَايَةَ الْبَخَارِيِّ هَذَا الْحَدِيثَ بِقَوْلِهِ: «كَمَا رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ مُعَلَّقًا وَبَصِيفَةً التَّمْرِيزِ»، فَإِنْ كَانَتْ الرِّوَايَةُ بِصِيفَةِ الْجَزْمِ كَقَوْلِ الْبَخَارِيِّ: قَالَ فُلَانٌ، فَيُقَالُ: «مُعَلَّقًا بِصِيفَةِ الْجَزْمِ»، أَمَّا الْإِطْلَاقُ فِي الْمَعْلَقَاتِ فَهُوَ غَيْرُ مَقْبُولٍ، لِأَنَّ رَوَايَةَ الْبَخَارِيِّ الْحَدِيثَ بِصِيفَةِ التَّمْرِيزِ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ، يَعْنِي: أَنَّهُ ضَعِيفٌ عِنْدَهُ، وَإِذَا رَوَاهُ مُعَلَّقًا بِصِيفَةِ



الْجَزْمُ، فَذَلِكَ يَعْنِي: أَنَّهُ صَحِيحٌ عِنْدَهُ، فَلْيُغْلَمْ، وَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مُوَصُولاً فِي: «الْأَدَبُ الْمَفْرَدُ»، وَفِي: «خُلُقُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ»، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ، وَطَبْرَانِي فِي «الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ».

وَقَوْلُهُ: «وَأَحْوَالٌ» هُوَ: جَمْعُ «حَالٍ» وَهِيَ: صِفَةُ غَيْرٍ رَاسِخَةٍ، تَمُرُّ وَتَنْقُضِي، وَتَتَبَدَّلُ وَتَتَغَيَّرُ، أَوْ: هُوَ أَمْرٌ غَيْرُ مَوْجُودٍ أَصَالَةً، بَلْ هُوَ مَوْجُودٌ بِالتَّبَعِ، مِثْلُ: الْقَائِمِيَّةِ وَالْقَاعِدِيَّةِ وَالْأَسْوَدِيَّةِ وَالْمُتَحَرِّكِيَّةِ، وَغَيْرِهَا مِمَّا يَتَبَدَّلُ مِنْ أَحْوَالِ الْمَخْلُوقَاتِ، فَهَذِهِ وَأَمْثَالُهَا أَحْوَالٌ مَعْلَلَةٌ بِأَضْلُهَا وَهُوَ: الْقِيَامُ وَالْقُعُودُ وَالسَّوَادُ وَالتَّحَرُّكُ.

وَفِي إِثْبَاتِ «الْأَحْوَالِ» خِلَافٌ، فَأَثْبَتَهَا لِلْحَوَادِثِ: الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَانِيُّ، وَإِمَامُ الْحَرَمَيْنِ الْجَوِينِيُّ ثُمَّ رَجَعَ عَنْهُ آخِرًا، وَأَثْبَتَ الْأَحْوَالَ قَدَمَاءُ الْمَعْتَزِلَةِ كَأَبِي عَلِيٍّ الْجَبَّائِيُّ، وَتَوَسَّعُوا فِي إِثْبَاتِهَا، فَشَمَلَتِ الْحَوَادِثُ وَالذَّاتُ الْإِلَهِيَّةُ، بِنَاءً عَلَى أَصْلِهِمْ فِي انْكَارِ الصِّفَاتِ وَاعْتِبَارِهَا أَحْوَالًا، وَاسْتَدَلُّوا عَلَى قَوْلِهِمْ هَذَا: بِأَنَّ الذَّوَاتِ كُلَّهَا مُتَسَاوِيَةٌ فِي أَنْفُسِهَا، وَإِنَّمَا تَتَمَازِي بِالْأَحْوَالِ الْقَائِمَةِ بِهَا، فَالْمُتَحَرِّكُ يَتَمَيَّزُ عَنِ السَّاكِنِ بِحَالٍ هِيَ: «الْمُتَحَرِّكِيَّةُ»، وَالْقَائِمُ يَتَمَيَّزُ عَنْ غَيْرِهِ بِحَالٍ هِيَ: «الْقَائِمِيَّةُ» وَهَكَذَا... هَذَا فِيمَا يَعُودُ لِلْحَوَادِثِ، أَمَّا إِثْبَاتُ «الْأَحْوَالِ» لِلذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ، فَقَالَ فِيهِ الْجَبَّائِيُّ: إِنَّ ذَاتَهُ تَعَالَى كَسَائِرِ الذَّوَاتِ فِي تَمَامِ الْحَقِيقَةِ، وَإِنَّمَا تَتَمَازَى عَنْهَا بِأَحْوَالٍ أَرْبَعَةٌ هِيَ: «الْوَاجِبِيَّةُ أَوْ: الْمَوْجُودِيَّةُ، وَالْحَيِّيَّةُ، وَالْعَالِمِيَّةُ، وَالْقَادِرِيَّةُ»، وَزَادَ ابْنُهُ: أَبُو هَاشِمٍ عَبْدَ السَّلَامِ حَالًا خَامِسَةً قَالَ: إِنَّهَا الْمَوْجِبَةُ لِهَذِهِ الْأَرْبَعَةِ وَيُسَمِّيَهَا بِالْأُلُوْهِيَّةِ.

أَمَّا نِفَاءُ «الْأَحْوَالِ» وَهُمْ: أَكْثَرُ الْمُتَكَلِّمِينَ، فَقَدْ اسْتَدَلُّوا عَلَى قَوْلِهِمْ هَذَا: بِأَنَّ ذَوَاتِ الْأَشْيَاءِ، مُتَخَالِفَةٌ فِي الْحَقَائِقِ لَا فِي الْأَحْوَالِ، وَرَدَّ السَّيِّدُ الْجُرْجَانِيُّ فِي شَرْحِ «الْمَوَاقِفِ» الْقَوْلَ بِإِثْبَاتِ «الْأَحْوَالِ»، بَعْدَ أَنْ شَرَحَ



القولين فقال: اعلم أنَّ المباحث المتعلقة بثبوت المعدوم والحال، هي أحكام فاسدة، مبنية على أصول باطلة، فلذلك أعرضنا عن الإطناب فيها، وتضييع الأوقات في توجيهاتها اهـ.

وسياتي الكلام في: «ثبوت المعدوم ونفيه» في شرح البيت «العشرين» وهو قول الناظم: «وما المعدوم مرئياً وشيئاً...».

وإنما ذكر الناظم «الأحوال»، مع وجود هذا الاختلاف في إثباتها ورجحان نفيها، للتأكيد على وجوب تنزيه المولى تبارك وتعالى، عن كل ما هو من صفات الحوادث، لأنَّ الأحوال باعتبارها متغيرة متبدلة، هي على القولين لا تليق بالخالق جلَّ وعزَّ، وهذا هو مراد الناظم رحمه الله تعالى.

أما المعتزلة: فالخلاف معهم يتجاوز «الأحوال» إلى الأضل وهو: «الصفات الإلهية»، التي ينكرون اتصافه تعالى بها، كما بينا في «الباب الأول»، وقولنا بنفي «الأحوال» في حقه تعالى، التي أثبتتها قدماء المعتزلة، لا يعني نفي أضل تلك الأحوال وهي أنه تعالى: «واجب الوجود، وحيُّ وعالم، وقادر، وأنه: الإله».

وقول الناظم: «وأزمان» جمع، مفردة: «زمن» و«زمان»، ويطلق على قليل الوقت وكثيره، و«الوقت»: «المقدار من الدهر»، ومراده بالأزمان: الدهور المتعاقبة من الزمان المطلق، لأنَّ «الدهر» هو: الزمان المطلق، و«الوقت»: أقسام الزمان، وهي: ما فصل منه: كالساعات والأيام والشهور والأعوام، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا آيَاتٍ فَحَوَّاءَ آيَةٍ الْيَلِّ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْجِسَابِ﴾ [الإسراء: ١٢]، وقال جلَّ وعزَّ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦]، وروى الشيخان وغيرهما من حديث نفي بن الحرث رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الزمان قد



استدارَ كهيته يومَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ: ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ.

أَمَّا تَحْدِيدُ «الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» بِأَرْبَعٍ وَعَشْرِينَ سَاعَةً، وَ«السَّاعَةِ» بِسِتِينَ دَقِيقَةً، فَهِيَ مِمَّا اصْطَلَحَ عَلَيْهِ النَّاسُ، وَمِنْ «الْوَقْتِ»: «الْمَوَاقِيتُ» الْمَحْدَدَةُ شَرْعًا لِلْعِبَادَاتِ، كَوَقْتُ الصَّلَاةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، وَالصَّوْمُ ﴿ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وَمِيقَاتِ الْحَجِّ الزَّمَانِي قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٠].

و«الزَّمانُ»: أَمْرٌ وَجُودِيٌّ مَخْلُوقٌ، خَلَقَهُ اللهُ تَعَالَى بِخَلْقِ الْكَوْنِ، فَكَانَ: الزَّمانُ وَالْمَكَانُ وَالْجِهَاتُ، وَقَبْلَ الْخَلْقِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَالزَّمانُ يُلَازِمُ الْحَوَادِثَ بِوُجُودِهِ مَعَهَا، بِاعْتِبَارِهِ عُمُرًا لَهَا، يَتَحَدَّدُ بِهِ بَدْءُ خَلْقِهَا وَنَهَايَةُ وُجُودِهَا، وَإِلَى هَذَا التَّلَازِمِ بَيْنَ: «الْكَوْنِ وَالزَّمانِ وَالْوَقْتِ»، يَشِيرُ الْحَدِيثُ الْمَتَقَدِّمُ ذِكْرُهُ فِيهِ: «أَلَا إِنَّ الزَّمانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ» الْحَدِيثُ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ، لِإِبْطَالِ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، مِنْ التَّلَاعِبِ بِالزَّمانِ، بِتَأْخِيرِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ عَنْ مَوْضِعِهِ، وَهُوَ: «النَّسِيءُ» الَّذِي وَصَفَهُ اللهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّفُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٣٧].

وَمَعْنَى مَا قَالَهُ النَّازِمُ: أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ مُضِيِّ الْوَقْتِ، وَجَرَيَانِ الزَّمانِ عَلَيْهِ سَبْحَانَهُ، لِأَنَّ الزَّمانَ يُلَازِمُ مَخْلُوقَاتِهِ تَعَالَى بِاعْتِبَارِهِ عُمُرًا لَهَا، وَهُوَ سَبْحَانَهُ: الْقَدِيمُ الْأَوَّلُ، وَالْآخِرُ الْبَاقِي.

وَكَذَا يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى: تَقَلُّبُ الْأَحْوَالِ عَلَيْهِ، عَلَى الْقَوْلِ بِشُبُوتِهَا



كما تقدم، لَأَنَّ الْأَحْوَالَ تُلَازِمُ الْحَوَادِثَ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، فَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ، وَلَكِنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِشُؤْنِ الْعِبَادِ، فَأَوَّلُ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ: ﴿يَتَلَفَّذُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وَقَدْ وَرَدَ فِي تَفْسِيرِ «الشَّأْنِ» رَوَايَاتٌ: بَعْضُهَا مَرْفُوعٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَبَعْضُهَا مَوْقُوفٌ، مِنْهَا: مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مُعَلَّقًا بِصِغَةِ الْجَزْمِ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مِنْ شَأْنِهِ تَعَالَى: أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبًا، وَيُفَرِّجَ كَرْبًا، وَيَرْفَعَ قَوْمًا، وَيَضَعُ آخَرِينَ».

وقول الناظم: «بحال»، أي: يستحيل ذلك في حقه تعالى، ولا يكون بحال من الأحوال، ولا بوجه من الوجوه، وقد أبعد عليّ القاري في معنى هذه الكلمة، وتكلف تبرير ما ذهب إليه، والصواب ما ذكرناه.

المسألة الثالثة: «نفى الجهة والمكان في الاستواء وغيره».

وإليها أشار الناظم بقوله:

١٤ - وَرَبُّ الْعَرْشِ فَوْقَ الْعَرْشِ لَكِنْ      بَلَا وَضْفِ التَّمَكُّنِ وَاتِّصَالِ

قوله: «ورب العرش» أي: خالقُه ومالكُه، وثبت وجودُ «العرش» بالكتاب والسنة وعليه الإجماع، كقوله تعالى: ﴿وَيَجْلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ [الحاقة: ١٧]، وروى أبو حاتم: ابن حبان البستي في صحيحه والبيهقي وقال: إنه صحيح: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي جَنْبِ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ فِي أَرْضٍ فَلَاقٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاقَةِ عَلَى الْحَلَقَةِ».

والصحيح: أَنَّ «العرش»: جِسْمٌ مُجَسَّمٌ، خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى، كَمَا قَالَ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ».

أَمَّا «الكرسي»: فَقَدْ رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ فِي مَعْنَاهُ ثَلَاثَةً



أَقْوَال: أَوَّلُهَا: أَنَّهُ عِلْمُهُ تَعَالَى، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، وَالثَّانِي: أَنَّ الْعَرْشَ وَالْكَرْسِيَّ وَاحِدٌ، وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَالثَّالِثُ: أَنَّ الْكَرْسِيَّ مَخْلُوقٌ غَيْرُ الْعَرْشِ، وَقَدْ خَلَقَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى لَا لاحتِاجِهِ إِلَيْهِمَا، فَهُوَ سَبْحَانَهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ.

وَالْتَّمَكُّنُ: هُوَ: كَوْنُ الشَّيْءِ الْمُتَمَكِّنِ فِي مَكَانٍ، وَ«الْمَكَانُ»: يَقَالُ لِشَيْءٍ يَكُونُ مُحِيطًا بِالْجِسْمِ، أَوْ: يَعْتَمِدُ وَيَسْتَقِرُّ عَلَيْهِ الْجِسْمُ.

وَمَعْنَى الْبَيْتِ: أَنَّنَا نُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، وَهُوَ فَوْقَ الْعَرْشِ كَمَا قَالَ، لَا كَمَا يَخْطَرُ بِالْبَالِ، لَكِنْ: لَا يَجُوزُ أَنْ يَوْصَفَ اسْتَوَاؤُهُ تَعَالَى، بِأَنَّهُ اسْتَوَاءٌ اسْتِقْرَارٌ وَتَمَكُّنٌ وَجُلُوسٌ وَاتِّصَالٌ وَمُمَاسَّةٌ، وَلَا بِأَنَّهُ فِي جِهَةٍ مِنَ الْجِهَاتِ السَّتِّ لِلْعَرْشِ وَلَا لِسَوَاهِ، وَالنَّاطِقُ بِقَوْلِهِ هَذَا، قَدْ أَخَذَ بِقَوْلِ أَهْلِ التَّفْوِيضِ، وَهُوَ الْمَنْهَجُ الَّذِي سَارَ عَلَيْهِ مَالِكٌ بِهِ أَنَسٍ، فَقَدْ رَوَى الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ مَالِكًَا: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝﴾ [طه: ٥]، كَيْفَ اسْتَوَى؟ فَأَطْرَقَ وَعَرَقَ عَرَقًا كَثِيرًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى كَمَا وَصَفَ نَفْسُهُ، وَلَا يَقَالُ: كَيْفَ؟ وَكَيْفَ عَنْهُ مَرْفُوعٌ، وَأَنْتَ صَاحِبُ بَدْعَةٍ، أَخْرِجُوهُ أَهْ، وَالَّذِي سَأَلَ مَالِكًَا هَذَا السُّؤَالَ هُوَ: «جَهْمُ ابْنِ صَفْوَانَ» رَأْسُ الْفِرْقَةِ الضَّالَّةِ: «الْجَهْمِيَّةِ»، قَالَ «مَيْمُونُ النَّسْفِيُّ» فِي كِتَابِهِ: «بَحْرُ الْكَلَامِ».

أَمَّا مَا يَنَاقِلُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُؤَلِّفِينَ فِي كِتَابِهِمْ: أَنَّ مَالِكًَا قَالَ فِي سِيَاقِ جَوَابِهِ: «وَالْكَيفُ مَجْهُولٌ» فَلَيْسَ صَحِيحًا عَنْهُ، وَلَعَلَّهُ مِنْ تَوَهُّمٍ بَعْضُ مَنْ أَشْكَلَ عَلَيْهِ فَهَمُّ كَلَامِهِ، وَلَا يَقُولُ بِهِ إِمَامٌ كَمَالِكٍ، وَلَا أَيُّ عَالِمٍ خَبِيرٍ، لِأَنَّ فِيهِ إِثْبَاتَ كَيْفِيَّةٍ وَلَكِنِهَا مَجْهُولَةٌ، وَهَذَا يَخَالِفُ مَعْتَقَدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ كَافَّةً: الْمُؤَوَّلِينَ مِنْهُمْ وَالْمُقَوِّضِينَ، لِإِجْمَاعِهِمْ عَلَى نَفْيِ الْكَيْفِيَّةِ مُطْلَقًا مَعْلُومَةً أَوْ مَجْهُولَةً، فَانْتَبِهْ رَحِمَكَ اللَّهُ تَعَالَى.



وقد قال بمثل قول مالك، الكثير من أئمة السلف والخلف، كما ذكرنا في «المسألة الثالثة» من «المبحث الأول» السابق في هذا الباب.

أمّا الفريق الآخذ بمذهب التأويل، وهم أيضاً من أئمة السلف والخلف، فقد حملوا معنى «الاستواء» على أنه: الاستيلاء والقهر، كما فسّروا سائر النصوص المماثلة، وسبق بيان ذلك في الموضع المشار إليه.

ومن أهل العلم من جمع بين المذهبين، كقول أحمد النّفراوي المتوفى عام ١١٢٠هـ في شرح رسالة «ابن أبي زيد القيرواني المالكي» المتوفى عام ٣٨٦هـ قال: ويمتنع القول: هو تعالى فوق العرش بذاته، لأنّ فيه استعمال الموهّم، والحاصل: أنّه يجوز إطلاق لفظ الفوقية غير المقيّدة بلفظ «الذات» على الله تعالى، فيجوز قول القائل: الله فوق سمائه أو: فوق عرشه، وتحمّل على فوقية الشرف والجلال، والسلطنة والقهر، لا فوقية حيز ومكان، لاستحالة الفوقية الحسّية عليه تعالى، لاستلزامها الجرميّة والحدوث الموجبيّن للافتقار، والخالق تعالى منزّه عنه اهـ، وقال بنحو هذا شارح آخر لرسالة القيرواني هو: «عليّ بن محمد المنوفي المصري» المتوفى عام ٩٣٩هـ وهو من كبار فقهاء المالكية.

المسألة الرابعة: «نفي وجوب الصّلاح والأصلح على الله تعالى».

وفيها قال الناظم:

١٥ - وَمَا إِنْ فَعَلَ أَصْلَحُ دُوْا افْتِرَاضٍ عَلَى الْهَادِي الْمُقَدَّسِ ذِي التَّعَالَى

«ما»: نافية غير عاملة عمّل «ليس»، لاقترانها بـ «إن» الزائدة لتأكيد النفي، ولا يقال: نافية لتأكيد النفي كما قال بعض الشّراح، لأنه نفي النفي إثبات، و«فعل»: مبتدأ مرفوع بالضمّة، ولا يُنَوَّنُ لأنّه مضاف، و«أصلح» مضاف إليه مجرور بالفتحة عوضاً عن الكسرة لأنّه ممنوع من الصّرف، و«دو» بالرفع: خبر المبتدأ.



هذا هو الصَّوَابُ فِي ضَبْطِ هَذَا الْبَيْتِ، وَإِعْرَابِهِ وَوَزْنِهِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا شُرُوطَ إِعْمَالِ «مَا» النَّافِيَةِ فِي شَرْحِ الْبَيْتِ «الثَّانِي عَشَرَ».

وَالْغَرِيبُ: أَنَّ الْمُثْلًا عَلِيًّا الْقَارِيَّ وَتَبِعَهُ الرَّيْحَاوِيُّ كَعَادَتِهِ، لَمْ يَتَنَبَّهُ إِلَى مَا ذَكَرْنَاهُ، فَاعْتَبَرَ: «مَا» عَامِلَةً عَمَلِ «لَيْسَ»، وَ: «إِنْ» نَافِيَةً، وَأَنَّ النَّازِمَ جَمَعَ بَيْنَهُمَا تَأْكِيدًا، وَأَعْرَبَ: «فِعْلٌ» اسْمًا لـ «مَا»، وَ: «ذَا» بِالنَّصْبِ خَبَرَهَا، وَذَلِكَ عَلَى اللَّغَةِ الْفُصْحَى - كَمَا قَالَ - أَي: لُغَةِ «الْحِجَازِيِّينَ»، وَمَثَّلَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ [يُوسُفُ: ٣١]، وَأَضَافَ: وَفِي أَكْثَرِ النُّسَخِ: «ذُو افْتِرَاضٍ» بِالرَّفْعِ، فَيَحْمِلُ عَلَى اللَّغَةِ الْآخَرَى أَي: لُغَةِ «تَمِيمٍ» الَّذِينَ لَا يُعْمَلُونَ «مَا» مُطْلَقًا، فَاعْتَبَرَهُ «مَا» عَامِلَةً هُنَا غَيْرَ صَحِيحٍ، لَوْجُودِ الْمَانِعِ وَهُوَ: اقْتِرَانُهَا بِ «إِنْ» الزَّائِدَةِ، فَلَا عَمَلَ لَهَا أَصْلًا عِنْدَ «التَّمِيمِيِّينَ»، وَلِفَقْدِ أَحَدِ شُرُوطِ عَمَلِهَا عِنْدَ «الْحِجَازِيِّينَ»، وَكَذَا قَوْلُهُ فِي «إِنْ»: «إِنَّهَا نَافِيَةٌ، وَالصَّحِيحُ: أَنَّهَا زَائِدَةٌ لَا مَعْنَى لَهَا، زِيدَتْ لِتَأْكِيدِ النَّفْيِ كَمَا ذَكَرْنَا، وَيُنْبَنِي عَلَى هَذَا: عَدَمُ صَحَّةِ إِعْرَابِ الْبَاقِي، وَتَمَثِيلُهُ بِالْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ لَا يَطَابِقُ مَا فِي النَّظْمِ، لِأَنَّ «مَا» فِي الْآيَةِ عَامِلَةٌ، لِتَوْفُرِ الشُّرُوطِ، وَحَمْلُهُ مَا فِي أَكْثَرِ النُّسَخِ بِرَفْعٍ: «ذُو» عَلَى اللَّغَةِ الْآخَرَى يَعْنِي: لُغَةَ تَمِيمٍ هُوَ أَيْضًا غَيْرُ صَحِيحٍ، لِأَنَّ النَّازِمَ مُلْتَزِمٌ لُغَةِ «الْحِجَازِيِّينَ»، وَفِي الْمَنْظُومَةِ عِدَدٌ مِنَ الْأَمْثَلَةِ عَلَى ذَلِكَ، وَالتَّمِيمِيُّونَ لَا يُعْمَلُونَهَا أَصْلًا.

وَقَوْلُ النَّازِمِ: «الْهَادِي» هُوَ: مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى، وَلَهُ مَعْنِيَانِ:

أَوَّلُهُمَا: الْإِرْشَادُ وَالذَّلَالَةُ وَالتَّعْرِيفُ، وَمِنْهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهَدَيْتُهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [الْبَلَدُ: ١٠]، أَي: دَلَّلْنَا الْإِنْسَانَ وَأَرَشَدْنَاهُ، بَيَانُ طَرِيقِ الْخَيْرِ وَطَرِيقِ الشَّرِّ، فَعَلِيهِ الْاِخْتِيَارُ، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْتَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فُصِّلَتْ: ١٧].

وِثَانِيَهُمَا: أَنَّ مَعْنَى: «الْهُدَى»: خَلَقُ الْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ، فَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ



وحده الهادي، أي: خالق الهدى في قلب العبد، ومنه قوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [الْقَصَص: ٥٦]، أي: إِنَّكَ يا محمد لا تستطيع خلق الهداية في قلب مَنْ تُحِبُّ، ولكنَّ القادر على ذلك هو الله تعالى وحده.

وقول الناظم: «المُقَدَّسِ»: أي: المَنَزَّهَ عَمَّا لا يليق به تعالى، ومنه: اسمه تعالى: «القُدُّوس»، وقوله: «ذِي التَّعَالِي»: «التَّعَالِي» في اللُّغَةِ: الارتفاعُ، أي: التَّنَزُّه.

ومعنى البيت: أَنَّ الله سبحانه وتعالى، يتصرف في ملكه وخالقه كما يشاء، ويفعل ما يريد، فِعْطَاؤُهُ وإِحْسَانُهُ إِلَى خَلْقِهِ، فَضْلٌ مِنْهُ تَعَالَى وَكَرَمٌ، وَحِرْمَانُهُ وَعِقَابُهُ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، عَذْلٌ مِنْهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الْأَنْبِيَاء: ٢٣]، لا يجب على الله سبحانه فعلُ شيءٍ ولا تركه، فأفعاله تعالى كُلُّهَا تجري في مُلْكِهِ، والمالك يتصرَّفُ في ملكه كما يشاء.

قال إبراهيم اللقاني صاحب «الجوهرة»:

وقولُهُم إِنَّ الصَّلَاحَ وَاجِبٌ عَلَيْهِ، زُورٌ، مَا عَلَيْهِ وَاجِبٌ وموضوع «الصَّلَاح» و«الأصلح» واحد، وذِكْرُ أَحَدِهِمَا يَسْتَتْبِعُ الْآخَرَ، والمراد بالأصلح: ما يقابل: «الصَّلَاح»، ككون العبد في أعلى الجنان في مقابلة كونه في أدنى درجاتها.

وقال «سيف الدين الأمدي» المتوفى عام ٦٣١ هـ كلاماً حَسَنًا في هذا المقام في كتابه: «غَايَةُ الْمَرَامِ»: مذهب أهلِ الْحَقِّ: أَنَّ الْبَارِيَّ تَعَالَى، خَلَقَ الْعَالَمَ وَأَبْدَعَهُ، لَا لَغَايَةَ يَسْتَنْدُ الْإِبْدَاعُ إِلَيْهَا، وَلَا لِحِكْمَةٍ يَتَوَقَّفُ الْخَلْقُ عَلَيْهَا، بَلْ كُلُّ مَا أَبْدَعَهُ، مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَنَفْعٍ وَضَرٍّ، لَمْ يَكُنْ لَغَرَضٍ قَادَهُ إِلَيْهِ، وَلَا لِمَقْصُودٍ أَوْجَبَ الْفِعْلَ عَلَيْهِ، بَلْ: الْخَلْقُ، وَأَنْ: لَا خَلْقَ لَهُ:



جائزان، وهما بالنسبة إليه تعالى سَيَّانٍ، ووافقهم على ذلك: طوائفُ الإلهيين وجهابذة الحكماء المتقدمين.

وذهبت طوائفُ المعتزلة: إلى أَنَّ الباري، لا يخلو فعلُهُ عن عَرَضٍ وصلاحٍ للخلق، إذ هو يتعالى ويتقدَّس عن الأغراض، وعن الضرر والانتفاع، فرعايةُ الصَّلاح في فعله واجبةٌ، نَفْيًا لِلْعَبَثِ عن الحُكْم في حُكْمَتِهِ، وإبطالاً لِلسَّفَه عنه في إبداعه وصنْعَتِهِ، وأمَّا «الأصلح» فهم فيه مختلفون: طائفةٌ أَلْحَقَتْهُ بِالصَّلاح في وجوب الرِّعاية، وطائفةٌ أَحَالَتْ القولُ بوجوبه بناءً على: أَنَّ ما مِنْ «صالح» إِلَّا وفوقَهُ ما هو أصلحُ منه، إلى غير نهاية، ثم بَنَوْا على وجوب رعاية الصَّلاح والأصلح باتفاقٍ منهم:

وجوبُ الثَّوابِ على الطاعاتِ والآلامِ غيرِ المستَحِقَّةِ، كما في حقِّ البهائمِ والصَّيَّانِ.

ووجوبُ العقابِ وإحباطِ العملِ على العصيانِ.

ووجوبُ قَبُولِ التَّوْبَةِ والإرشادِ بعد الخَلْقِ، وإيصالِ العقلِ إلى وجوهِ المصالحِ بالإقْدَارِ عليها، وإقامته الآياتِ والحُجَجِ الداعيةِ إليها.

ثم التزموا على فاسد أصلهم: أَنَّ ما يَنَالُ العبدَ في الحال أو المآل، من الآلامِ والأوجاعِ، والنَّفْعِ والضَّرِّ، والخيرِ والشرِّ، ونحوها، فهو الصالح لهم، والأَنْفَعُ لنفوسهم.

ونحن أهلُ السُّنَّةِ والجماعة: لا نُنْكِرُ كونه تعالى حكيماً، وذلك بِتَحَقُّقِ ما يُتَّفَقُ من صنْعته، ويخلُقُهُ على وَفْقِ علمه به وإرادته، لا بأنَّ يكونَ له فيما يفعله غَرَضٌ ومقصودٌ، والعَبَثُ إِنَّمَا يكون لازماً له بانتفاء الغَرَضِ عنه، أنْ لو كان قابلاً للفوائد والأغراض، وإلَّا فتسميته غَرَضاً عن طريق التوسُّع والمجاز هو غيرُ مُمَكِّنٍ، فوجوبُ رعاية الصَّلاح والأصلح في حَقِّه تعالى مستحيلٌ اهـ.



المسألة الخامسة: «استغناؤه تعالى عن الصَّاحبة والولد والمُعِين».

وإليها أشار الناظم بقوله:

١٦ - وَمُسْتَغْنٍ إِلَهِي عَنْ نِسَاءٍ وَأَوْلَادٍ إِنْسَانٍ أَوْ رَجَالٍ

١٧ - كَذَا عَنْ كُلِّ ذِي عَوْنٍ وَنَضْرٍ تَفَرَّدَ ذُو الْجَلَالِ وَذُو الْمَعَالِي

قوله: «وَمُسْتَغْنٍ»: «الاستغناء» في اللُّغَةِ: طلبُ الغنى، بالحصول على ما لَهُ فيه حاجةٌ، فَإِنْ لم يكن ثمة حاجةٌ فقد «استغنى»، وهو: «غَنِيٌّ» أي: جَعَلَ نفسه باستغنائه وَعَدَمَ طلبه للشيء في غنى عنه، أي: في غير حاجةٍ إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَكْفُرُوا وَقُولُوا ۖ وَأَسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [التغابن: ٦]، أي: الله تعالى ليس مفتقراً إلى إيمانهم، فهو مستغنٍ عنه، والكافر أيضاً مستغنٍ عن ثوابِ الله تعالى ورحمته، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ يَحْتَلِ وَأَسْتَغْنَى﴾ [الليل: ٨]، أي: استغنى عن ثوابه تعالى.

وقوله: «عن نساء وأولاد»: جمع «وَلَدٍ»، يُطلق على الذكر والأنثى، قال تعالى: ﴿يُؤْمِكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، وقد فَسَّرَه الناظم بقوله: «وأولاد نساء أو رجال»، قال تعالى على لسان «الجن»: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٤].

و«العَوْنُ» هو: الظَّهير على الأمر والمُعِينُ، و«نَضْرٍ» بفتح فسكون هو مصدر «نَصَرَ» بفتحتين، يقال: نصره نصراً: أعانه وقَّوَاه، أما قوله تعالى: ﴿إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧] فمعناه: بحفظِ حدوده ورعايةِ عهودِهِ، والعملِ بأحكامه تعالى، أي: بنصرِ دينه والدِّفاع عنه، و«المَعَالِي»: جمع: «مَعْلَاةٍ» بفتح أوْلِهِ، أي: كسبُ الشَّرَفِ أو: مَكْسَبُ الشَّرَفِ، و«مَعَالِي الأُمُور»: أَعَالِيهَا.

ومعنى هذين البيتين: أَنَّ المولى تبارك وتعالى، مستغنٍ عن الصَّاحبة والولد، فلم يتخذ صاحبة ولا ولداً، قال البيضاويُّ في تفسيره: وذلك



يَقْتَضِي التَّشْبِيهَ وَالْحَاجَةَ وَسُرْعَةَ الْفَنَاءِ اهـ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ مُسْتَغْنٍ أَيْضاً عَنْ  
 الْمَعِينِ وَالنَّصِيرِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِّعَاجِزٍ مِّنْ  
 شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٤].





## البَابُ الثَّالِثُ:

### «في الوجودِ والعَدَمِ»

- وفيه: أربعُ مسائل
- المسألة الأولى: «حدوثُ العالمِ»
- المسألة الثانية: «نفْيُ وجودِ الهَيُولَى»
- المسألة الثالثة: «إثباتُ وجودِ الجزء الذي لا يتجزأ عقلاً»
- المسألة الرابعة: «المعدومُ ليس شيئاً»







## البَابُ الثَّالِثُ:

## فِي «الوجود والعَدَمِ»

يرى الإنسان، من حينٍ تفتَحُ عيونه على هذه الدُّنيا، عالماً واسعاً بديعاً، لم يكتشف البشرُ من أسرارهِ إِلَّا القليلَ، فكان بديهياً أن يسعى الإنسان العاقلُ لمعرفة: مَنْ أَوْجَدَ هذا الكونَ؟ ومتى؟ وكيف؟ فانشغلت في هذا الموضوع عقولُ العلماء والفلاسفة، ما بين: مُقَرِّ مُعْتَرِفٍ بأنَّ لهذا الكون خالقاً كَوَّنَهُ وأوجدَهُ من العَدَمِ بإرادته وقدرته، وهو: الله سبحانه وتعالى، وهؤلاء هم أتباعُ الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وجاحدٍ جامدٍ الفكرِ، أَوْصَلَهُ تَوْهُمُهُ إلى نفي وجود الخالق جلَّ وعزَّ، وإلى القول بقدَم العالمِ وعَدَم حدوْثه، وهؤلاء هم الذين اتبعوا أهواءهم، وزَيَّنَ لهم الشيطانُ أعمالهم، فَضَلُّوا عن سبيل الله تعالى.

وقد أشار الناظمُ إلى مسائلٍ مهمَّةٍ في هذا الباب هي: حدوثُ العالمِ، ونفيُّ وجودِ ما سَمَّاهُ الفلاسفة: «الهَيُولَى»، وإثباتُ وجودِ «الجزءِ الذي لا يتجزأ عقلاً»، عند أهل السنة والجماعة، وأنَّ «المعدومَ ليس شيئاً».

فتَحَصَّلَ في هذا الباب أربعُ مسائل:

المسألة الأولى: «حدوثُ العالم».

وإليها أشار الناظم بقوله في أول هذا البيت:

١٨ - «وَدُنْيَانَا حَدِيثٌ»، وَالْهَيُولَى عَدِيمُ الْكَوْنِ فَاسْمَعِ بِاجْتِزَالِ

قوله: «وَدُنْيَانَا»: «الدنيا» هي: الْكَوْنُ كُلُّهُ، وهو: كُلُّ ما سوى الله تعالى، و«حديثٌ» أي: حَدِثٌ مخلوقٌ كَوَّنَهُ الله تعالى.



وقد تضافرت الأدلَّة النَّقْلِيَّةُ والبراهينُ العقلية، على أَنَّ الله تعالى هو خالقُ كلِّ شيءٍ من أشياء هذا الكون، ولا عذر لعاقل في جهل ذلك، كما قال الناظم في البيت «الحادي والثلاثين»:

وما عُذِرَ لذي عَقْلٍ بِجَهْلٍ      بخَلْقِ الْأَسَافِلِ والأَعَالِي

«المذاهب في وجود العالم»:

والناسُ في: «وجود العالم» أربعةُ مذاهب، ذكر الغزاليُّ ثلاثةً منها في كتابه «تهافتُ الفلاسفة» نُوردها مَبْسُوطَةً:

المذهب الأولُ: «مذهب أهل الحق»:

وهم: المؤمنون من أتباع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، ومنهم أُمَّةٌ مولانا وسيدنا محمد ﷺ، فهؤلاء يقولون: بأنَّ العالمَ أيُّ: كُلِّ ما سوى الخالقِ جَلَّ وَعَزَّ، هو حادثٌ لم يكن شيئاً فكان، وأنَّ الله تعالى هو خالقُ هذا الكون، بَعْلُوِيَّهٖ وَسُقْلِيَّهٖ، وَفَقَّ إِرَادَتُهُ تعالى ومَشِيَّتُهُ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، لا خالقٌ لشيءٍ من الكائنات سواه تعالى.

واحتجُّوا على حدوث العالم: «بأنَّ وجودَهُ جائزٌ، وكلُّ جائز الوجود حادثٌ: فالعالمُ حادثٌ»، أمَّا كونهُ حادثاً وجائزاً: فَلأنَّه مُرَكَّبٌ، وكلُّ مُرَكَّبٍ ممكنٌ لا فتقاره إلى «الجزء».

والدَّلِيلُ على أَنَّ كلَّ موجودٍ ممكنٍ حادثٌ: أَنَّ الممكنَ متساوي الطَّرفين، فيمتنع ترجيحُ أحدهما على الآخر لذاته من دون مُرَجِّحٍ، وطَرَفَا الممكن هما: الوجودُ والعدمُ، فلزِمَ وجودُ المَرَجِّحِ المختارِ المريدِ والقادر وهو: مولانا تبارك وتعالى خالقُ كلِّ شيءٍ.



## والمذهب الثاني «مذهب الدّهريّة» :

و«الدّهريّة» بفتح الدال وتضمّ، وهؤلاء رأوا العالمَ قديماً كما هو عليه، ولم يُثبتوا له صانعاً، فهم يُنكرون وجودَ الله جَلَّ وعَزَّ، وجَرى على مذهبهم جميعُ الملاحدة في كلّ العصور، وفي عصرنا منهم كثير، ومذهبهم ظاهر البطلان.

## والمذهب الثالث «مذهب فريق من الفلاسفة» :

فهؤلاء رأوا أَنَّ العالمَ قديمٌ، ثم أثبتوا له مع ذلك صانعاً هو: «المَبْدَأُ الأوَّلُ»، وقالوا: نحن إذا قلنا: إِنَّ للعالم صانعاً لم نُردّ به: فاعلاً مختاراً، يفعلُ بعدَ أَنْ لم يفعل، كما نشاهد في أصناف الفاعلين من: الخيَاط والنَّسَّاج والبنّاء، بل نعني به: عِلَّةُ العالمِ ونُسَمِّيهِ: «المبدأ الأوَّلُ»، على معنى: أَنَّهُ لا عِلَّةَ لوجوده، وهو عِلَّةٌ لوجود غيره، فَإِنْ سَمَّيناه صانعاً فهذا التأويل، لأنَّه من المستحيل أَنْ تتسلسل العِلَلُ إلى ما لا نهاية، والمعلول لا يتخلَّفُ عن عِلَّتِهِ، لتلازمهما وجوداً وعدماً.

وبطلان مذهب التعليل هذا واضح، فلا يصحُّ تسمية «العِلَّة» صانعاً، بصرفِ النَّظَر عن إطلاقها غير الجائز على الخالق جَلَّ وعَزَّ، لأنَّ التعليل ينافي الاختيار، ولا يُسمَّى «خَلْقاً»، والله تعالى قال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [الفصص: ٦٨]، ولأنَّ كَوْنَ حركةِ الأَصْبَع - مثلاً - عِلَّةً لحركة الخاتم فيها، لا يعني: أَنَّ حركة الأَصْبَع هي التي أوجدت حركة الخاتم، أو أثرت في وجودها، ولكنَّ وجودَ الحركة في الخاتم، متلازمٌ مع حركة الأَصْبَع، فلا يُتَوَصَّرُ تخلفُ حركة الخاتم المعلولة لحركة الأَصْبَع، وخالف الحركتين، والمتحرّكين، والمحرّك، وخالف التلازم بين العِلَّة والمعلول، هو: الله تعالى.

## أمّا المذهب الرابع فهو «مذهب جمهور الفلاسفة» :

وهم: الفلاسفة الطبائعيُّون، الذين ينكرون وجودَ الخالق تعالى، وينكرون أيضاً كونه عِلَّةً لوجود العالم، كما قال نظراؤهم أصحابُ «المذهب



الثالث»، ويقولون: بَأَنَّ للعالم أضلاً مادياً هو «الهَيُولَى»، وأنها مادةٌ قديمةٌ تتشكّل باستمرارٍ في صورٍ شتّى، فيتكون من المادة والصُّورَةُ جَوْهَرٌ اسمه: «الجِسْمُ»، وهذا هو موضوعُ:

المسألة الثانية: وهو «نَفْيُ وجودِ الهَيُولَى».

وإليها أشار النَّاطِمُ بقوله:

..... وَالْهَيُولَى عَدِيمُ الْكَوْنِ فَاسْمَعُ بِاجْتِدَالِ

قوله: «عَدِيمُ الْكَوْنِ» أي: عديم الوجود، و«اجتدال» أي: بفرح، قال في «مختار الصحاح»: الْجَدَلُ بفتحين: الْفَرْحُ، فهو: جَدْلَان.

أَمَّا «الهَيُولَى» فهي: بفتح الهاء وضم الياء مخففةً وتشدّد: كلمةٌ يونانية الأصل، ومعناها: الأضَلُ والمادّةُ، أي: أضلُّ الأنواع كلّها، وهي عند جمهور الفلاسفة: جَوْهَرٌ قديمٌ، أو: شيءٌ قديمٌ قابلٌ للاتصال والانفصال، ويُسمّى «الاتصال»: صورةً، ويُسمّى «الانفصال»: تَعَدُّدًا، ويُسمّى القابلُ للاتصال والانفصال: «جِسْمًا».

وَسَنَلَخُصُّ ما قاله علماء الكلام في: «الهَيُولَى والصُّورَةُ»، على مذهب هؤلاء الفلاسفة، نقلاً عن: كتاب «المواقف» للإيجي وشرحه للجرجاني، وكتاب البيضاوي: «طوالع الأنوار» وشرحه للأصفهاني، وكتاب: «معيار العلم» للغزالي، وغيرها من كتب هذا الفن فنقول:

الجِسْمُ عندهم: جَوْهَرٌ مؤلَّفٌ من «الهَيُولَى والصُّورَةُ»، والصُّورَةُ لا تَنفَكُّ عن الهَيُولَى، والهَيُولَى لا تنفكُّ عن الصُّورَةِ الجِسْمِيَّةِ ذات الأبعاد الثلاثة: الطُّول، والعرض، والعُمق.

وقالوا: «الهَيُولَى» تفتقر إلى الصُّورَةِ في بقائها وتَحْيُزِها، لا من حيث إنها هذه الصُّورَةُ، بل من حيث إنها صورةٌ ما، لأنّه لو لم تكن الهَيُولَى مفتقرةً



في بقائها وتَحْيُزها إلى «الصُّورة»، لكانت موجودةً متَحَيِّزةً بدون الصُّورة وهو محال عندهم، لأنَّ «الهَيُولَى» لا تَنفَكُ عن الصُّورة الجِسْمِيَّةِ ذاتِ الأبعاد.

وقالوا: و«الصُّورة» تحتاج إلى المادة في تَعْيِنها وتَشَكُّلها، من حيث هي هذه «الهَيُولَى» احتياج المعلول إلى العلَّة القابلة، فإنَّ «الهَيُولَى» علَّةٌ قابلةٌ لتَشَخُّصِ مَعْلُولها وهو: الصُّورة الجِسْمِيَّةُ، وتَعْيِنها بالتناهي والتشكُّل، والتناهي والتشكُّل من حيث هي حامِلَةٌ وقابلةٌ لهما، فيتألَّفُ منهما جوهرٌ هو: «الجسم».

وقالوا: إنَّ الجسم المتألَّف من «الهَيُولَى والصُّورة» مُتَّصِلٌ في نفسه، يقبلُ انقساماتٍ لا نهايةَ لها، ولا يعنون بذلك: أنَّ الجسمَ مرَكَّبٌ من أجزاءٍ ذاتِ المفاصلِ بالفعل، وأنَّ أجزاءهُ غيرُ متناهيةٍ، فهم ينفون وجودَ الجزء مطلقاً، مُتَجَزِّئاً وغيرَ متجزئٍ، كما سنبين في المسألة التالية، وإنَّما الكبر والصُّغر عندهم، باعتبار المقدار القائم بالجسم، لا بكثرة الأجزاء وقِلَّتْها، وذلك لأنَّ «الجزئية» تعني: إمكانية التركيب، والتركيب يعني: الحدوث، وهم ينكرون كونَ العالمِ مُرَكَّباً من أجزاءٍ، لثلا يلزمهم الإقرارُ بحدوثه.

فالعالمُ عندهم عبارةٌ عن أجسام هي: إمَّا «بسائطٌ»، وإمَّا «مُرَكَّبَاتٌ»، والأجسامُ البسيطة - وهي: التي لا يكون فيها تركيبٌ قَوَى وطبائع - تنقسم إلى قسمين: «عناصر» و«فَلَكيَّاتٌ»:

و«العناصر» أربعةٌ هي: «النَّارُ، والهواءُ، والأرضُ، والماءُ»، ومن امتزاج هذه العناصر بأمزجةٍ مختلفةٍ، مُعَدَّةٍ لِخَلْقِ مختلفةٍ، تتكوَّنُ الأجسامُ «المُرَكَّبَاتُ»، وهي ثلاثة أنواع: «المعادن، والنَّبَاتُ، والحيوان».

و«الفَلَكيَّاتُ» هي: إمَّا كواكبٌ، وإمَّا أَفلاكٌ:



فالكواكب: أجسام: بسيطة شَفَافَةٌ كُرِّيَّةُ الشَّكْلِ مَرْكُوزَةٌ فِي الْأَفْلَاكِ، مَضِيئَةٌ بِالذَّاتِ إِلَّا الْقَمَرَ فَإِنَّهُ يَسْتَفِيدُ الضَّوْءَ مِنَ الشَّمْسِ، وَالطَّرِيقَ إِلَى مَعْرِفَةِ وَجُودِ «الْكُوكَبِ» هِيَ: الْمَشَاهِدَةُ، وَأَمَّا «الْأَفْلَاكُ»: فَطَرِيقُ إِثْبَاتِهَا هُوَ: الرِّضْدُ.

وَالْأَفْلَاكُ الْكُلِّيَّةُ الثَّابِتَةُ بِالْأَرْصَادِ، عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أُثْبِتَتْهَا الْمَتَأَخَّرُونَ، تِسْعَةُ أَفْلَاكِ يَحِيطُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، بَحِثْ يُمَاسُّ مُقَعَّرُ الْحَاوِي مُحَدَّبُ الْمَحْوِيٍّ، وَمَرْكَزُ الْجَمِيعِ مَرْكَزُ الْأَرْضِ، وَاحِدٌ مِنْهَا غَيْرُ مُكُوكَبٍ - أَي: لَيْسَ فِيهِ كُوكَبٌ - مُحِيطٌ بِالثَّمَانِيَةِ الْبَاقِيَةِ، وَهُوَ الَّذِي يُحَرِّكُ الْكُلَّ بِالْحَرَكَةِ الْيَوْمِيَّةِ الْمُسْتَدِيرَةِ، يَسْمَى: الْفَلَكَ الْأَعْظَمَ، وَ: الْفَلَكَ الْأَظْلَسَ، وَ: الْعَرْشَ الْمَجِيدَ، وَ: الْجِسْمَ الْمُحِيطَ بِالْأَجْسَامِ وَالْمُحَدَّدَ لِلْجِهَاتِ.

وَزَعَمُوا: أَنَّ الْأَفْلَاكَ بِأَسْرَهَا، لَا تَتَبَدَّلُ وَلَا تَتَغَيَّرُ، وَلَا تَنْقَسِمُ وَلَا تَلْتَمِمْ، بَلْ تَبْقَى عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ أَزْلاً وَأَبَدًا، وَأَنَّهَا لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ، فَهِيَ غَيْرُ قَابِلَةٍ لِلْحَرَكَةِ الْكَمِّيَّةِ: لَا التَّحْلُخَلَ وَالتَّكَاثُفَ، وَلَا الذُّبُولَ وَالتُّمُوءَ، لِأَنَّهُ لَوْ زَادَ مُحَدَّبُ الْفَلَكَ الْمُحِيطَ بِالْكُلِّ، لَزِمَ أَنْ يَكُونَ فَوْقَهُ خَلَاءٌ، وَوُجُودُ الْخَلَاءِ مُحَالٌ عِنْدَهُمْ، وَمُقَعَّرُهُ مِثْلُ مُحَدَّبِهِ فِي الطَّبِيعَةِ النَّوْعِيَّةِ، فَيَسْتَحِيلُ عَلَى مُقَعَّرِهِ مَا اسْتَحَالَ عَلَى مُحَدَّبِهِ، وَإِذَا لَمْ يَتَغَيَّرْ مُقَعَّرُهُ بِالزِّيَادَةِ وَالتَّنْقِصَانِ، امْتَنَعَ تَغْيِيرُ مُحَدَّبِ الْمُحَوِّطِ بِالزِّيَادَةِ وَالتَّنْقِصَانِ، وَإِلَّا لَزِمَ التَّدَاخُلُ عَلَى تَقْدِيرِ الزِّيَادَةِ، وَالْخَلَاءُ عَلَى تَقْدِيرِ التَّنْقِصَانِ، وَامْتِنَاعُ ازْدِيَادِ مُحَدَّبِ الْفَلَكَ الْمُحِيطِ بِجَمِيعِ الْأَجْسَامِ، لَا لِذَاتِهِ، بَلْ لِعَدَمِ الْحَيِّزِ الَّذِي هُوَ شَرْطُ ازْدِيَادِ الْحَجْمِ، فَالْعَالَمُ عِنْدَهُمْ مُتَحَيِّزٌ فِي ذَاتِهِ، لَا فِي مَكَانٍ هُوَ حَيِّزٌ لَهُ، إِذْ لَوْ كَانَ الْعَالَمُ مُتَحَيِّزًا فِي مَكَانٍ، لَلَزِمَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْحَيِّزُ هُوَ الْخَلَاءُ الْمُحِيطُ بِهِ، وَوُجُودُ الْخَلَاءِ مُحَالٌ عِنْدَهُمْ كَمَا تَقَدَّمَ.



ومعتقدهم هذا في العالم مبني على قاعدتين:

القاعدة الأولى: قولهم بامتناع الخرق والالتئام، والانفصال والاتصال على الأفلاك وسائر الأجسام، أي: امتناع انقسام الأجسام وتفتكها إلى أجزاء، وامتناع التئامها واتصالها مُجَدِّداً لِشَكْلِ جَسَماً آخَرَ، لَأَنَّ الْجِسْمَ عندهم ليس مركباً من أجزاء، ليصح تجزؤه كما قَدَّمْنَا، ولكنه مؤلَّف من الهَيُولَى والصُّورَة القديمتين الباقيتين.

ومذهبهم هذا مخالف لنشأة هذا الكون ومآله في الآخرة، وقد دَخَصَ الله تعالى حُجَّتَهُم في الأمرين، فقال جَلَّ وَعَزَّ في نشأة العالم، واصفاً هؤلاء القوم بالكفر: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، قال البغوي في تفسيره: معناه: أَلَمْ يَعْلَمْ الَّذِينَ كَفَرُوا: ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا﴾، قال ابن عباس والضحاك وعطاء وقتادة: كانتا شيئاً واحداً مُلتَزِمَتَيْنِ ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ فَصَلَّنَا بَيْنَهُمَا بِالْهَوَاءِ اهـ، ولم لم يذكر البغوي «الهواء» لكان أحسن، لَأَنَّ الْفَصْلَ هو بالفراغ وعَدَمِ الالتصاق.

وقال سبحانه في مآل هذا العالم في الآخرة وهو: «التبديل»: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، وتبدليهما يكون بتغييرهما من هيئة إلى هيئة، فَتَفَطَّرُ السَّمَاءُ ثُمَّ تَنْشَقُّ، وَتُكَوِّرُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَتَتَنَائِرُ الْكَوَاكِبُ وَيُظْمَسُ ضَوْؤُهَا، وَتَصِيرُ الْأَرْضُ قَاعاً صَفْصَفًا، لَا جِبَالَ فِيهَا وَلَا وُدْيَانَ، وَلَا بَحَارَ وَلَا أَشْجَارَ، وَيَكُونُ لِلْعَالَمِ شَكْلٌ آخَرُ غَيْرُ مَا هُوَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، وَاللهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرٌ.

والقاعدة الثانية: نفيهم وجود الجزء الذي تتركَّب منه الأجسام، لَأَنَّ الْجُزْئِيَّةَ تَنَافِي قَوْلَهُمْ بِتَأْلُفِ الْجِسْمِ مِنَ الْهَيُولَى والصُّورَة كما أسلفنا، وهذا هو موضوع:



المسألة الثالثة وهو: «إثبات وجود الجزء الذي لا يتجزأ عقلاً».

وإليها أشار الناظم بقوله:

١٩ - وفي الأذهان حق كَوْنُ جزءٍ بلا وصف التَّجْزِي يا ابنَ خالي

قوله: «الأذهان»: جمع: «ذهن»، والمراد به هنا: العقل، أي: العقول، و«حق» أي: ثابت، و«كُونُ» أي: وجود، والمعنى: أن وجود «الجزء الذي لا يتجزأ»، ثابت في التَّصَوُّرِ العقلي، فيدرك بالعقل لا بالفعل، ويُسمِّي المتقدمون: «الجوهر الفرد»، وقوله: «يا ابن خالي»: خاطب طالب العلم الذي يقرأ هذه المنظومة بصفة القرابة المحرمية وهي: الحُؤْلَةُ، تَلَطُّفاً وَتَحَبُّباً، ليدلَّ على حُبِّه الخير للغير، كحُبِّه لأهل قرابته.

والناس في إثبات «الجزء» فريقان:

فريقٌ يقول بنفي وجود «الجزء» مطلقاً، وهم: جمهور الفلاسفة القائلين بقدوم العالم وتكوُّنِهِ من الهَيُولَى والصُّورَةِ، كما تقدم في المسألة السابقة، لأنَّهم لا يقولون بأنَّ الجسمَ مركَّبٌ من أجزاءٍ أضلاً، وأنكروا بناءً على ذلك: بَعَثَ الأجسادِ، والحَشَرَ، والجَنَّةَ، والنَّارَ، وجميعَ أحوالِ الآخرة، ويترتَّبُ على مذهبهم هذا: تكذيبُ الأنبياءِ والرسْلِ عليهم الصلاة والسلام، فيما جاؤوا به من عند الله تعالى، وهو مَذْهَبُ ظاهرِ البُطلانِ.

أمَّا الفريق الثاني: فهم المتكلِّمون من أهل السُّنَّةِ والجماعة والمعتزلة وبعض الفلاسفة، والجميعُ متفقون على وجود «الجزء» و«الجزئية»، و«الكلُّ» المؤلَّفُ والمركَّبُ منه وهو: «الجسم»، وعلى أنَّ كلَّ جسمٍ ينقسم بالفعل إلى أجزاءٍ، وهنا اختلفوا في: هل يتكرَّرُ انقسامُ كلِّ جزءٍ مقسومٍ؟:

فذهب المعتزلةُ وبعضُ الفلاسفة: إلى انقسام كلِّ جزءٍ إلى أجزاءٍ غير متناهية، وقالوا بتجزِّي الجزءِ فعلاً وعقلاً إلى ما لا نهاية.



وذهب المتكلمون من أهل السُّنَّة والجماعة: إلى انتهاء الانقسام إلى جزء لا يتجزأ عقلاً في الخارج، وإن لم يُرَ هذا الجزء الذي لا يتجزأ إلا بانضمامه إلى غيره، فهو يُدْرَك بالعقل لا بالفعل، لعجز الإنسان عن الوصول إليه بالفعل، وعَبَّرُوا عنه بالنُّقْطَة، ومَثَّلُوا لذلك عقلاً: بوضع كُرَّة حَقِيقِيَّة على سَطْح حَقِيقِيٍّ، فَإِنَّهَا لَا تَمَاسُّهُ إِلَّا بِجُزْءٍ غَيْرِ مَنْقَسِمٍ، إِذْ لو مَاسَّتْهُ بِجُزْأَيْنِ، لَكَانَ فِيهَا مُسْتَقِيمٌ، أَوْ: سَطْحٌ مُسْتَوٍ، فَلَا تَكُونُ الْكُرَّةُ كُرَّةً حَقِيقِيَّةً، وَهَذَا الْمَثَلُ افْتِرَاضِيٌّ لَيْسَ فِي مَقْدُورِ الْبَشَرِ، وَلِهَذَا ضَعَّفَهُ بَعْضُهُمْ، وَالْحَقُّ أَنَّهُ قَوِيٌّ.

وَيَتَرْتَّبُ عَلَى نَفْيِ وجودِ «الجزء الذي لا يتجزأ عقلاً»، ثَلَاثَةُ أُمُورٍ:  
أَوَّلُهَا: عَدَمُ وَصْفِهِ تَعَالَى بِالْقُدْرَةِ عَلَى خَلْقِهِ، وَهَذَا الْجُزْءُ «شَيْءٌ»، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَالثَّانِي: عَدَمُ تَحَقُّقِ الْإِحْصَاءِ فِي حَقِّهِ تَعَالَى لِلْأَشْيَاءِ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ الْقَائِلُ: ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨]، وَمِنَ الْإِحْصَاءِ: عِلْمُ عَدَدِ أَجْزَاءِ كُلِّ جِسْمٍ.

وَالثَّالِثُ: عَدَمُ طَهَارَةِ الْحَوْضِ الْكَبِيرِ، إِذَا وَقَعَتْ فِيهِ نَجَاسَةٌ، لِعَدَمِ تَنَاهِي تَجْزِيئِهَا.

وَفِي إِثْبَاتِ الْجُزْءِ الَّذِي لَا يَتَجَزَّأ، إِبْطَالُ لِمَذْهَبِ جُمْهُورِ الْفَلَسَفَةِ الْمُتَقَدِّمِ بَيَانُهُ.

المسألة الرابعة: «المَعْدُومُ لَيْسَ شَيْئًا».

وَفِيهَا قَالَ النَّازِمُ:

٢٠ - وَمَا الْمَعْدُومُ مَرْتَبًا وَشَيْئًا      لِفَقْهِ لَاحٍ فِي يُمْنِ الْهَلَالِ

«مَا»: نَافِيَةٌ تَعْمَلُ عَمَلَ «لَيْسَ»، وَ«الْمَعْدُومُ»: اسْمُهَا، وَ«مَرْتَبًا» خَبَرُهَا،



عَظَفَ عَلَيْهِ: «شَيْئاً»، وقوله: «لَفَقَهُ»: اللام للتعليل، و«لَفَقَهُ»: الفهم، يقال: «فَقِهَ الرَّجُلُ» بكسر القاف: فَهِمَ، وبضمها: صار فقيهاً.

وقوله: «لَا حَ»، قال الزَّمَخْشَرِيُّ في «أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ»: ومن المجاز: لَا حَ لِي أَمْرُكَ: بَرَزَ، و«يُؤْمِنُ الْهَلَالُ» أي: بَرَكَةُ الْهَلَالِ، وَيُؤْمِنُ الْهَلَالُ فِي أَوَائِلِهِ، فهو في أَوَّلِ لَيْلَةٍ وَالثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثَةِ: «هَلَالٌ»، ثم، هو: «قَمَرٌ»، كَذَا فِي «مَخْتَارِ الصَّحَاحِ»، وَقَالَ غَيْرُهُ: أَوَّلُهُ وَثَانِيهِ فَقَطْ، ثُمَّ هُوَ «قَمَرٌ»، وَلِهَذَا كَانَ سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٌ ﷺ يَقُولُ حِينَ يَرَى الْهَلَالَ: «اللَّهُمَّ أَهْلُهُ عَلَيْنَا بِالْيَمْنِ وَالْإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ»، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ، وَرَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَقَدْ أَخَذَ النَّازِمُ عِبَارَتَهُ مِنْ مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ.

ومجمل معنى البيت: أَنَّ «المعدوم» لا وجود له مطلقاً، فلا يسمَّى: «شَيْئاً»، وليس مرئياً، لِأَنَّ الَّذِي يُرَى هُوَ: الشَّيْءُ الْمَوْجُودُ، وَالْمَعْدُومُ لَا تَتَصَوَّرُ عَقْلاً رُؤْيَتُهُ، لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ مَتَعَلِّقَاتِ الْبَصَرِ.

وَأَشَارَ النَّازِمُ بِقَوْلِهِ فِي الشَّطْرِ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ: «لَفَقَهُ لَا حَ فِي يَمْنِ الْهَلَالِ»، إِلَى مِثَالٍ عَلَى مَا تَقَدَّمَ، فَقَبَّحَهُ النَّازِمُ مِنْ ظُهُورِ الْهَلَالِ، بَعْدَ احْتِجَابِهِ عَنِ الْأَبْصَارِ، حَيْثُ تَبَدُّ رُؤْيَتُهُ مِنْ حِينَ يُولَدُ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مُحْجُوباً لَا يُرَى، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمَعْدُومِ حَسّاً، فَتَوَقَّعْتُ رُؤْيَتَهُ عَلَى وَجُودِهِ ظَاهِراً لِلْعَيْنِ، وَسَائِرُ الْمَعْدُومَاتِ كَذَلِكَ، فَلَا تُرَى إِلَّا بَعْدَ وَجُودِهَا.

و«الشَّيْءُ» عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنَ الْمَاتَرِيذِيَّةِ وَالْأَشَاعِرَةِ: يُطْلَقُ عَلَى: «الْمَوْجُودِ»، فَكُلُّ «شَيْءٍ» عِنْدَهُمْ: «مَوْجُودٌ»، وَكُلُّ «مَوْجُودٍ»: شَيْءٌ، وَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي تَسَاعَدُ عَلَيْهِ اللَّغَةُ وَالنَّقْلُ، إِذْ لَا مَجَالَ لِلْعَقْلِ فِي إِثْبَاتِ اللَّغَاتِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]، وَبِهَذَا الْمَعْنَى قَالَ النَّازِمُ فِي الْبَيْتِ «الثَّامِنِ» وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُهُ:



نُسَمِّي الله شَيْئاً لَّا كَالْأَشْيَا      وذاتاً عن جِهَاتِ السَّتِّ خَالِي  
و«المعدوم» مطلقاً: ليس بشيء، لَأَنَّهُ مَنْفِيٌّ لَا حَقِيقَةً لَهُ، فَإِنَّ أَهْلَ اللُّغَةِ  
فِي كُلِّ عَصْرِ، يُظَلِّقُونَ لَفْظَ «الشَّيْءِ» عَلَى الْمَوْجُودِ، فَلَوْ قِيلَ عَنْدهُمْ:  
الْمَوْجُودُ شَيْءٌ، تَلَقَّوْهُ بِالْقَبُولِ، وَلَوْ قِيلَ: لَيْسَ بِشَيْءٍ، قَابِلُوهُ بِالْإِنْكَارِ،  
وَلَا يُفَرِّقُونَ فِي الْإِطْلَاقِ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ الْمَوْجُودُ قَدِيمًا، أَوْ: حَادِثًا، جَسَمًا،  
أَوْ: عَرَضًا، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتَكُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم ٩]،  
يَنْفِي إِطْلَاقَ «الشَّيْءِ» عَلَى الْمَعْدُومِ، لِأَنَّ الْحَقِيقَةَ لَا يَصِحُّ نَفْيُهَا.

وذهب بعضُ المعتزلة: إِلَى أَنَّ الْمَعْدُومَ الْمُمْكِنَ: «شَيْءٌ»، بِمَعْنَى: أَنَّهُ  
ثَابِتٌ مُتَقَرَّرٌ فِي الْخَارِجِ، مُنْفَكٌّ عَنْ صِفَةِ الْوُجُودِ، وَإِنَّمَا قَيَّدُوا الْمَعْدُومَ  
بِ«الْمُمْكِنِ» لِأَنَّ الْمَعْدُومَ الْمُمْتَنِعَ، كاجتماع النَّقِیْضَيْنِ لَا تَقَرَّرُ لَهُ أَضْلًا،  
فَلَيْسَ بِشَيْءٍ اتِّفَاقًا، وَذهب الجاحِظُ ومعتزلةُ البصرة، إِلَى أَنَّ الشَّيْءَ هُوَ:  
الْمَعْلُومُ.









## الباب الرابع في «النَّبَوِيَّاتِ»

- وفيه سبع مسائل
- المسألة الأولى: «تعريف: الرَّسول والنَّبِيُّ»
- المسألة الثانية: «عَدَدُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ»
- المسألة الثالثة: «نفي نُبُوَّةِ ذِي الْقُرْنَيْنِ وَلُقْمَانَ»
- المسألة الرابعة: «صفاتُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»
- المسألة الخامسة: «عِصْمَةُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»
- المسألة السادسة: «المعجزة»
- المسألة السابعة: «خصائص سيِّدنا محمد ﷺ»







## الباب الرَّابِع:

### في النَّبَوِيَّات

وفيه: سَبْعُ مسائل:

للمسألة الأولى: «تعريف الرسول والنبي».

للعلماء في تعريف: «الرسول» و«النبي» أقوال، أغربها وأبعدها عن الصواب: ما تناقله كثير من المتأخرين في كتبهم، وشاع أمره على ألسن طلبه العلم، حتى عدوه من المسلمات، وهو زعمهم: أَنَّ «النبي» هو: «مَنْ أوحى الله إليه بشرع ولم يأمره بتبليغه للناس»، بخلاف «الرسول»، فهو مأمور بالتبليغ وحده.

فالرسول والنبي على هذا القول: يوحى إليهما بشرع، ولكن الرسول يؤمر بالتبليغ، والنبي لا يؤمر بذلك، وهذا يعني: أَنَّ الشرع الموحى به إليه هو له خاصّة، دون سائر الناس، ولم يورّد أحد من قائلِي هذا القول دليلاً عليه.

والصحيح في هذه المسألة: أَنَّ كلاً من الرسول والنبي، قد أوحى الله إليه، فأوحى الله إلى «الرسول» رسالة هي: «الإسلام»، المتضمن عقائد الإيمان وشريعة الأحكام، وأمره بتبليغها إلى مَنْ أرسله إليهم، قال تعالى: ﴿بَيَّأْنَا الرَّسُولَ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال تعالى حكاية عن نبي الله ورسوله صالح ﷺ: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَكْفُورُ لَقَدْ أَتَفْتَكُمُ رَسُولًا مِنْ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تَحِبُّونَ الْنَّصِيحَةَ﴾ (٧٩).



أَمَّا «النَّبِيُّ»: فهو: مَنْ أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ لَا بِشَرِّعٍ، لَكِنْ يَأْمُرُهُ بِاتِّبَاعِ رِسَالَةِ الرَّسُولِ الَّذِي سَبَقَهُ، وَبِتَبْلِيغِهَا إِلَى أَصْحَابِهَا، وَالْحُكْمَ بِهَا بَيْنَهُمْ، كَرِسَالَةِ مُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، الَّتِي أَمَرَ اللهُ تَعَالَى أَنْبِيََاءَهُمْ بِتَبْلِيغِهَا وَالْعَمَلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِمَا، قَالَ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً﴾ [المائدة: ٤٤]، فَهَذِهِ الْآيَةُ صَرِيحَةٌ فِي بَيَانِ عَمَلِ النَّبِيِّينَ وَأَهْلِ الْعِلْمِ بِالتَّوْرَةِ، الَّتِي اتَّيَمَّنَهُمُ اللهُ عَلَيْهَا وَعَلَى مَا فِيهَا.

وَلَأَنَّ النَّبِيَّ مَأْمُورٌ بِالتَّبْلِيغِ، وَالْعَمَلَ بِشَرِّعِ الرَّسُولِ الَّذِي قَبْلَهُ، وَلَيْسَ صَاحِبَ «شَرِيعَةٍ»، فَقَدْ اعْتَبَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: كُلَّ نَبِيٍّ رَسُولًا، لَا عَلَى أَنَّهُ صَاحِبُ رِسَالَةٍ وَشَرِيعَةٍ، وَلَكِنْ، عَلَى أَنَّهُ مَبْلُغٌ رِسَالَةَ الرَّسُولِ، فَقَالُوا: «كُلُّ نَبِيٍّ رَسُولٌ» بِهَذَا الْمَعْنَى، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: وَالِدَلِيلُ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْقَوْلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَعَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢]، فَأَوْجِبَ لِلنَّبِيِّ الرِّسَالَةَ، وَأَنَّ مَعْنَى: «نَبِيٍّ»: «أَنْبَأَ عَنِ اللَّهِ» عَزَّ وَجَلَّ، وَمَعْنَى: «أَنْبَأَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى»: الْإِرْسَالُ بِعَيْنِهِ أَهـ.

وَحَمَلَ بَعْضُهُمْ مَعْنَى: «الرَّسُولَ»، عَلَى صَاحِبِ الرِّسَالَةِ فَقَطْ، فَقَالُوا: كُلُّ رَسُولٍ نَبِيٍّ، وَلَيْسَ كُلُّ نَبِيٍّ رَسُولًا، وَصَحَّحَهُ الْقَاضِي عِيَاضُ فِي «الشِّفَاءِ»، وَقَالَ مُحَمَّدُ الْقَوْنَوِيُّ النَّسْفِيُّ فِي كِتَابِهِ: «الْقَلَائِدُ شَرْحُ الْعُقَائِدِ»: وَالنَّبِيُّ: مَنْ لَمْ يُنْزَلِ اللهُ عَلَيْهِ كِتَابًا، وَلَمْ يَأْمُرْهُ بِحُكْمٍ جَدِيدٍ، بَلْ أَمَرَهُ بِأَنْ يَدْعُوَ النَّاسَ إِلَى دِينِ الرَّسُولِ الَّذِي قَبْلَهُ أَهـ، وَيُمَثِّلُهُ قَالَ الْبَيْضاوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ، وَالِدَلِيلُ عَلَى ذَلِكَ: أَنَّ كُفْرَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَتَلُوا بَعْضَ الرُّسُلِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠]، وَقَتَلُوا كَثِيرًا مِنَ الْأَنْبِيََاءِ وَالْمُصَلِّحِينَ مِنَ النَّاسِ أَيْضًا،



لأنهم أمروهم بالمعروف ونهَوْهم عن المنكر، قال جلَّ وعزَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]، فلو لم يأمرهم بالقسط لما قتلوهم، ويؤيد ما قلناه: قوله ﷺ في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، عند أبي داود والترمذي: «وإنَّ العلماء ورثة الأنبياء»، أي: إن العلماء في أمة سيدنا محمد ﷺ ورثة عمل الأنبياء في الأمم السابقة، لأنَّه لا نبيَّ بعده ﷺ، وكان عملهم تبليغ رسالة الرسول كما ذكرنا، يؤيِّده قوله ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»، رواه البخاريُّ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، كما أنَّ في قصَّة الملك «طالوت»، الذي بعَّثه الله لبني إسرائيل ملكاً، يقودهم إلى الجهاد في سبيل الله تعالى، أَوْضَحَ دليل على ما ذكرناه من الصَّواب في هذه المسألة.

#### المسألة الثانية: «عَدَدُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ».

الصَّحِيحُ في هذه المسألة، الذي يتعين التعويلُ عليه هو: أنه لا يعلم عدد الأنبياء والمرسلين إلَّا الله تعالى وحده، لقوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَرُسُلًا قَدْ فَصَّصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤]، ولأنَّ عَدَدَ الأمم منذ آدم عليه السلام لا يعلمه إلَّا الله تعالى، وقد بعَثَ الله في كلِّ أُمَّةٍ رسولاً كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، وقال جلَّ وعزَّ: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقد أخبرنا الله تعالى بكثرة ما خَلَقَ من أُمَمٍ وأجيالٍ، فقال سبحانه: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ آلِ رَيْسٍ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨].

أمَّا ما جاء في حديث أبي ذرِّ الغِفاريِّ رضي الله عنه، عند أحمد وابن حبان مرفوعاً: أنَّ عدد الأنبياء: مائة ألفٍ وأربعة وعشرون ألفاً، وأنَّ المرسلَ منهم: ثلاثمائة وخمسة عشر، ففي سندِ هذا الحديث ثلاثة رواة، تكلمَ فيهم



عَدَدٌ مِنَ الْأَثْمَةِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ، فَلَا يَنْهَضُ دَلِيلًا عَلَى تَعْيِينِ الْعِدَدِ الْمَذْكُورِ، وَجَاءَ فِي رَوَايَاتٍ أُخْرَى: أَنَّ عِدَدَ الْأَنْبِيَاءِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ، وَفِي بَعْضِهَا: أَنَّهُ أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ، وَالصَّحِيحُ هُوَ: مَا ذَكَرْنَاهُ.

وَلَأَنَّ إِثْبَاتَ النَّبَوَّةِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِدَلِيلٍ، وَلَا دَلِيلٌ يُثْبِتُ نَبَوَّةَ كُلِّ مَنْ: «ذِي الْقَرْنَيْنِ»، «وَلُقْمَانَ»، فَقَدْ صَرَّحَ النَّازِمُ بِالْقَوْلِ الصَّحِيحِ وَهُوَ: عَدَمُ نُبُوتِهِمَا، وَهِيَ:

المسألة الثالثة: «نفي نبوة ذي القرنين ولقمان».

وإليها أشار الناظم بقوله:

٢١ - وَذُو الْقَرْنَيْنِ لَمْ يُعْرِفْ نَبِيًّا كَذَا لُقْمَانُ، فَاخْذَرْ عَنْ جِدَالٍ  
وَالْمَعْنَى: احْذَرِ الْمَجَادَلَةَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَاجْزَمْ بِعَدَمِ نُبُوتِهِمَا لِعَدَمِ  
ثُبُوتِهَا.

فَذُو الْقَرْنَيْنِ: كَانَ مَلِكًا مُؤْمِنًا صَالِحًا عَادِلًا، جَاءَتْ قِصَّتُهُ فِي «سُورَةِ الْكَهْفِ»، وَأَنَّهُ بَلَغَ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ، وَمَلَكَ الْأَقَالِيمَ، وَبَنَى السِّدَّ فِي وَجْهِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٢﴾ إِنَّا مَكَنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ [الكهف: ٨٣-٨٤]، وَحِينَ أَتَمَّ بِنَاءَ السِّدِّ ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨].

وَسُمِّيَ: «ذَا الْقَرْنَيْنِ»، لِأَنَّهُ بَلَغَ قَرْنَيِ الشَّمْسِ شَرْقًا وَغَرْبًا، وَمَلَكَ مَا بَيْنَهُمَا، وَهُوَ قَوْلُ الزُّهْرِيِّ، وَاخْتَلَفُوا فِي اسْمِهِ عَلَى أَقْوَالٍ، وَلَا دَلِيلَ عَلَى أَيِّ مِنْهَا، وَلَيْسَ هُوَ ذَاكَ الْمَسْمُومِي: «الْإِسْكَندَرُ الْيُونَانِيُّ الْمَقْدُونِيُّ» بَانِي مَدِينَةِ «الْإِسْكَندَرِيَّةِ» بِمِصْرَ، فَالْإِسْكَندَرُ ذُو الْقَرْنَيْنِ هَذَا كَانَ مُشْرِكًا، وَكَانَ بَعْدَ «ذِي الْقَرْنَيْنِ» الْمُؤْمِنِ الْأَوَّلِ بَزْمَنٍ طَوِيلٍ، إِذْ كَانَ بَيْنَ زَمَانِيهِمَا أَزِيدُ مِنْ أَلْفِي سَنَةٍ.

وَأَمَّا «لُقْمَانُ»: فَقَدْ كَانَ رَجُلًا مُؤْمِنًا، آتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى الْحِكْمَةَ، قَالَ



سبحانه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَنَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ [لقمان: ١٢]، وفي القرآن العظيم سورة باسمه، أخبرنا الله تعالى فيها ببعض حِكْمِهِ رحمه الله تعالى، وهو يَعِظُ وَلَدَهُ ويوصيه، منها قوله له: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

المسألة الرابعة: «صفات الأنبياء عليهم السلام».

وإليها أشار الناظم بقوله:

٢٢ - وَمَا كَانَتْ نَبِيًّا قَطُّ أَنْثَى وَلَا عَبْدٌ وَشَخْصٌ ذُو افْتِعَالٍ

جَعَلْنَا عنوانَ هذه المسألة: «صفات الأنبياء» لنشيرَ إلى أَنَّ هذه الصفات جميعها، تَجِبُ شرعاً وعقلاً لكلِّ نبيٍّ ورسولٍ، ولا يَصِحُّ نفْيُ أَيْةٍ صفةٍ منها عن «الأنبياء» غير المرسلين، كصفتي: الفطانة والتبليغ، اللتين نفاهما عنهم بعضُ العلماء، وقالوا بعدم وجوبهما في حَقِّهِمْ ﷺ، بزعم: أَنَّهُمْ غيرُ مأمورين بالتبليغ كما هو شائع، خلافاً للصحيح، إذ «النَّبِيُّ» مأمور بالتبليغ كما بَيَّنَّا في «المسألة الأولى»، وممن صرح بهذا النَّفْي: إبراهيم اللقانيُّ في شرح «جوهرته»، وتبعه آخرون، وهذا مذهبٌ لا يَتَّفَقُ مع التعريف الصحيح للنَّبِيِّ، وهو أيضاً مذهبٌ غريبٌ، إذ لو لم يكن النَّبِيُّ مأموراً بالتبليغ فَرَضاً، فلا يَصِحُّ تجويز أن يكون مُعَقَّلاً بليدَ الذَّهْن، وهو وَصِفَ يَتَنَزَّه عنه ولا يرتضيه لنفسه مُطْلَقُ إنسان.

وقولُ الناظم: «ذو افتعال»: قال في «القاموس المحيط»: افْتَعَلَ الشيء: ابتدَعَهُ واختَلَقَهُ، وافتعل عليه كَذِباً: اختَلَقَهُ، والمعنى: ما كان نبياً شخصٌ صاحبُ فعلٍ أو قولٍ مخالفٍ لشرع الله تعالى، كما سيأتي بيانه.

وقد أشار الناظم في هذا البيت إلى صفة «الذكورة» بقوله: «وما كانت نبياً قَطُّ أَنْثَى»، وإلى صفة «الحُرِّيَّة» بقوله: «ولا عَبْدٌ»، وأشار إلى سائر الصفات بقوله: «وشخصٌ ذو افتعال».



و«صفات الأنبياء»: عَشْرُ صفاتٍ، ثَبَتَتْ بِالشَّرْعِ وبالعقل، وهي:

الصِّفَةُ الْأُولَى: «الرُّجُولَةُ»:

فلا تكون النُّبُوَّةُ في الإِنَاثِ، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ [يوسف: ١٠٩]، وَلَأنَّ المرأةَ غَيْرُ مُهَيَّأةٍ لحمل الرسالة ودعوة الناس إليها، بسبب ما جَبَلَهَا اللهُ تعالى عليه من خصوصيَّةٍ، في تكوينها الجِسْمَانِيَّ والنَفْسِيَّ، أمَّا قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرَ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]، فقيل: الوحي كان قولاً في منامها، وقال قتادة: كان إلهاماً، وقالت فرقة: كان الوحي بِمَلَكٍ تَمَثَّلَ لها كما تَمَثَّلَ جبريلُ ﷺ لمريم: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]، قال القرطبي: وأجمع الكلُّ على أَنَّ أمَّ موسى ﷺ لم تكن نبيَّةً، اهد وإِنَّمَا إرساؤُ المَلَكِ لإعلامها بما تفعله لإنقاذ وليدها من الذَّبْحِ، وهو ما جاء في الآية المذكورة من «سورة القصص» وتتمتها: ﴿فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيَهُ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا رَأَوْنَاهُ إِلَيْنَا وَجَعَلْنَاهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]، ولم يَرُدَّ في القرآن ولا في السُّنَّةِ، ذِكْرُ امرأةٍ على أَنَّها نبيٌّ مطلقاً.

الصِّفَةُ الثَّانِيَّةُ: «الْحُرِّيَّةُ»:

فيجب شرعاً: أن يكون النَّبِيُّ حُرّاً، لَأنَّ الرقيق مُقَيَّدُ التصرُّفِ، مَسْلُوبُ الولاية على كُلِّ شيءٍ، بخلاف الحرِّ صاحبِ الولاية المطلقة في التصرُّفِ، كما قال جَلٌّ وَعَزٌّ: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [النحل: ٧٥]، وَلَأنَّ نفوسَ البشر تَأْنَفُ من اتباع الدُّونِ وَالْأَخْسَرِ.

الصِّفَةُ الثَّالِثَةُ: «الْأَدَمِيَّةُ»:

فيجب: أن يكون «النبيُّ» من البشر، أي: من بني آدم ﷺ، لقوله



تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١].

وليس في الجن أنبياء، ولكن فيهم مُنذِرُونَ يبلِّغون قومهم ما أنزله الله تعالى على الرسل، قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرَكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن: ١، ٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَنْقُومَنَا إِيحْيُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجْرِكَم مِّنْ عَذَابِ إِلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣٢].

ولم يرسل الله تعالى ملكاً رسولاً إلى الإنس والجن، وحين استغرب المشركون أن يرسل الله إليهم بشراً مثلهم، نزل قوله جلَّ وعزَّ ب: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾﴾ [الإسراء: ٩٤ و ٩٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلِيكُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنعام: ٩].

والحكمة في جعل النبوة في «الإنس» دون «الجن»: أَنَّ الإنس أفضل من الجن، والمفضلون يتبع الفاضل، وَأَنَّ الجن يرون الإنس ويسمعون كلامهم، ويجلسون معهم، فيكون أخذ الدين عن النبي ميسوراً لهم، بخلاف الإنس، فإنهم لا يرون الجن، ولا يسمعونهم، ولا يُحشون بهم، قال الله تعالى في الشيطان وجنوده وهم من «الجن»: ﴿إِنَّكُمْ بِرَبِّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].



أَمَّا الْمَلَائِكَةُ: فلم يبعث الله تعالى منهم رسلاً إلى البشر لأنَّ الإنسان لا يرونهم، ولا يستطيعون أَخْذَ الدِّينِ عنهم، بسبب الاختلاف في أصل الخَلْقَةِ، ولو شاء الله إرسالَ مَلَكٍ من الملائكة إلى الناس، لجعله رجلاً مثلهم، - كما قال في آيات «الأنعام» المذكورة - أي: لَبَدَّلَ خَلْقَهُ من مَلَكٍ إلى إنسانٍ كاملٍ الإنسانيَّةِ، فيظل الالتباس عند الكفرة قائماً.

### الصِّفَةُ الرَّابِعَةُ: «شَرَفُ النَّسَبِ»:

يختار الله تعالى أنبياءَهُ وَيُضَظْفِيهِمْ، مِنْ خِيَارِ أَمَمِهِمْ نَسَباً وَأَشْرَفِهِمْ حَسَباً، ففي الصَّحِيحِينَ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه، في حوارِ هرقلَ ملك الروم، مع أبي سفيان يسأله عن سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم: «فَقَالَ لِلتَّرْجُمان: قُلْ لَهُ: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبٍ قَوْمِهَا»، وقد جَزَمَ هِرَقْلُ بذلك، لما عَلِمَهُ في الكُتُبِ السَّالِفَةِ، وروى البخاريُّ عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ، قُرْناً بَعْدَ قُرْنٍ، حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقُرُونِ الَّتِي كُنْتُ فِيهَا»، وروى مسلم عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى قُرَيْشاً مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى بَنِي هَاشِمٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»، وَأَخْبَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِمَا قَالَتْهُ ثُمُودُ لِنَبِيِّهِمْ صَالِحٍ عليه السلام فَقَالَ سُبْحَانَهُ: «قَالُوا يُصَلِّحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا» [هود: ٦٢]، أي: كُنَّا نَرْجُو أَنَّ تَكُونَ فِينَا سَيِّداً قَبْلَ دَعْوَتِكَ النَّبُوَّةِ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: «مَرْجُوًّا» أي: «فَاضِلاً خَيْراً، نُقَدِّمُكَ عَلَى جَمِيعِنَا».

### الصِّفَةُ الْخَامِسَةُ مِنْ صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ: «الِاصْطِفَاءُ»:

فَالنَّبُوَّةُ فَضْلٌ مِنَ الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يَخْتَصُّ بِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَلَا تُنَالُ النَّبُوَّةُ بِكَثْرَةِ الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ» [الحج: ٧٥].



قال إبراهيم اللقاني في «جوهرة»:

ولم تَكُنْ نُبُوَّةٌ مُكْتَسَبَةٌ      ولو رَقَى فِي الْخَيْرِ أَعْلَى عَقَبَةٍ  
بل ذاك فضل الله يؤتيه لمن      يشاء جلَّ الله واهبُ المِنَّنِ

الصفة السادسة: «سلامة الجسم وجمال الوجه»:

فالله تعالى اختار أنبياءه: أَصَحَّ أَقْوَامَهُمْ جِسْماً، وَأَجْمَلَهُمْ وَجْهًا، وَلَمْ يُنْبِئْ نَبِيًّا مُعَوِّقًا أَوْ مُصَابًا بَعْلَةً مُنْفَرَّةً، وَلَا دَمِيمًا قَبِيحَ الْوَجْهِ، لِأَنَّ صِحَّةَ الْبَدَنِ وَجَمَالَ الْوَجْهِ، أَدْعَى لِلْقَبُولِ عِنْدَ النَّاسِ، وَلِهَذَا اخْتَارَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ الصَّحَابِيُّ «دُحِيَّةَ الْكَلْبِيِّ»، رَسُولًا لَهُ إِلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ، لْجَمَالِهِ ﷺ، وَسَيَاتِي فِي «الْمَبْحَثِ الثَّانِي» مِنْ هَذَا الْبَابِ: ذَكَرُ جَمَالَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، فَقَدْ رَوَى الشَّيْخَانُ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا»، وَقَدْ أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى ذَلِكَ، وَرَوَى أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، فِي حَدِيثِ «الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ»: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى يُوسُفَ ﷺ فِي السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ وَقَالَ: «فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ، وَإِذَا هُوَ نَدَا أَعْطِي شَطْرَ الْحُسَيْنِ».

أَمَّا «الْعُقْدَةُ» الَّتِي كَانَتْ فِي لِسَانِ مُوسَى ﷺ، فَقَدْ حَلَّهَا اللَّهُ تَعَالَى بِدَعَائِهِ رَبُّهُ جَلَّ وَعَزَّ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٧) يَقْفَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَرُونَ أَخِي (٣٠) أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى (٣١) وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي (٣٢)﴾ [طه: ٢٧ - ٣٢]، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يُوسُفُ﴾ [طه: ٣٦].

أَمَّا بَعْدَ النُّبُوَّةِ: فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَفِظَ أَنْبِيََاءَهُ مِنَ الْعَاهَاتِ وَالْأَمْرَاضِ الْمُنْفَرَّةِ، فَلَا يَصَابُ النَّبِيُّ بِالْعَمَى، أَوْ: الصَّمَمِ، أَوْ: الْبَرَصِ، أَوْ: الْجُدَامِ،



أَو: الْجَرْبِ، ونحو ذلك، ولا صَحَّةَ لما هو موجود في بعض كتب التفسير وقصص الأنبياء: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ أَيُوبَ عليه السلام، قد بلغ به المرضُ حَدًّا تَنَاطَرَتْ مِنْهُ الدُّودُ وَهَجَرَهُ النَّاسُ، فهذا كلامٌ باطلٌ لا تجوز روايتهُ إِلَّا على سبيل البيان.

وَالصَّوَابُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ ابْتَلَى عَبْدَهُ أَيُوبَ عليه السلام، فِي جَسَدِهِ وَمَالِهِ وَأَهْلِهِ بِبَلَاءٍ شَدِيدٍ، وَلَمْ يَبْلُغْ مَرَضُهُ حَدَّ التَّنْفِيرِ كَمَا زَعَمُوا، فَصَبَرَ عليه السلام عَلَى مَا ابْتَلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، حَتَّى صَارَ فِي الصَّبْرِ مَثَلًا، فَكَشَفَ اللَّهُ عَنْهُ الْبَلَاءَ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ يَدَكَ مِنَّا فَخُذْ يَدَ الْغَافِلِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [ص: ٤٣ - ٤٤].

أَمَّا الْأَمْرَاضُ غَيْرُ الْمُنْقَرَةِ، فَجَائِزٌ حُلُولُهَا فِي الْأَنْبِيَاءِ، وَكَذَا الْحُزْنُ وَالْأَلَمُ وَالتَّعَبُ وَنَحْوُهَا.

وَأَمَّا «يَعْقُوبَ» عليه السلام، فَإِنَّهُ لَمْ يُصَبَّ بِالْعَمَى كَمَا تَوَهَّمَ الْبَعْضُ، وَلَكِنْ: حَدَّثَ عَلَى عَيْنِهِ - بِسَبَبِ كَثْرَةِ الْبُكَاءِ عَلَى يُوسُفَ - غَشَاوَةٌ حَاجَبَتْ بَصَرَهُ، فَلَمَّا بُشِّرَ بِالْعُثُورِ عَلَيْهِ، زَالَتْ الْغَشَاوَةُ وَارْتَدَّ بِصِيرًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ [يوسف: ٩٦]، وَذَلِكَ عَمَلًا بِطَلَبِ يُوسُفَ مِنْ إِخْوَتِهِ حَيْثُ قَالَ لَهُمْ: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ [يوسف: ٩٣].

### الْصِّفَةُ السَّابِعَةُ: «الْفِطَانَةُ»:

«الْفِطَانَةُ» - بفتح الفاء وكسرهما بمعنى: الْفَهْمُ، يُقَالُ: فَطَنَهُ، أَي: فَهَّمَهُ، فَهُوَ «فَظِنٌّ»، وَعَكْسُهُ: «الْمُعْظَلُّ» وَهُوَ: مَنْ لَا فِطْنَةَ لَهُ.

فِيَجِبُ فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ جَمِيعًا: أَنْ يَتَّصِفُوا بِالْفِطْنَةِ وَالْفَهْمِ وَالدَّكَاةِ، لِإِلْزَامِ الْمَعَانِدِينَ وَإِبْطَالِ دَعْوَاتِهِمْ وَعَقَائِدِهِمُ الْفَاسِدَةِ، وَالْمُعْظَلِّ



لَا تُمَكِّنُهُ إِقَامَةُ الْحُجَّةِ، وَلَأَنَّهُمْ شُهُودُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْعِبَادِ، وَلَا يَكُونُ الشَّاهِدُ مُعَفَّلاً، فَكَانَ الْأَنْبِيَاءُ كَافَّةً: أَكْمَلَ الْخَلْقَ فَهَمًّا، وَأَرْجَحَهُمْ عَقْلاً، وَأَقْوَاهُمْ حُجَّةً، عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

### الصِّفَةُ الثَّامِنَةُ: «الصِّدْقُ»:

فَيَجِبُ فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ جَمِيعاً الصِّدْقُ، صِفَةً لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَذَلِكَ: لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى صَدَّقَهُمْ بِمَا أَنْزَلَهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْوَحْيِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]، وَلَأَنَّهُ تَعَالَى صَدَّقَهُمْ بِالْمُعْجَزَاتِ الَّتِي خَلَقَهَا عَلَى أَيْدِيهِمْ، وَالْمُعْجَزَةُ بُرْهَانٌ عَلَى أَنَّ مَنْ ظَهَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ، صَادِقٌ فِي كُلِّ مَا يَبْلُغُ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَوْ لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَادِقاً، لَمَا صَدَّقَهُ اللَّهُ بِالْمُعْجَزَةِ، لِأَنَّ تَصْدِيقَ الْكَاذِبِ كَذِبٌ، وَالْكَذِبُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مُحَالٌ، لِأَنَّ خَبْرَهُ تَعَالَى إِنَّمَا يَكُونُ عَلَى وَفْقِ عِلْمِهِ، وَالْخَبْرُ عَلَى وَفْقِ عِلْمِهِ تَعَالَى لَا يَكُونُ إِلَّا صَادِقاً.

وَالْأَنْبِيَاءُ مَعْصُومُونَ عَنِ الْكَذْبِ الْمَذْمُومِ شَرْعاً، قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَبَعْدَهَا، فَنَفِي الصَّحِيحِينَ وَغَيْرِهِمَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، فِي حِوَارِ هِرَقْلَ مَلِكِ الرُّومِ مَعَ أَبِي سَفْيَانَ، يَسْأَلُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، قَالَ هِرَقْلُ لَهُ: «سَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذْبِ، قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ نَذَكَّرْتُ: أَنْ لَا، فَقَدْ عَرَفْتُ: أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ، وَيُكَذِّبَ عَلَى اللَّهِ».

### الصِّفَةُ التَّاسِعَةُ: «الْأَمَانَةُ»:

فَيَجِبُ عَلَيْنَا: اعْتِقَادُ اتِّصَافِ الْأَنْبِيَاءِ بِصِفَةِ «الْأَمَانَةِ»، فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، طَبَقاً لِمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، وَالْمُرَادُ بِ«الْأَمَانَةِ»: «حِفْظُ اللَّهِ تَعَالَى ظَوَاهِرَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ، مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْمَحْرَمَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ كَافَّةً»،



كما سنبين في مسألة «العصمة» التالية، وقد أَمَرَنَا اللهُ جَلَّ وَعَزَّ بِاتِّبَاعِهِمْ  
وَالِاقْتِدَاءِ بِهِمْ، كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ  
فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، فلو خانوا بفعلٍ مُحَرَّمٍ أَوْ مَكْرُوهٍ، لِلزَّمِ اتِّبَاعُهُمْ فِي ذَلِكَ،  
وَالله لَا يَأْمُرُ بِفَعْلٍ مُحَرَّمٍ وَلَا مَكْرُوهٍ.

فَالْأَنْبِيَاءُ جَمِيعاً أَمْنَاءُ اللهُ تَعَالَى عَلَى وَخِيهِ، أَخَذُوا مَا أَوْحَاهُ إِلَيْهِمْ بِقُوَّةٍ  
وَعَزْمٍ، وَبَلَّغُوهُ النَّاسَ.

### الصِّفَةُ الْعَاشِرَةُ مِنْ صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ: «التَّبْلِيغُ»:

فِيَجِبُ اعْتِقَادُ: أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ ﷺ قَدْ بَلَّغُوا كُلَّ مَا أُمِرُوا بِتَّبْلِيغِهِ لِلنَّاسِ،  
وَلَمْ يَكْتُمُوا مِنْهُ شَيْئاً، لِأَنَّ كِتْمَانَ شَيْءٍ مِمَّا أُمِرُوا بِتَّبْلِيغِهِ، هُوَ خِيَانَةٌ لِلْأَمَانَةِ،  
وَهِيَ مُسْتَحِيلَةٌ فِي حَقِّهِمْ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَاللهُ تَعَالَى قَدْ ائْتَمَنَهُمْ عَلَى  
وَخِيهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ سُبْحَانَهُ: أَنَّهُمْ سَيُؤَدُّونَ الْأَمَانَةَ كَمَا أَمَرَهُمْ، وَعِلْمُهُ تَعَالَى  
لَا يَتَخَلَّفُ، رَوَى مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةِ  
عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «لَوْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ كَاتِماً شَيْئاً مِنَ الْوَحْيِ لَكُنْتُمْ هَذِهِ الْآيَةُ:  
﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي  
نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَخَشِيَ النَّاسُ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وَذَلِكَ  
لَشِدَّةِ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَيْهِ ﷺ، وَهِيَ آيَةُ تَخْصُصُهُ وَحْدَهُ، وَلَكِنْ: حِينَ نَزَلَ بِهَا  
الْوَحْيُ، بَلَّغَهَا ﷺ وَعَمِلَ بِهَا.

### المَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ: «عِصْمَةُ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ».

وإليها أشار الناظم بقوله:

٢٣ - وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَفِي أَمَانٍ مِنْ الْوَضْيَانِ عَمْدًا وَانْعِزَالٍ  
«الْعِصْمَةُ» لُغَةً: الْمَنْعُ وَالْحِفْظُ، يُقَالُ: عَصَمَهُ: مَنَعَهُ وَوَقَاهُ، وَعَصَمَهُ  
اللهُ: جَعَلَهُ ذَا عِصْمَةٍ مِنَ الْخَطَايَا.



والعصمة عند الفلاسفة: «مَلَكَهٌ تَمْنَعُ من الفجور»، وعند المتكلمين: «أَنْ لَا يَخْلُقَ اللهُ فِي النَّبِيِّ ذَنْباً»، وعَرَّفَهَا الكَمَالُ ابنُ الهُمَامِ في كتابه: «التحرير في أصول الفقه» بأنها: «عَدَمُ القدرة على المعصية».

وقوله: «عمداً»، قال في «مختار الصحاح»: «عَمَدَ للشيء: قَصَدَ له، أي: تَعَمَّدَ، وهو ضدُّ الخطأ اهـ».

وقوله: «وانعزال»: قال في «لسان العرب»: «عَزَلَ الشيءَ يَعْزِلُهُ، عَزْلاً، فاعْتَزَلَ، وانعزَلَ: نَحَّاهُ جانباً فَتَنَحَّى اهـ. وهو معطوف على: «العصيان».

والمعنى: أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ آمَنُونَ مِنَ الْعَصِيَانِ، وَمِنْ عَزْلِهِمْ مِنَ التَّبَوُّةِ، فَلَا تُسَلَبُ التَّبَوُّةُ مِنَ النَّبِيِّ أَبَداً.

وفي حكم «الخطأ» شرعاً: «السَّهْوُ والنَّسيان»، وهما شيءٌ واحد عند كثير من أهل العلم، قال في «المختار»: «السَّهْوُ»: الغَفْلَةُ، وقد سَهَا عن الشيء فهو سَاهٍ، و«النَّسيان»: ضِدُّ الذِّكْرِ والحِفْظِ اهـ.

وأشار الناظم بقوله: «عمداً»، إلى أَنَّ «المعصية» لَا تكون معصيةً يُوَاخِذُ بِهَا فاعِلُهَا إِلَّا إِذَا فَعَلَهَا عَمْداً، وَلَمْ يُرِدِ النَّاطِمُ: أَنَّ مَخَالَفَةَ الْأَمْرِ عن نسيانٍ أو خطأ، هي معصيةٌ لَمْ يُعْصَمْ مِنْهَا الْأَنْبِيَاءُ، كَمَا تَوَهَّمُ بَعْضُهُمْ، فَاخْتَلَفُوا فِي جَوَازِ وَقُوعِ الْمَعْصِيَةِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى هَذَا النِّحْوِ، اخْتِلَافاً كَثِيراً لَا طَائِلَ فِيهِ، وَلَوْ رَدُّوا الْأَمْرَ إِلَى الشَّرْعِ لَخَرَجُوا مِمَّا وَرَّطُوا أَنْفُسَهُمْ فِيهِ.

فقد عَرَّفَ أَهْلُ الْعِلْمِ «المَعْصِيَةَ» بِأَنَّهَا: «مَخَالَفَةُ الْأَمْرِ قَصْداً»، فَإِنْ كَانَتِ الْمَخَالَفَةُ بِفَعْلٍ مُحَرَّمٍ كَالْقَتْلِ، أو إِفْسَادِ فَرِيضَةٍ كَجَمَاعِ الصَّائِمِ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ، قَدْ حَصَلَتْ عَمْداً، فَهِيَ مَعْصِيَةٌ فِيهَا الْإِثْمُ وَالْمُؤَاخَذَةُ، وَإِنْ وَقَعَتِ الْمَخَالَفَةُ عَنْ نِسْيَانٍ، أو: سَهْوٍ، أو خطأ، فَلَيْسَتْ بِمَعْصِيَةٍ أَصْلاً، وَلَا إِثْمَ



فيها بالإجماع، فجاز في حَقِّ الأنبياء وقوع المخالفة في بعض العبادات سهواً ونسياناً، للتشريع وبيان الأحكام، وهو نادرٌ جداً، كسهو سيّدنا محمد ﷺ في صلاة رُبَاعِيَّةٍ، فقد روى الشَّيْخَان وغيرهما - وَاللَّفْظُ لِلْبَخَارِيِّ، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ انصرف من اثنتين، فقال ذُو الْيَدَيْنِ: أَقْصَرْتَ الصَّلَاةَ أَمْ نَسِيتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فقال رسول الله ﷺ: «أَصَدَقَ ذُو الْيَدَيْنِ؟»، فقال الناس: نعم، فقام رسول الله ﷺ فصلَّى اثنتين أُخْرَيْنِ، ثم سَلَّمَ، ثم كَبَّرَ فسجد مثْلَ سجوده أو: أطول، و«ذو اليدين»: اسمه «الْخِرْبَاقُ» بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء آخره قاف.

أَمَّا أَنْ يَفْعَلَ النَّبِيُّ مَعْصِيَةً، وهو ناس أَنَّهَا مَعْصِيَةٌ، فلم يَقَعْ أَضْلاً، ولو وَقَعَ فَرَضاً لما كان مَعْصِيَةً، واستدلالٌ بعضهم على فعل النَّبِيِّ مَعْصِيَةً سهواً بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه: ١١٥]، ليس في محلِّه، لأنَّ معنى ﴿فَنَسِيَ﴾: تَرَكَ الْعَهْدَ، وتَرْكُهُ كان عمداً، فالنَّسيان هنا معناه لُغَةً: التَّركُ، كقوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْنِئْتَنَا فَنُسينَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى﴾ [طه: ١٢٦]، أي: كما تَرَكْتَ آيَاتِنَا في الدُّنْيَا، نتركك في العذاب في الآخرة.

وقد أَحْسَنَ الْقَاضِي عِيَاضُ فِي كِتَابِهِ: «الشُّفَا»، في رَدِّهِ عَلَى مَنْ زَعَمَ: أَنَّ آدَمَ عليه السلام أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ نَاسِياً حَيْثُ قَالَ: إِذَا كَانَ آدَمُ قَدْ أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ نَاسِياً فَلَمْ يَكُنْ مَعْصِيَةً، إِذِ الْإِتْفَاقُ عَلَى خُرُوجِ النَّاسِي وَالسَّاهِي مِنْ حُكْمِ التَّكْلِيفِ اهـ.

وجاز في حَقِّ الأنبياء أيضاً: وقوع المخالفة خَطَأً، كقتل موسى عليه السلام الْقِبْطِيَّ، ففي مسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَأِنَّمَا قَتَلَ مُوسَى الَّذِي قَتَلَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ خَطَأً، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَّكَ فُتُونًا﴾» [طه: ٤٠]، وَإِنَّمَا اسْتَغْفَرَ مُوسَى رَبَّهُ بِقَوْلِهِ:



﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَكَ﴾ [الْقَصَص: ١٦]، من عجلته بَوَكَّرِ الْقِبْطِيَّ وَعَدِمَ رَوَيْتِهِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَلَكُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ [الشُّعْرَاء: ١٤] فَهُوَ ذَنْبٌ فِي اعْتِقَادِ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ، وَلِهَذَا قَرَّ مِنْهُمْ إِلَى «مَدِينٍ»، حِينَ عَلِمَ بَعَزْمُهُمْ عَلَى قَتْلِهِ.

فَانْحَصِرِ الْبَحْثُ فِي «مَسْأَلَةِ الْعِصْمَةِ»: فِي: «فِعْلِ الْمَعْصِيَةِ عَمْدًا»، وَلِأَهْلِ الْعِلْمِ فِيهَا أَقْوَالٌ بَيَانُهَا:

اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ: عَلَى عِصْمَةِ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ كَافَّةً، قَبْلَ النَّبُوَّةِ وَبَعْدَهَا، فَأَقَامَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمِلَّةِ الْقَوِيمَةِ، وَالتَّنَزَّهَ عَنْ الْفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ.

وَاتَّفَقُوا أَيْضًا: عَلَى عِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ صَغَائِرِ الذُّنُوبِ الْخَسِيسَةِ، كَسَرَقَةِ لُقْمَةٍ وَشَيْءٍ تَافِهٍ، قَبْلَ النَّبُوَّةِ وَبَعْدَهَا، قَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ فِي «الشُّفَا»:

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُخْتَلَفَ فِي صَغِيرَةِ أَدَتْ إِلَى إِزَالَةِ الْحِشْمَةِ، وَأَسْقَطَتِ الْمَرْوَةَ، وَأَوْجَبَتِ الْإِزْرَاءَ وَالْخَسَاسَةَ، وَهَذَا أَيْضًا مِمَّا يُعْصَمُ مِنْهُ الْأَنْبِيَاءُ إِجْمَاعًا، لِأَنَّ هَذَا يَحْطُّ، مَنْصِبَ الْمُتَّسِمِ بِهِ، وَالْأَنْبِيَاءُ مُنَزَّهُونَ عَنْ ذَلِكَ أَهـ.

وَلَكِنَّ الْعُلَمَاءَ اخْتَلَفُوا فِي الصَّغَائِرِ غَيْرِ الْخَسِيسَةِ فَقَطْ، عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ، لَخَصَّهَا الْقَاضِي عِيَاضُ بِقَوْلِهِ:

وَأَمَّا الصَّغَائِرُ: فَجَوَّزَهَا جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ وَغَيْرِهِمْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، وَهُوَ مَذْهَبُ ابْنِ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ، وَغَيْرِهِ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ وَالْمُتَكَلِّمِينَ.

وَذَهَبَ طَائِفَةٌ إِلَى الْوَقْفِ، وَعَدِمَ الْقَطْعِ بِأَحَدِ الْوَجْهَيْنِ مِنَ الْجَوَازِ وَعَدَمِهِ.

وَذَهَبَ طَائِفَةٌ أُخْرَى مِنَ الْمُحَقِّقِينَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ، إِلَى



عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر، وقالوا: لاختلاف الناس في الصغائر وتعيينها من الكبائر، وأشكال ذلك، ولقول ابن عباس وغيره: إِنَّ كُلَّ مَا عُصِيَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ كَبِيرَةٌ أَوْ كَبِيرَةٌ.

ونقول: إن الأقوى من هذه الأقوال هو: القول بعصمتهم من الكبائر والصغائر ذات الخِصَّة فقط لموافقته النصوص، كقوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: ١٢١]، فَأَكَلَهُ الشَّجَرَةَ، كان معصية صغيرة لا خِصَّة فيها، ومخالفة لا تَقْدُحُ في نبوته، وجواز مثلها على الأنبياء، إنما هو لأجل التنبيه إلى أنهم بشر، وأن النبوة لم تُخْرِجْهُمْ من بشريتهم، ولكنهم لا يَقْرُون على شيء من ذلك، بل يُنَبِّهُونَ على الفور، قبل أن يقتدي بهم أحد، وقد تنبّه آدم فور ذوقه الشجرة، وفي أول أكله منها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَكُمَا سَوَاتُهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٢]، فاستغفر آدم وحواء ﷺ الله تعالى، فتاب عليهما، وانتهى الأمر.

فكان وقوع مثل هذه المعصية من غيره من الأنبياء جائزاً عقلاً، لتساوي الجميع في أحكام النبوة، فما يجوز في حق أحدهم، يجوز في حق الجميع، ولكن لا يلزم وقوعه، وما يجب لأحدهم، يجب للجميع، وما يستحيل في حق أحدهم، يستحيل في حق الجميع، كما قدّمنا في صفاتهم عليهم الصلاة والسلام في المسألة السابقة.

ولا يلزم على القول بعدم العصمة من الصغائر غير الخسيسة، أن كل نبي سيفعلها لا محالة، إذ يتبادر إلى خاطر من عدم العصمة: فعل المعصية لا محالة، وهذا غير صحيح، وهو فهم سقيم للمسألة، وذلك كحديث أنس ابن مالك رضي الله عنه مرفوعاً: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَاةٌ، وَخَيْرُ الْخَطَاةِينَ التَّوَّابُونَ»، رواه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم، فإن معناه: أن كل مؤمن، قد يخطئ، ولكن ليس حتماً أنه سيخطئ، ففي الأمة محفوظون بحفظ الله تعالى لهم، لم يَعْصُوا الله سبحانه أبداً وليسوا بأنبياء.



## المسألة السادسة: «المُعْجِزَةُ».

«المُعْجِزُ» و«المُعْجِزَةُ» في اللُّغَةِ: ما أُعْجِزَ به الخَصْمُ عند التحدي، والهَاءُ للمبالغة، يقال: عَجَزَ يَعْجِزُ عَجْزاً: ضَعُفَ وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُ، فهو عاجز.

وقال الآمِدِيُّ في «بلوغ المرام في علم الكلام»: «المُعْجِزُ» في الوَضْعِ: مأخوذٌ من «العَجْز»، و«المعجز» في الحقيقة لا يُطلق على غير الباري تعالى لكونه خالقَ العَجْز، وإن سَمَّينا غيره مُعْجِزاً، كَفَلَقِ البحرِ، وإحياءِ الموتى، فذلك إنما هو بطريق التَّجَوُّزِ والتَّوَسُّعِ، من كونه سَبَبَ ظهور الإعجاز، وهو: الإنباءُ عن: «امتناع المعارِضة»، لا الإنباءُ عن العجز عن الإتيان بمثل تلك المعجزة كما يتوهمُ بعضُ الناس، فإن ذلك مما لا يُتَصَوَّرُ العجزُ عنه حقيقة: فإن دخلت تحت قدرته فلا عَجْزَ، وإن لم تدخل تحت قدرته، فالعجزُ عما لا يدخل تحت القدرة أيضاً ممتنع، فإن قيل: إنه معجوزٌ عنه، فليس إلا بطريق التوسُّع لا غير، وأما حقيقة «المعجزة» فهي: كلُّ ما قُصِدَ به إظهارُ صدقِ المتحدِّي بالنُّبُوَّةِ المدَّعي للرِّسالة اهـ، والمراد بامتناع المعارضة: أن لا يَظْهَرَ مثلُ ذلك الخارق ممن ليس بنبيٍّ.

وعَرَّفَهَا السَّعْدُ التَّفْتَازَانِيُّ بقوله: «هي: أَمْرٌ يَظْهَرُ بخلاف العادة، على يدِ مدَّعي النُّبُوَّةِ، عند تحدي المنكرين، على وجهِ يَعْجِزُ المنكرُ عن الإتيان بمثله».

وعَرَّفَهَا الغزاليُّ في كتابه: «الاقتصاد في الاعتقاد» بقوله: «إنَّها «فعلُ الله تعالى الخارجُ عن مقدورِ البَشَرِ، مقترنٌ بدعوى النُّبُوَّةِ مع التحدي به»، وتدلُّ المعجزة بالضرورة على صدق المتحدِّي، وهي نازِلَةٌ مَنْزِلَةً قولِ الله تعالى للنبيِّ: صَدَقْتَ وَأَنْتَ رَسُولِي اهـ.

وَقَيْدُ «التَّحْدِي» في تعريفات «المعجزة»، «ليس لازماً لكلِّ معجزة، فقد حدثتْ للأنبياء معجزاتٌ لا على وجهِ التحدي، كَفَلَقِ البحرِ لموسى عليه السلام،



وكنيع الماء من تحت أصابع سيدنا محمد ﷺ، فتوضاً منه كلُّ مَنْ كان معه، رواه الشَّيْخَان وغيرهما.

ومعجزات الأنبياء ﷺ، الثَّابِتَةُ بالتَّصَوُّصِ القطعيَّة: مُنْكَرُهَا كَافِرٌ بالإجماع، كَجَعْلِ النَّارِ بُرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ؑ، وَانْقِلَابِ الْعَصَا حَيَّةً وَفَلَقِ الْبَحْرِ وَغَيْرَهُمَا لِمُوسَى ؑ، وَكِبْرَاءِ الْأَكْمَرِ الَّذِي يُولَدُ أَعْمَى، وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى لِعِيسَى ؑ، وَمِثْلُهُ إِنْكَارُ مَا جَرَى عَلَى يَدَي سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ آيَاتٍ وَمَعْجَزَاتٍ بِالْجُمْلَةِ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْهَا مُتَوَاتِرًا مَعْلُومًا مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ، أَمَّا مَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ: فَإِنْ اشْتَهَرَ، بُدِّعَ مُنْكَرُهُ، وَفُسِّقَ جَاوِزُهُ، كَنْبَعُ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ﷺ، وَتَكْثِيرُ الطَّعَامِ، وَإِنْ كَانَ لَمْ يَشْتَهَرْ، وَلَكِنَّهُ جَاءَ بِطَرِيقٍ صَحِيحٍ أَوْ حَسَنٍ، عُذِرَ مُنْكَرُهُ إِنْ كَانَ مِثْلُهُ يَخْفَى عَلَيْهِ ذَلِكَ قَبْلَ إِعْلَامِهِ بِهِ، وَعُزِّرَ بَعْدَهُ وَأُدِّبَ، لَكِنَّهُ لَا يَكْفُرُ بِذَلِكَ.

ومعجزاتُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ كَثِيرَةٌ، أَعْظَمُهَا وَأَكْبَرُهَا «مَعْجَزَةُ الْقُرْآنِ» الْعَظِيمِ، الَّتِي تَحَدَّى بِهَا النَّبِيُّ ﷺ الْبَشَرَ عَامَةً وَالْعَرَبَ خَاصَّةً عَلَى صِدْقِهِ، قَالَ الْغَزَالِيُّ فِي «الْاِقْتِصَادِ»، عَلَى أَنَّ عَجَزَ الْعَرَبِ مَعَ شَغْفِهِمْ بِالْفَصَاحَةِ، وَإِغْرَاقِهِمْ فِيهَا، عَنْ مَعَارَضَتِهِ وَتَحْدِيهِ مُتَوَاتِرٌ، إِذْ لَوْ كَانَ لَظَهَرَ، فَإِنَّ أَرْدَلَ الشُّعْرَاءِ، لَمَّا تَحَدَّوْا بِشِعْرِهِمْ وَعُورِضُوا، ظَهَرَتِ الْمَعَارِضَاتُ وَالْمُنَاقِضَاتُ الْجَارِيَةُ بَيْنَهُمْ، فَإِذَنْ: لَا يُمْكِنُ إِنْكَارُ تَحْدِيهِ ﷺ بِالْقُرْآنِ، وَلَا يُمْكِنُ إِنْكَارُ اقْتِدَارِ الْعَرَبِ عَلَى طَرِيقِ الْفَصَاحَةِ، وَلَا يُمْكِنُ إِنْكَارُ جِرْصِهِمْ عَلَى دَفْعِ نُبُوتِهِ بِكُلِّ مُمْكِنٍ، وَلَا يُمْكِنُ إِنْكَارُ عَجْزِهِمْ، لِأَنَّهُمْ لَوْ قَدِّرُوا لَفَعَلُوا، وَلَوْ فَعَلُوا لَظَهَرَ ذَلِكَ وَنُقِلَ أَهْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، وَهَذِهِ الْآيَةُ تَحَدُّ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ زَعَمُوا ذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا نُنَادَى عَلَيْهِمْ أَيْنَئِنَّا قَالُوا قَدْ سَكِينَا لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ [الأنفال: ٢٣١]، وَقَالَ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ



دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ [البقرة: ٢٣ - ٢٤].

المسألة السابعة: «خَصَائِصُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ».

ذكر الناظم في الأبيات الأربعة التالية: «سِتًّا» من الخصائص، هي أعظم خصائصه ﷺ فقال:

٢٤ - وَخَتَمَ الرُّسُلِ بِالصَّدْرِ الْمُعَلَّى نَبِيَّ هَاشِمِيٍّ ذِي جَمَالٍ

في هذا البيت ثلاث من خصائص سيِّدنا محمد ﷺ هي:

الْخُصُوصِيَّةُ الْأُولَى: «خَتَمَ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ بِهِ ﷺ».

وإليها أشار الناظم بقوله: «وَخَتَمَ الرُّسُلِ بِالصَّدْرِ الْمُعَلَّى».

قوله: «وَخَتَمَ»: «الْخَتَمُ» يُطْلَقُ مَجَازاً عَلَى الْعَمَلِ الْمَفْرُوعِ مِنْهُ، يُقَالُ: خَتَمَ الْقُرْآنَ وَكُلَّ عَمَلٍ: إِذَا أَتَمَّهُ وَفَرَغَ مِنْهُ، وَ«الصَّدْرُ»: يُطْلَقُ مَجَازاً عَلَى مُقَدِّمِ الْقَوْمِ، يُقَالُ: صُدِّرَ فُلَانٌ فَتَصَدَّرَ: قُدِّمَ فَتَقَدَّمَ، كَذَا فِي «أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ» لِلزَّمَخْشَرِيِّ، وَ«الْمُعَلَّى» هُوَ فِي اللُّغَةِ: اسْمُ الْقَدَحِ السَّابِعِ مِنْ قِدَاحِ مَيْسِرِ الْجَاهِلِيَّةِ، إِذَا فَازَ بِهِ أَحَدٌ حَازَ سَبْعَةَ أَنْصِبَاءٍ مِنَ الْجَزُورِ، وَلِهَذَا قِيلَ: «فَازَ بِالْقَدَحِ الْمُعَلَّى»، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الثَّرْوَةِ، كَانُوا يَشْتَرُونَ جَزُوراً فَيَنْحَرُونَهَا، وَيَقْسِمُونَهَا ثَمَانِيَّةً وَعِشْرِينَ قِسْماً، وَيَتَسَاهَمُونَ عَلَيْهَا بِعَشْرَةِ قِدَاحٍ، وَيَفْرِضُونَ لِسَبْعَةٍ مِنْهَا أَنْصِبَةً مُقَدَّرَةً، فَيَجْعَلُونَ لِلأَوَّلِ مِنْهَا وَيُسَمَّى: «الْقَدْحُ»: نَصِيباً وَاحِداً، وَلِلثَّانِي: نَصِيبَيْنِ، وَهَكَذَا حَتَّى الْقَدَحِ السَّابِعِ وَهُوَ: «الْمُعَلَّى» فَلَهُ: سَبْعَةُ أَنْصِبَةٍ، وَالثَّلَاثَةُ الْبَاقِيَةُ لَا نَصِيبَ لَهَا، فَمَنْ خَرَجَ لَهُ قَدْحٌ مِنْ ذَوَاتِ الْأَنْصِبَةِ أَخَذَ نَصِيبَهُ، وَمَنْ خَرَجَ لَهُ، قَدْحٌ لَا نَصِيبَ لَهُ غُرِمَ ثَمَنُ الْجَزُورِ.

والمعنى: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى، قَدْ خَتَمَ رِسْلَهُ بِالْمُقَدَّمِ الْأَفْضَلِ فِيهِمْ، وَهُوَ



سَيِّدَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، قَالَ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وَرَوَى مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِيعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّغْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، وَأُرْسِلْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ».

فِيَجِبُ الْإِيمَانُ بِأَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا ﷺ، هُوَ: خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، فَلَا نَبِيَّ فِي عَصْرِهِ وَلَا بَعْدَهُ غَيْرُهُ، إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ ادَّعَى النَّبُوَّةَ فِي حَيَاتِهِ ﷺ كُفْسِلِمَةً الْكَذَّابِ، أَوْ: بَعْدَهُ، فَهُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ.

الْخُصُوصِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: «شَرَفُ نَسَبِهِ ﷺ».

وإِلَيْهَا أَشَارَ النَّازِمُ بِقَوْلِهِ: «نَبِيٌّ هَاشِمِيٌّ».

وَقَوْلُهُ: «هَاشِمِيٌّ»: نِسْبَةٌ إِلَى «هَاشِمٍ»، جَدُّ عَبْدِ اللَّهِ وَالِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاسْمُهُ: «عَمْرُو»، وَسُمِّيَ: «هَاشِماً»، لِأَنَّهُ هَشَمَ الثَّرِيدَ مَعَ اللَّحْمِ لِقَوْمِهِ فِي سَنَى الْمَحَلِّ، فَهُوَ ﷺ: «مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ»، وَتَنْتَهِي سِلْسِلَةُ نَسَبِهِ بِالتَّتَابُعِ إِلَى «عَدْنَانَ» جَدِّ الْعَرَبِ «الْعَدْنَانِيَّةِ»، وَمِنْهُ إِلَى: إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أَمَّا نَسَبُهُ مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ: فَهِيَ: «أَمْنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ زُهْرَةَ الزُّهْرِيَّةِ».

فَإِنْ قِيلَ: تَقَدَّمَ فِي «صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ»: أَنَّهِمْ جَمِيعاً ذَوُو نَسَبٍ كَرِيمٍ، فَأَيْنَ الْخُصُوصِيَّةُ لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ فِي هَذِهِ الصِّفَةِ؟ فَنَقُولُ: الْخُصُوصِيَّةُ فِي كَوْنِ نَسَبِهِ ﷺ أَفْضَلَ مِنْ نَسَبِ سِوَاهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي كُلِّ الْأُمَمِ، لَمَّا رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى قُرَيْشاً مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى بَنِي هَاشِمٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي



هاشم»، وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «بُعِثْتُ من خير قرون بني آدم، قرناً بعد قرن، حتى كنتُ من القرن الذي كنتُ فيه» أما سائر الأنبياء: فشرّف نسبهم في أقوامهم خاصة.

وقوله: «نبيّ» هو بالجرّ بدلٌ من قوله: «بالصدر»، وجرّ: «هاشمي» صفةٌ له، وكذا جرّ قوله: «ذي جمال».

### الخصوصيّة الثالثة: «جَمَالُهُ ﷺ».

وإليها أشار الناظم بقوله: «ذي جمال».

نكّر الناظم «الجمال» فقال: «ذي جمالٍ» لتعظيمه، أي: ذي جمالٍ عظيم، وقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم، على جمال خلقه ﷺ، وجميل أخلاقه، فقد روى الشيخان عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ أَحْسَنَ الناس وجهاً، وأحسنَهُم خلقاً، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير».

وروى مسلم، والبيهقي في «دلائل النبوة»: أن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال له رجل: أكان رسول الله ﷺ: وَجْهُهُ مِثْلَ السَّيْفِ؟ - أي: كالسيف المصقول يَبْرِقُ وَيَلْمَعُ - قال: «لا، بل مثل الشمس والقمر مُسْتَدِيرًا»، ورواه أحمد مُطَوَّلًا.

وروى البخاري من حديث كعب بن مالك، أحد الثلاثة الذين خُلِفُوا بعد غزوة تبوك حتى نزلت توبتهم قال: «وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر».

أمّا أخلاقه صلوات الله وسلامه عليه: فيكفي في بيانها: ما رواه أحمد ومسلم، عن سعد بن هشام قال: سألت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقلت: أخبريني عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: «أما تقرأ القرآن؟» قلت: بلى،



فقالت: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»، ومعنى قولها هذا ﷺ: أَنَّكَ لَوْ طَابَقَتْ مَا فِي الْقُرْآنِ، مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، وَالْفَضَائِلِ وَالْخِصَالِ الْحَسَنَةِ، وَالْأَحْكَامِ، لَانْطَبَقَتْ عَلَى خُلُقِهِ ﷺ.

وقد صنف العلماء في شمائل سيّدنا ومولانا محمد ﷺ مصنّفاتٍ أشهرها: «كتاب الشّمائل» للترمذي، و«كتاب الأنوار في شمائل النبي المختار» للبعوي، و«كتاب الشّفا» للقاضي عياض.

الْخُصُوصِيَّةُ الرَّابِعَةُ: «تَفْضِيلُهُ ﷺ عَلَى الْعَالَمِينَ».

وإليها أشار الناظم بقوله:

٢٥ - إِمَامُ الْأَنْبِيَاءِ بِلَا اخْتِلَافٍ      وَتَاجُ الْأَصْفِيَاءِ بِلَا اخْتِلَالٍ

قوله: «إِمَام» و«تَاج»، هما بالجرّ صِفَةٌ لقوله: «نَبِيٌّ» فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ، وَ«الْإِمَامُ» لُغَةً: مَا يُؤْتَمُّ بِهِ، وَ«الْأَصْفِيَاءُ»: جَمْعُ صَفِيٍّ كَغْنِيٍّ: الْحَبِيبُ، وَقوله: «بِلَا اخْتِلَالٍ» هو: مِنْ «اخْتَلَّ يَخْتَلُّ»، وَهُوَ هُنَا: الْهَزَالُ وَالضَّعْفُ، يُقَالُ: أَمْرٌ مُخْتَلٌّ أَيْ: وَاهٍ، وَ«الْخَلَلُ»: التَّفَرُّقُ فِي الرَّأْيِ.

والمعنى: أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا ﷺ هُوَ إِمَامُ الْأَنْبِيَاءِ جَمِيعاً، فَهُوَ أَفْضَلُهُمْ عَلَى الْإِطْلَاقِ بِالْإِجْمَاعِ، وَهُوَ أَيْضاً تَاجُ الْأَصْفِيَاءِ الَّذِينَ هُمْ صَفْوَةُ اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ، فَهُوَ ﷺ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، بَلْ هُوَ ﷺ أَفْضَلُ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى أَجْمَعِينَ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ اللَّقَائِي صَاحِبُ «الْجَوْهَرَةِ»:

وَأَفْضَلُ الْخَلْقِ عَلَى الْإِطْلَاقِ      نَبِيُّنَا قَوْلٌ عَنِ الشُّقَاقِ

وَفِي قَوْلِ النَّازِمِ: «إِمَامُ الْأَنْبِيَاءِ» إِشَارَةٌ إِلَى صَلَاتِهِ ﷺ بِهِمْ إِمَاماً فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ، فَتَقَدَّمَهُ عَلَيْهِمْ فِي الصَّلَاةِ دَلِيلٌ عَلَى فَضْلِهِ عَلَى جَمِيعِهِمْ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.



الْخُصُوصِيَّةُ الْخَامِسَةُ: «بِقَاءُ شَرْعِهِ ﷺ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

وإليها أشار الناظم بقوله:

٢٦ - وَبَاقِي شَرْعُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَارْتِحَالِ

قوله: «شَرْعُهُ»: «الشَّرْعُ» في اللُّغَةِ: الْبَيَانُ، وَاصْطِلَاحاً: الْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ الَّتِي بَيَّنَّهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَوْلُهُ: «وَارْتِحَالِ»، يُقَالُ: رَحَلَ عَنْ الْبَلَدِ: ظَعَنَ عَنْهُ وَارْتَحَلَ وَتَرَحَّلَ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا: انْتِقَالُ الْخَلْقِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ شَرْعَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، بَاقٍ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَتَعَاوُبِ الْقُرُونِ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ وَيَرْتَحَلَ الْخَلْقُ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الْحَجَر: ٩].

وَمَعْنَى بِقَاءِ شَرْعِهِ ﷺ أَيْضاً: أَنَّهُ لَا نَاسَخَ لَهُ، إِذْ لَا نَبُوَّةَ بَعْدَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، أَمَّا نَزُولُ الْمَسِيحِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَنْ يَكُونَ بِشَرِيعَةٍ جَدِيدَةٍ، وَلَكِنَّهُ سَيَكُونُ حَاكِماً بِشَرِيعَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَعَامِلاً بِهَا، كَمَا سَنَبِينُ فِي شَرْحِ الْبَيْتِ «التَّاسِعِ وَالْأَرْبَعِينَ».

الْخُصُوصِيَّةُ السَّادِسَةُ: «الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ».

وإليها أشار الناظم بقوله:

٢٧ - وَحَقُّ أَمْرٍ مِعْرَاجٍ وَصِدْقُ وَفِيهِ نَصُّ أَخْبَارِ عَوَالِي

قوله: «وفيه» هو بِإِشْبَاعِ الْهَاءِ، وَهِيَ لُغَةٌ وَقَرَاءَةٌ صَحِيحَتَانِ، وَبِهِ يَسْتَقِيمُ الْوِزْنُ، وَقَوْلُهُ: «أَخْبَارِ عَوَالِي» أَي: أَحَادِيثَ عَالِيَةِ الْأَسَانِيدِ، وَالسَّنَدُ الْعَالِيُّ هُوَ: مَا قَلَّتْ رِجَالُهُ مِنْ رَاوِيهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَعَكْسُهُ: «النَّازِلُ»، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى صِحَّةِ تِلْكَ الْأَخْبَارِ وَقَوَّتِهَا.



والمعنى: أن معراج النبي ﷺ من المسجد الأقصى إلى السموات العلوى، حيث رأى من آيات ربه الكبرى، هو حق ثابت وصدق، بما جاء فيه من أخبار عالية الأسانيد.

وقد اقتصر الناظم على ذكر «المعراج» دون «الإسراء»، لأنَّ الإسراء ثابت بصريح الكتاب والسُّنَّة، ومنكره كافر بالإجماع، قال الله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِلرَّيْبِ مِنَ الْإِسْرَاءِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، أمَّا «المعراج» فنابت بالسُّنَّة، وبما هو غير صريح من آيات أول سورة «النَّجْم»، واتفقوا على أنَّ منكره مبتدع فاسق يُعَزَّرُ وَيُزَجَّرُ، ولكنه لا يُكْفَرُ.

والصحيح: أنَّ «الإسراء والمعراج»، كانا بالجسد والروح معاً، ويَقْطَعُ ليس مناماً، وآية الإسراء واضحة الدلالة على ذلك، ويؤيِّده: أنَّ أهل مكة حين أخبرهم رسول الله ﷺ بخبره استغربوه واستبعدوه، فاستَوْصَفُوهُ بَيْتَ المقدس، فَوَصَفَهُ ﷺ لهم، فكان كما عَرَفُوهُ، ولو كان الخبر عن منام لما استغربه أحد، بل لاستغربوا إخبارهم به.

وفي تلك اللَّيْلَةِ المباركة، فَرَضَ الله جلَّ وعزَّ، على سيِّدنا محمد ﷺ وعلى أُمَّتِهِ، الصَّلَاةِ الْخَمْسِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، والله الحمد والفضل.





## الباب الخامس:

### في «الولاية والكرامة»

- وفيه مبحثان:
- «المبحث الأول: «الولاية»» وفيه: مسألتان:
- المسألة الأولى: «تعريف الولي»
- المسألة الثانية: «الولاية أدنى مرتبة من النبوة قطعاً»
- «المبحث الثاني: «الكرامة»» وفيه: أربع مسائل:
- المسألة الأولى: «تعريف الكرامة»
- المسألة الثانية: «تُبوت الكرامة»
- المسألة الثالثة: «بِمَ تكونُ الكرامة»
- المسألة الرابعة: «سَقَطَاتُ الصُّوفِيَّةِ»







## الباب الخامس:

### في الولاية والكرامة

والى هذا الباب أشار الناظم بقوله:

٢٨ - كراماتُ الوليِّ بدارِ دُنْيَا لها كُونُ فَهُمْ أَهْلُ النَّوَالِ

قوله: «بدار دُنْيَا»: يَخْرُجُ به: «الدارُ الآخرة»، لأنَّ إكرام الله تعالى لأوليائه فيها قطعيٌّ لم يناقش فيه أحدٌ، وإنَّما الخلافُ في كرامات الدنيا كما سنيّن، و«النَّوَالُ»: العطاء، وفي هذا الباب مبحثان:

#### المبحثُ الأوَّلُ: «الولاية»

وفيه: مسألتان

##### المسألة الأولى: «تعريف: الولي».

«الوليُّ» بفتح الواو وكسر اللام: ضدُّ «العَدُوِّ»، يقال منه: تَوَلَّاهُ أي: اتخذَهُ وَلِيًّا، وقال ابن الأعرابي: الوليُّ: المُحِبُّ، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]، وجمعه: «أولياء»، هذا هو الصحيح في معنى «الولي» لغةً.

وقال شارح «العقيدة الطحاوية»: إنَّه من: «القُرْب» وهو مشتق من «الولاء» وهو: الدُّنُو والقُرْب، وهذا سَهْوٌ منه، لأنَّ الذي هذا معناه هو: «الوليُّ» بفتح الواو وسكون اللام، وهو مصدرٌ مُشْتَقٌّ من: «وَلِيَهُ يَلِيهِ وَلِيًّا» بمعنى: القُرْب والدُّنُو، فيقال: «دارٌ وَلِيَّةٌ» أي: قريبة، وبمعنى: المَطَرِ بعد المطر، وليس مشتقاً من «الولاء» كما قال، إذ لا يُشْتَقُّ المصدرُ من المصدرِ،



ولأنَّ «الْوَلَاءَ» يعني: وِلَايَةَ القَرَابَةِ، وِلَايَةَ مُلْكِ الِيمِينِ، وِلَايَةَ المَوَالِينِ والمَنَاصِرِينَ، ويعني أيضاً: أَوْلِيَاءَ ذَلِكِ، وهو بعيدٌ عن المعنى المراد هنا.

و«الوليُّ» عُرْفًا هو: «مَنْ أَحَبَّهُ اللهُ تعالى من عباده»، ولا تكفي دعوى محبة العبد خالقه جلَّ وعزَّ، إذ قد يكون العبدُ محبًّا لله بزعمه، ولا يكون الله تعالى محبًّا له، ولهذا شَرَطَ اللهُ على عباده لِحَبِّهِمْ: طَاعَةَ رَسُولِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ أي: حُبًّا صحيحاً وحقيقياً: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٣٢) ﴿آل عمران: ٣١ و٣٢﴾، وقد وَصَفَ اللهُ تعالى أَوْلِيَاءَهُ من عباده بقوله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤) ﴿يونس: ٦٢ - ٦٤﴾، فوصفهم جلَّ وعزَّ بصفة «التقوى»، التي عَرَفَهَا أَهْلُ الْعِلْمِ بِأَنَّهَا: «فَعْلُ الْمَأْمُورَاتِ وَتَرْكُ الْمَنْهِيَّاتِ»، ولا يتحقَّقُ ذلك إِلَّا بِاتِّبَاعِ أَسْوَدِنَا الْحَسَنَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

ومعلوم: أَنَّ التَّقْوَى مَقْرُهَا الْقَلْبُ، ولا يُثْبِتُهَا ظَاهِرُ الْحَالِ، ولا يعلم أهلها على الحقيقة إِلَّا اللهُ تعالى وحده، لقوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢]، قال البَغَوِيُّ في تفسيره: قال ابن عباس: لا تَمْدَحُوهَا، وقال الحسن البصريُّ: عَلِمَ اللهُ من كُلِّ نَفْسٍ ما هي صَانِعَةٌ، وإلى ما هي صَائِرَةٌ، فلا تُبَرِّئُوهَا من الآثَامِ، ولا تَمْدَحُوهَا بِحُسْنِ أَعْمَالِهَا اهـ، وإذا كان العبدُ مَنْهِيًّا عن مَدْحِ نَفْسِهِ، فَعَنَ مَدْحَ غَيْرِهِ أَوْلَى، لعدم العلم بحقيقة الحال، روى مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رُبَّ أَسَمَتْ أَغْبَرَ، مَدْفُوعٌ بِالْأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لِأَبْرَةٍ».

وقال الطَّحَاوِيُّ في «عقيدته»: «المؤمنون كلُّهم أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ»، وقد



أَخَذَ ذَلِكَ مِنْ نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، قَالَ شَارِحُهَا: وَ«الْوَلَايَةُ» أَيْضاً نَظِيرُ «الْإِيمَانِ»، فَيَكُونُ مِرَادُ الشَّيْخِ: أَنَّ أَهْلَهَا فِي أَصْلِهَا سُوءٌ، وَتَكُونُ الْوَلَايَةُ كَامِلَةً وَنَاقِصَةً، فَالْكَامِلَةُ تَكُونُ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣]، وَتَكُونُ الْوَلَايَةُ نَاقِصَةً، حِينَ يَجْتَمِعُ فِي الْمُؤْمِنِ وَلَايَةُ بِالطَّاعَةِ مِنْ وَجْهِ، وَعَدَاوَةٌ بِالْمَعْصِيَةِ مِنْ وَجْهِ، فَفِي الصَّحِيحِينَ مَرْفُوعاً: «يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ» - هـ. فَمِنْ هَذَا شَأْنُهُ، قَدْ دَخَلَ النَّارَ بِمَعْصِيَةٍ، وَلَكِنَّهُ لَا يُخْلَدُ فِيهَا، لِأَنَّهُ مُؤْمِنٌ تَوَلَّاهُ اللَّهُ وَأَحَبَّهُ لإِيمَانِهِ، فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ بَعْدَ أَنْ عَذَّبَهُ بِعَعْصِيَانِهِ.

وَالْوَلَايَةُ مَرَاتِبُ وَدَرَجَاتُ، وَلِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ وَلَايَةِ اللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ نَصِيبٌ، وَالْمُؤْمِنُونَ مُتَفَاوِتُونَ فِي قُوَّةِ الْإِيمَانِ وَزِيَادَتِهِ وَنَقْصَانِهِ، بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ وَصِدْقِ نِيَّاتِهِمْ، وَلَا يَعْلَمُ ذَلِكَ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا رَبُّ الْعِبَادِ جَلَّ وَعَزَّ.

وَقَدْ تَوَسَّعَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي تَعْرِيفِ «الْوَلِيِّ»، وَوَضَعُوا لِلْوَلَايَةِ شُرُوطاً، تَضَاهِي الشُّرُوطَ الَّتِي وُضِعَتْ لِمَنْ يَتَوَلَّى مَنَصَّبَ الْقَضَاءِ أَوْ: الْخِلَافَةِ، فَمَنْ تَوَقَّرَتْ فِيهِ شُرُوطُهُمْ، وَصَفُوهُ بِأَنَّهُ: «وَلِيُّ اللَّهِ»، وَمَنْ لَا تَتَوَقَّرُ فِيهِ، نَفَوْا عَنْهُ وَصَفَ «الْوَلَايَةَ»، وَهُمْ بِذَلِكَ يَنْعَتُونَهُ ضِمْنًا وَبِمَفْهُومِ الْمَخَالَفَةِ بِأَنَّهُ «عَدُوُّ اللَّهِ» بِحَسَبِ زَعْمِهِمْ، فَعَرَّفَ بَعْضُهُمُ الْوَلِيَّ بِأَنَّهُ: «الْعَارِفُ بِاللَّهِ تَعَالَى وَبِصِفَاتِهِ حَسَبِ الْإِمْكَانِ، الْمَوَاضِبُ عَلَى الطَّاعَاتِ، الْمَجْتَنِبُ لِلْمَعْصِيَةِ، الْمَعْرِضُ عَنِ الْإِنْهَمَاكِ فِي اللَّذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ الْمُبَاحَةِ»، قَالَ «إِبْرَاهِيمُ اللَّقَائِي» فِي شَرْحِ «جَوْهَرَتِهِ»، وَتَبِعَهُ آخَرُونَ، وَتَبَعَ هُوَ آخَرِينَ فِيهِ.

وَنَقَلَ اللَّقَائِي فِي شَرْحِ «جَوْهَرَتِهِ»، عَنْ ابْنِ دِهَاقٍ فِي شَرْحِ «الْإِرْشَادِ»:

أَنَّ لِلْوَلِيِّ أَرْبَعَةَ شُرُوطٍ:

وقد



أحدها: أَنْ يكون عارفاً بأصول الدِّين، حتى يُفَرِّق بين الخُلُقِ والخالق، وبين النَّبِيِّ والمنتبِّي.

والثاني: أَنْ يكون عالماً بأحكام الشريعة نقلاً وفهماً، ليكتفي بنظره عن التقليد في الأحكام الشرعية، كما اكتفى عن ذلك في أصول التوحيد، فلو أَذْهَبَ اللهُ تعالى علماء أهل الأرض، لَوُجِدَ عنده ما كان عندهم، ولَأَقَامَ قواعدَ الإسلامِ مِنْ أَوَّلِهَا إلى آخرها، فإنه لا يُفْهَمُ مِنْ قولنا: «ولِي اللهُ» إِلَّا الناصرُ لدين الله تعالى، وذلك ممتنعٌ في حَقِّ مَنْ لا يحيط علماً بدين الله وقواعده وأصوله وفروعه.

الثالث: أَنْ يتخلَّقَ بالخُلُقِ المحمود، الذي يَدُلُّ عليه الشرعُ والعقل، فأَمَّا ما يَدُلُّ عليه الشرعُ: فالوَرَعُ عن المحرَّمات، وامتنالُ جميع المأمورات، وأَمَّا ما يَدُلُّ عليه العقلُ: فهو ما يُثْمِرُهُ العلمُ بأصول الدين، وهو: أَنَّهُ إِذَا عَلِمَ حدوثُ العالمِ بأسره، لم يتعلَّقَ قلبُهُ بشيءٍ منه خوفاً منه ولا طمَعاً فيه، لعلمه أَنَّهُ في قبضة الله سبحانه، وَإِذَا علم «الوحدانيَّة»، أخلص اللهُ تعالى في سائر أعماله، إِذِ الرُّبُوبِيَّةُ لا تحتَمِلُ الشُّركَةَ في شيءٍ، وَإِذَا عَلِمَ أَنَّ القَدْرَ سابقٌ بما هو كائن، لَمْ يَخَفْ قُوَّةَ شيءٍ مما قُدِّرَ، ولم يَرْجُ شيئاً مما لم يُقَدَّرْ، وهذا هو المعْبَرُ عنه بالرِّضا بالقَدَرِ، وبسبب تَحَقُّقِ ذلك، يلتزم الرِّفْقُ بالخلق، والصَّفْحُ عنهم عند أَذِيَّتِهِمْ له، لعلمه أَنَّهُمْ لا يستطيعون لأنفسهم - فضلاً عن غيرهم - دَفْعَ ضَرَرٍ ولا جَلْبَ نَفْعٍ.

الرابع: أَنْ يلازمَهُ الخوفُ أبداً سَرْمَداً، ولا يجدَ لطمَأنينةَ النَّفْسِ سبيلاً، فإنه لا يحيط علماً بأنَّهُ من فريق السَّعادة في الأَزَلِ أَوْ: من فريق الشَّقَاوَةِ، ثم يَنْظُرُ إلى أسباب الشَّقَاوَةِ وأماراتها، فيجدها منحصرةً في المخالفات، فهو يخافُ الوقوعَ فيها ويجتنبها، وهذا هو المعْبَرُ عنه بالوَرَعِ، وما حَصَلَ له من الموافقة، فهو يخافُ زَوَالَهَا بأضدادها، حتى يخافُ أَنْ



يُبَدِّلَ عِلْمُهُ وَفَهْمُهُ إِلَى الشَّكِّ وَالْجَهْلِ . وكذا يخافُ أَنْ يطالبه رَبُّهُ بالقيام بشكره فيما أنعم به عليه ، فلا يطيق ذلك ، وكذا يخافُ أَنْ تخدعه نفسه ، فيحصل في عمله ما يفسده وَيُخْبِطُهُ مِنَ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ ، وكذا يخافُ مِنْ تَوَجُّهِ الْحَقُوقِ عَلَيْهِ لِلْأَدَمِيِّينَ ، فتنتقل أَعْمَالُهُ إِلَى صَحَائِفِهِمْ ، وهذه أحوالهم مع الله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب ، (انتهى كلام ابن دهاق) . وقد ذكرناه بتمامه ، لأن فيه فوائد تنفع كلَّ مؤمنٍ ، بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنْ عَدَمِ صَحَّةِ كَوْنِهِ تعريفاً لِلْوَلِيِّ ، لأن فيه باعتبار كونه شروطاً لِلْوَلِيِّ نَظْراً مِنْ وَجْهَيْنِ :

**أَوَّلُهُمَا :** أَنَّ فِي الشَّرْطِ الثَّانِي مِبَالِغَةً لَا أُسَاسَ لَهَا فِي الشَّرْعِ ، إِذْ لَا يَوْجَدُ شَخْصٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، يُمْكِنُهُ أَنْ يَجْمَعَ كُلَّ هَذِهِ الْعُلُومِ ، وَأَنْ يَقُومَ مَقَامَ جَمِيعِ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْأَرْضِ .

**وِثَانِيَهُمَا :** أَنَّهُ لَا مَعْنَى لِقَوْلِهِ : «وكذا يخافُ أَنْ يطالبَهُ رَبُّهُ بِالْقِيَامِ بِشُكْرِهِ» إلخ . لِأَنَّ شُكْرَ اللَّهِ وَاجِبٌ أَصْلًا عَلَى كُلِّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِهِ ، وَقَدْ كَلَّفَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ جَمِيعاً بِذَلِكَ ، فَمِنْهُمْ مَنْ شَكَرَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ .

فَبِنَاءً عَلَى هَذِهِ التَّعْرِيفَاتِ وَالشُّرُوطِ الَّتِي وَضَعُوهَا ، صَارَ الْحُكْمُ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْوِلَايَةِ وَعَدَمِهَا ، فِي أَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي مُقَلِّدِيهِمْ ، فَمَنْ وَجَدُوا فِيهِ شُرُوطَهُمْ وَصَفُوهُ بِالْوِلَايَةِ ، وَمَنْ لَا تَتَوَقَّرُ فِيهِ نَفْوُهَا عَنْهُ ، بَلْ إِنَّهُمْ وَرَّعُوا مَرَاتِبَ مَنْصِبِ الْوِلَايَةِ وَفَقَّ مَا يَحْكُمُونَ ، فَقَالُوا : فَلَانٌ «قُطِبٌ» ، وَفَلَانٌ «غُوْتُ» ، وَفَلَانٌ «بَدَلٌ» ، وَفَلَانٌ «وَتَدٌ» ، وَفَلَانٌ لَيْسَ بُولِيٍّ أَصْلًا ، وَفِي هَذَا اجْتِرَاءٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى الْأَعْلَمِ بِمَنْ اتَّقَى ، فَخَرَجُوا بِذَلِكَ عَلَى مَعْتَقَدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، بَعْدَ الْجَزْمِ فِيمَنْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ أَهْلِ النَّارِ عَلَى التَّعْيِينِ ، قَالَ الطَّحَاوِيُّ فِي «عَقِيدَتِهِ» : «وَلَا تُنْزَلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةٌ وَلَا نَارًا ، وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلَا بِشُرْكِ وَلَا بِنِفَاقٍ ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى» اهـ ، قَالَ شَارِحُهَا : يَرِيدُ : أَنَّا لَا نَقُولُ عَنْ أَحَدٍ



مُعَيَّنٍ مِنْ أَهْلِ الْقَبْلَةِ: إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَوْ: مِنْ أَهْلِ النَّارِ، إِلَّا مَنْ أَخْبَرَ الصَّادِقُ (عليه السلام) أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ كَالْعَشْرَةِ (عليهم السلام).

### وَلِلسَّلَفِ فِي الشَّهَادَةِ بِالْجَنَّةِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: أَنْ لَا يُشْهَدَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْأَنْبِيَاءِ، وَهَذَا يُنْقَلُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَقَنِيِّ، وَالْأَوْزَاعِيِّ.

والثاني: أَنَّهُ يُشْهَدُ بِالْجَنَّةِ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ جَاءَ فِيهِ النَّصُّ، وَهَذَا قَوْلُ كَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ.

والثالث: أَنْ يُشْهَدَ بِالْجَنَّةِ لِهَؤُلَاءِ وَلِمَنْ شَهِدَ لَهُ الْمُؤْمِنُونَ، كَمَا فِي الصَّحِيحِينَ أَنَّهُ: مُرٌّ بِجَنَازَةٍ فَأَتْنُوا عَلَيْهَا بِخَيْرٍ، فَقَالَ (عليه السلام): «وَجَبَتْ»، وَمُرٌّ بِأُخْرَى، فَأَتْنِي عَلَيْهَا بِشَرٍّ فَقَالَ: «وَجَبَتْ» فقال عمر: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا وَجَبَتْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم): «هَذَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ» اهـ.

ولو رجعنا إلى أقوال الأئمة من المفسرين والمحدثين، لما وجدنا لأحدهم تعريفًا يماثل هذه التعريفات والشروط، فهذا محيي السُّنَّةِ الْبَغَوِيُّ يَقُولُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]: اختلفوا فيمن يَسْتَحِقُّ هَذَا الْاسْمَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُمُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [١٣]، وقال بعضهم: هُمُ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ، وَقِيلَ: الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللَّهُ اهـ، وَبَنَحُوهُ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ، وَقَدْ سَبَقَهُمَا فِي هَذَا التَّفْسِيرِ شَيْخُ الْمَفْسُرِينَ وَالْمُؤَرِّخِينَ: ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ الَّذِي ذَكَرَ الْأَقْوَالَ الثَّلَاثَةَ الْمَذْكُورَةَ ثُمَّ قَالَ: وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يَقَالَ: «الْوَلِيُّ» أَعْنِي: «وَلِيَّ اللَّهِ» هُوَ: مَنْ كَانَ بِالْصِّفَةِ الَّتِي وَصَفَهُ اللَّهُ بِهَا، وَهُوَ: الَّذِي آمَنَ وَاتَّقَى، كَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [١٣] [يونس: ٦٣]، أَيِ: الَّذِينَ صَدَّقُوا



الله ورسوله، وما جاء به من عند الله، وكانوا يَتَّقُونَ الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، وقوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مِنْ نَعْتِ «الأولياء» اهـ.

بل إن بعض الغلاة بالغ في الإغراب، وغالوا في تصوير الولي على نحو يتعارض مع بديهيات العقيدة، فقد نقل البيجوري في شرح «الجوهر» عن الشَّعراني قال: ذَكَرَ لي بعض المشايخ: أَنَّ الله يُوَكِّل بِقَبْرِ الْوَلِيِّ مَلَكًا يَقْضِي الْحَوَائِجَ، وتارة يخرج الولي من قبره ويقضيها بنفسه اهـ، ولم يبين الشَّعراني: مَنْ هم أولئك المشايخ، ولا دليلهم على هذا القول الخطير، ولم يبين وجه التوفيق بين زعم أولئك المشايخ خروج الولي من قبره لقضاء حوائج الناس، وبين: ما هو معلوم من الدين بالضرورة: أَنَّ لَا رَجْعَةَ إِلَى الدُّنْيَا بعد الموت، ولو كانت هذه الرجعة جائزة شرعاً، لكان رسول الله ﷺ أولى بها وأَحَقَّ وإلَّا: فأبو بكر الصديق رضي الله عنه أَصْدَقُ الأمة وأفضلها بعد رسول الله ﷺ، وإذا كان فلانُ الولي هو الذي يتولَّى قضاء الحاجات للعباد، فما فائدة دعاء المؤمنين ربهم عزَّ وجلَّ بقولهم: يا قاضي الحاجات؟..

ويسبب هذا الغلو في «الولي»، ازداد بعضهم غُلُوًّا وجَهْلًا بشرع الله تعالى، فَفَضَّلُوا «الولي» على «النبي» وهذه هي:

المسألة الثانية: «الولاية أدنى مرتبة من النبوة قطعاً».

وإليها أشار الناظم بقوله:

٢٩ - وَلَمْ يَفْضَلْ وَلِيٌّ قَطُّ دَهْرًا نَبِيًّا أَوْ رَسُولًا فِي انْتِحَالِ

قوله: «قَطُّ» بالرفع غيرُ مَنْوَّنٍ: قال في «القاموس المحيط»: إذا أَرَدْتَ بـ «قَطُّ»: الزمانَ، فمرتفعٌ أبداً غيرُ مَنْوَّنٍ، تقول: ما رأيتُ مثله قَطُّ، و«قَطُّ»: مُشَدَّدَةٌ مجرورةٌ بمعنى: الدَّهْر.

وقوله: «في انتحال» يقال: انتحل الأمرَ وتَنَحَّلَهُ: ادَّعاه لنفسه وهو



لغيره، وليس معنى «الانتحال»: النُّحْلَةُ والعَطِيَّةُ كما توهم الشارح الأحسائي صاحب «عَقْدُ اللَّائِي».

وَقَدَّمَ الناظم «النَّبِيَّ» على «الرسول»، لِأَنَّ النُّبُوَّةَ أَعَمُّ مِنَ الرِّسَالَةِ، وَلَوْ عَكَسَ لَمَا اخْتَلَّ الْوِزْنُ وَلَا الْمَعْنَى، فَلَا دَاعِيَ لاعتراض الشارح عليّ القاري عليه في هذا، واعتراض القاري أيضاً على الناظم في قوله: «وَلَمْ يَفْضَلْ وَلِيٌّ»، وَرَأَى أَنَّ عِبَارَةَ النَّسْفِيِّ فِي عَقَائِدِهِ: «لَا يَبْلُغُ وَلِيٌّ دَرَجَةَ الْأَنْبِيَاءِ» أَوْلَى مِنْ عِبَارَةِ النَّازِمِ، لِإِفَادَتِهَا نَفْيَ الْمَسَاوَاةِ أَيْضاً، ثُمَّ قَالَ: فَلَوْ قَالَ النَّازِمُ: «وَلَمْ يَبْلُغْ» بَدَلًا: «وَلَمْ يَفْضَلْ» لَبَلَّغَ الْمَرَامَ وَفَضَلَ الْكِرَامَ اهـ، وَالْغَرِيبُ: أَنَّ الْمَلًّا «عَلِيًّا» لَمْ يَتَبَّهْ إِلَى الْفَرْقِ مَا بَيْنَ مَا اقْتَرَحَهُ، وَبَيْنَ مَا ذَكَرَهُ النَّازِمُ، فَهُمَا مَسْأَلَتَانِ مُخْتَلِفَتَانِ: فَعَدَمُ بُلُوغِ الْوَلِيِّ دَرَجَةَ النُّبُوَّةِ، مَسْأَلَةٌ، وَهِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا النَّسْفِيُّ، وَنَفْيُ تَفْضِيلِ الْوَلِيِّ عَلَى النَّبِيِّ، مَسْأَلَةٌ أُخْرَى، وَهِيَ مُرَادُ النَّازِمِ هُنَا، وَقَدْ بَيَّنَّا فِي «صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ» فِي شَرْحِ الْبَيْتِ «الثَّانِي وَالْعَشْرِينَ»: أَنَّ النُّبُوَّةَ غَيْرُ مَكْتَسَبَةٍ، وَلَا تُنَالُ بِكَثْرَةِ الطَّاعَاتِ.

أَمَّا الشارح «الرَّيْحَاوِيُّ» فَتَبَعَ «القاري»، وَزَادَ عَلَيْهِ مُقْتَرِحًا إِبْدَالَ كَلِمَةِ «يَفْضَلُ» بِ «يَعْدِلُ» أَوْ نَحْوَهَا، أَوْ: أَنَّ يَقُولُ النَّازِمُ:

وَمَرْتَبَةُ الْوَلَايَةِ لَا تَوَازِي لِمَرْتَبَةِ النُّبُوَّةِ فِي انْتِحَالِ

وَلَوْ أَنَّ «الرَّيْحَاوِيَّ» سَكَتَ لَكَانَ أَحْسَنَ، فَالْسَّكُوتُ يَسْتُرُ الْعُيُوبَ، وَرَحِمَ اللَّهُ النَّازِمَ مَا أَفْقَهُهُ وَأَعْلَمَهُ.

وَمَعْنَى الْبَيْتِ: أَنَّهُ لَمْ يَفْضَلْ فِي زَمَنِ مِنَ الْأَزْمَانِ وَعَلَى مَدَى الدُّهُورِ، وَلِيٌّ نَبِيًّا، بِمَا يَدَّعِيهِ الْوَلِيُّ لِنَفْسِهِ، أَوْ: يَدَّعِيهِ غَيْرُهُ لَهُ، مِنْ مَنْزِلَةِ رَفِيعَةٍ هِيَ لَيْسَتْ لَهُ فِي الْوَاقِعِ، بَلْ هِيَ لْغَيْرِهِ وَهِيَ: الْأَفْضَلِيَّةُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، لِأَنَّ الْوَاقِعَ: أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَفْضَلُ مِنَ الْأَوَّلِيَاءِ، فَإِنْ ادَّعَاهَا الْوَلِيُّ أَوْ: ادَّعَيْتَ لَهُ، فَهُوَ انْتِحَالٌ.



فيجب اعتقاد: أنَّ «الوليَّ» أدنى مرتبة من «النبيِّ»، بل إن «الولاية» لا تعادل «النبوة»، ولا تساويها بوجه من الوجوه، ولا يُلتَفَتُ إلى ما زعمه بعض الصوفيَّة الغلاة مما يخالف أقوال أهل العلم.

### المبحث الثاني: «الكرامة»

أشار الناظم إلى هذا المبحث بقوله في البيت «الثامن والعشرين»:  
كراماتُ الوليِّ بدارِ دُنيا لها كَوْنٌ فهم أهلُ النَّوالِ  
وفي هذا المبحث أربع مسائل:

المسألة الأولى: «تعريف الكرامة».

«الكرامة» لُغَةً: العَزَازَةُ، يقال: له عليّ كرامةٌ أي: عَزَازَةٌ، ويقال: أكرّمه وكرّمه: عَظَّمَهُ ونَزَّهَهُ، كذا في «القاموس المحيط».

أمّا «الكرامة» عُرفاً واصطلاحاً: ففيها تعريفات بعضها أكثر قيوداً من بعض، فعَرَّفَها بعضهم بأنّها: «ظهورُ أمرٍ خارق للعادة من قِبَلِ الوليِّ، غيرِ مقرونٍ بدعوى النبوة»، وهذا التعريف هو أصل سائر التعريفات.

و«الكرامة» تكريمٌ من الله تعالى لعبده التقى المؤمن، ولا تكون إلا في حياة الوليِّ، وزعم بعضهم جواز وقوع الكرامة بعد موت الوليِّ، ونسبوا ذلك إلى جمهور أهل السُنَّة والجماعة، وقد استدلَّ البيجوريُّ على ذلك بأنّه: ليس في مذهب من المذاهب الأربعة قولٌ بنفيها بعد الموت، بل ظهورها حينئذٍ أولى، لأنَّ النفس حينئذٍ صافية من الأكدار، ولذا قيل: مَنْ لم تظهر كرامته بعد موته كما كانت في حياته فليس بصادق اهـ.

وفيما استدل به البيجوريُّ نَظَرٌ من وجوه:

أحدها: أنَّ أصحاب المذاهب الأربعة، لم يقولوا بنفيها بعد الموت،



لأنَّه مقطوعٌ به، وعدمُ القولِ ليس قولاً، إذ لو كان فيه مقالٌ لقليل.

والثاني: أَنَّ الكرامةَ عَزَازَةٌ من الله تعالى لعبده، على طاعته وعبادته في الدنيا، ولا تكليف في الآخرة، والكرامة فيها بالجنة والرضوان للمؤمنين مقطوع بها.

والثالث: أَنَّ رَبْطَ صدقِ العبد في ولايته، بظهور كرامته بعد موته كما كانت في حياته، هو رَبْطُ مُسْتَعْرَبٍ، ويعني: أَنَّ الأولياء الذين ليس لهم كرامات، لا في الدنيا ولا بعد الموت، هم غير صادقين في عبادتهم وطاعتهم، ولا يقول بذلك أَحَدٌ ولا البَيَّجُورِيُّ نَفْسُهُ، فقد قال في شرح «الجوهرة»: وسئل بعضهم: لأيِّ شيء كثرت الكراماتُ في الزَّمانِ المتأخِّرِ عن الزَّمانِ المتقدم؟ فأجاب: بأنَّ ذلك لضعف اعتقاد المتأخِّرين، فاحتيج لتأليفهم بالكرامات، لِيُعْتَقَدُوا في الصَّالحين، وأمَّا المتقدمون: فاعتقادهم تابعٌ لميزان الشرع اهـ.

وهذا كلام غاية في الغرابة والتعارض مع ما سبق ذِكرُهُ من قوله، فلماذا لا يقوم علماء المتأخِّرين بإرشاد النَّاسِ، وحملهم على أَنْ يكونَ اعتقادهم تابعاً لميزان الشرع كالمقدمين؟ وهل يُظهر الله تعالى كراماته لقوم تركوا ميزان الشرع؟ وهل يكون ضعفُ الاعتقاد المحتاجون لتأليفهم بالكرامة، أهلاً للكرامة؟ فانتبه يرحمك الله تعالى.

ولا يصحُّ اعتقادُ: أَنَّ الكرامة كالمعجزة في الرتبة، إذ لا مساواة بين الوليِّ والنَّبِيِّ، كما بَيَّنَّا في المبحث السَّابِق، بل يجب اعتقادُ علوِّ منزلة المعجزة على الكرامة، لعلوِّ منزلة النبيِّ على الوليِّ.

وتفارق المعجزةُ الكرامةَ: بأنَّ الكرامة لا تكون مقارنةً لدعوى النُّبُوَّةِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ، يتحدَّى بالمعجزة المنكرين والجاحدين ليحملهم على الإيمان به، ولا تحدِّي في الكرامة، لأنَّ الوليَّ لا يتحدَّى بها لإثبات ولايته.



المسألة الثانية: «ثبوت الكرامة».

قال اللّقاني في شرح «جوهرته»: يجب عليك أيّها المكلف أن تعتقد حقيقة كرامات الأولياء بمعنى: جوازها ووقوعها، كما هو الحق عند جمهور أهل السنة والجماعة اهـ.

وقال نجم الدين النّسفي في «عقائده»: نفّض العادة على سبيل الكرامة لأهل الولاية، جائز عند أهل السنة اهـ.

وقال ميمون النّسفي في كتابه: «بحر الكلام»: قالت المعتزلة والروافض والجهمية: كرامات الأولياء باطلة، ومعجزات الأنبياء ثابتة صحيحة، واحتجوا وقالوا: لو قلنا: كرامات الأولياء ثابتة، لبطلت معجزات الأنبياء، ولا يكون فرق بين الأنبياء والأولياء، وقال أهل السنة والجماعة: كرامات الأولياء جائزة، وهي لا تقدح في معجزات الأنبياء اهـ.

وقال القشيري في «الرسالة»: وبالجملّة: فالقول بجواز ظهورها على الأولياء واجب، وعليه جمهور أهل المعرفة، ولكثرة ما تواتر بأجناسها الأخبار والحكايات، صار العلم بكونها وظهورها على الأولياء في الجملّة علماً قوياً انتفى عنه الشكوك اهـ.

وقد ثبتت «كرامات الأولياء»: بالكتاب والسنة، وسير الصحابة رضي الله عنهم والتابعين، وسائر أجيال الأمة، وأخبار الماضين، منها: كرامة هاجر رحمها الله تعالى بتفجير عين زمزم، وكرامات مريم ابنة عمران عليها السلام، وكرامة الفتية المؤمنات أصحاب الكهف، وأمّا كرامات الصّالحين من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله، فكثيرة مشتهرة جملة وتفصيلاً.

وتقدّم في أقوال أهل العلم: أنّ الكرامة مع كونها ثابتة، فهي جائزة الوقوع، فلا يلزم أن يكون لكل وليّ كرامة أو: كرامات، وإلا لم يكن وليّاً، كما توهّم بعضهم.



المسألة الثالثة: «بِمَ تكون الكرامة؟».

تجتمع «المعجزة» مع «الكرامة» في: كون كلّ منهما أمراً خارقاً للعادة، ولم يختلف العلماء في هذا، ولا في أَنَّ «معجزة النبي» مُطْلَقَةٌ، في كلّ خارق، ولكنهم اختلفوا في «كرامة الولي» على قولين:

القول الأوّل: جوازُ جملة خوارق العادات في معرض الكرامات، وإنّما تمتاز عن المعجزات بخلوّها عن دعوى النّبوة، فلو ادعى الولي النّبوة لصار عدوّاً لله تعالى، لا يستحقّ الكرامة بل اللّعنة، وأطلق أصحاب هذا القول مَقُولَتَهُم المشهورة: «كلّ ما كان معجزةً لنبيّ، جاز أن يكون كرامةً لوليّ»، وممن نصر هذا القول: نجم الدين النّسفيّ في «عقائده»، وصدر الإسلام البزدويّ، ومحيي الدين النّوويّ، ورجّحه بعضُ شُرّاح كتب العقائد، كالسنوسي وإبراهيم اللّقانيّ.

والقول الثاني: امتناعُ أن تكون الكرامة من جنس ما وقع معجزةً لنبيّ، كانفلاق البحر، وإحياء الموتى، وطَيّ المسافة، وجوازها في غير ذلك، وممن نصر هذا القول:

«أبو القاسم القشيريّ» في «الرسالة»، قال القشيري: كإجابة دعوة، أو: إظهار طعام في أوانٍ فاقّةٍ من غير سبب ظاهر، أو: حصول ماءٍ في زمانٍ عطشٍ، أو: تخليصٍ من عدوّ، واعلم أنّ كثيراً من المقدورات لا يجوز أن يظهر كرامةً للأولياء، وبضرورة أو شبه ضرورة يُعْلَم ذلك، فمنها: حصول إنسانٍ لا من أبوين، وقلْبُ جمادٍ بهيمةٍ أو حيواناً، وأمثال ذلك كثير اه، وبمثله قال «الأستاذ أبو إسحق الإسفراينيّ» كما نقل عنه القشيريّ، وقد سها إبراهيم اللّقانيّ في شرح «جوهرته»، فنسب إلى الإسفراينيّ نَفْيَهُ الكرامة مطلقاً وجمعه مع المعتزلة، وتبعه في ذلك ابنه عبد السلام والبيجوريّ في شرحيهما، أمّا الملا عليّ القاريّ: فعزا إلى الإسفراينيّ ما نقله عنه القشيريّ



في «الرسالة»، وهو الصحيح عن الإسفرايني، فليعلم.

وقد اختلف فقهاء الحنفية، في حكم مَنْ اعتقد كرامة، من نوع المعجزة كطي المسافة؛ ففي «العمادية» أنه: سئل أبو عبد الله الزعفراني عما روي عن إبراهيم بن أدهم: أنهم رأوه بالبصرة يوم التروية، ورؤي ذلك اليوم بمكة؟ قال: كان ابن مقاتل يذهب إلى أن اعتقاد ذلك كفر، لأن ذلك ليس من الكرامات بل هو من المعجزات، وأما أنا فأستجبهه ولا أطلق عليه الكفر اهـ، وقال في «النهر»: طي المسافة ليس في الكرامة عندنا اهـ.

وقد لخص صاحب «الوهابية» ذلك بقوله:

وَمَنْ لَوْلِي قَالَ: طِي مَسَافَةٍ يَجُوزُ، جَهُولٌ، ثُمَّ بَعْضُ يُكْفِرُ  
وَإثباتها في كل ما كان خارقاً عن النسفي النجم يُروى ويُنصر

ونحن نرجح «القول الثاني» للأسباب التالية:

لأنه لا بد من تفضيل النبوة على الولاية، فإذا كانت المعجزات كلها، بصح أن تكون كرامة للأولياء، فأى فضل للنبي في خوارقه على خوارق الولي.

ولأن إطلاق الكرامة، في كل ما جاز أن يكون معجزة، قد فتح الباب أمام أدعاء الولاية والغلاة، لادعاء كرامات لا حصر لها، أو: نسبتها إلى أشخاص ليسوا أهلاً لها، بل إن بعضهم يتعاطى الشغبذة وضروب السحر، ويخيل إلى الناس أنها كرامات، ويعزز قولنا هذا: ما ذكرناه في «المسألة الأولى» مما نقله البيجوري عن بعضهم: أنه استغرب كثرة الكرامات في الزمان المتأخر عن الزمان المتقدم، وعزا ذلك إلى ضعف اعتقاد المتأخرين، وضعف الاعتقاد لا يحصن صاحبه من الكذب، لتحصيل شهرة «الولي» ومكانته في الناس.



ولأنَّ إطلاق الكرامة، يشمل معجزة «القرآن العظيم»، أعظم معجزات سيدنا محمد ﷺ، فقد يأتي دَعْيُ «كرامة» بكلام نَسَجَهُ على منوالِ سَجْعِ الكُهَّان، زاعماً أنَّه مثلُ القرآن، وأنَّه كرامةٌ له من الله تعالى، ولهذا اضطر أصحابُ القول الأوَّل، إلى استثناء «معجزة القرآن» فقالوا: كلُّ معجزة يصحُّ أن تكون كرامةً لوليٍّ إلَّا القرآن، وهذا الاستثناء يعزِّزُ صحَّةَ القول الثاني ورُجحانه.

ولأنَّ استدلالَ أصحاب القول الأوَّل، بجواز عموم الكرامة عقلاً، لكون ذلك من مقدورات الله تعالى، ليس لازماً ولا حتماً، بل إنَّ كلَّ ما هو جائز عقلاً مُقيَّدٌ بالجواز الشرعيّ.

وأما ما نقلناه عن «العماديّة»: أنَّ «إبراهيم بن أدهم» رُوي يومَ التَّروية بالبصرة، ورُوي ذلك اليوم بمكة فنقول: إن «ابن أدهم» لم يدَّع لنفسه ذلك، بل كان يملك حماراً يركبُه، ليذهب من موضع إلى موضع، فباعه يوماً لعلاج صاحبه: سهل بن إبراهيم، فسأله صاحبه: يا إبراهيم أين الحمارة؟ فقال: بعناه، فقال: فعلى ماذا أركب؟ فقال: يا أخي على عاتقي، قال سهل: فحملني ثلاثَ منازل، كذا في «الرسالة القُشيريّة»، فلو كانت له كرامة الانتقال كالبرق، لما امتلك حماراً أصلاً، وهذا رسول الله ﷺ هاجر من مكَّة إلى المدينة، في أحد عشر يوماً، سالكاً أوعَرَ الوديان، وخرج في غزواته كلَّها مع أصحابه رضوان الله عليهم - وهم أفضلُ أولياء الأُمَّة - مثلما يخرج سائر الناس، ولم ينقله الله تعالى بسرعةٍ خارقة للعادة إلا في ليلة الإسراء والمعراج، ومن الغريب في تلك الرواية: ثلاثة أمور:

أولها: أن أحداً لم يسأل عن راويها المجهول، ومَرَّتَبَتِهِ في الأمانة والصّدق.

وثانيها: أنه لم يتوقَّف أحدٌ عند احتمال: أن يكون الرائي قد رأى في مكَّة ذلك اليوم، رجلاً شبيهاً بابن أدهم فتَوَهَّمَهُ.



والأمر الثالث: أن ما نُسبَ إلى «ابن أدهم»، ليس طيّ المسافة من البصرة إلى مكة فقط، وهو موضوع الخلاف المتقدم بين الفقهاء، ولكن الرواية تعني: أن «ابن أدهم» صار شخصين وإبراهيمين، أحدهما في مكة يؤدي المناسك ويصلي الفرائض ولا يصلي العيد، وآخر في البصرة يصلي الفرائض والعيد، وهذا الخارق لم يتحقق لسيدنا محمد ﷺ، فأسري وعُرج به جسداً وروحاً، وخَلْتُ، مكَّةُ منه ﷺ في ذلك الوقت.

#### المسألة الرابعة: «سَقَطَاتُ الصُّوفِيَّةِ».

«السَّقَطَات» بفتح القاف، جمع «سَقَطَة» بسكونها، وهي: الزَّلَّةُ، ولم نستعمل الاسم المشهور: «شَطَحَات»، لأنه غير عربي الأصل، قال في «تاج العروس»: وكأنَّها عامِيَّةٌ، وتُستعمل في اصطلاح التصوف اهـ، وإنما استعملنا «السَّقَطَة» بمعنى: الزَّلَّةُ، موافقةً لقوله تعالى في المنافقين: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ٤٩]، وللقَطْعِ: بأنَّ مَنْ خرج عن أحكام الشرع عُوقِبَ بها، لأنَّ العبدَ المكلفَ، مأمورٌ بتقييد لسانه وجوارحه بقيود الشرع، في كل شيء، فقد رَوَى البخاريُّ عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى، مَا يُلْقِي لَهَا بِالْأَلْفِ يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى، مَا يُلْقِي لَهَا بِالْأَلْفِ يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»، ورواه مالك والترمذي وقال: حسن صحيح، عن بلال ابن الحارث المُرْنِي رضي الله عنه بنحوه، ومعنى: «ما يُلْقِي لَهَا بِالْأَلْفِ» أي: «لا يَطْنُ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ» كما في رواية مالك والترمذي.

و«الصُّوفِيُّونَ» الذين زَلَّتْ أقدامهم، ليسوا من أهل العلم، ولا يوجد لواحد منهم كتابٌ في علم من علوم الإسلام، ومن كتب منهم، ففي صوفيَّته كُتِبَ، نَشْراً أو شعراً، ولو كانوا مثل: الجنيد، والقشيري، والغزالي، لانتفعت بهم لأمةٌ، فلم يكن تصوف هؤلاء الأعلام، إلا عملاً بكتاب الله



تعالى، واتباعاً لسنة رسوله سيدنا محمد ﷺ، ولم يكن «التصوف» عندهم، سوى عنوانٍ لتَهذيب النفس وتزكيتها، لنيل الفلاح والفوز العظيم.

أما أدعياء «الصُّوفِيَّة» فقد جعلوا «التصوف» مذهباً، له قواعده وأصوله وشروطه التي وضعوها، وكأنه دينٌ جديد، فتشعبت صوفيَّة هؤلاء «طُرُقاً»، تحكمها العصبية والحمية للطريقة وشيخها، وأكثر شيوخ الصوفية هؤلاء، لا يفقهون من العلوم الشرعية، كالتفسير والحديث والفقه بل والعقيدة، إلا ما يفقهه العامي، ولكنهم أوهموا العامة بأنهم أهل ولاية وكرامة، لتكثير الأتباع والمريدين، وجمع الثروات، فصرفوا النَّاسَ عن التفقه في دينهم، وحَصَرُوا الدِّينَ كُلَّهُ في أوراد الطَّريقة، والمشاركة في «الحضرة»، وتعظيم الشيخ وتبجيله، ففشَّت فيهم البدع المنكرة، والعقائد الفاسدة، إلى حدِّ «الوثنية»، كما هو مشاهدٌ في كثيرٍ من الأقطار الإفريقية وغيرها.

وبسبب جهل هؤلاء بأحكام الشرع عامة، وأحكام العقائد الدينية خاصة، أطلقوا لألسنتهم العنان، بكلماتٍ هي في حُكْم الشرع: كفرٌ وردَّةٌ بإجماع أهل العلم سلفاً وخلفاً، وتزويجها بين العامة إلحادٌ وزندقة، زاعمين أنهم أصحاب: أحوال، وكشف، وفناء في الله، وأنَّ على الفقهاء والمحدثين والمفسرين، الوقوف بأدبٍ على أبواب أفواههم، وأنَّ يَطْوُوا كُتُبَهُمْ، ويحتقروا علومهم، بالمقارنة مع إلهامات أصحاب الفتوح والكشف، كما يزعمون، وهذه أمثلة مما امتلأت به بعضُ كتبهم وقصائدهم من أقوالهم:

كقول بعضهم: «أنا الله»، و«ما في الجبة إلا الله»، و«أنا الربُّ والمربوب، والعابد والمعبود»، وإلحادى الطرق الصوفية قصيدة فيها هذا البيت:

دَعْ طُرُقَ الْعَنِي، الدُّنْيَا فِي مَا الْكَوْنُ إِلَّا الْقَيُّومُ الْحَيُّ

وهذا البيت يُعبِّرُ في شطره الثاني عن معتقد القائلين بوحدة الوجود،



ولا خلاف بين أهل العلم في كفر قائل ما ذكرناه، أو: اعتقاده، وهم يجهرون به في المساجد وأمام العلماء ولا نكير.

إن ما قلناه، ليس افتراءً على أحد، ولا حسداً ولا ظلماً، ولكنه الحق الذي يجب أن يقال، والأحق أن يتبع، وقد سَبَقْنَا إلى قول مِثْلِهِ: «أبو القاسم القُشَيْرِيُّ» في مقدمة «رسالته»، وهو في الصُّوفِيَّةِ إمامٌ، وفي العِلْمِ هَمَامٌ، وفيها يقول:

هذه رسالة كتبها الفقير إلى الله تعالى: عبد الكريم بن هَوَازِنَ القُشَيْرِيُّ إلى جماعة الصُّوفِيَّةِ ببلدان الإسلام، في سنة سبع وثلاثين وأربعمئة:

ثم اعلّموا رحمكم الله: أَنَّ المحقّقين من هذه الطائفة، انقراض أكثرهم، ولم يبق في زماننا هذا من هذه الطائفة إِلَّا أثرهم، حَصَلَتِ الفترة في هذه الطريقة، لا بل اندرست الطريقة بالحقيقة، مضى الشيوخ الذين كان بهم اهتداء، وَقَلَ الشَّابُّ الذين لهم بسيرتهم وسُنَّتُهُم اقتداءً، وزالَ الورع وطُوبَى بساطُهُ، واشتدَّ الطَّمَعُ وقَوِيَ رِبَاطُهُ، وارتحلَ عن القلوب حُرْمَةُ الشريعة، فَعَدُّوا قِلَّةَ المبالاة بالدين أَوْثَقَ ذَرِيعَةٍ، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام، ودانُوا بترك الاحترام وطرح الاحتشام، واستخفُّوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصَّوم والصَّلَاة، وركضوا في ميدان العَفَلَات، وَرَكَنُوا إلى اتباع الشَّهَوَات، وَقِلَّةَ المبالاة بتعاطي المحظورات.

اعلموا رحمكم الله: أَنَّ شيوخَ هذه الطائفة، بَنَوْا قواعد أمرهم على أصولٍ صحيحة في التوحيد، صانُوا بها عقائدهم عن البدع، ودانُوا بما وَجَدُوا عليه السَّلَفَ وأهل السُّنَّةِ، من توحيدٍ ليس فيه تمثيلٌ ولا تعطيلٌ، وأَحْكَمُوا أصولَ العقائد بواضح الدلائل، ولائح الشَّواهد.









## البَابُ السَّادِسُ

### في: أَحْكَامِ الْإِيمَانِ وَالتَّقْلِيدِ فِيهِ

- وفيه: ثلاثةُ مباحث:

﴿المبحث الأول: «الإيمان»﴾ وفيه سبع مسائل:

- المسألة الأولى: «معنى الإيمان وحقيقته»
- المسألة الثانية: «زيادة الإيمان ونقصانه»
- المسألة الثالثة: «الإيمان والإسلام»
- المسألة الرابعة: «شروط التكليف بالإيمان»
- المسألة الخامسة: «أركان الإيمان»
- المسألة السادسة: «منافع الدعاء»
- المسألة السابعة: «معنى: الرِّزْقُ»

﴿المبحث الثاني: «التقليد في الإيمان»﴾ وفيه ثمان مسائل:

- المسألة الأولى: «تعريف التقليد والمقلّد»
- المسألة الثانية: «الفرق بين العلم والاعتقاد»
- المسألة الثالثة: «تحقيق ما نقل عن الأشعري والجمهور في إيمان المقلّد»
- المسألة الرابعة: «أقوال الأشعرية وتابعيهم في التقليد»
- المسألة الخامسة: «أقوال الماتريدية وموافقيهم في التقليد»
- المسألة السادسة: «حكم تعليم العقائد للعوام»
- المسألة السابعة: «الضّحابة عليه السلام ليسوا مقلّدين»
- المسألة الثامنة: «أخذ الطلبة هذا العلم عن المشايخ ليس تقليداً»

﴿المبحث الثالث: «إيمان اليائس وتوبّته»﴾ وفيه ثلاث مسائل:

- المسألة الأولى: «معنى: اليأس لغةً وشرعاً»
- المسألة الثانية: «متى يتحقق اليأس؟»
- المسألة الثالثة: «حكم إيمان اليائس وتوبّته»







## البَابُ السَّادِسُ:

### فِي أَحْكَامِ الْإِيمَانِ وَالتَّقْلِيدِ فِيهِ

وفيه: ثَلَاثَةُ مَبَاحِثَ:

#### الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ: فِي «الْإِيمَانِ»

وفيه: سَبْعُ مَسَائِلَ:

المَسْأَلَةُ الْأُولَى: «مَعْنَى الْإِيمَانِ وَحَقِيقَتُهُ».

وإليها أشار الناظم بقوله:

٣٠ - وَمَا أَفْعَالُ خَيْرٍ فِي حِسَابٍ مِنْ الْإِيمَانِ مَفْرُوضِ الْوَصَالِ

من فقه الناظم رحمه الله تعالى: أَنَّهُ ذَكَرَ فِي هَذَا الْبَيْتِ جَانِباً مِنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، لَا يَكْتُمِلُ الْكَلَامُ فِيهَا إِلَّا بِاسْتِيفَاءِ جَوَانِبِهَا كَافَّةً، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنْ مَسَائِلَ: «كَزِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنَقْصَانِهِ»، وَمَعْنَى: «الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ»، وَالْجَانِبِ الَّذِي ذَكَرَهُ النَّازِمُ فِي هَذَا الْبَيْتِ هُوَ: «مَوْقِعُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مِنَ الْإِيمَانِ»، وَهُوَ جُزْءٌ مِنْ «مَعْنَى الْإِيمَانِ وَحَقِيقَتِهِ».

ومعنى البيت: لَيْسَتْ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ جُزْءاً مِنَ الْإِيمَانِ، مُوَصُولَةً بِهِ لَا تَنْفَصِلُ عَنْهُ، وَلَا هِيَ دَاخِلَةٌ فِي حَقِيقَتِهِ.

وقوله: «وَمَا أَفْعَالُ خَيْرٍ» يَخْرُجُ بِهِ: «الْإِقْرَارُ» وَهُوَ: النُّطْقُ بِالشَّهَادَتَيْنِ، لِلتَّعْبِيرِ عَمَّا فِي الْقَلْبِ مِنَ الْإِيمَانِ، لِأَنَّ النَّازِمَ يَعْتَمِدُ الْقَوْلَ بَأَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ: التَّصَدِيقُ بِالْقَلْبِ، وَالْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ كَمَا سَنَبِّينُ.



وفي بيان «معنى: الإيمان وحقيقته»، قال السَّعْدُ التَّفَازَانِيُّ في كتابه «التلويح»: فأصلُ الإيمان هو: «التصديق»، بمعنى: إِدْعَانِ القلبِ وقَبُولِهِ لوجود الصَّانِعِ تعالى ووحدانيته، وسائر صفاته، ونبوة محمدٍ ﷺ، وجميع ما عَلِمَ مجيئُهُ به بالضرورة، على ما هو معنى «الإيمان» في اللغة، إِلَّا أَنَّهُ - أي: معناه اللُّغَوِيُّ - قَيَّدَ بِأَشْيَاءٍ مَخْصُوصَةٍ، ولهذا قال النَّبِيُّ ﷺ مَبِيناً معنى الإيمان: «أَنْ تُوْمَنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، رواه مسلم من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فَتَبَّهَ على أَنَّ المرادَ بالإيمان معناه اللُّغَوِيُّ، وإنَّما الاختصاصُ في الْمُؤْمِنِ به اهـ.

وقال السَّعْدُ في شرح «العقائد النَّسَفِيَّة»: وليس حقيقة «التصديق»: أَنْ يَقَعَ في القلبِ نِسْبَةُ الصَّدَقِ إلى الخبرِ أو: المخبر، من غيرِ إِدْعَانِ وقَبُولِ، بل هو: إِدْعَانُ وقَبُولُ بذلك، بحيث يقع عليه اسم «التسليم»، على ما صَرَّحَ به الغزاليُّ، فالمشرك المصدِّقُ بوجود الصَّانِعِ وصفاته، لا يكون مؤمناً إِلَّا بِحَسَبِ اللُّغَةِ دون الشَّرْعِ، وإليه أشار بقوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، اهـ.

وقال إبراهيمُ اللَّقَائِيُّ في شرح «جوهريته»: إِنَّ جمهورَ المتكلِّمين من الأشاعرة والماتريديَّة وغيرهم، فسَّروا «الإيمان» عُرْفاً بأنَّه: «تصديقُ النَّبِيِّ ﷺ في كُلِّ ما عَلِمَ مجيئُهُ به من الدِّينِ بالضرورة»، أي: فيما اشتهر بين أهل الإسلام، وصار العلمُ به يشابه العلمَ الحاصل بالضرورة، أي: الإِدْعَانُ والقَبُولُ، مع الرِّضَا والتسليم وطمأنينة النَّفْسِ لذلك: تفصيلاً فيما عَلِمَ تفصيلاً، وإجمالاً فيما عَلِمَ إجمالاً، ولا يَنْحَطُّ الإيمانُ الإجماليُّ عن التفصيليِّ، من حيث الخروجُ عن عَهْدَةِ التكليف به، وإنَّ كان التفصيلُ أَكْمَلَ من الإجمال.



وقال أيضاً: إِنَّ عَزَّوَالِقُولٍ بَأَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ: «المعرفة» لِلْأَشْعَرِيِّ، غَلَطَ، وَلَمْ يَوْجِدْ فِي كُتُبِهِ، وَلَوْ سَلَّمَ: فَلَعَلَّهُ أَرَادَ الْإِيمَانَ الْكَامِلَ أَهْ، أَوْ: أَرَادَ أَنَّ الْمَعْرِفَةَ فِعْلُ الْقَلْبِ بِالْإِعْتِقَادِ الْجَازِمِ، كَمَا بَوَّبَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ قَالَ: (بَابُ): قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ»، وَأَنَّ الْمَعْرِفَةَ فِعْلُ الْقَلْبِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] أَهْ.

### «الاقوال في حقيقة الإيمان»:

أَمَّا «حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ»، فَلَأَهْلُ الْعِلْمِ فِي بَيَانِهَا أَقْوَالٌ ثَلَاثَةٌ:

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: «أَنَّ أَصْلَ «الْإِيمَانِ» هُوَ: «التَّصَدِيقُ» عَلَى الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، وَأَنَّ الْإِقْرَارَ بِاللِّسَانِ رُكْنٌ مِنَ الْإِيمَانِ مَلْحَقٌ بِأَصْلِهِ.

قَالَ السَّعْدُ فِي «التَّلْوِيحِ»: وَالْمَلْحَقُ بِأَصْلِ الْإِيمَانِ هُوَ: الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، لِكَوْنِهِ تَرْجُمَةٌ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ، وَدَلِيلًا عَلَى تَصَدِيقِ الْقَلْبِ، وَلَيْسَ بِأَصْلٍ لِأَنَّ مَعْدِنَ «التَّصَدِيقِ» هُوَ: الْقَلْبُ، وَلِهَذَا قَدْ يَسْقُطُ الْإِقْرَارُ عِنْدَ تَعَذُّرِهِ كَمَا فِي الْآخِرْسِ، أَوْ: تَعَسُّرِهِ كَمَا فِي الْمُكْرَهِ، وَكَوْنُ «الْإِقْرَارِ» رُكْنًا مِنَ الْإِيمَانِ مَلْحَقًا بِأَصْلِهِ، إِنَّمَا هُوَ عِنْدَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ كَالْإِمَامِ السَّرْحَسِيِّ، وَالْإِمَامِ فَخْرِ الْإِسْلَامِ الْبَزْدَوِيِّ وَكَثِيرٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ أَهْ.

وَقَدْ اعْتَمَدَ هَذَا الْقَوْلَ: «النَّسْفِيُّ» فِي «عَقَائِدِهِ» فَقَالَ: «الْإِيمَانُ هُوَ: التَّصَدِيقُ بِمَا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَالْإِقْرَارُ بِهِ» أَهْ، وَ«الطَّحَاوِيُّ» فِي «عَقِيدَتِهِ»: قَالَ: «الْإِيمَانُ هُوَ: «الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصَدِيقُ بِالْجَنَانِ»، قَالَ شَارِحُهَا: وَإِلَيْهِ ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ أَصْحَابِنَا أَهْ، مَرَعِيهِ جَرَى لِلنَّاطِمِ فِي هَذَا الْبَيْتِ.

وَقَالَ أَبُو الْمَعِينِ مَيْمُونُ النَّسْفِيُّ فِي كِتَابِهِ: «بَحْرُ الْكَلَامِ»: الْإِيمَانُ هُوَ: الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصَدِيقُ بِالْقَلْبِ، عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَهْ.



وقال اللَّقَائِي فِي شَرْحِ «جَوْهَرَتِهِ»: قَالَ قَوْمٌ مُحَقِّقُونَ، مِنْهُمْ: الْإِمَامُ الْأَعْظَمُ أَبُو حَنِيفَةَ فِي أَحَدِ قَوْلَيْهِ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْأَشَاعِرَةِ، وَاخْتَارَهُ شَيْخَا الْإِسْلَامِ: السَّرْحَسِيُّ وَالْبَزْدَوِيُّ مِنَ الْحَنْفِيَّةِ: أَنَّ «الْإِقْرَارَ» لَيْسَ شَرْطًا خَارِجًا عَنْ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ، وَإِنَّمَا هُوَ شَطْرٌ مِنْهَا، وَرَكْنٌ دَاخِلٌ فِيهَا، دُونَ سَائِرِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَالْإِيمَانُ عِنْدَهُمْ: اسْمٌ لِعَمَلِي الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ جَمِيعًا، قَالَ السَّعْدُ: وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ: مَنْ صَدَّقَ بَقَلْبِهِ، وَلَمْ يَتَّفِقْ لَهُ الْإِقْرَارُ فِي عَمَرِهِ وَلَا مَرَّةً، مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى ذَلِكَ، لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا، لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَسْتَحِقُّ دُخُولَ الْجَنَّةِ، وَلَا النَّجَاةَ مِنَ الْخُلُودِ فِي النَّارِ اهـ، وَأَمَّا سَائِرُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَهِيَ شَرْطٌ لِكَمَالِ الْإِيمَانِ، لَا لَصَحَّتِهِ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ: التَّصَدِيقُ فَقَطْ، أَمَّا الْإِقْرَارُ فَهُوَ: شَرْطٌ لِإِجْرَاءِ الْأَحْكَامِ فِي الدُّنْيَا، وَأَمَّا سَائِرُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَهِيَ شَرْطٌ لِكَمَالِ الْإِيمَانِ لَا لَصَحَّتِهِ.

قَالَ السَّعْدُ فِي «التَّلْوِيحِ»: وَعِنْدَ بَعْضِهِمْ: الْإِيمَانُ هُوَ: التَّصَدِيقُ وَحْدَهُ، وَالْإِقْرَارُ شَرْطٌ لِإِجْرَاءِ الْأَحْكَامِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى لَوْ صَدَّقَ بِالْقَلْبِ وَلَمْ يُقَرَّرْ بِاللِّسَانِ مَعَ تَمَكُّنِهِ مِنْهُ، كَانَ مُؤْمِنًا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا أَوْفَقُ بِاللُّغَةِ وَالْعُرْفِ، إِلَّا أَنَّ فِي عَمَلِ الْقَلْبِ خَفَاءً، فَنَيْطَتِ الْأَحْكَامُ بِدَلِيلِهِ الَّذِي هُوَ الْإِقْرَارُ، وَلِهَذَا اتَّفَقَ الْفَرِيقَانِ عَلَى أَنَّهُ أَصْلٌ فِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا لِابْتِنَائِهَا عَلَى الظَّاهِرِ، حَتَّى لَوْ أَكْرَهَ الْحَرْبِيُّ أَوْ الذَّمِيُّ فَاقَرَّ، صَحَّ إِيْمَانُهُ فِي حَقِّ أَحْكَامِ الدُّنْيَا، مَعَ قِيَامِ الْقَرِينَةِ عَلَى عَدَمِ التَّصَدِيقِ، وَلَوْ أَكْرَهَ الْمُؤْمِنُ عَلَى الرَّدَّةِ أَيُّ: التَّكَلُّمِ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ، فَتَكَلَّمَ بِهَا، لَمْ يَصِرْ مُرْتَدًّا فِي حَقِّ أَحْكَامِ الدُّنْيَا، لِأَنَّ التَّكَلُّمَ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ دَلِيلُ الْكُفْرِ، فَلَا يَثْبُتُ حُكْمُهُ مَعَ قِيَامِ الْمَعَارِضِ وَهُوَ: الْإِكْرَاهُ، وَرُكْنُهُ - أَيُّ: الْكُفْرِ - إِنَّمَا هُوَ: تَبَدُّلُ الْإِعْتِقَادِ اهـ.

وَنَسَبَ السَّعْدُ هَذَا الْقَوْلَ فِي «شَرْحِ الْعُقَائِدِ النَّسْفِيَّةِ» إِلَى جَمْهُورِ



المَحْقَقِينَ وَقَوَّاهُ بِقَوْلِهِ: وَهَذَا هُوَ اخْتِيَارُ الشَّيْخِ أَبِي مَنْصُورِ الْمَاتَرِيدِيِّ، وَالنُّصُوصُ مُعَاضِدَةٌ لَذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْثَرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النمل: ١٠٦] اهـ.

وَقَالَ أَبُو الْمَعِينِ مَيْمُونُ النَّسْفِيُّ فِي كِتَابِهِ: «بَحْرُ الْكَلَامِ»: وَقَالَ أَبُو مَنْصُورِ «الْمَاتَرِيدِيُّ»: الْإِيمَانُ مُجَرَّدُ التَّصَدِيقِ» اهـ.

وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ: يُشْتَرَطُ أَنْ لَا يَكُونَ عَدَمُ الْإِقْرَارِ بِاللِّسَانِ عُنَادًا، أَوْ جُحُودًا، أَوْ اسْتِخْفَافًا، بَلْ اتَّفَقَ لَهُ ذَلِكَ، وَإِلَّا فَهُوَ كَافِرٌ فِي الدَّارَيْنِ بِالِاتِّفَاقِ.

وَالْقَوْلُ الثَّلَاثُ: وَهُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ قَالُوا: «إِنَّ الْإِيمَانَ: اعْتِقَادٌ بِالْقَلْبِ، وَنُطْقٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ».

قَالَ أَبُو الْمَعِينِ مَيْمُونُ النَّسْفِيُّ فِي كِتَابِهِ: «بَحْرُ الْكَلَامِ»: وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: «الْإِيمَانُ هُوَ: الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصَدِيقُ بِالْجَنَانِ، وَالْعَمَلُ بِالْأَرْكَانِ»، وَقَالَ السَّعْدُ فِي شَرْحِ «الْعَقَائِدِ»: ذَهَبَ الْمَعْتَزِلَةُ إِلَى أَنَّ الطَّاعَاتِ رُكْنٌ مِنْ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ تَارِكَهَا لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا، وَمَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ: أَنَّهَا رُكْنٌ مِنَ الْإِيمَانِ الْكَامِلِ، بَحِثْ لَا يَخْرُجُ تَارِكَهَا عَنْ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ، وَقَالَ السَّعْدُ أَيْضًا: وَهُوَ مَذْهَبُ جُمْهُورِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَالْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ اهـ، وَقَالَ شَارِحُ «الْعَقِيدَةِ الطُّحَاوِيَّةِ»: هُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَالْأَوْزَاعِيِّ وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوِيَةَ، وَسَائِرِ أَهْلِ الْحَدِيثِ، وَأَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَأَهْلِ الظَّاهِرِ، وَجَمَاعَةٍ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ اهـ.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ اللَّقَانِيُّ: الْأَعْمَالُ عِنْدَ السَّلَفِ شَرْطٌ لِكَمَالِ الْإِيمَانِ، لَا أَنَّهَا رُكْنٌ مِنْهُ اهـ، وَسَمَّاها السَّعْدُ فِي «التَّلْوِيحِ»: «زَوَائِدُ الْإِيمَانِ» فَقَالَ: زَوَائِدُ الْإِيمَانِ هِيَ: الْأَعْمَالُ، لَمَّا وَرَدَ فِي الْأَحَادِيثِ مِنْ أَنَّهُ: لَا إِيمَانَ مِنْ



دون الأعمال، نَفِيّاً لصفة الكمال، بناءً على أَنَّها من مُتَمِّمات الإيمان وكَمالاتِهِ الزائدة عليه اهـ، وقد بَيَّنَّ هذا المعنى: ما رواه الشَّيْخَان، واللفظ لمسلم، وغيرُهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «الإيمانُ بِضْعٌ وستون أَوْ: بِضْعٌ وسبعون شُعْبَةً، - الشُّكُّ من الرَّأْي - فأفْضَلُها قولُ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأدْناها: إمَاطَةُ الْأَذَى عن الطَّرِيقِ، والحياءُ شُعْبَةٌ من الإيمان»، وبَوَّبَ البخاريُّ في صحيحه فقال: (بابُ): مَنْ قال: إِنَّ الإيمان هو: العملُ، لقول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الزُّحْرَفُ: ٧٢)، - أي: تؤمنون -، وقال عِدَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿[الحجر: ٩٢ - ٩٣]، عن: «لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وقال: ﴿لِيُثِلَّ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ (٦٦) [الصفات: ٦٦] - أي: فليؤمِّنِ المؤمنون - ثم رَوَى البخاريُّ حديثَ أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ سئل: أيُّ العملِ أَفْضَلُ؟ قال: «إيمانٌ بالله ورسوله»، قيل: ثُمَّ ماذا؟ قال: «الجهادُ في سبيلِ الله»، قيل: ثُمَّ ماذا؟ قال: «حَجٌّ مَبْرُورٌ» اهـ، ورواه مسلم والترمذيُّ والنسائيُّ، والتفسيران المدرجان في سياق كلام البخاريِّ هما من كلامنا، لبيان ما قَصَدَهُ بالاستشهاد بالآيتين.

فنستخلص مما تَقَدَّمَ من الأقوال: أَنَّهُ لا خِلافَ بين أَهْلِ الْعِلْمِ من أَهْلِ السُّنَّةِ والجماعة في:

أَنَّ مَنْ صَدَّقَ وَآمَنَ بقلبه، وأَقَرَّ بلسانه، أَنَّهُ مُؤْمِنٌ عند الله تعالى، وفي أَحْكام الدُّنْيَا.

وَأَنَّ مَنْ صَدَّقَ بقلبه، ولم يُقِرَّ بلسانه عناداً أو جحوداً: أَنَّهُ كافر كذلك.

وَأَنَّ مَنْ صَدَّقَ بقلبه، ولم يُقِرَّ بلسانه لِمَناحِ كالخَرَسِ، أو اخْتَرَمَتْهُ المِنيَّةُ قبل الاستطاعة: أَنَّهُ مُؤْمِنٌ كذلك.



وإنَّما الخلافُ في: مَنْ صَدَّقَ بقلبه، واتفق أنَّه لم ينطق بالشَّهادتين، لا لمانع ولا لجحودٍ أو استخفاف، فإيمانه غيرُ صحيح في الدَّارين عند أصحاب القولِ الأوَّل، وعند أصحاب القولِ الثاني: إيمانه صحيح عند الله تعالى، وغير صحيح في أحكام الدنيا.

واتفقوا على أَنَّ الأعمالَ الصَّالحةَ ما عدا النُّطقَ بالشَّهادتين: هي شَرْطٌ لكمال الإيمان لا لصحته، ولا هي ركنٌ منه، فلو صَدَّقَ بقلبه وأقرَّ بلسانه، وامتنع عن العمل بجوارحه، فهو عاصٍ لله تعالى ورسوله ﷺ، مستحقٌّ للوعيد بالإجماع.

#### المسألة الثانية: «زيادة الإيمان ونقصانه».

هذه المسألة فَرُعُ المسألة السَّابقة وهي: «كَوْنُ الطَّاعات جزءاً من الإيمان»، ولعلماء أهل السُّنَّة والجماعة في هذه المسألة خمسة أقوالٍ جَمَعَتْها من كتب العقائد:

القول الأوَّل: «أَنَّ الإيمانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ»، أي: يقبلُ الرِّيادة بزيادة الطاعات، والنَّقص بنقصانها، قال اللَّقَّانِيُّ في شرح «جواهرته»: هو الرَّاجِحُ عند جماعةٍ من العلماء، ووَرَدَ به ظاهرُ الكتاب والسُّنَّة، وذهب إليه جمهورُ الأشاعرة، وبه قال الفقهاء والمحدِّثون، ونُقِلَ عن الشَّافعي ومالك، وقال البخاري: لقيتُ أكثرَ من ألف رجلٍ من العلماء بالأمصار، فما رأيتُ أحداً منهم يختلف في: أَنَّ الإيمانَ قولٌ وعَمَلٌ، ويزيدُ وينقصُ.

واحتجُّوا عليه بالعقل والنَّقل، أمَّا العقلُ: فلأنَّه لو لم تتفاوت حقيقة الإيمان، لكان إيمانُ أحدِ الأُمَّة، بل المُنْهَمَكِينَ في الفِسْق والمعاصي، مساوياً لإيمان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، واللَّازِمُ باطلٌ فكذا الملزوم.

وأما النقلُ: فلكثرَةُ النُّصوص الواردة في هذا المعنى، كقوله تعالى:



﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]، وقوله: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢] - هـ.

وبَوَّبَ البخاريُّ في صحيحه فقال: (بابُ): زيادةُ الإيمانِ ونقصانيهِ، وقولُ الله تعالى: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، ﴿وَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المذثر: ٣١]، وقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فإذا تَرَكَ شيئاً من الكمال فهو ناقص - هـ، وقال مثله في أوَّل «كتاب الإيمان» من صحيحه.

والقول الثاني: «أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص»، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه وكثيرٌ من المتكلمين، مُحْتَجِّينَ بِأَنَّ الإيمانَ: اسمٌ للتصديق البالغ حَدَّ الْجَزْمِ والإِذْعَانِ، وهذا لا يتصوَّرُ فيه زيادة ولا نقصانٌ، وأجابوا عمَّا تمسَّك به أصحابُ القول الأوَّل بوجوه، ذكرها السَّعْدُ في «شرح العقائد النَّسَفِيَّة»:

منها: أَنَّ الآيَاتِ الدَّالَّةَ على زيادة الإيمان، محمولةٌ على ما ذكره أبو حنيفة: أَنَّهُمْ كانوا آمنوا في الجملة، ثم يأتي فَرَضٌ بعد فَرَضٍ، فكانوا يؤمنون بكل فرضٍ خاصٍّ، فيزيد إيمانُهُم بزيادة ما يجب الإيمان به، وهذا يُتصَوَّرُ في عصر النَّبِيِّ ﷺ وفي غير عصره، لأنَّ الاطلاعَ على تفاصيل الفرائض يُمَكِّنُ في غير عصره ﷺ، والإيمانُ واجبٌ إجمالاً فيما عُلِمَ إجمالاً، وتفصيلاً فيما عُلِمَ تفصيلاً، ولا خفاء في أَنَّ التفصيلَ أَرِيدُ بل أَكْمَلُ.

ومنها: أَنَّ المرادَ: زيادةُ ثمراتِ الإيمانِ، وإشراق نوره وضيائه في القلب، فإنه يزيد بالأعمال، وينقُصُ بالمعاصي.

والقول الثالث: «أَنَّ حقيقة الإيمان تزيد وتنقص»، قال السَّعْدُ في شرح «العقائد»: وقال بعض المحققين: لا نُسَلِّمُ أَنَّ حقيقة التصديق لا تقبل الزيادة



والتَّقصَانِ، بَلْ تَتَفَاوَتُ قُوَّةٌ وَضَعْفًا، لِلْقَطْعِ بِأَنَّ تَصْدِيقَ أَحَادِ الْأُمَّةِ لَيْسَ تَصْدِيقَ النَّبِيِّ ﷺ اهـ.

وَقَالَ اللَّقَائِيُّ فِي شَرْحِ «جَوْهَرَتِهِ»: الْحَقُّ كَمَا قَالَهُ النَّوَوِيُّ وَجَمَاعَةٌ مُحَقِّقُونَ مِنْ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ: أَنَّ الْإِيمَانَ بِمَعْنَى: «التَّصْدِيقِ الْقَلْبِيِّ»، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ أَيْضًا بِكَثْرَةِ النَّظَرِ وَوُضُوحِ الْأَدْلَةِ وَعَدَمِ ذَلِكَ، وَمِمَّنْ وَافَقَ النَّوَوِيَّ عَلَى مَا جَزَمَ بِهِ: السَّعْدُ التَّفَازَانِيُّ فِي «تَهْذِيبِهِ» فِي الْقِسْمِ الثَّانِي مِنْهُ اهـ.

ثُمَّ قَالَ اللَّقَائِيُّ: الْأَصَحُّ: أَنَّ التَّصْدِيقَ يَقْبَلُ التَّفَاوُتَ بِحَسَبِ مَرَاتِبِهِ، فَمَا الْمَانِعُ مِنْ تَفَاوُتِهِ قُوَّةٌ وَضَعْفًا، كَمَا فِي التَّصْدِيقِ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ، وَالتَّصْدِيقِ بِحُدُوثِ الْعَالَمِ، وَقِلَّةٌ وَكَثْرَةٌ كَمَا فِي التَّصْدِيقِ الْإِجْمَالِيِّ، الْمَتَعَلِّقِ بِالْقِلَّةِ، وَالتَّصْدِيقِ التَّفْصِيلِيِّ الْمَتَعَلِّقِ بِالكَثْرَةِ اهـ، وَهَذَا الْقَوْلُ دَاخِلٌ فِي عُمُومِ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ.

وَالْقَوْلُ الرَّابِعُ: «أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ»، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي سَلِيمَانَ الْخَطَّابِيِّ، نَقَّلَهُ عَنْهُ اللَّقَائِيُّ فِي شَرْحِ «جَوْهَرَتِهِ» قَالَ: وَهُوَ قَوْلُ الْخَطَّابِيِّ: «الْإِيمَانُ»: «قَوْلٌ» وَهُوَ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ، وَ«عَمَلٌ» وَهُوَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَ«اعْتِقَادٌ» وَهُوَ يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ، فَإِذَا نَقَصَ ذَهَبَ اهـ.

وَالْقَوْلُ الْخَامِسُ: أَنَّ الْخِلَافَ السَّابِقَ ذِكْرُهُ - فِي زِيَادَةِ الْإِيمَانِ بِزِيَادَةِ الطَّاعَاتِ، وَنَقْصِهِ بِنَقْصِهَا، وَعَدَمِ ذَلِكَ - هُوَ خِلَافٌ لَفْظِيٌّ، فِي حَالِ حَمْلِ قَوْلِ النَّفْيِ عَلَى أَضَلِّ الْإِيمَانِ وَهُوَ: التَّصْدِيقُ، فَلَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ، وَحَمْلِ قَوْلِ الْإِثْبَاتِ عَلَى مَا بِهِ كَمَالُهُ وَهُوَ: الْأَعْمَالُ، فَيَكُونُ الْخِلَافُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَرْعَ تَفْسِيرِ «الْإِيمَانِ»، عَلَى الْخِلَافِ الْمَتَقَدِّمِ فِي تَفْسِيرِهِ، فَإِنْ قُلْنَا: هُوَ: التَّصْدِيقُ فَقَطْ فَلَا تَفَاوُتَ، وَإِنْ قُلْنَا: هُوَ: الْأَعْمَالُ مَعَ التَّصْدِيقِ فَمَتَفَاوُتٌ، وَهَذَا قَوْلُ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ، وَإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ الْجَوِينِيِّ وَجَمَاعَةٍ، كَمَا



قال اللَّقَائِي فِي شَرْحِ «جَوْهَرَتِهِ» وَقَالَ فِيهِ: إِنَّهُ قَوْلٌ ضَعِيفٌ، وَالرَّاجِحُ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ هُوَ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ.

### المسألة الثالثة: «الإيمان والإسلام».

قال اللَّقَائِي فِي شَرْحِ «جَوْهَرَتِهِ»: اعْلَمْ أَنَّ مَذْلُولِي: «الإسلام والإيمان لُغَةً»، متغايران، إِذْ مَذْلُولُ «الإيمان» لُغَةً: التصديق - كما تقدم - ومذلولُ «الإسلام» لُغَةً: الخضوع والانقياد.

وَأَمَّا شَرْعاً: فَقَدْ اخْتَلَفَ فِيهِمَا، فَذَهَبَ جُمْهُورُ الْأَشَاعِرَةِ إِلَى تَغَايِرِهِمَا أَيْضاً، إِذْ مَفْهُومُ الْإِيمَانِ: تَصْدِيقُ الْقَلْبِ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، مِمَّا عُلِمَ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ، بِمَعْنَى: إِذْعَانِهِ لَهُ، وَتَسْلِيمِهِ إِيَّاهُ، وَمَفْهُومُ الْإِسْلَامِ: امْتِثَالُ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، بِنَاءِ الْعَمَلِ عَلَى ذَلِكَ الْإِذْعَانِ، فَهُمَا مُخْتَلِفَانِ، وَإِنْ تَلَازَمَا شَرْعاً بِحَيْثُ لَا يَوْجَدُ مُسْلِمٌ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ، وَلَا مُؤْمِنٌ لَيْسَ بِمُسْلِمٍ.

وَذَهَبَ جُمْهُورُ الْمَاتَرِيدِيَّةِ وَالْمُحَقِّقُونَ مِنَ الْأَشَاعِرَةِ: إِلَى اتِّحَادِ مَفْهُومَيْهِمَا، بِمَعْنَى: وَحْدَةِ مَا يَرَادُ مِنْهُمَا فِي الشَّرْعِ، وَتَسَاوِيهِمَا بِحَسَبِ الْوُجُودِ، بِمَعْنَى: أَنَّ كُلَّ مَنْ اتَّصَفَ بِأَحَدِهِمَا، فَهُوَ مُتَّصِفٌ بِالْآخَرِ شَرْعاً، وَلَا شَكَّ عَلَى هَذَا فِي: أَنَّ الْخِلَافَ لَفِظِيٌّ بِاعْتِبَارِ الْمَالَ أَه.

وَقَالَ السَّعْدُ التَّفْتَازَانِيُّ فِي شَرْحِ «الْمَقَاصِدِ»: الْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ وَاحِدٌ، وَأَنْ مَعْنَى: آمَنْتُ بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ: صَدَّقْتُهُ، وَمَعْنَى: أَسْلَمْتُ لَهُ: سَلَّمْتُهُ، وَلَا يَظْهَرُ بَيْنَهُمَا كَبِيرُ فَرْقٍ، لِرَجُوعِهِمَا إِلَى مَعْنَى: الْإِنْقِيَادِ وَالْإِذْعَانَ وَالْقَبُولَ، وَبِالْجُمْلَةِ: لَا يُعْقَلُ بِحَسَبِ الشَّرْعِ مُؤْمِنٌ لَيْسَ بِمُسْلِمٍ، أَوْ مُسْلِمٌ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ، وَهُوَ مُرَادُ الْقَوْمِ بِتَرَادُفِ الْأَسْمِينَ، وَاتِّحَادِ الْمَعْنَى وَعَدَمِ التَّغَايُرِ، أَه.

وَمِمَّا يُوَيِّدُ مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ السَّعْدُ: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنْ



الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَحَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ [الذاريات: ٣٥ - ٣٦]، والمعنى: أَنَّ الْمُؤْمِنَ صَادِقُ الْإِيمَانِ هُوَ مُسْلِمٌ أَيْضاً، وَأَنَّ الْمُسْلِمَ الصَّادِقَ لَا يَكُونُ إِلَّا مُؤْمِناً، أَمَّا الْمُنَافِقُ، وَلَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، فَإِنْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ، فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]، فَأُثْبِتَ عَلَيْهِمْ نِفَاقَهُمْ وَعَدَمَ إِيْمَانِهِمْ، وَأُثْبِتَ لَهُمُ الْإِسْلَامَ بِظَاهِرِ حَالِهِمْ.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ قَالَ: «نَرَى أَنَّ الْإِسْلَامَ: الْكَلِمَةُ، وَالْإِيمَانُ: الْعَمَلُ»، وَالْمَعْنَى: أَنَّ أَوْلَئِكَ الْأَعْرَابَ، أَسْلَمُوا بِالنُّطْقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَلَمْ يَعْمَلُوا عَمَلَ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسُوا مِنْهُمْ.

#### المسألة الرابعة: «شروط التكليف بالإيمان».

وإليها أشار الناظم بقوله:

٣١ - وَمَا عُذْرٌ لِذِي عَقْلٍ بِجَهْلٍ      بِخَلَاقِ الْأَسَافِلِ وَالْأَعَالِي

قوله: «بِخَلَاقٍ»: صِيغَةٌ مَبَالِغَةٌ مِنْ «خَالِقٍ»، وَهُوَ: الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَ«الْأَسَافِلُ»: جَمْعُ «سَافِلٍ»، وَالْمُرَادُ بِهِ: مَا تَحْتَ السَّمَاءِ مِنَ الْكَائِنَاتِ، وَ«الْأَعَالِي»: جَمْعُ «عَالِيٍّ» وَهُوَ: عَالَمُ السَّمُوتِ.

وَمَعْنَى الْبَيْتِ: أَنَّ الْإِنْسَانَ الْعَاقِلَ، لَا يُعَذَّرُ بِجَهْلِهِ بِاللَّهِ تَعَالَى خَالِقِ الْأَكْوَانِ، وَعَدَمِ الْإِيمَانِ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَهَذَا الْبَيْتُ مَبْنِيٌّ عَلَى قَوْلِ أَبِي مَنْصُورٍ الْمَاتَرِيدِيِّ وَتَابِعِيهِ مِنَ الْحَنْفِيَّةِ - وَالنَّازِمِ مِنْهُمْ -، الْقَائِلِينَ بِأَنَّ مُجَرَّدَ الْعَقْلِ أَيْ: التَّمْيِيزَ، كَافٍ لِتَكْلِيفِ الْإِنْسَانِ بِالْإِيمَانِ، وَلَيْسَ الْبَلُوغُ شَرْطاً فِيهِ كَمَا سَنَبِّينَ.

وَالْغَرِيبُ: أَنَّ يَفْهَمَ الْمَلَأَ عَلَيَّ الْقَارِيُّ هَذَا الْبَيْتَ، وَيُقَسَّرَ مَعْنَاهُ، طَبَقاً



لمذهب الأشعريّ والشافعيّة بقوله: والمعنى: أنّه لا عُذْرَ لصاحب عقلٍ أي: كاملٍ، بَلَغَ مَبْلَغَ الرِّجَالِ، أنْ يَجْهَلَ صَانِعَهُ... إلخ، فأضاف شَرْطَ «البلوغ» إلى «العقل»، خلافاً لمذهب النّازم، بل ومذهبه هو أيضاً لأنه حنفيّ المذهب، والصّواب ما ذكرناه.

وفي هذا البيت إشارة إلى شروط التكليف بالإيمان، ولأهل العلم فيها أقوالٌ أوسعها قولُ الأشعريّة ومَنْ تبعهم، بأن للتكليف بالإيمان «أربعة شروط»:

**أولّها وثانيها: «البلوغ والعقل»:**

وللعلماء في اشتراطهما في هذه المسألة ثلاثة أقوال:

**القول الأول:** أن «الصبيّ العاقل» مكلف بالإيمان كالبالغ، حتى لو مات بعد عَقْلِهِ الإسلام بلا إيمان، كان مُخَلِّداً في النّار، وهذا هو القول المختار عند أبي منصور الماتريديّ والمعتزلة وغيرهم، وعليه جَرَى النّازم كما ذكرنا، قال ابن عابدين في «حاشيته» نقلاً عن كتاب «التحرير» لابن الهُمام: وعن أبي منصور الماتريديّ، وكثير من مشايخ العراق والمعتزلة: إناطة وجوب الإيمان بعقل الصّبيّ، وعقابه بتركه، ونفاه باقي الحنفيّة اهـ.

وقال التفتازانيّ في «التلويح على التوضيح»: وذهب كثيرٌ من المشايخ حتى الشّيخ أبي منصور: إلى أنّ الصّبيّ العاقل يجب عليه معرفة الله تعالى، لأنّها بكمال العقل، والبالغ والصّبيّ سواء في ذلك، وإنما عُذِرَ في عمل الجوارح لضعف البُنية بخلاف عمل القلب اهـ.

وليس هذا القول هو المعتمد عند الحنفيّة، فنسبة البيجوريّ في شرح «الجوهرة»، هذا القول إلى الحنفيّة من دون تفصيلٍ مخالفٍ للواقع، ولعله



تَبَعَ فِي ذَلِكَ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ اللَّقَانِيِّ فِي شَرْحِ «جَوْهَرَتِهِ»: اَعْلَمْ أَنَّ الْمَقَرَّرَ عِنْدَ الْحَنْفِيَّةِ: تَكْلِيفُ الصَّبِيِّ الْعَاقِلِ بِالْإِيمَانِ لَوْجُودِ الْعَقْلِ اهـ، وَسُنِّيْنِ ذَلِكَ فِي شَرْحِ «الْقَوْلِ الثَّالِثِ».

وَالْمُرَادُ بِـ «الصَّبِيِّ الْعَاقِلِ»: الْمُمَيِّزُ الَّذِي يَغْفُلُ الْإِسْلَامَ، كَأَن يَعْرِفَ مَعْنَى الشَّهَادَتَيْنِ، بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَبُّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ الصَّدَقَ حَسَنَ، وَالْكَذِبَ قَبِيحٌ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ فَأَكْثَرَ، أَمَّا الصَّبِيُّ غَيْرُ الْمُمَيِّزِ، فَلَا يَصِحُّ مِنْهُ رَدَّةٌ وَلَا إِسْلَامٌ، بِاتِّفَاقِ الْأُئِمَّةِ وَالْفُقَهَاءِ وَمِثْلِهِ الْمَجْنُونُ، لِأَنَّ إِقْرَارَهُ لَا يَدُلُّ عَلَى اعْتِقَادِهِ فَلَا يُعْتَبَرُ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: لِأَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ وَمَنْ تَبَعَهُ، وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيَّةِ: أَنَّ الْإِيمَانَ وَاجِبٌ عَلَى «الْبَالِغِ الْعَاقِلِ»، فَلَا يَجِبُ عَلَى الصَّبِيِّ الْعَاقِلِ لِعَدَمِ وُجُودِ الشَّرْعِ بِهِ، وَلَا عَلَى الْبَالِغِ الَّذِي بَلَغَ مَجْنُونًا، لِأَنَّ الْعَقْلَ مَنَاطُ التَّكْلِيفِ، فَمَنْ مَاتَ قَبْلَ الْبُلُوغِ وَإِنْ كَانَ عَاقِلًا، فَهُوَ نَاجٍ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَوْلَادِ الْكُفَّارِ، وَلَا يَعَاقَبُ عَلَى كُفْرٍ وَلَا عَلَى غَيْرِهِ، لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَلَا تُعْتَبَرُ رَدَّتُهُ كَذَلِكَ، أَمَّا إِيْمَانُ الصَّبِيِّ الْعَاقِلِ فَلَا يَصِحُّ فِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا فَقَطْ، قَالَ فَخْرُ الْإِسْلَامِ الْبَزْدَوِيُّ فِي «كَشْفِ الْأَسْرَارِ»: وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: لَا يَصِحُّ إِيْمَانُهُ فِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا، فَيَرِثُ أَبَاهُ الْكَافِرَ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، وَلَا تَبَيَّنَ مِنْهُ امْرَأَتُهُ الْمَشْرُكَةُ، فَأَمَّا فِي أَحْكَامِ الْآخِرَةِ، فَيُحْكَمُ بِصَحَّةِ إِيْمَانِهِ فِي حَقِّ أَحْكَامِ الْآخِرَةِ، لِتَحَقُّقِ الْإِعْتِقَادِ عَنْ مَعْرِفَةٍ، وَلَيْسَ مِنْ ضَرُورَةِ ثُبُوتِ الْإِسْلَامِ فِي أَحْكَامِ الْآخِرَةِ، ثُبُوتُهُ فِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا، لِأَنَّ أَحَدَهُمَا يَنْفَصِلُ عَنِ الْآخَرِ اهـ.

وَمَنْ بَلَغَ مِنْ أَوْلَادِ الْكُفَّارِ مَجْنُونًا، وَاسْتَمَرَّ عَلَى جُنُونِهِ حَتَّى مَاتَ، فَهُوَ نَاجٍ فِي الْآخِرَةِ، بِخِلَافِ مَا لَوْ بَلَغَ عَاقِلًا ثُمَّ جُنَّ، وَكَانَ غَيْرَ مُؤْمِنٍ فَمَاتَ كَذَلِكَ، فَهُوَ غَيْرُ نَاجٍ، لِأَنَّ جُنُونَهُ بَعْدَ تَكْلِيفِهِ بِالْإِيمَانِ، هُوَ بِمَنْزِلَةِ مَوْتِهِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلَ جُنُونِهِ مِنَ الْكُفْرِ.



واستدلَّ أصحابُ هذا المذهب، على قولهم بعدم صحَّة إسلام الصَّبِيِّ في أحكام الدنيا حتى يَبْلُغَ، بقول سيِّدنا محمد ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنْ الْمَجْنُونِ الْمَغْلُوبِ عَلَى عَقْلِهِ حَتَّى يَبْرَأَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَخْتَلِمَ»، رواه أحمد وأبو داود وغيرهما، بألفاظ متقاربة، وهو حديث صحيح.

والقول الثالثُ: أَنَّ «البلوغ والعقل» شرطان في التكليف بالإيمان وجوبَ أداءٍ، وَأَنَّ «الصَّبِيَّ الْعَاقِلَ» غيرُ مكلفٍ بالإيمانِ وَجُوبَ أداءٍ، ولكن يصحُّ منه وَيُعْتَبَرُ إيمانهُ إِنْ آمَنَ، وتُعتبر ردُّتهُ إِنْ هُوَ ارْتَدَّ، وهذا مذهب المالكيَّة، والمعتمدُ عند الحنفيَّة والحنبليَّة، مع اختلافٍ بينهم في مآل أطفال الكفار في الآخرة، وفي بعضِ تفرُّعات المسألة كما سنبيِّن، واستدلُّوا على قولهم بصحة إسلام «الصَّبِيِّ الْعَاقِلِ»: أَنَّهُ دَاخِلٌ فِي عُمُومِ قَوْلِهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى»، متفق عليه، وقوله ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ» رواه مُسْلِمٌ، وقوله ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى يُغْرَبَ عَنْهُ لِسَانُهُ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ، أَوْ: يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ: يُمَجَّسَانِهِ»، رواه الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ»، والبيهقيُّ فِي «السُّنَنِ»، ورواه الشيخان من دون «حَتَّى يُغْرَبَ عَنْهُ لِسَانُهُ»، وقد أَعْرَبَ عَنِ الصَّبِيِّ الْعَاقِلِ لِسَانُهُ بِالْإِيمَانِ فَصَحَّ إِسْلَامُهُ، وَقَدْ أَسْلَمَ عَلَيَّ ﷺ صَغِيرًا، وَعَدَّ ذَلِكَ مِنْ مَنَاقِبِهِ وَسَبْقِهِ، وَكَانَ يَبَاهِي بِذَلِكَ، وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ» الْمَتَقَدِّمُ، فَمَحْمُولٌ عَلَى الشَّرَائِعِ دُونَ الْإِيمَانِ، فَلَا يُكْتَبُ عَلَى الصَّبِيِّ عَمَلُهُ السَّيِّئُ وَلَا يَوَاحِذُ بِهِ، وَالْإِسْلَامُ يُكْتَبُ لَهُ لَا عَلَيْهِ، وَيَسْعَدُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَسَائِرِ الطَّاعَاتِ.



بعد هذا الإجمال، إليك تفصيل أقوال الفقهاء في شرطي: «البلوغ والعقل»:

#### أولاً: مذهب المالكية:

قال النَّفْرَاوِيُّ في شرح «رسالة القَيْرَوَانِيِّ»: إِنَّ الصَّبِيَّانَ لَا يَجِبُ عَلَيْهِمَا اعتقادٌ وَلَا عَمَلٌ اهـ، وقال الأمير في حاشيته على شرح «الجوهرة» لابن النازم: قال المالكية: رَدَّةُ الصَّبِيِّ وإيمانه معتبران، بمعنى: إجراء الأحكام الذنوبية التي تَتَسَبَّبُ عنهما، كبطلان ذُبْحِهِ ونكاحِهِ وصحتهما، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَعَاقِبُ فِي الْآخِرَةِ اهـ، أي: لَا يَعَاقِبُ الصَّبِيُّ الْمُرْتَدُّ فِي الْآخِرَةِ، إِذَا مَاتَ قَبْلَ الْبُلُوغِ، تَغْلِيظاً لِأَصْلِهِ وَهُوَ الْإِسْلَامُ بِإِسْلَامِ أَبِيهِ.

أَمَّا أَطْفَالُ الْمُشْرِكِينَ: فَقَدْ نَقَلَ الْقَسْطَلَانِيُّ فِي «شرح البخاري» عَنْ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ: أَنَّهُ لَيْسَ لِمَالِكٍ فِي أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ شَيْءٌ مُخْصِصٌ، إِلَّا أَنَّ أَصْحَابَهُ صَرَّحُوا بِأَنَّ أَطْفَالَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجَنَّةِ، وَأَطْفَالَ الْكُفَّارِ خَاصَّةً فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْحُجَّةُ فِي ذَلِكَ: أَنَّهُ ﷺ سَثَلَ عَنْ ذُرَارِيِّ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ» رَوَاهُ الشَّيْخَانُ وَغَيْرُهُمَا.

#### وثانياً: مذهب الحنفية:

قال صَدْرُ الشَّرِيعَةِ فِي كِتَابِهِ: «التَّوْضِيحُ» فِي الْأُصُولِ: فَالصَّبِيُّ الْعَاقِلُ لَا يَكْلَفُ بِالْإِيمَانِ، لِعَدَمِ اسْتِيفَاءِ مُدَّةٍ جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى عِلْماً لِحَصُولِ التَّجَارِبِ وَكِمَالِ الْعَقْلِ، وَلَكِنْ يَصَحُّ مِنْهُ اعْتِبَارُهُ لِأَضَلِّ الْعَقْلِ اهـ، وَعَقَّبَ السَّعْدُ التَّفْتَازَانِيُّ عَلَى قَوْلِ الصَّدْرِ: «فَالصَّبِيُّ الْعَاقِلُ، لَا يَكْلَفُ بِالْإِيمَانِ» بِقَوْلِهِ: وَهُوَ الصَّحِيحُ.

وَفِي رَدِّهِ قَوْلَانِ فِي الْمَذْهَبِ، الْمَعْتَمَدُ مِنْهُمَا: اعْتِبَارُ رَدِّهِ فِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا، فَفِي «الدَّرُّ الْمُخْتَارِ»، وَحَاشِيَةِ ابْنِ عَابِدِينَ عَلَيْهِ، وَ«الْمَبْسُوطِ»



لِلسَّرْحَسِيِّ مَا مُلَخَّصُهُ: وَإِذَا ارْتَدَّ صَبِيٌّ عَاقِلٌ قَبْلَ الْبُلُوغِ، صَحَّتْ رَدَّتُهُ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَمُحَمَّدٍ، فَتَحْرُمُ عَلَيْهِ امْرَأَتُهُ، وَلَا يَبْقَى وَارِثًا، خِلَافًا لِأَبِي يُوسُفَ، فَلَا تَصِحُّ رَدَّتُهُ عِنْدَهُ لِأَنَّهَا ضَرَرٌ مَخْضُصٌ، وَهَذَا الْخِلَافُ إِنَّمَا هُوَ فِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا فَقَطْ، أَمَّا فِي أَحْكَامِ الْآخِرَةِ، فَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْإِمَامِ وَصَاحِبِيهِ فِي تَخْلِيدِهِ فِي النَّارِ، لِأَنَّ الْعَفْوَ عَنِ الْكُفْرِ، وَدُخُولَ الْجَنَّةِ مَعَ الشُّرْكِ، خِلَافُ حُكْمِ الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ.

أَمَّا إِسْلَامُ «الصَّبِيِّ الْعَاقِلِ»: فَيَصِحُّ بِاتِّفَاقِ الْإِمَامِ وَصَاحِبِيهِ، وَتَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ أَحْكَامُهُ، مِنْ عَصْمَةِ النَّفْسِ وَالْمَالِ، وَالْإِرْثِ مِنَ الْمُسْلِمِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَوَجْهُ صَحَّةِ إِسْلَامِهِ مَعَ كَوْنِهِ غَيْرَ وَاجِبٍ عَلَيْهِ قَبْلَ الْبُلُوغِ، لِيَتَرْتَّبَ عَلَيْهِ الْأَحْكَامُ الدُّنْيَوِيَّةُ وَالْآخِرَوِيَّةُ، كَمَا فِي «الْفَتْحِ».

أَمَّا أَطْفَالُ الْمُشْرِكِينَ، الْمُتَمَيِّزِينَ مِنْهُمْ وَغَيْرُ الْمُتَمَيِّزِينَ: فَفِي حَالِهِمْ فِي الْآخِرَةِ خِلَافٌ فِي الْمَذْهَبِ، قَالَ النَّازِمُ فِي «الْفَتْاوى السَّرَاجِيَّةِ»: أَطْفَالُ الْمُشْرِكِينَ: قِيلَ: هُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَقِيلَ: فِي النَّارِ، وَأَبُو حَنِيفَةَ تَوَقَّفَ فِيهِمْ، وَقَالَ السَّرْحَسِيُّ: إِنَّ وَلَدَ الْكَافِرِ كَافِرٌ أَهْ، وَفِي «تَبْيِينَ الْحَقَائِقِ» شَرْحُ «الْكَنْزِ»: أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ وَمُحَمَّدًا تَوَقَّفَا فِي أَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ أَهْ.

### وَالثَّالِثُ: مَذْهَبُ الْحَنْبَلِيَّةِ:

جَاءَ فِي مُعْتَبَرَاتِ كِتَابِ الْمَذْهَبِ، كَالْمُغْنِيِّ لِابْنِ قَدَامَةَ، وَ«الْمُبْدِعِ» لِابْنِ مُفْلِحٍ: أَنَّ الصَّبِيَّ الْعَاقِلَ لَيْسَ مَكْلُفًا بِالْإِيمَانِ، وَلَكِنْ: يَصِحُّ إِسْلَامُهُ إِنْ أَسْلَمَ وَيُكْتَبُ لَهُ، وَيَسْعَدُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ كَالصَّلَاةِ تَصِحُّ مِنْهُ وَتُكْتَبُ لَهُ، وَإِنْ لَمْ تَجِبْ عَلَيْهِ.

كَمَا تَصِحُّ رَدَّتُهُ وَتُعْتَبَرُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِنْ مَاتَ مُمَيِّزٌ مُرْتَدًّا قَبْلَ الْبُلُوغِ وَقَبْلَ التَّوْبَةِ، مَاتَ كَافِرًا، لِمَوْتِهِ فِي الرَّدَّةِ.

أَمَّا الصَّبِيُّ غَيْرُ الْمُتَمَيِّزِ، فَلَا يَتَحَقَّقُ مِنْهُ اعْتِقَادُ الْإِسْلَامِ حَتَّى يَغْفَلَ



وَيُمَيِّزُ، وَلَا تَصَحُّ رَدَّتُهُ، وَلَا رَدَّةُ الْمَجْنُونِ وَلَا إِسْلَامُهُ، وَلَا حُكْمٌ لِكَلَامِهِمَا  
بِغَيْرِ خِلَافٍ كَمَا تَقَدَّمَ، وَأَمَّا أَطْفَالُ الْكُفَّارِ فِي النَّارِ، وَمِثْلُهُمْ مَنْ بَلَغَ مِنْهُمْ  
مَجْنُونًا عَلَى الْمَعْتَمَدِ فِي الْمَذْهَبِ.

#### ورابعاً: مذهب الشافعية:

قال الشَّرْبِينِيُّ فِي «مَغْنِي الْمَحْتَاجِ»: (وَلَا تَصَحُّ رَدَّةُ صَبِيٍّ) وَلَوْ مُمَيِّزاً  
(و) لَا رَدَّةَ (مَجْنُونٍ) لِعَدَمِ تَكْلِيفِهِمَا، فَلَا اعْتِدَادَ بِقَوْلِهِمَا وَاعْتِقَادَهُمَا،  
وَالْمُرَادُ: أَنَّهُ لَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِمَا حُكْمُ الرَّدَّةِ اهـ.

وعليه: فَإِنَّ أَطْفَالَ الْمُشْرِكِينَ نَاجُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَوْ مُمَيِّزِينَ، قَالَ  
النَّوَوِيُّ فِي «شَرْحِ مُسْلِمٍ»: أَجْمَعَ مَنْ يُعْتَدُّ بِهِ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى: أَنَّ  
مَنْ مَاتَ مِنْ أَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَمَّا أَطْفَالُ الْمُشْرِكِينَ  
فَفِيهِمْ ثَلَاثَةُ مَذَاهِبٍ: قَالَ الْأَكْثَرُونَ: هُمْ فِي النَّارِ تَبَعاً لِأَبَائِهِمْ، وَتَوَقَّفَتْ  
طَائِفَةٌ فِيهِمْ، وَالثَّالِثُ وَهُوَ الصَّحِيحُ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ: أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ  
الْجَنَّةِ، وَيُسْتَدَلُّ لَهُ بِأَشْيَاءٍ، مِنْهَا: حَدِيثُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عليه السلام حِينَ رَأَى  
النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فِي الْجَنَّةِ وَحَوْلَهُ أَوْلَادُ النَّاسِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَوْلَادُ  
الْمُشْرِكِينَ؟! قَالَ: «وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ»، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ اهـ.

وقال ابن حجر في «التُّحْفَةِ»: أَمَّا فِي الْآخِرَةِ، فَكُلُّ مَنْ مَاتَ قَبْلَ الْبُلُوغِ  
مِنْ أَوْلَادِ الْكُفَّارِ الْأَصْلِيِّينَ وَالْمُرْتَدِّينَ، فِي الْجَنَّةِ عَلَى الْأَصَحِّ اهـ، قَالَ  
الْمُحَسِّنِيُّ الْبُجَيْرِيُّ: وَمُسْتَقِيلُونَ عَلَى الْمَعْتَمَدِ اهـ، أَي: فِي الْجَنَّةِ، وَلَيْسُوا  
خُدَمَاءَ لِأَهْلِهَا.

#### وَالشَّرْطُ الثَّالِثُ مِنْ شُرُوطِ التَّكْلِيفِ بِالْإِيمَانِ: «بُلُوغُ الدَّعْوَةِ»:

وَمَعْنَى: «بُلُوغُ الدَّعْوَةِ» هُوَ: أَنْ يَصِلَ إِلَى عِلْمِ الْمَكْلُوفِ خَبَرُ بَعْثَةِ سَيِّدِنَا  
مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، رَسُولاً مِنْ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى الْعَالَمِينَ، وَيَقُومُ مَقَامَ بُلُوغِ الدَّعْوَةِ عِنْدَ



الحنفية: إمهال العبد بعد البلوغ زماناً للتجربة والاستدلال كما سيأتي.

وللعلماء فيمن يتحقق فيه بلوغ الدعوة أو عدم بلوغها قولان:

القول الأول: أن ذلك يمكن أن يتحقق في كل بالغ عاقل، لا فرق في ذلك بين من نشأ في المدن والقرى وعشائر البادية، وبين من نشأ وحيداً في شواحق الجبال، وهو قول جمهور أهل العلم.

والقول الثاني: أن بلوغ الدعوة أو: عدمه، إنما يتحقق فيمن نشأ حتى بلوغه الحلم في شاطئ جبل، أو: في بادية منعزلاً عن الناس، أما من يخالط الناس من أهل الحضر والبادي وغيرها، فلا يتحقق فيه عدم بلوغ الدعوة، وهو القول المعتمد عند الحنفية.

ولأهل العلم في اعتبار «بلوغ الدعوة» شرطاً من شروط التكليف بالإيمان ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن «بلوغ الدعوة» ليس شرطاً، وهو قول أبي منصور الماتريدي ومن تبعه، وعليه جرى النظم كما بيّنا في شرح «القول الأول» في شرطي: «البلوغ والعقل»، وهو القول المرجح عند الحنبلية: أن من لم تبلغه الدعوة يعاقب إن لم يؤمن، وقوّاه شمس الدين ابن مفلح في «الفروع»، وقيل: لا يعاقب.

والقول الثاني: أن «بلوغ الدعوة» شرط للتكليف بالإيمان، قال إبراهيم اللقاني في شرح «جوهرته»: وأما عند الأشعرية: فالذي لم تبلغه الدعوة، إذا غفل عن الاعتقاد حتى هلك، أو اعتقد الشرك ولم تبلغه الدعوة كان معذوراً، لأنّ المعترع عندهم هو السمع دون العقل، متمسكين بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، ولما انتفى العذاب قبل



البعثة، انتفى حكمُ الكفرِ عَمَّنْ لم تبلغه الدَّعوةُ، وهو قولُ الشافعي الذي قال في «الرَّسالة»، مستدلاً على حُجِّيَّةِ خبر الواحد الصَّادِقِ: وَبَعَثَ ﷺ أُمَرَاءَ سَرَايَاهُ، وَكُلُّهُمْ حَاكِمٌ فِيمَا بَعَثَهُ فِيهِ، لِأَنَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَدْعُوا مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعوةُ، وَيَقَاتِلُوا مَنْ حَلَّ قِتَالُهُ اهـ، وهذا مذهب الشافعية، مستدلِّين بما رواه أحمد ومسلم - وَاللَّفْظُ لَهُ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ: يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يَوْمَنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»، قَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِهِ: وَفِي مَفْهُومِهِ دِلَالَةٌ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ دَعْوَةُ الْإِسْلَامِ فَهُوَ مَعْذُورٌ، وَهَذَا جَارٍ عَلَى مَا تَقَرَّرَ فِي الْأَصُولِ: أَنَّهُ لَا حُكْمَ قَبْلَ وُرُودِ الشَّرْعِ عَلَى الصَّحِيحِ، وَقَالَ: وَذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْيَهُودِيَّ وَالنَّصْرَانِيَّ تَنْبِيهاً عَلَى مَنْ سِوَاهُمَا، فَإِذَا كَانَ هَذَا شَأْنُهُمْ وَهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، فَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ لَا كِتَابَ لَهُ أَوْلَى اهـ.

وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ: وَهُوَ الْمَعْتَمَدُ عِنْدَ الْحَنْفِيَّةِ: أَنَّ عَدَمَ بُلُوغِ الدَّعوةِ، يُعْتَبَرُ عَذْرًا فِي حَقِّ مَنْ بَلَغَ فِي شَاهِقِ جَبَلٍ، وَمَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَهُ الدَّعوةُ، وَيَقُومُ مَقَامَ بُلُوغِ الدَّعوةِ، إِمْهَالُ الْعَبْدِ زَمَانًا بَعْدَ الْبُلُوغِ لِلتَّجَرِبَةِ وَالِاسْتِدْلَالِ، وَبَعْدَهُ يَكُونُ مَكْلَفًا وَلَا يَكُونُ مَعْذُورًا، قَالَ الْبَزْدَوِيُّ فِي «كَشَفِ الْأَسْرَارِ»: إِنَّ مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعوةُ إِنَّمَا لَمْ يَكْلَفْ بِمَجَرَّدِ الْعَقْلِ، بِأَنْ بَلَغَ عَلَى شَاهِقِ جَبَلٍ وَمَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ، فَأَمَّا إِذَا أَعَانَهُ اللَّهُ بِالتَّجَرِبَةِ، وَأَمْهَلَهُ لِدَرْكِ الْعَوَاقِبِ، لَمْ يَكُنْ مَعْذُورًا، لِأَنَّ الْإِمْهَالَ وَإِدْرَاكَ مُدَّةِ التَّأَمُّلِ، بِمَنْزِلَةِ دَعْوَةِ الرُّسُلِ فِي حَقِّ تَنْبِيهِ الْقُلُوبِ عَنْ نَدَمِ الْغَفْلَةِ، فَلَا يُعْذَرُ بَعْدُ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا يَرَى بِنَاءً إِلَّا وَقَدْ عَرَفَ لَهُ بَانِيًا، وَلَا صُورَةً إِلَّا وَقَدْ عَرَفَ لَهَا مُصَوِّرًا، فَكَيْفَ يُعْذَرُ بَعْدَ رُؤْيَتِهِ صُورًا حَسَنَةً، وَبَعْدَ إِدْرَاكِ مُدَّةِ التَّأَمُّلِ، فِي جَهْلِهِ بِخَالِقِهَا وَمُصَوِّرِهَا؟، بَلْ يُلْزَمُهُ مِنَ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ مَا يَتِمُّ بِهِ الْمَعْرِفَةُ، وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ يُحْمَلُ مَا



رُوي عن أبي حنيفة: أَنَّهُ لَا عُذْرَ لِأَحَدٍ فِي الْجَهْلِ بِالْخَالِقِ، لِمَا يَرَى فِي الْعَالَمِ مِنْ آيَاتِ الْخَلْقِ، أَي: لَا عُذْرَ لَهُ بَعْدَ الْإِمْهَالِ لَا لِبَتْدَاءِ الْعَقْلِ، يَعْنِي: إِقَامَةَ الْإِمْهَالِ وَإِدْرَاكِ زَمَانِ التَّأَمُّلِ مَقَامَ بُلُوغِ الدَّعْوَةِ اهـ.

وَقَالَ السَّعْدُ التَّفْتَازَانِيُّ فِي «التَّلْوِيحِ»: وَلَوْ وَصَفَ شَاهِقُ الْجَبَلِ الْكُفْرَ، كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ وَجَدَ زَمَانَ التَّجَرُّبَةِ وَالتَّمَكُّنِ مِنَ الْاسْتِدْلَالِ، وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَعْتَقِدْ شَيْئًا: فَإِنْ وَجَدَ زَمَانَ التَّجَرُّبَةِ وَالتَّمَكُّنِ فَلَيْسَ بِمَعْذُورٍ، وَإِلَّا فَمَعْذُورٌ، وَلَيْسَ فِي تَقْدِيرِ الزَّمَانِ دِلَالَةٌ عَقْلِيَّةٌ أَوْ سَمْعِيَّةٌ، بَلْ ذَلِكَ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنْ تَحَقَّقَ يُعَذِّبُهُ، وَإِلَّا فَلَا، اهـ.

#### وَالشَّرْطُ الرَّابِعُ مِنْ شُرُوطِ التَّكْلِيفِ بِالْإِيمَانِ: «سَلَامَةُ الْحَوَاسِّ»:

وَالْمُرَادُ بِهِ: سَلَامَةُ إِحْدَى حَاسَّتَيْ: «السَّمْعِ وَالْبَصَرِ»، لِأَنَّ أَيَّامًا مِنْهُمَا اسْتَعْمَلَهُ الْإِنْسَانُ، فَهُوَ كَافٍ لِتَزْوِيدِ الْعَقْلِ بِالْمَعْلُومَاتِ الَّتِي تَمَكَّنُهُ مِنَ النَّظَرِ وَالْاسْتِدْلَالِ، وَالْوَصُولِ إِلَى النَّتَائِجِ الصَّحِيحَةِ وَالْأَحْكَامِ الْعَقْلِيَّةِ السَّلِيمَةِ، أَمَّا سَائِرُ الْحَوَاسِّ فَهِيَ قَاصِرَةٌ، وَلِهَذَا امْتَنَّنَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بِحَاسَّتَيْ «السَّمْعِ وَالْبَصَرِ» خَاصَّةً كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السَّجْدَةُ: ٩].

أَمَّا اعْتِبَارُ هَذَا الشَّرْطِ مِنْ جُمْلَةِ شُرُوطِ التَّكْلِيفِ بِالْإِيمَانِ: فَقَدْ قَالَ بِهِ: الْقَائِلُونَ بِشَرْطِيَّةِ بُلُوغِ الدَّعْوَةِ مُطْلَقًا وَهُمْ: الشَّافِعِيَّةُ وَالْأَشْعَرِيَّةُ، وَفِي حَقِّ شَاهِقِ الْجَبَلِ عِنْدَ الْحَنْفِيَّةِ، أَوْ: مَا يَقُومُ مَقَامَ بُلُوغِهَا عَنْدهُمْ وَهُوَ: الْإِمْهَالُ وَإِدْرَاكِ زَمَانِ التَّأَمُّلِ كَمَا تَقَدَّمَ، قَالَ اللَّقَائِنِيُّ فِي شَرْحِ «جَوْهَرَتِهِ»: قَالَ بَعْضُ أَئِمَّةِ الشَّافِعِيَّةِ: لَوْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ إِنْسَانًا أَعْمَى أَصَمًّا، لَسَقَطَ عَنْهُ وَجُوبُ النَّظَرِ وَالتَّكْلِيفِ، لِتَعَذُّرِ وَصُولِ الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَهُوَ صَحِيحٌ اهـ.

أَمَّا الْحَنْبَلِيَّةُ: فَيُلْحَقُونَ مَنْ وُلِدَ كَذَلِكَ بِأَبْوَيْهِ إِسْلَامًا وَكُفْرًا، فَفِي



«الإقناع» وغيره: مَنْ وَلِدَ أَعْمَى أَبْكَمَ أَصَمَّ، فَمَعَ أَبَوِيهِ كَافِرِينَ أَوْ مُسْلِمِينَ، وَلَوْ أَسْلَمَا بَعْدَمَا بَلَغَ أَهـ.

### المسألة الخامسة: «أركان الإيمان».

لا يصحُّ إيمانُ العبدِ المكلفِ، حتَّى يؤمِّنَ بأركانِ الإيمانِ السَّتَّةِ، الواردِ ذِكْرُهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ١٤٩]، وقد جمع أركانَ الإيمانِ سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٌ ﷺ، فِي جَوَابِهِ جَبْرِيلُ ؑ عَنْ «الإيمان» فَقَالَ ﷺ: «أَنْ تُوْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُوْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد بَيَّنَّا فِي الْبَابَيْنِ: «الأول والثاني»، معنَى: «الإيمان بالله تعالى، والإيمان بالقضاء والقدر»، وسيأتِي فِي «الباب العاشر» بَيَانُ «الإيمان باليوم الآخر» مُفَصَّلًا.

أَمَّا سَائِرُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ وَهِيَ: «الإيمانُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ السَّمَاوِيَةِ وَالرُّسُلِ»، فَأَشَارَ إِلَيْهَا النَّاطِمُ بِقَوْلِهِ:

٣٢- وَفَرَضَ، لَازِمٌ تَضَدِّيقُ رُسُلٍ وَأَمْلَاكِ كِرَامٍ، بِالتَّوَالِي

قَوْلُهُ: «رُسُلٍ» بِسُكُونِ السَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ لِلْوِزْنِ، جَمَعَ «رُسُولٌ»، وَقَوْلُهُ: «وَأَمْلَاكِ كِرَامٍ»: قَصَدَ بِهِ النَّاطِمُ «المَلَائِكَةُ الْكَرَامُ»، وَهُوَ لَيْسَ جَمْعًا لِـ «مَلَكٍ» بِنَفْخِ اللَّامِ، وَلَكِنَّهُ جَمَعَ «مَلِكٍ» بِكُسْرِهَا، وَقَدْ اضْطَرَّ النَّاطِمُ لِاسْتِعْمَالِ هَذَا الْجَمْعِ لِحُضُورَةِ النَّظْمِ، إِذْ لَا يَسْتَقِيمُ الْوِزْنُ إِلَّا بِهِ.



وقوله: «وَأَمْلَاكِ كَرَامٍ» عطف على «رسلٍ»، فهو عَظْفُ موصوفٍ على موصوفٍ، وعَظْفُ صفةٍ على صفةٍ محذوفةٍ تقديرها: «رسل كرامٍ وأملاك كرامٍ».

وقوله: «بالتوالي» هو: بالتاء، وهو الصَّواب فيه الملائم للمعنى، لأنَّه متعلِّق بفعلٍ محذوفٍ تقديره: «أرسلوا بالتوالي»، وهذه الجملةُ صفةٌ لـ «رسلٍ» أي: أرسلوا بالتتابع واحداً بعد واحد، بَدْءاً بآدم، وختاماً بسيدنا محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام، وهذا المعنى أَخَذَهُ النَّاظِمُ من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ [المؤمنون: ٤٤]، قال الزَّمَخْشَرِيُّ في «الكشَّاف»: ﴿تَتْرًا﴾: «فَعَلَى» والألف للتأنيث، لأنَّ الرُّسُلَ جماعة، أي: متواترين واحداً بعد واحد، من «الوتر» وهو: الفرد اهـ.

أَمَّا الزَّعْمُ بأنَّ كلمة «بالتوالي»، قد جاءت في بعض النسخ بالنون أي: «بالتَّوال» وأَنَّها صحيحة، فلا يُعْتَدُّ به، وهو تحريفٌ من الناسخ، وقد اضطربت عبارة المَلَّا عليّ القاريّ هنا اضطراباً كثيراً لا طائل فيه، والصَّواب ما ذكرناه.

### «أولاً: الإيمان بالملائكة»:

إنَّ الإيمان بوجود «الملائكة» على نحو ما أخبرنا الله سبحانه عنهم، واجبٌ عَيْنِيٌّ على كلِّ مكَلَّفٍ، ومِثْلُهُمْ في هذا الحُكْم: «الجنُّ» أو: «الجانُّ»، قال الله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ ④ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ ⑤ [الرحمن: ١٤ - ١٥]، و«الصَّلْصَالُ»: الطِّينُ اليابس يُسَمَّعُ منه صوتٌ إذا نُقِرَ كَالْفَخَّارِ، و«مارجُ النَّارِ»: لَهْبُهَا، وَرَوَى أحمد ومسلم عن أمِّ المؤمنين السَّيِّدة عائشة ؓ قالت: قال رسول الله ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»: أي: من طينٍ.



فالملائكة: أجسامٌ نورانيَّةٌ، لا يوصفون بذكورةٍ ولا أنوثةٍ، ولا يتناكحون ولا يتناسلون، ولا يأكلون ولا يشربون، إذ ليس فيهم شهواتُ الإنس والجنِّ، وهم معصومون ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]، فكلُّ ما قيل مِنْ رواياتٍ فيها نسبَةُ معصيةٍ إلى أحد الملائكة، كقصَّة «هاروت وماروت» في آية «السَّحَر» (١٠٢) من سورة «البقرة»، هو باطلٌ لا يجوز اعتقاده، ولا يُروى إلَّا على سبيل البيان والتحذير.

أما «الجنُّ»: فهم أجسامٌ نيرانیَّةٌ، يتناكحون ويتناسلون، ويأكلون ويشربون، وهم مكلفون بالإيمان والشرائع كالإنس، فمنهم المؤمنون والكافرون، قال تعالى على لسان الجنِّ. ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَائِفًا قَدْ دَأَّا﴾ [الجن: ١١]، أي: مذاهبٌ مختلفةٌ، ولكنَّ الله تعالى لم يبعثْ منهم رسلاً ولا أنبياءً، بل أمرهم باتِّباع الرُّسل والأنبياء من الإنس، وإنَّما فيهم منذرون أي: علماءٌ مبلَّغون، يعلمون أقوامهم ما يسمعونه من الرسول ويأخذونه عنه، قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا رُؤًى أَنَا عَجَبًا﴾ [يهدى إلى الرُّشد فتأمناً به] ﴿وَلَن شُرَكَ رَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١ - ٢]، وقال جلَّ وعزَّ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [٢٩] ﴿قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [٣٠] ﴿يَنْقُومَنَا لِيُجِبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمَنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِزَّكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [٣١] ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [٣٢] [الاحقاف: ٢٩ - ٣٢].

و«إبليس» هو: «الشَّيْطَان»، ليس أبا الجنِّ كما قيل، ولكنَّه أبو الشَّياطين، وهو وإيَّاهم من الجنِّ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِئَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]، وإنَّما



شَمِلَهُ الْأَمْرُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ، لِأَنَّهُ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مَعَ الْمَلَائِكَةِ فَدَخَلَ فِي جُمْلَتِهِمْ، وَلِهَذَا سَأَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ سَبَبِ عَدَمِ سَجُودِهِ، وَهَذَا السُّؤَالُ دَلِيلٌ عَلَى تَكْلِيفِهِ بِهِ، وَقَدْ فَهِمَ إِبْلِيسُ أَنَّهُ مَخَاطَبٌ مَعَ الْمَلَائِكَةِ، فَعَلَّلَ إِبَاءَهُ السُّجُودَ لِآدَمَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ص: ٧٦]، وَلَوْ فَهِمَ أَنَّ الْخُطَابَ لَا يَعْنِيهِ لَمَا جَادَلَ، وَلَكِنَّهُ امْتَنَعَ عِنَاداً وَكِبَرًا، فَطَرَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلَعَنَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

### وثنانياً: «الإيمانُ بالكتبِ السماوية»:

والمراد به: وجوبُ الإيمانِ بكلِّ ما أوحى اللهُ تَعَالَى، إِلَى نَبِيِّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ أَوْ: رَسُولٍ مِنْ رُسُلِهِ الْكَرَامِ، وَمِنْهُ: «الْقُرْآنُ» وَهُوَ: كِتَابُ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ الْمَنْزُورُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْكِتَابُ السَّابِقُ هِيَ: «الْإِنْجِيلُ» كِتَابُ «عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ» ﷺ، وَ«التَّوْرَةُ» كِتَابُ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ﷺ، وَ«الزَّبُورُ» كِتَابُ «دَاوُدَ بْنِ سُلَيْمَانَ» ﷺ، وَ«صَحْفُ إِبْرَاهِيمَ» ﷺ.

«أَمَّا مَا فِي أَيْدِي أَهْلِ الْكِتَابِ مِمَّا يُسَمَّى: «التَّوْرَةُ» عِنْدَ الْيَهُودِ، أَوْ «العَهْدِ الْقَدِيمِ» عِنْدَ النَّصَارَى، أَوْ: مَا يُسَمُّونَهُ «الْأَنْجِيلَ الْأَرْبَعَةَ: مَتَّى، وَيُوحَنَّا، وَبُولُسَ، وَمَرْقُسَ»، وَمَا يُسَمُّونَهُ: «الْمِزَامِيرَ»، وَغَيْرَ ذَلِكَ، فَتِلْكَ كُلُّهَا مِمَّا افْتَرَوْهُ وَحَرَّفُوهُ وَبَدَّلُوهُ وَابْتَدَعُوهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْكِتَابَ السَّمَاوِيَّ، لَا تَخْتَلِفُ فِيهَا بَيْنَهَا فِي عَقَائِدِ الْإِيمَانِ، فَجَمِيعُهَا أُنْزِلَتْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ بِتَوْحِيدِ الْخَالِقِ جَلَّ وَعَزَّ، وَسَائِرُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ الَّتِي جَاءَ بِهِ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَإِنَّمَا الْاِخْتِلَافُ فِي الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ بِالنَّسْخِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

### وثالثاً: «الإيمانُ بالأنبياءِ والمرسلين»:

وهو المراد بقول الناظم: «وَفَرَضَ لَازِمٌ تَصْدِيقُ رُسُلِهِ...»، أَي:



يجب وجوباً عينياً على كل مكلف، تصديق جميع الأنبياء والمرسلين، على نحو ما قدمناه في («الباب الرابع»: في «النَّبَوِيَّات»).

وللتصديق وجهان: الوجه الأول: يعني التصديق بأشخاص الأنبياء والمرسلين، أي: أَنَّ الله تعالى قد أوحى إليهم وأرسلهم وكلفهم بالتبليغ، فيجب الإيمان، بهم جميعاً، سواء أبلغتنا أسماؤهم كالأذين سَمَّاهم الله تعالى في القرآن العظيم، من أولهم آدم، حتى خاتمهم سيدنا محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام، أم لم تبلغنا أسماؤهم، ولم يَقْصُرَ الله تعالى علينا من أخبارهم، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَمِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

والوجه الثاني لمعنى «التصديق»: أَنَّهُ التصديق بما جاؤوا به من عند الله تعالى، وأول ما يجب الإيمان به: «عقائد الإيمان»، وأنها واحدة لا تتعارض ولا تختلف.

فيجب على المكلف: أَنْ يؤمنَ بشخص النبي والرسول، ويؤمنَ أيضاً بما جاء به، وبما يُبَلِّغُهُم عن الخالق جلَّ وعزَّ، وإن لم يكن الإيمان كذلك فليس بإيمانٍ صحيح.

نبوة آدم ﷺ:

لا يجوز التردُّدُ أو: التشكيك في رسالة آدم ﷺ، كما يزعم من لا تحقيق عنده ولا فقه، في النصوص وقواعد الشرع، ومنها: أَنَّ آدمَ ودُرَيْتَهُ في حياته، كانوا مكلفين بالإيمان بالله تعالى، ومكلفين بعمل الصالحات وترك المحرمات، ولا يكون ذلك إلا بوحي من الله تعالى، فأوحى سبحانه إلى آدم بعقائد الإيمان وشرائع الأحكام، وكان يعمل بما شرَّعَ الله له، ويأمر أولاده به، فكان يزواج بين أولاده، ويأمر وينهى، وكان أولاده على ملته مسلمين وبشريته يعملون، وقصَّةُ قابيل وهابيل دليلٌ صريح على ذلك،



قال الله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُقْبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَبِئْسَ بِسَطِّكَ إِلَٰهَ يَدُكَ لِنُقَلِّتِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيَّ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنَّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [المائدة: ٢٧ - ٢٩]، ففي هذه الآيات: مشروعية تقريب قربان، وأن الله لا يتقبله إلا من المتقين، - و«التقوى» معلومة المعنى - ؛ وأن القتل معصية فيها إثم، وفاعلها من أهل النار، لأنَّه من الظالمين، وهي أمور عبادية وتشريعية، لا تُعرف إلا من رسولٍ هو آدم عليه السلام.

أَمَّا الزَّعْمُ بِأَنَّ أَكَلَ آدَمَ مِنَ الشَّجَرَةِ مَعْصِيَةٌ تَنَافِي الثُّبُوتِ، فَهُوَ زَعْمٌ مُرَدُّ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ، لِأَنَّهَا مِنَ الصِّغَائِرِ الَّتِي لَا خِصَّةَ فِيهَا، فَلَا تَقْدَحُ فِي نُبُوتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا بَيَّنَّا فِي «الْبَابِ الرَّابِعِ».

وعدد الأنبياء والمرسلين مُطْلَقٌ غَيْرُ مُحَدَّدٍ، وَمَا وَرَدَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ فِي تَحْدِيدِ عَدَدِهِمْ فَلَمْ يَثْبُتْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَا يَحْتَاجُ بِمَا وَرَدَ فِي هَذَا الْخُصُوصِ، وَالصَّحِيحُ الْإِطْلَاقُ وَعَدَمُ التَّعْيِينَ، وَسَبَقَ الْكَلَامُ فِي ذَلِكَ فِي «الْمَسْأَلَةِ الثَّانِيَةِ» مِنْ «الْبَابِ الرَّابِعِ».

دين الله تعالى واحد:

ومما يجب معرفته والإيمان به والتنبيه إليه: أَنَّ دِينَ اللَّهِ تَعَالَى وَاحِدٌ لَا يَتَعَدَّدُ هُوَ: «الإسلام»، قَالَ فِي «الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ»: وَدِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَاحِدٌ وَهُوَ: دِينَ الْإِسْلَامِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، قَالَ شَارِحُهَا: وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، عَامٌّ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَلَكِنَّ الشَّرَائِعَ تَخْتَلِفُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]،



فدين الإسلام هو: ما شَرَعَهُ اللهُ سبحانه وتعالى لعباده على السنة رسله هـ.

وقد شاع على ألسنة كثير من المشايخ في عصرنا، وغير عصرنا، وفي كتبهم، مَقُولَةٌ: «الْأَدْيَانِ السَّمَاوِيَّةُ الثَّلَاثَةُ: الْيَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ وَالْإِسْلَامُ»، وهذا جهلٌ لا يليق بالعامِّيِّ المسلم، إذ كيف يجوز اعتبار «اليهودية» ديناً سماوياً، وهي تحريفٌ لدين موسى ﷺ الذي هو الإسلام؟ وكيف يجوز القول بأنَّ «النَّصْرَانِيَّةَ» دينٌ سماويٌّ، وهو قائم على تبعية الإله إلى ثلاثة أقانيم أو اعتبار الآلهة ثلاثة؟ ولو أنَّ هؤلاء قرأوا القرآن الكريم، لأدركوا هذا الضلال الذي تخبَّطوا فيه بجهلهم، والأغرب أن يزعم بعضهم: أنَّ «اليهودية» كانت دينَ موسى قبل التحريف، وأنَّ «النَّصْرَانِيَّةَ» هي دينُ عيسى قبل التحريف، والواقع أنَّ دينَ موسى وعيسى ﷺ هو: «الإسلام»، وأنَّ اليهودية والنصرانية بدعتان ابتدعتا بعدهما، ليستا من الله تعالى في شيء.

#### المسألة السادسة: «منافع الدعاء».

وإليها أشار الناظم بقوله:

### ٣٣ - وَلِلدَّعَوَاتِ تَأْثِيرٌ بَلِيغٌ وَقَدْ يَنْفِيهِ أَصْحَابُ الضَّلَالِ

قوله: «تأثير»: يقال: أثَّرَ في الشيء: تَرَكَ فيه أثراً، والاستجابة أثرُ الدُّعَاءِ بوعدِ الله تعالى، وقوله: «بليغ»: صفةٌ لـ «تأثير» أي: تأثيرٌ بَلَغَ أَقْصَى المقصِدِ والمنتَهَى من الداعي، وإضافة «التأثير» للدَّعَوَاتِ ليس على الحقيقة، لأنَّ المؤثِّرَ أي: خالق الأثر، هو الله تعالى من دون واسطة، ولكنها إشارة إلى أنَّ الدعاء سببٌ لآثاره، وهي: الاستجابة بأنواعها بمشيئة الله تعالى.

و«الدُّعَاءُ» لَعْنَةٌ: الطَّلَبُ، يقال: دعا الله: طلب منه مُرَادَهُ. وعَرَّفَهُ بعضهم اصطلاحاً بأنَّه: «رَفَعَ الْحَاجَاتِ إِلَى رَافِعِ الدَّرَجَاتِ»، وهو مأخوذٌ من



تفسير عبد الله بن عباس رضي الله عنه لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَلْصَكَمُ﴾ [الصمد: ٢]، قال: «الذي يَضْمُدُ إليه الخلائق حوائجهم ومسائلهم»، وقال السَّعْدُ التفتازاني: «إنَّه الطلبُ على سبيل التضرُّع».

ومعنى البيت: أَنَّ مذهبَ أهل السُّنَّة والجماعة: أَنَّ الدُّعَاءَ مطلوبٌ شرعاً، وَأَنَّهُ يَنْفَعُ الأحياء والأَمْواتِ، قال في «العقائد النَّسَفِيَّة»: وفي دعاء الأحياء للأَمْواتِ، وَصَدَّقْتَهُمْ عَنْهُمْ نَفْعٌ لَهُمْ، وَأَضَافَ التفتازاني في شرحها: أي: للأَمْواتِ، خلافاً للمعتزلة تمسكاً بأنَّ القضاء لا يَتَبَدَّلُ، وَأَنَّ كُلَّ نَفْسٍ مرهونةٌ بما كَسَبَتْ، وَأَنَّ المَرءَ مجزيٌّ بعمله لا بعمل غيره، ولنا: ما ورد في الأحاديث الصَّحاح، من الدُّعَاءِ للأَمْواتِ، خصوصاً صلاةَ الْجَنَازَةِ، وقد توارثه السَّلَفُ، فلو لم يكن للأَمْواتِ نَفْعٌ فيه، لما كان له معنى اهـ.

وإلى المعتزلة أشار الناظم بقوله: «وقد يَنْفِيهِ أَصْحَابُ الضَّلَالِ»، ولا يكفرون بذلك، لأنَّهم لم يكذبوا القرآنَ، بل أَوَّلُوا الدعاءَ بالعبادة، والإجابةَ بالثواب، ويقولون: الدُّعَاءُ مجردٌ تذللٌ، ولهذا استعمل الناظم «قد» التقليلية قبل الفعل المضارع فقال: «وقد يَنْفِيهِ أَصْحَابُ الضَّلَالِ»، يريد: أَنَّ مذهبَ المعتزلة قريبٌ من مرتبة نفي الدُّعَاءِ وليس نفيّاً مطلقاً.

وَيُرَدُّ عَلَيْهِمْ: بأنَّ القضاءَ والقدرَ من عالمِ الغيبِ، وَأَنَّ العبدَ لا يعلم الغيبَ، فلا يعلم ما قَدَّرَهُ اللهُ تعالى وقضاه له، أَوْ: عليه، وقد أَمَرَهُ رَبُّهُ بالدعاءِ، فهو بالدُّعَاءِ مَكْلَفٌ، أمَّا الاستجابةُ فإلى الله تعالى وحده، ولو كان العبدُ يعلم الغيبَ لما احتاج إلى الدعاءِ، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْمَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]؛ فالإتيان بالدعاءِ عبادةٌ، وإنْ لم تنكشف به نِقْمَةٌ، ولم تنزل به نعمةٌ، ففي الحديث الصَّحِيح الذي رواه أصحاب السُّنن الأربعة وغيرهم، عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قال:



قال رسول الله ﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، فأفاد الحديث: أَنَّ الدُّعَاءَ عِبَادَةٌ، وَأَنَّ تَرْكَ دُعَاءِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ اسْتِكْبَارٌ قَبِيحٌ، ولو لم يكن الدُّعَاءُ مشروعاً ونافعاً في الدنيا والآخرة، لَمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِدُعَائِهِ، وَلَمَا دَعَاهُ تَعَالَى أَنْبِيَآؤُهُ وَرَسُولُهُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

المسألة السابعة: «معنى: الرِّزْقُ».

وإليها أشار الناظم بقوله:

٣٤ - وَإِنَّ السُّحْتَ رِزْقٌ مِثْلُ حِلٍّ وَإِنْ يَكْرَهُ مَقَالِي كُلُّ قَالِي

قوله: «السُّحْتُ» بضم السين المهملة وسكون الحاء وبضمهما: الحرام من المال، أو: ما خُبْتُ من المكاسب فَلَزِمَ عَنْهُ الْعَارُ، و«الرِّزْقُ» بكسر الراء هو: الشيء المرزوق، وبفتحها: الفِعْلُ، والفاعل: الرَّازِقُ، وقوله «قالي» أي: مُبْغِضٌ، يقال: قَلَاهُ: أَبْغَضَهُ وَكَرِهَهُ غَايَةَ الْكَرَاهَةِ فَتَرَكَّهُ، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ٣]، أي: وما قَلَاكَ.

و«الرِّزْقُ» عند أهل السُّنَّةِ والجماعة هو: ما سَأَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الْحَيَوَانِ فَاَنْتَفَعَ بِهِ بِالْفِعْلِ، حَلَالاً كَانَ أَوْ حَرَاماً، فَيَدْخُلُ فِيهِ رِزْقُ الْإِنْسَانِ وَالِدَوَابِّ بِأَنْوَاعِهَا، مِنْ مَأْكُولٍ وَمَشْرُوبٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُنْتَفَعُ بِهِ، قال إبراهيم اللِّقَانِيُّ صاحب «الجوهرة»:

وَالرِّزْقُ عِنْدَ الْقَوْمِ مَا بِهِ انْتَفِعَ      وقيل: لا، بل مَا مُلِكَ وَمَا اتَّبِعَ  
فِيرِزْقُ اللَّهِ الْحَلَالَ فَاعْلَمَا      ويرِزْقُ الْمَكْرُوهَ وَالْمَحْرَمَا

فَمَنْ مَلَكَ شَيْئاً وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ، فَلَا يَعتَبَرُ رِزْقاً لَهُ، وَلَكِنَّهُ رِزْقٌ مَنْ سَيَنْتَفِعُ بِهِ بِالْفِعْلِ، وَعَلَى هَذَا بَنَى أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ قَوْلَهُمْ: إِنَّهُ لَا تَمُوتُ نَفْسٌ



حتى تستوفي رزقها وأجلها، وأنه لا يأكلُ أَحَدٌ رزقَ غيره، فقد يملك الإنسانُ أموالاً كثيرة، ولا ينتفع منها إلا بالقليل - كما هو شأنُ البخيل - فهذا الذي انتفع به منها هو رِزْقُهُ، حلالاً كان أو حراماً، وما سوى ذلك، فهو: رزقٌ مَنْ سينتفع به مِنْ بعده، من ورثته أو: غيرهم، أو: من ينتفع به في حياته، والدليل على هذا القول: ما رواه مسلم عن عبد الله بن الشَّخِير رضي الله عنه قال: أتيْتُ رسولَ الله ﷺ وهو يقرأ: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ قال: «يقول ابنُ آدمَ: مالي مالي، وهل لك يا ابنُ آدمَ من مالِك: إلا ما أَكَلْتَ فَأَنْفَيْتَ، أو: لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أو: تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟»، وفي رواية له: «وما سوى ذلك، فذاهبٌ وتاركةٌ للنَّاسِ».

واستدلُّوا على أَنَّ الرِّزْقَ هو: ما انْتَفَعَ به، بقوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠]، والدوابُّ لا تملك وهي مرزوقة.

وذهب المعتزلة: إلى أَنَّ «الرِّزْقَ» هو: كلُّ ما مَلَكَهُ الإنسانُ، ومن الحلالِ فقط دون الحرام، وَحُجَّتُهُمْ: أَنَّ الرِّزْقَ مُسْنَدٌ إلى الله تعالى، فيقبُحُ أَنْ يكون حراماً.

### المبحث الثاني: «التقليد في الإيمان»

وفيه قال الناظم جاريّاً على قول أبي منصور الماتريديّ وأتباعه كما سيأتي في «المسألة الخامسة»:

٣٥ - وإيمانُ المقلِّد ذو اعتبارٍ لأنواعِ الدلائلِ كالنِّصَالِ  
قوله: «كالنِّصَالِ»: جمع «نَضْلٍ» وهو: حديدةُ السِّيفِ والسَّكِينِ ونحوهما، وليس حَدَّهُ كما فَهَمَ بعضُ الشُّرَّاحِ، والمعنى: أَنَّ إيمانَ المقلِّدِ صحيحٌ ومعتبرٌ، لدلائلَ واضحةٍ لامعةٍ كنَضْلِ السِّيفِ، أو: قاطعةٍ كحدِّ نَضْلِ السِّيفِ.



وموضوع التقليد في الإيمان، دقيقٌ مُتَشَعِّبُ المسائل، اختلفت فيه أقوال أهل العلم، واضطربت عبارات بعضهم، ولم نَرِ مَنْ حَقَّقَ مسائله ووضَّحها، فَرَتَّبْنَاهَا عَلَى ثَمَانِ مَسَائِلَ:

### المسألة الأولى: تعريف التقليد والمقلد.

«التقليد» في الدين مأخوذٌ لُغَةً من: «قَلَدَهُ السَّيْفَ»: إِذَا أَلْقَى حِمَالَتَهُ فِي عُنْقِهِ، وَقَلَدَهَا الْقِلَادَةَ: جَعَلَهَا فِي عُنْقِهَا، فَكَأَنَّ الْمُقْلِدَ جَعَلَ قَوْلَ الْمُقْلَدِ قِلَادَةً فِي عُنْقِهِ.

و«التقليد» في الاصطلاح هو: «الْأَخْذُ بِقَوْلِ غَيْرِ الْمُعْصُومِ عليه السلام مِنْ غَيْرِ حُجَّةٍ»، أَي: اعتقادُ مضمونِ قوله من غير أن يعرفَ دليله، أَمَّا اتِّبَاعُ الْمُعْصُومِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عليه السلام، فِي الْعَقَائِدِ وَالْفُرُوعِ، وَفِي كُلِّ الْأُمُورِ، فَلَيْسَ بِتَقْلِيدٍ، لِأَنَّهُ لَا يُطْلَبُ عَلَى قَوْلِهِ عليه السلام دَلِيلٌ، بِاعْتِبَارِ أَنَّ قَوْلَهُ عليه السلام وَفَعْلُهُ وَتَقْرِيرُهُ هِيَ عَيْنُ الدَّلِيلِ، وَحُجَّةٌ لِدَاثِهِ، يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ الْإِذْعَانُ لَهُ، وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، بِفَرْضِ اللَّهِ تَعَالَى طَاعَتُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وللعلماء في: مَنْ يَتَحَقَّقُ فِيهِ التَّقْلِيدُ قَوْلَانِ:

القول الأول: أَنَّ التَّقْلِيدَ يُمَكِّنُ أَنْ يَتَحَقَّقَ فِي مُطْلَقِ إِنْسَانٍ، لَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ أَهْلِ الْحَضَرِ، وَبَيْنَ مَنْ نَشَأَ فِي شَاهِقِ جَبَلٍ، وَاخْتِلَافُ الْعُلَمَاءِ فِي صَحَّةِ إِيْمَانِ الْمُقْلَدِ، يَسْرِي عَلَى جَمِيعِ الْمُقْلَدِينَ، وَهَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ، وَهُوَ الرَّاجِحُ.

والقول الثاني: أَنَّ التَّقْلِيدَ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا فِي مَنْ نَشَأَ فِي شَاهِقِ جَبَلٍ، أَمَّا أَهْلُ الْحَضَرِ، فَهَمَّ كُلُّهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي مَنْصُورٍ الْمَاتَرِيدِيِّ، وَسَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي «الْمَسْأَلَةِ الْخَامِسَةِ».

و«المقلد» صنفان: أحدهما: أَنْ يَكُونَ جَازِماً بِقَوْلِ الْغَيْرِ جَزْماً قَوِيّاً،



بحيث لو رجع المُقَلَّدُ لم يرجع المُقَلَّدُ - بكسر اللام -، والصَّنْفُ الآخر: أن يكونَ غَيْرَ جازم بقولِ ذلك الغير، ويكونَ بحيث لو رجع المُقَلَّدُ - بالفتح - رجع مُقَلَّدُهُ، والصَّنْفُ الأول هو الذي اختلف العلماء في صحة إيمانه، وهو محور أقوالهم كما سنبين، أمَّا الصَّنْفُ الثاني وهو: المُقَلَّدُ غَيْرُ الجازم، فلا خلاف بين العلماء في عدم صحَّة إيمانه، لأنه قابلٌ للشك والتردُّد، والإيمانُ يجب أن يكونَ جَزْماً وقاطعاً.

قال إبراهيم اللقاني في شرح «جوهرته»: وإنما وجب على المكلف معرفة عقائد الإيمان بالدليل، ليسلم له إيمانه من الشك والتزلزل الذي يعتري المقلدين غالباً، فإنهم وإن جزموا عقائدهم على ما ذكر، فهي قابلة للشك والتردد والتحير، اهـ.

وقال أيضاً: إنَّ الخلافَ في إيمان المُقَلَّد، إنما هو بالنظر إلى أحكام الآخرة وفيما عند الله، وأمَّا بالنظر إلى أحكام الدنيا، فالإيمان الكافي هو: الإقرار فقط، فمن أقرَّ أُجريت عليه الأحكامُ الإسلامية في «الدين»، ولم يُحكم عليه بكفرٍ، إلا إن اقتصَرَ به ما يدلُّ على كُفْرِهِ كالسُّجود للصَّنم اهـ.

#### المسألة الثانية: الفرق بين: العلم والاعتقاد.

قال السنوسي في شرح «عقيدته الكبرى» ما بيَّنه: اعلم أنَّ الحكمَ الحادثَ أي: الصادرَ عن المخلوق، ينشأ عن خمسة أمور: «علم، واعتقاد، وظن، وشك، ووهم»، والتحقيق: أنَّ «العلمَ والمعرفةَ واليقينَ» واحدٌ، لأنَّ الحاكمَ بأمرٍ على أمرٍ ثبوتاً أو نفياً: إمَّا أن يجدَ في نفسه الجزمَ بذلك الحكم، وإمَّا أن يجدَ في نفسه غيرَ الجزمِ:

فإن وجدَ في نفسه الجزمَ بذلك الحكم، لسبب كونه معلوماً بالضرورة أو: بالبرهان، فيسمَّى حُكْمُهُ: «علماً ومعرفةً و يقيناً».



وإنَّ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ الْجَزْمَ بِذَلِكَ الْحُكْمِ لَا بِالضَّرُورَةِ وَلَا بِالْبَرَهَانِ، يُسَمَّى حُكْمُهُ: «اعْتِقَادًا».

وإنَّ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ غَيْرَ الْجَزْمِ بِالْحُكْمِ: فَإِنْ كَانَ حُكْمُهُ رَاجِحًا عَلَى مُقَابِلِهِ فَهُوَ: «الظَّنُّ»، وَإِنْ كَانَ حُكْمُهُ مَرْجُوحًا وَمُقَابِلُهُ رَاجِحًا فَهُوَ: «الْوَهْمُ»، وَإِنْ كَانَ حُكْمُهُ مَسَاوِيًا لِمُقَابِلِهِ فَهُوَ: «الشَّكُّ».

وَأَضَافَ السَّنُوسِيُّ قَائِلًا: إِذَا عَرَفْتَ هَذَا، فَالْإِيمَانُ: إِنْ حَصَلَ عَنْ أَقْسَامٍ غَيْرِ الْجَزْمِ الثَّلَاثَةِ - وَهِيَ: الظَّنُّ وَالشَّكُّ وَالْوَهْمُ - فَالْإِجْمَاعُ عَلَى بَطْلَانِهِ، وَإِنْ حَصَلَ الْإِيمَانُ عَنِ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ مِنْ قِسْمِي الْجَزْمِ وَهُوَ: «الْعِلْمُ»، فَالْإِجْمَاعُ عَلَى صَحَّتِهِ.

وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي مِنْ قِسْمِي الْجَزْمِ وَهُوَ: «الاعتقاد»، فَيَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ: مُطَابِقٍ لِمَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَيُسَمَّى: الْاِعْتِقَادُ الصَّحِيحُ، كَاِعْتِقَادُ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُقْلِدِينَ، وَغَيْرِ مُطَابِقٍ، وَيُسَمَّى: الْاِعْتِقَادُ الْفَاسِدُ، وَالْجَهْلُ الْمُرْكَبُ، كَاِعْتِقَادُ الْكَافِرِينَ، فَالْفَاسِدُ: أَجْمَعُوا عَلَى كُفْرِ صَاحِبِهِ، وَأَنَّهُ أَثَمٌ غَيْرُ مُعْذُورٍ، وَمُخْلَدٌ فِي النَّارِ، اجْتَهَدَ أَوْ: قَلَّدَ، اهـ.

**المسألة الثالثة:** «تحقيق ما نُقِلَ عَنِ الْأَشْعَرِيِّ وَالْجُمْهُورِ فِي إِيْمَانِ الْمُقْلَدِ».

اختلف النقلُ عَنِ الْأَشْعَرِيِّ وَالْجُمْهُورِ فِي «إِيْمَانِ الْمُقْلَدِ»، وَفِي مَعْنَى مَا نَقَلُوهُ عَنْهُمْ، وَقَدْ بَيَّنَّهَ اللَّقَائِي فِي شَرْحِ «جَوْهَرَتِهِ» وَهَذَا مُجْمَلُهُ:

نقل بعضُ العلماءِ عِبَارَةً: «عَدَمُ الْاِكْتِفَاءِ بِالتَّقْلِيدِ فِي الْعُقَائِدِ الدِّينِيَّةِ»، وَبَالَغَ بَعْضُهُمْ فَحَكَى عَلَيْهِ الْإِجْمَاعَ، وَعَزَّاهُ ابْنُ الْقِصَّارِ إِلَى الْإِمَامِ مَالِكٍ، وَالْمُرَادُ بِهِ «عَدَمُ الْاِكْتِفَاءِ»: أَنَّ التَّقْلِيدَ لَا يُسْقِطُ وَجُوبَ النَّظَرِ عَنْ صَاحِبِهِ، وَلَا يَعْنِي: عَدَمَ صِحَّةِ إِيْمَانِ الْمُقْلَدِ.



ومنهم من نقل عن الأشعري والجمهور عبارة: «عَدَمُ جَوَازِ التَّقْلِيدِ فِي الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ»، وَفَسَّرُوا «عَدَمَ الْجَوَازِ» بِعَدَمِ الصُّحَّةِ، وَأَنَّ الْمُقَلِّدَ كَافِرٌ، وَنَسَبُوا هَذَا الْمَعْنَى إِلَى الْأَشْعَرِيِّ وَالْجُمْهُورِ، وَالَّذِي عَزَا إِلَيْهِمْ ذَلِكَ هُوَ: شَرَفُ الدِّينِ ابْنِ التَّلِمْسَانِيِّ، وَغَلَطُهُ فِيهِ بَعْضُ أَهْلِ عَصْرِهِ، عَلَى أَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ عَزَا لِمَنْ ذَكَرَ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ: عَدَمُ الْجَوَازِ لَا عَدَمُ الصُّحَّةِ، بَلْ قَالَ الْقُشَيْرِيُّ: إِنَّ الْقَوْلَ بِعَدَمِ صِحَّةِ إِيْمَانِ الْمُقَلِّدِ، مَكْذُوبٌ عَلَى الْأَشْعَرِيِّ لَمْ يَوْجَدْ فِي كُتُبِهِ، كَيْفَ وَهُوَ مُسْتَلْزِمٌ لِلْقَوْلِ بِتَكْفِيرِ الْعَوَامِّ وَهُمْ غَالِبُ الْأُمَّةِ، وَحَكَى الْأَمِيدِيُّ وَبِهِ جَزَمَ الْمَحَلِّيُّ: اتِّفَاقَ الْأَصْحَابِ عَلَى انْتِفَاءِ كُفْرِ الْمُقَلِّدِ، وَعَلَى أَنَّهُ لَيْسَ لِلْجُمْهُورِ إِلَّا الْقَوْلُ بِعُصْيَانِهِ بِتَرْكِ النَّظَرِ إِنْ قَدِرَ عَلَيْهِ، مَعَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى صِحَّةِ إِيْمَانِهِ، وَأَنَّهُ لَا يُعْرَفُ الْقَوْلُ بِعَدَمِ صِحَّةِ إِيْمَانِ الْمُقَلِّدِ، إِلَّا لِأَبِي هَاشِمِ الْجَبَّائِيِّ مِنَ الْمَعْتَزَلَةِ مُحْتَجًّا بِأَنَّ: مَنْ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ تَعَالَى بِالْدَّلِيلِ فَهُوَ كَافِرٌ، لِأَنَّ ضِدَّ الْمَعْرِفَةِ: النُّكْرَةُ، وَالتَّنْكِيرَةُ كُفْرٌ، وَأَصْحَابُنَا مُجْمِعُونَ عَلَى خِلَافِهِ، اهـ.

وَقَدْ أَخَذَ السَّنُوسِيُّ بِمَا عَزَاهُ ابْنُ التَّلِمْسَانِيِّ إِلَى الْأَشْعَرِيِّ وَالْجُمْهُورِ، وَبَنَى عَلَيْهِ أَقْوَالَهُ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ، فَقَالَ فِي شَرْحِ «عَقِيدَتِهِ الْكُبْرَى»: بِعَدَمِ صِحَّةِ إِيْمَانِ الْمُقَلِّدِ، وَضَعَّفَ الْقَوْلَ بِصِحَّةِ التَّقْلِيدِ، وَاعْتَبَرَ فِي شَرْحِ «عَقِيدَتِهِ الصَّغْرَى»: أَنَّ وَجُوبَ النَّظَرِ الصَّحِيحِ، هُوَ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ الْإِيْمَانِ، وَنَسَبَ ذَلِكَ إِلَى الْجُمْهُورِ، مِثْلَمَا فَعَلَ ابْنُ التَّلِمْسَانِيِّ مُتَابِعاً لَهُ، وَرَدَّ فِي شَرْحِ «الْكُبْرَى» عَلَى مَنْ قَالَ: بِأَنَّ مِنَ الْمُقَلِّدِينَ مَنْ هُوَ أَحْسَنُ حَالاً مِنَ الْعَالَمِ فَقَالَ: ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْعَالِمَ الْمُخَالَفَ بِالْجَوَارِحِ - مُرْتَكِبَ الْمَعْصِيَةِ - هُوَ أَحْسَنُ حَالاً مِنَ الْمُقَلِّدِ الْمُوَافِقِ - لِحُكْمِ الشَّرْعِ - لِأَنَّ الْمُقَلِّدَ: قَالَ الْجُمْهُورُ بِعَدَمِ صِحَّةِ إِيْمَانِهِ، فَلَا يَكُونُ لَهُ عَمَلٌ، وَلَقَلِيلُ الْعَمَلِ مَعَ الْعِلْمِ، أَفْضَلُ مِنْ كَثِيرِ الْعَمَلِ بِلَا عِلْمٍ، بَلْ لَا أَثَرَ لِلْعَمَلِ الْخَالِي عَنِ الْعِلْمِ أَصلاً، اهـ.

وَلَكِنَّ السَّنُوسِيَّ اكْتَفَى فِي شَرْحِ «مُقَدِّمَاتِهِ»، بِذِكْرِ قَوْلِ نَسَبِهِ إِلَى كَثِيرٍ



من المحققين وهو: أَنَّ تَقْلِيدَ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ لِعُلَمَائِهِمْ أَهْلَ السُّنَّةِ فِي أُصُولِ الدِّينِ كَافٍ، إِذَا وَقَعَ مِنْهُمْ التَّصْمِيمُ عَلَى الْحَقِّ، لَا سِيَّمَا فِي حَقِّ مَنْ يَغْسُرُ عَلَيْهِ فَهْمُ الْأَدَلَّةِ اهـ، وَقَدْ اعْتَبَرُ بَعْضُهُمْ ذَلِكَ مِنْهُ، رَجَوْعاً عَنْ قَوْلِهِ بِعَدَمِ صِحَّةِ إِيْمَانِ الْمُقَلِّدِ مُطْلَقاً.

وَمِمَّنْ وَقَعَ فِي هَذَا الْإِشْكَالِ: إِبْرَاهِيمُ الْبَيْجُورِيُّ فِي شَرْحِ «الْجَوْهَرَةِ» حَيْثُ قَالَ: وَحَاصِلُ الْخِلَافِ سِتَّةُ أَقْوَالٍ، الْأَوَّلُ: «عَدَمُ الْاِكْتِفَاءِ بِالتَّقْلِيدِ» بِمَعْنَى: عَدَمُ صِحَّةِ التَّقْلِيدِ، فَيَكُونُ الْمُقَلِّدُ كَافِراً، وَعَلَيْهِ السَّنُوسِيُّ فِي «الْكِبْرَى» اهـ، فَقَدْ تَابَعَ الْبَيْجُورِيُّ السَّنُوسِيَّ فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ فِي تَفْسِيرِ عِبَارَةِ: «عَدَمُ الْاِكْتِفَاءِ بِالتَّقْلِيدِ»، وَعِبَارَةُ: «عَدَمُ جَوَازِ التَّقْلِيدِ»: بِ«عَدَمِ صِحَّةِ إِيْمَانِ الْمُقَلِّدِ»، مِنْ دُونِ تَحْقِيقٍ، عَلَى نَحْوِ مَا قَدَّمْنَاهُ، وَاعْتَبَارُ الْبَيْجُورِيِّ الْأَقْوَالَ سِتَّةً، مُخَالَفٌ لِلْوَاقِعِ، لِأَنَّ الْأَقْوَالَ خَمْسَةٌ فَقَطْ، هِيَ الْأَقْوَالُ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي الْمَسْأَلَةِ التَّالِيَةِ وَهِيَ:

#### الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: «أَقْوَالُ الْأَشْعَرِيَّةِ وَتَابِعِيهِمْ فِي التَّقْلِيدِ».

بَعْدَ أَنْ حَرَّرَ اللَّقَائِنِيُّ الْعِبَارَتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ فِي الْمَسْأَلَةِ السَّابِقَةِ وَهُمَا: «عَدَمُ الْاِكْتِفَاءِ بِالتَّقْلِيدِ»، وَ«عَدَمُ جَوَازِ التَّقْلِيدِ» فِي الْعُقَائِدِ، عَلَى نَحْوِ مَا قَدَّمْنَاهُ، ذَكَرَ فِي شَرْحِ «جَوْهَرَتِهِ»، أَقْوَالَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي: «صِحَّةِ إِيْمَانِ الْمُقَلِّدِ»، وَهِيَ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: أَنَّ الْمُقَلِّدَ مُؤْمِنٌ عَاصٍ بِتَرْكِ الْمَعْرِفَةِ الَّتِي يُنْتِجُهَا النَّظَرُ الصَّحِيحُ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ الْمُقَلِّدَ: هُوَ مُؤْمِنٌ عَاصٍ، إِنْ كَانَ فِيهِ أَهْلِيَّةٌ لِفَهْمِ النَّظَرِ الصَّحِيحِ، وَمُؤْمِنٌ غَيْرُ عَاصٍ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ أَهْلِيَّةٌ ذَلِكَ، وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الرَّاجِحُ.

وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ: أَنَّ مَنْ قَلَّدَ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ الْقَطْعِيَّةَ، صَحَّ إِيْمَانُهُ، لَا تَبَاعَهُ



الْقَطْعِيَّ، وَمَنْ قَلَّدَ غَيْرَ ذَلِكَ لَمْ يَصَحَّ إِيمَانُهُ، لِعَدَمِ أَمْنِ الْخَطَأِ عَلَى غَيْرِ الْمَعْصُومِ.

وَيُؤْخَذُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ: أَنَّ الْأَخْذَ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ لَا يُسَمَّى تَقْلِيداً أَصْلاً، لِأَنَّهُمَا أَضْلُ الْأَدَلَّةِ كُلِّهَا، وَاتِّبَاعُهُمَا هُوَ الْحَقُّ وَالصَّوَابُ بَعِينَهُ، وَالْخِلَافُ إِنَّمَا هُوَ فِي تَقْلِيدِ غَيْرِ الْمَعْصُومِ أَي: غَيْرِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ دُونِ دَلِيلٍ صَحِيحٍ.

وَالْقَوْلُ الرَّابِعُ: أَنَّ النَّظَرَ وَالِاسْتِدْلَالَ شَرْطُ كِمَالٍ فِي الْإِيمَانِ، قَالَ السَّنُوسِيُّ فِي شَرْحِ «الصَّغْرَى»: وَذَهَبَ غَيْرُ الْجُمْهُورِ إِلَى أَنَّ النَّظَرَ لَيْسَ بِشَرْطٍ فِي صِحَّةِ الْإِيمَانِ، بَلْ وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ أَصْلاً، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ شُرُوطِ الْكِمَالِ فَقَطْ، وَقَدْ اخْتَارَ هَذَا الْقَوْلَ: ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ وَالْقُشَيْرِيُّ وَالْقَاضِي ابْنُ رَشْدٍ، وَالْغَزَالِيُّ وَجَمَاعَةٌ، وَهُوَ قَوْلُ الْمَاتَرِيذِيَّةِ كَمَا سَيَأْتِي فِي الْمَسْأَلَةِ التَّالِيَةِ.

وَالْقَوْلُ الْخَامِسُ: أَنَّ النَّظَرَ مُحَرَّمٌ، وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى النَّظَرِ الْمَخْلُوطِ بِالْفَلَسَفَةِ.

قَالَ الْجَلَالُ الْمَحَلِّيُّ بَعْدَ نَقْلِهِ الْخِلَافَ الْمُتَقَدِّمَ: وَقَدْ اتَّفَقَتِ الطَّرِيقُ الثَّلَاثَةُ يَعْنِي: الْمَوْجِبَةُ لِلنَّظَرِ، وَالْمَحَرَّمَةُ، وَالْمَجُوزَةُ، عَلَى صِحَّةِ إِيمَانِ الْمُقَلِّدِ، اهـ.

وَقَالَ اللَّقَّانِيُّ فِي شَرْحِ «جَوْهَرَتِهِ»: لَمْ يَقَعْ خِلَافٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي وَجُوبِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَا فِي وَجُوبِ النَّظَرِ الْمَوْصِلِ إِلَيْهِ بِقَدْرِ الطَّاقَةِ الْبَشَرِيَّةِ، كَمَا قَالَ السَّعْدُ وَغَيْرُهُ اهـ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى وَجُوبِ النَّظَرِ فِي الْأَدَلَّةِ الْمَوْصِلَةِ إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى: الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، فَمَنْ الْكِتَابُ: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، فَأَمَرَ تَعَالَى بِالْعِلْمِ فِي مَعْرِفَةِ الْوَحْدَانِيَّةِ، لَا بِمَجْرَدِ الْإِعْتِقَادِ، وَقَدْ عَلِمَتْ فِي «الْمَسْأَلَةِ الثَّانِيَةِ» الْفَرْقُ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْإِعْتِقَادِ.



والدليل من السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ لَقِيََتْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُسْتَيَقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشَّرُهُ بِالْجَنَّةِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَرَوَى مُسْلِمٌ أَيْضًا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ: عِثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»، فَاشْتَرَطَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ: الْعِلْمَ وَالْيَقِينَ، وَهُمَا سَوَاءٌ كَمَا تَقْدَمُ، وَهَذَانِ الْحَدِيثَانِ يَفْسِّرَانِ كُلَّ مَا أَجْمَلَ مِنْ أَحَادِيثِ الشَّهَادَتَيْنِ الْأُخْرَى، بِأَنَّهَا مَحْمُولَةٌ عَلَى الْعِلْمِ وَالْيَقِينِ، لَا عَلَى مَجَرَّدِ النُّطْقِ بِاللِّسَانِ، وَالْاِكْتِفَاءِ بِالتَّقْلِيدِ.

#### المسألة الخامسة: «أَقْوَالُ المَاتَرِيئِيَّةِ وَمَوَافِقِهِمْ فِي التَّقْلِيدِ».

لَقَدْ أَوْجَزَ النَّاظِمُ هَذَا الْمَذْهَبَ بِقَوْلِهِ فِي الْبَيْتِ «الخامس والثلاثين»:

وَإِيمَانُ الْمُقَلِّدِ ذُو اعْتِبَارٍ      لأنواع الدلائل كالنِّصَالِ

وَقَدَّمْنَا شَرْحَهُ فِي أَوَّلِ هَذَا الْمَبْحَثِ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ إِيْمَانِ الْمُقَلِّدِ الْجَازِمِ، صَحِيحٌ وَمُعْتَبَرٌ، لَوُورِدِ أَدَلَّةٌ وَاضِحَةٌ قَاطِعَةٌ بِذَلِكَ، مِنْهَا الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ خَمْسَةُ عَشَرَ صَحَابِيًّا، وَأَخْرَجَهُ الشَّيْخَانُ وَأَصْحَابُ السُّنَنِ الْأَرْبَعَةُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِذَا قَالُوا هَذَا، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»، وَكَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ، يَكْتَفُونَ مِنَ النَّاسِ بِالنُّطْقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ لِدُخُولِ الْإِسْلَامِ، لِأَنَّ الْمَطْلُوبَ مُجَرَّدُ التَّصْدِيقِ وَهُوَ حَاصِلٌ فِي الْمُقَلِّدِ.

قَالَ فِي «تَكْمِلَةِ الْبَحْرِ الرَّائِقِ» شَرْحُ «كَثُرِ الدَّقَائِقِ»: إِيْمَانُ الْمُقَلِّدِ صَحِيحٌ وَهُوَ: الَّذِي اعْتَقَدَ أَرْكَانَ الْإِسْلَامِ بِلا دَلِيلٍ أَهْ.

وَقَالَ الْغَزَالِيُّ فِي كِتَابِهِ: «الْاِقْتِصَادُ فِي الْاِعْتِقَادِ»: وَلَا يَغْرُنْكَ مَا يُهَوَّلُ



به من يُعْظَمُ صنَاعَةُ الكلام، من أَنَّهُ الْأَصْلُ، والحَقِيقَةُ فرْعٌ له، فإنها كلمةٌ حَقٌّ، ولكنَّها غيرُ نافعة في هذا المقام، فإن الْأَصْلَ هو: الاعتقادُ الصحيح والتصديقُ الجازم، وذلك حاصلٌ بالتقليد، والحاجةُ إلى البرهان ودقائق الجدل نادرة - اهـ.

وقال العَنْبَرِيُّ وغيره من المعتزلة: بجواز التقليد في أصول الدين، ولا يجب النظر اكتفاءً بالعقد الجازم.

وتقدّم قولُ السَّنُوسِيِّ في شرح «الصُّغْرَى»، بأنَّ النَّظَرَ ليس بشرطٍ في صحة الإيمان عند غير الجمهور، بل وليس بواجب أصلاً، وإنما هو شرطُ كمالٍ فقط، واختار هذا القول: ابن أبي جمرة، والقُشَيْرِيُّ، والقاضي ابن رشد، والغزالي، وجماعة.

ولم يَرِ أبو منصور الماتريديُّ العوامَّ مقلِّدين، بل هم مؤمنون عارفون بربهم، قال اللَّقَائِيُّ في شرح «جوهرته»: وأما الماتريديَّةُ: فقال رئيسهم أبو منصور الماتريديُّ: أجمع أصحابنا على أنَّ العوامَّ مؤمنون عارفون بربهم، لكن: منهم من قال: لا بدَّ من نظر عقليٍّ في العقائِدة، وقد حصل لهم منه القَدْرُ الكافي، فإنَّ فطرتهم جُبِلَتْ على توحيد الصَّانع وقَدَمِهِ تعالى، وحدوث ما سواه من الموجودات، وإن عَجَزُوا عن التعبير عنه باصطلاح المتكلمين، والعلمُ بالعبارة علمٌ زائدٌ لا يلزمهم، اهـ.

وعلى قول الماتريديِّ هذا: فَرَّقَ بعضهم بين أهلِ الأمصار والقرى، وبين مَنْ نَشَأَ على شاطئ جبلٍ، فحصر التقليدَ في شاطئِ الجبلِ كما ذكرنا في «المسألة الأولى»، قال اللَّقَائِيُّ في شرح «جوهرته»: قال السَّعْدُ التفتازانيُّ: ليس الخلاف في هؤلاء الذين نَشَأُوا في ديار الإسلام من الأمصار والقرى والصَّحاري، وتواتر عندهم حالُ النَّبِيِّ ﷺ وما أتى به من المعجزات، ولا في الذين يتفكرون في خَلْقِ السَّمُوات والأرض واختلافِ اللَّيْلِ والنَّهار، فإنهم كلُّهم من أهلِ النظر والاستدلال، بل الخلافُ فيمن نَشَأَ على شاطئِ جبلٍ،



ولم يتفكّر في ملكوت السموات والأرض، وأخبره إنسان بما يفترض عليه اعتقاده، فصَدَّقَهُ فيما أخبره به بمجرد إخباره من غير تفكّر ولا تدبّر، اهـ.

والقول بصحة إيمان المقلّد الجازم، لا يقتضي عدَمَ تعليم مسائل العقائد للناس، قال في «جامع الفصولين»: تعليم صِفَةِ الإيمان للناس، وبيان خصائص مذهب أهل السُّنَّة، من أهمِّ الأمور، وللسَّلَفِ فيه تصانيف، ومختصره أن يقول: ما أمرني به الله قبلته، وما نهاني عنه انتهيت عنه، فإذا اعتقد ذلك بقلبه، وأقرَّ بلسانه، كان إيمانه صحيحاً، اهـ، وسيأتي تفصيله في المسألة التالية.

#### المسألة السادسة: «حكم تعليم العقائد للعوام».

قال بعض العلماء كالغزالي: لا تُحرَّك عقائد العوام، ويتركون على ما هم عليه، فتوهم البعض أنه يعني: عدَمَ بيان عقائد الإيمان للناس مطلقاً، وهذا ليس مراد الغزالي ومن قال بقوله، قال صاحب «البرازية»: تعليم صِفَةِ الخالق مولانا جلَّ جلاله للناس، وبيان خصائص مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، من أهمِّ الأمور، وعلى الذين تصدَّوا للوعظ، أن يلقِّنوا الناس في مجالسهم وعلى منابرهم ذلك، اهـ.

وللسَّنوسيّ في شرحي عقيدتيه: «الوسطى والصُّغرى»، كلام حسن في هذه المسألة، فمما قاله في شرح «عقيدته الوسطى»: وأما قول من لا بصيرة له ولا تحقيق: إنه لا تُعلِّم العقائد للعوام، ولا تُذكر لهم براهينها، من غير فرقٍ منه بين واضحها الذي يُمكنهم فهمه، وبين غيره، فواضح الفساد، وإذا جازت قراءة القرآن والأحاديث النبوية بحضرتهم من غير شرح لهم، فلأنَّ يجوز تعليمهم العقائد مشروحةً، بأدلتها التي تسعها عقولهم أخرى، بل يتعيَّن في حقهم ذلك، لأنَّ التكليف بمعرفة عقائد الإيمان بالنظر الصحيح، لا فرق فيه عند المحققين بين العامة وغيرهم، وإذا كان يتعيَّن تعليمهم ما يخصهم من



الفروع، كالصَّلَاة والزَّكَاة ونحوهما، فكيف لا يتعيَّن تعليمهم ما يخصُّهم في أصول دينهم، وما يكونون به مؤمنين حقاً؟ وأمَّا الاحتجاج على ذلك بقول بعض الأئمة كالغزالي: «لا تُحرِّكوا على العوامِّ عقائدهم»، فهو من سوءِ وَهْمٍ منه، لأنَّ تحريكَ عقائدهم الذي حَذَرَ منه بعضُ الأئمة، إنَّما يَصْدُقُ في إزالةِ العقائد من قلوبهم، وَزَحْزَحَتِهَا عن تصميمهم، بإبداءِ شُبْهَةٍ عليهم تُشَكِّكُهُم في الحقِّ، وتوجب لهم التردُّدَ فيه، كما فعله المبتدعةُ في أزمنةِ استطالَّتْهم على هذه الأئمة، وأمَّا تعليمهم العقائد الصحيحةَ مؤيَّدةً بالبراهين القطعية، الذي يوجب للنفس الطمأنينةَ، وَعَدَمَ قبولها التشكيكَ بوجهٍ من الوجوه، فلا يخفى أنَّه من أعظمِ النَّصيحةِ لهم، ومن أفضلِ ما يُتَقَرَّبُ به إلى الله تعالى، وليس فيه تحريكٌ لعقائدهم الصَّحيحة، بل هو تثبيت لها، وتقويةٌ لرسوخها، ونَقْلُ المقلِّد من درجةِ التقليدِ المختلَفِ في إيمان صاحبه، إلى درجةِ المعرفةِ المَعْتَدِّ بها إجماعاً اهـ.

ووجهُ السَّنوسِي في شرح «عقيدته الكبرى»، قولُ الغزاليِّ توجيهاً حَسَناً فقال: قال الغزاليُّ: «لا تُحرِّكْ عقائدُ العوامِّ، ويُتركون على ما هم عليه»:

يعني: لأنَّ السُّنَّةَ مَضَتْ بعدمِ البحثِ عن الضمائر، وأنها إنما تنكشف في الآخرة يوم تُبْلَى السَّرَائِرُ، وإنما يجب بثُّ العلم لمن سألَه وكان أهلاً له، لا لمن أَعْرَضَ عنه أو: لم يكن له أهلاً.

ويعني والله أعلم: ما لم يَظْهَرِ المنكرُ في عقائدهم، كزماننا هذا - أي: زمان السَّنوسِي - فيجب تغيير المنكر، والتلَطُّفُ في تعليمهم الحقَّ بما تَسَعُّهُ عقولهم، وقد جعل الله تعالى في الألفاظ والأدلة سَعَةً، فكلُّ يَخَاطَبُ على قَدْرِ فهمه، والله المستعان، اهـ.

وأجملَ السَّنوسِي القولَ في شرح «عقيدته الوسطى» فقال: وبالجملَة: فتقرير عقائد التوحيد ببراهينه الواضحة على العوامِّ، لا يزيدهم إلا خيراً،



لأن الضالَّ منهم يرجع عن ضلاله، والمهتدي يزداد هدىً وقوةً في إيمانه، ورسوخاً في إيقانه، والسَّعيُّ في قَطْعِ ذَلِكَ شَيْطَنَةٌ لَا شَكَّ فِيهَا.

ثم يقول السَّنُوسِيُّ: وما أحوج كثيراً من متفقهة زماننا، إلى تعلُّمهم أصول الدين، والاشتغال بما يعينهم، فكيف بعوامهم؟ ولكن: أين الحقُّ وأين أهلُه؟ اهـ.

### المسألة السابعة: «الصَّحَابَةُ   ليسوا مُقلِّدين».

زَعَمَ بعضهم كالفخر الرَّازِيّ: أَنَّ الصَّحَابَةَ   أَجْمَعِينَ، كَانُوا مُقَلِّدِينَ فِي الْعَقَائِدِ، لِأَنَّهُمْ مَاتُوا وَلَمْ يَعْرِفُوا الْجَوْهَرَ وَالْعَرَضَ، أَي: لَمْ يَدْرُسُوا «عِلْمَ الْكَلَامِ»، لِيَعْرِفُوا الْعَقَائِدَ عَلَى أُسَاسِهِ، وَهَذِهِ مَقَالَةٌ مِّنْ تَوْهَمٍ: أَنَّ الْعَقَائِدَ لَا تُعْرَفُ إِلَّا بِاصْطِلَاحَاتِ أَحَدِثِهَا الْمُتَأَخَّرُونَ، بَعْدَ ظُهُورِ الْمُبْتَدَعَةِ كَالْجَهْمِيَّةِ وَالْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزَلَةِ، لَمْ يَعْتَنِ بِهَا الْمُتَقَدِّمُونَ، لِعَدَمِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا، لَصَفَاءِ عَقَائِدِهِمْ، وَلِأَنَّ مَعْرِفَةَ الْحَقِّ، لَا يَشْتَرِطُ فِيهَا تَرْكِيبٌ مُّخْصِصٌ لِأَلْفَافٍ مُّخْصِصَةٍ، فَكَيْفَمَا حَصَلَتِ الْمَعْرِفَةُ حَصَلَ الْمَقْصُودُ.

وَالصَّحَابَةُ  ، تَلَقَّوْا الْعِلْمَ مِنَ النَّبِيِّ  ، وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ الْمَخْبِرُ عَنِ اللَّهِ، فَقَوْلُهُ حُجَّةٌ بِذَاتِهِ، فَالْإِيمَانُ بِهِ   وَاتِّبَاعُهُ، لَيْسَ تَقْلِيداً، لِأَنَّهُ   مَعْصُومٌ يُتَّبَعُ تَسْلِيماً وَلَا يُقَلَّدُ، وَلَكِنْ صَدَّقُوهُ إِيْمَاناً وَبِقِيْنًا، فَلَا يَوْصِفُونَ بِأَنَّهُمْ مُقَلِّدُونَ، وَلَا يُقَالُ فِي رَسُولِ اللَّهِ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ  ، إِنَّهُ مُقَلَّدٌ، إِذْ لَوْ جَازَ ذَلِكَ، لَتَرْتَبَ عَلَيْهِ كَوْنُ الرَّسُولِ   يَسْتَنْدُ فِيْمَا يَقُولُهُ إِلَى قَوْلِ بَشَرٍ غَيْرِهِ، فَهُوَ بِحَاجَةٍ إِلَى أَدَلَّةٍ يُقَدِّمُهَا لِمُقَلِّدِيهِ لِيَصَدِّقُوهُ، وَلَا خِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي أَنَّ التَّقْلِيدَ لَا يَكُونُ تَقْلِيداً، إِلَّا إِذَا كَانَ أَخْذاً بِقَوْلِ غَيْرِ الْمَعْصُومِ، كَمَا قَدَّمْنَا فِي «الْمَسْأَلَةِ الْأُولَى»، وَسَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ   هُوَ رَسُولُ اللَّهِ، يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ تَصَدِيقُهُ وَاتِّبَاعُهُ.



وَأِنَّمَا يَضُدُّ عَلَى غَيْرِ الصَّحَابَةِ وَصَفُ «التقليد»، لأنهم لم يأخذوا العلمَ من رسول الله ﷺ كما أخذ الصَّحَابَةُ، بل تناقلَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ جِيلاً عَنْ جِيلٍ، وَهُمْ غَيْرُ مَعْصُومِينَ، وَكَانُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ الْعَقَائِدَ الدِّينِيَّةَ، وَكَانَ النَّاسُ يَأْخُذُونَهَا عَنْهُمْ مَعَ دَلِيلٍ تَارَةٍ، وَمِنْ دُونِ دَلِيلٍ أَحْيَاناً، فَنَشَأَتْ مَسْأَلَةُ الْخِلَافِ فِي «صَحَّةِ إِيْمَانِ الْمُقَلِّدِ».

**المسألة الثامنة: «أَخَذُ الطَّلَبَةِ هَذَا الْعِلْمَ عَنِ الْمَشَايخِ لَيْسَ تَقْلِيداً».**

قَالَ اللَّقَائِي فِي شَرْحِ «جَوْهَرَتِهِ»: لَا يَلْزَمُ مِنْ أَخْذِ الطَّلَبَةِ لِهَذَا الْعِلْمِ عَنِ الْمَشَايخِ بِالتَّعَلُّمِ مِنْهُمْ، أَنْ يَكُونُوا مُقَلِّدِينَ لَهُمْ، حَتَّى يَكُونُوا مِمَّنْ جَرَى عَلَيْهِ الْخِلَافُ فِي صَحَّةِ إِيْمَانِهِمْ، كَمَا لَا يَلْزَمُ مِنَ الْأَخْذِ بِمَذْهَبِ الْأَشْعَرِيِّ أَوْ: الْمَاتَرِيدِيِّ، التَّقْلِيدُ الْمَذْمُومُ فِي الْعَقَائِدِ، لِأَنَّ كُلَّاً مِنَ الطَّالِبِ وَالْأَخِذِ بِمَذْهَبِ الْأَشْعَرِيِّ أَوْ: الْمَاتَرِيدِيِّ، مَا أَدْعَى لِلْحُكْمِ وَسَلَّمَهُ، إِلَّا بَعْدَ إِطْلَاعِهِ عَلَى مَا أَخَذَهُ مِنْ دَلِيلِهِ، وَوَقُوفِهِ عَلَى الْيَقِينِ فِيهِ، أَهـ.

وَقَالَ السَّعْدُ التَّفَنَّاظَانِيُّ: إِنَّ التَّعْلِيمَ لَيْسَ إِلَّا إِعَانَةً لِلْعَقْلِ، بِالْإِرْشَادِ إِلَى الْمَقْدَمَاتِ، وَرَفْعِ الشُّكُوكِ وَالشُّبُهَاتِ، وَالسَّيِّدُ الْمُتَعَلِّمُ لَيْسَ غَافِلاً بِالْمَرَّةِ، بَلْ هُوَ نَازِلٌ مُتَأَمِّلٌ، أَهـ.

**المبحث الثالث: «إِيْمَانُ الْيَائِسِ وَتَوْبَتُهُ»**

وفيه: ثلاث مسائل:

**المسألة الأولى: «مَعْنَى الْيَائِسِ لُغَةً وَشَرْعاً».**

«الْيَائِسُ» بِالْيَاءِ الْمُثْنَاةِ التَّحْتِيَّةِ هُوَ: «الْقُنُوطُ»، وَهُوَ ضِدُّ «الرَّجَاءِ»، أَوْ هُوَ: «قَطْعُ الْأَمَلِ عَنِ الشَّيْءِ».

وَاسْتَعْمَلَ بَعْضُهُمْ كَلِمَةَ «الْبَأْسُ» بِالْمُوَحَّدَةِ، وَهُوَ: «الْخَوْفُ»، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ الشَّدَّةِ وَهِيَ: «الْبَأْسَاءُ»، وَ«الْبَائِسُ»: النَّازِلُ بِهِ بَلِيَّةٌ.



والأوَّلُ أكثر استعمالاً عند العلماء، واستعمله الناظم هنا وفي فتاويه «السَّراجِيَّة» كما سيأتي، لأنَّ «البأس» بالموحدة: سَبَبٌ لحدوث «اليأس» بالمشناة، فمن شاهد أهوال الموت، أو: العذاب، أو: طلوع الشمس من مغربها، فهو يائس من رحمة الله تعالى، وهذا هو معناه شرعاً.

### المسألة الثانية: «متى يتحقَّق اليأس».

يتحقَّق اليأس بواحدٍ من ثلاثة أمور:

الأمر الأول: «حضور الموت»: وحُكْمُهُ يشمل البشريَّة كُلَّهَا، أي: شروعُ المُحتَضِرِ بالنزع، وهو: «العَرَّعْرَةُ» بأنَّ تبلُغَ رُوحُهُ حُلُقُومَهُ، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُرْهَانَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الواقعة: ٨٣ - ٨٧]، فحينها ييأس الإنسان من الحياة، ويوقن بفراقها إلى الآخرة، قال سبحانه: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الْآثِقَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالَّتِلَاقُ السَّاقُ يَأْسَاقٍ ﴿٢٩﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ [القيامة: ٢٦ - ٣٠].

والأمر الثاني: «حضور العذاب والهلاك»: وهو المراد بـ «البأس» الوارد في مثل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُمْ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٤ - ٨٥]، وقد تحقَّق اليأس عند وقوع هذا الأمر في الأمم السابقة، الذين أهلكهم الله تعالى بكفرهم، كما سنبين، ولكنه لا يتحقَّق في أُمَّةٍ سيِّدنا محمد ﷺ، لأنَّ الله تعالى استجاب دعوة رسوله ﷺ بعدم إهلاكها بهلاكٍ عام، ففي مسلم قوله ﷺ: «سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ، وَمَنْعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي: أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ - أي: بِالْقَحْطِ الْعَامِّ - فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ: أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرْقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ: أَنْ لَا يَجْعَلَ بِأَسْهَمٍ بَيْنَهُمْ فَمَنْعَنِيهَا»، والمراد بقوله ﷺ: «أُمَّتِي»: «أُمَّةُ الْإِجَابَةِ»



وهم: المسلمون، و«أُمَّةُ الدعوة» وهم: مَنْ لَمْ يُسَلِّمْ، حَيًّا كَانَ أَوْ: مَيِّتًا، منذ بعثته ﷺ إلى قيام السَّاعَةِ، لِأَنَّهُ ﷺ مَبْعُوثٌ إِلَى الْعَالَمِينَ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ كَافَّةً، وَالْحِكْمَةُ فِي عَدَمِ إِهْلَاكِهَا بِهَلَاكِ عَامٍّ، كَمَا كَانَ يَحُلُّ بِالْأُمَمِ الْكَافِرَةِ السَّابِقَةِ: أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ بَاقِيَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، بِيَقَاءِ رِسَالَةِ نَبِيِّهَا خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، فَلَوْ أَهْلَكَهَا اللَّهُ تَعَالَى قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِهَلَاكِ عَامٍّ غَيْرِ التَّنْفِخِ فِي الصُّورِ، لَفَنَيْتِ الْبَشَرِيَّةَ كُلَّهَا، وَلَانْقَطَعَتِ الرِّسَالَةُ الْمَحْمَدِيَّةُ قَبْلَ أَجْلِهَا وَهُوَ: الْفَنَاءُ بِالتَّنْفِخِ الْأَوَّلِيِّ.

أَمَّا الْهَلَاكُ الَّذِي يَقَعُ فِي بَعْضِ الْأَقْطَارِ، كَالزَّلَازِلِ وَالْأَوْبَةِ وَالطُّوفَانِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَلَا يَدْخُلُ عَدَمُ وَقْعِهِ فِي وَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِهَلَاكِ عَامٍّ. وَهَذَا الْوَعْدُ بِعَدَمِ الْهَلَاكِ الْعَامِّ، لَمْ يَتَحَقَّقْ لِلْأُمَمِ الْكَافِرَةِ السَّابِقَةِ، فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِكَفَرِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ [يونس: ١٣].

وَالْأَمْرُ الثَّلَاثُ: مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَتَحَقَّقُ بِهَا الْيَأْسُ: «طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا»:

وَهُوَ الْمُرَادُ بِـ «الْبَعْضِ» فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨]. وَتَفْسِيرُ: «بَعْضِ» فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِأَنَّهُ: «طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا»، جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، فِيمَا رَوَاهُ الشَّيْخَانُ - وَاللَّفْظُ لِلْبَخَارِيِّ - وَأَصْحَابُ السُّنَنِ مَا عَدَا التِّرْمِذِيَّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَأَاهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَاكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ»، وَهَذَا الْأَمْرُ خَاصٌّ بِأُمَّةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، لِأَنَّهُ ﷺ نَبِيُّ آخِرِ الزَّمَانِ، وَأُمَّتُهُ آخِرُ الْأُمَمِ.



## المسألة الثالثة: «حُكْمُ إيمان اليائس وتوبته».

وفيهما قال الناظم:

٣٦ - وَمَا إِيْمَانُ شَخْصٍ حَالٌ يَأْسٍ      بِمَقْبُولٍ لِفَقْدِ الْإِمْتِثَالِ

قوله: «يأس» بالياء المثناة التحتيّة، تقدّم معناه في «المسألة الأولى»، وقوله: «الإمتثال» بقطع همزة الوصل للوزن.

ومعنى البيت: أَنَّ إيمان اليائس غيرُ مقبولٍ، لِفَقْدِ سَبَبِ الْقَبُولِ وهو: الامتثال لأمر الله تعالى، إذ حين اليأس، يُصبح العلمُ ضروريّاً بالمعايينة، ويرتفع الإيمانُ بالغيب الذي هو أساس الإيمان لقوله جلّ وعزّ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣].

ومراد الناظم في هذا البيت: بيانُ حُكْمِ الإيمانِ والتوبة عند «الغُرْغَرَةِ» فقط، لأنّها أكثرُ أسباب اليأس وقوعاً، ولأنّ العلماءَ مختلفون في قبول توبة العاصي عندها، دون إيمان الكافر، فهم متفقون على عَدَمِ قَبُولِهِ، وهم متفقون أيضاً على عدم قَبُولِ أَيٍّ مِنْهُمَا عند: «معايينة العذاب»، و«طلوع الشمس من مغربها»، وهذا تفصيلُ أقوالهم:

أولاً: «اليائسُ عند الغُرْغَرَةِ»:

للعلماء في قَبُولِ إيمان اليائس وتوبته، وَعَدَمِهِ، عند «الغُرْغَرَةِ» مذهبان:

المذهب الأول: أَنَّ تَوْبَةَ الْمُؤْمِنِ الْعَاصِي مَقْبُولَةٌ دون إيمان الكافر، وعليه الناظم هنا وفي فتاويه «السَّراجِيَّةُ» حيث قال في باب: «الكراهية»: إيمانُ اليائس غيرُ مقبولٍ وتوبةُ اليائسِ مقبولةٌ، اهـ، وهذا هو مذهب المائريديّة، والراجح عند الحنفيّة، وقيل عندهم: لا تُقبلُ توبتهُ كإيمانه (كذا في البَزَّازِيَّةِ)،



وقال في «الدَّرِّ المختار»: «وَاحْتُلِفَ فِي قَبُولِ تَوْبَةِ الْيَائِسِ، وَالْمَخْتَارُ قَبُولُ تَوْبَتِهِ لَا إِيْمَانَهُ، وَأَضَافَ ابْنُ عَابِدِينَ نَقْلًا عَنْ «الْبَزَازِيَّةِ»: لِأَنَّ الْكَافِرَ أَجْنَبِيَّ غَيْرُ عَارِفٍ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَيَبْدَأُ إِيْمَانًا وَعِرْفَانًا، وَالْفَاسِقُ عَارِفٌ وَحَالُهُ الْبَقَاءُ، وَالْبَقَاءُ أَسْهَلُ، وَالذَّلِيلُ عَلَى قَبُولِهَا مِنْهُ مُطْلَقًا: إِطْلَاقُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥] اهـ.

وذهب الأشاعرة والشافعية والمالكية إلى: أَنَّ تَوْبَةَ الْيَائِسِ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ كإِيْمَانِهِ، وَاسْتَدَلُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧﴾ وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٨﴾ [النساء: ١٧ - ١٨]، وَمَعْنَى الْآيَتَيْنِ كَمَا قَالَ الْبَغَوِيُّ وَالْقُرْطُبِيُّ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَعَدَ بِقَبُولِ تَوْبَةِ عَبْدِهِ التَّائِبِ الَّذِي يَعْصِيهِ بِجَهْلِهِ، إِذَا تَابَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ رُوحُهُ حُلُقُومَهُ، وَلِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍاءَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرِغْ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَابْنُ مَاجَهَ، وَأَمَّا الَّذِينَ يُؤَخَّرُونَ التَّوْبَةَ إِلَى وَقْتِ النَّزْعِ، فَلَيْسَ لَهُمْ تَوْبَةٌ، وَلَا تَوْبَةٌ أَيْضًا لِلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ، لِأَنَّ التَّوْبَةَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ لَا تَنْفَعُ، لِأَنَّهَا حَالُ زَوَالِ التَّكْلِيفِ (انتهى ملخصاً).

وَبَوَّبَ النَّوَوِيُّ فِي «شرح مسلم» لهذه المسألة فقال: (باب: الدَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ إِسْلَامِ مَنْ حَضَرَهُ الْمَوْتُ، مَا لَمْ يَشْرَعْ فِي النَّزْعِ وَهُوَ: الْغَرْغَرَةُ)، وَاسْتَدَلَّ بِحَدِيثِ الصَّحِيحِينَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: عَرَضَ عَلَى عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ الْإِسْلَامَ قَائِلًا لَهُ: «يَا عَمُّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»، فَحَرَّضَهُ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ عَلَى أَنْ لَا يَقُولَهَا، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَغْرِضُهَا عَلَيْهِ وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ، حَتَّى قَالَ



أبو طالب آخَرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ:  
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، اهـ.

وقوله ﷺ: «كلمة» بالنصب على البدل من كلمة التوحيد، وبالرفع خبر مبتدأ محذوف، و«أشهد» بالرفع، وبالجزم جواب الأمر: «قل».

### وثانياً: «معايضة العذاب والهلاك»:

والياس الذي يتحقق عندها هو: يأس الكافر من قبول إيمانه، أمّا توبة المؤمن العاصي هنا، فهي خارج المسألة، لأنّ العذاب لا يحلّ إلاّ بالأثم الكافرة قبل أمة سيدنا محمد ﷺ كما ذكرنا.

ولا خلاف بين أهل العلم في: عدم صحّة إيمان الذين آمنوا حين رأوا العذاب، ولا خلاف يُعتدّ به أيضاً في قبول إيمان قوم يونس عليه السلام في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُوَسَّسُ لَكُمْ ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ ﴿٩٨﴾ [يونس: ٩٨]، ولكنّ الخلاف هو في: كَوْنِ قَبُولِ تَوْبَتِهِمْ خُصُوصِيَّةً خَصَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا، بَعْدَ أَنْ رَأَوْا الْعَذَابَ بَعِيْنَهُ، أَوْ: أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا الْعَذَابَ، وَلَكِنَّهُمْ رَأَوْا أَمَارَاتِهِ، فَلَمْ يَتَحَقَّقِ الْيَأْسُ أَصْلًا.

فذهب جماعة من المفسرين منهم: ابن جرير الطبري، ومحيي السنّة البغوي، إلى: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّ قَوْمَ يُونُسَ عليه السلام، مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأُمَمِ، بِأَنْ نَابَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ مَعَايِضَةِ الْعَذَابِ.

واستحسن القرطبي قول الزّجاج: بِأَنَّهُمْ لَمْ يَقْعَ بِهِمُ الْعَذَابُ، وَإِنَّمَا رَأَوْا عَلَامَاتِهِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهِ، وَلَوْ رَأَوْا عَيْنَ الْعَذَابِ لَمَا نَفَعَهُمُ الْإِيمَانُ.

والقول الأوّل هو الأقوى والأوفق لمعنى الآية، ويُلَخِّصُهُ: مَا ذَكَرَهُ البغوي في تفسير الآية السّابقة: حيث قال: ومعناه: فلم تكن قرية أي: أهل



قَرِيَّةٌ، ﴿ءَامَنْتُ﴾ عند معاينة العذاب ﴿فَفَعَمَّهَا إِيمَانُهَا﴾ في حال اليأس ﴿إِلَّا قَوْمٌ يُؤُسُّ﴾ فإنهم نفعهم إيمانهم في ذلك الوقت، واختلفوا: هل رأوا العذاب عياناً أم لا؟، فقال بعضهم: رأوا دليل العذاب، والأكثر على أنهم رأوا العذاب عياناً بدليل قوله: ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾، والكشف يكون بعد الوقوع أو: إذا قُرِبَ اهـ.

أما إيمان فرعون: فقد كان حين أدركه العرق وأيقن الهلاك، ولم يكن حين العرعرّة كما تَوَهَّم البعض، وقد أجمع أهل العلم، عملاً بصريح النصوص من الكتاب والسنة، على عَدَمِ صِحَّةِ إيمانه الطاغية فرعون، وأنه مات كافراً، وأنه مُقَدَّمُ قَوْمِهِ إلى نار جهنم، والنصوص في هذا كثيرة وصريحة الدلالة وقطعية، منها: قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨]، وقوله سبحانه: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [٢٤] فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى [٢٥] [النازعات: ٢٤ - ٢٥]، والمعنى: أهلكه الله تعالى عقاباً على قوله: «أنا ربكم الأعلى»، وقوله قبلها: «ما علمت لكم من إله غيري»، وعقاب الهلاك لا يكون إلا للكافر، ومن أوضح الأدلة على كفره: قوله جلّ وعزّ: ﴿وَأَسْتَكْبَرُوا وَخُودُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [٣٩] فَأَخَذْنَاهُ وَخُودُهُمْ فَبَدَّلْنَاهُمْ فِي آيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ [٤٠] وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يُدْعَوْنَ إِلَى السَّارِّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصَرُونَ [٤١] وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَنَكْفِيَنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمُقْبِرِينَ [٤٢] [الفصص: ٣٩ - ٤٢].

وزعم غير أهل العلم من الصوفية: أن إيمان فرعون كان صحيحاً، وأنه مات مؤمناً طاهراً مُطَهَّراً، وذلك بناءً على قولهم بصحة الإيمان عند معاينة العذاب مطلقاً، قال ابن حجر في كتابه: «الزَّوْجَر» يَرُدُّ قولهم هذا وَيُخَطِّئُهُم



فيه: صَرَّحَ الإمام القاضي عبد الصَّمَد الحنفي - كان موجوداً في أوائل المائة الخامسة - في تفسيره: بأنَّ «مذهب الصُّوفِيَّة: أَنَّ الْإِيمَانَ يُنْتَفَعُ بِهِ وَلَوْ عِنْدَ مَعَايِنَةِ الْعَذَابِ»، اهـ، وهؤلاء لَا يُعْتَدُّ بِقَوْلِهِمْ، وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ، لَمَّا عُرِفَ عَنْهُمْ مِنْ قِلَّةِ الْعِلْمِ، وَوَهْنِ الْفَقْهِ فِي الدِّينِ، فَخَالَفُوا النُّصُوصَ الصَّرِيحَةَ، وَخَرَقُوا قَوَاعِدَ الشَّرْعِ فِي الْعَقَائِدِ ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤].

وثالثاً: «الْيَأْسُ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا»:

وحينها لَا يُقْبَلُ إِيْمَانُ كَافِرٍ، وَلَا تَوْبَةُ عَاصٍ، بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ، فِيهِ صَحِيحٌ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»، وَوَرَدَ هَذَا الْحَدِيثُ فِي مُسْلِمٍ وَالتِّرْمِذِيِّ وَغَيْرِهِمَا مِنْ طَرُقٍ أُخْرَى بِنَحْوِهِ، فَإِذَا رَأَاهَا النَّاسُ، آمَنَ الْكَافِرُ وَتَابَ الْعَاصِي، قَالَ الْقَاضِي عَبْدُ الْحَقِّ بْنُ عَطِيَّةَ الْمَتَوَفَّى عَامَ ٥٤١ هـ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ أَيْدِيكَ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْتِنَاهَا لَمَّا تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]: إِنَّ مَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّ الْكَافِرَ لَا يَنْفَعُهُ إِيمَانُهُ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنَ الْمَغْرَبِ، وَكَذَلِكَ الْعَاصِي لَا تَنْفَعُهُ تَوْبَتُهُ، وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ صَالِحاً مِنْ قَبْلُ وَلَوْ كَانَ مُؤْمِناً، لَا يَنْفَعُهُ الْعَمَلُ بَعْدَ طُلُوعِهَا مِنَ الْمَغْرَبِ، اهـ.

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ فِي «شَرْحِ مُسْلِمٍ»: الْمَعْنَى: لَا تَنْفَعُ تَوْبَةُ بَعْدَ ذَلِكَ، بَلْ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِ كُلِّ أَحَدٍ بِالْحَالَةِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا، وَالْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ: أَنَّ هَذَا أَوَّلُ ابْتِدَاءِ قِيَامِ السَّاعَةِ بِتَغْيِيرِ الْعَالَمِ الْعُلُويِّ، فَإِذَا شُهِدَ ذَلِكَ، حَصَلَ الْإِيمَانُ الضَّرُورِيُّ بِالْمَعَايِنَةِ، وَارْتَفَعَ الْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ، فَهُوَ كَالْإِيمَانِ عِنْدَ «الْعَرْغَرَةِ»، وَهُوَ لَا يَنْفَعُ، فَالْمَشَاهِدَةُ لَطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنَ الْمَغْرَبِ مِثْلُهُ، اهـ.

وَقَالَ اللَّقَائِنِيُّ فِي شَرْحِ «جَوْهَرَتِهِ» فِي «شُرُوطِ صِحَّةِ التَّوْبَةِ»: شُرْطُ



لصحة التَّوْبَةِ صُدُورُهَا قَبْلَ الْغَرْغَرَةِ، وَقَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، هَذَا عِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ، أَمَّا عِنْدَ الْمَاتَرِيدِيِّ: فَيَشْتَرِطُ لَصِحَّةِ التَّوْبَةِ عَدَمُ «الْغَرْغَرَةِ» فِي الْكَافِرِ دُونَ الْمُؤْمِنِ الْعَاصِي عَمَلًا بِالِاسْتِصْحَابِ، أَهْ مَلْخَصًا.





## البَابُ السَّابِعُ

في: أَحْكَامِ الرَّدَّةِ عَنِ الْإِسْلَامِ

- وفيه: خمس مسائل:
- المسألة الأولى: «معنى: الرَّدَّة، وَحُكْمُهَا»
- المسألة الثانية: «الرَّدَّةُ بِالنِّيَّةِ»
- المسألة الثالثة: «حُكْمُ التَّلَفُّظِ بِلَفْظِ الْكُفْرِ»
- المسألة الرابعة: «أَرْتِكَابُ الْكُبْرَةِ لَيْسَ كُفْرًا»
- المسألة الخامسة: «حُكْمُ رَدَّةِ السَّكَرَانِ»







## البَابُ السَّابِعُ:

## فِي أَحْكَامِ الرَّدَّةِ عَنِ الْإِسْلَامِ

وفيه : خمسُ مسائل :

المسألة الأولى: «معنى: الرَّدَّة، وحُكْمُهَا».

«الرَّدَّة» لغة: قال في «مختار الصحاح»: «الرَّدَّة» بالكسر: اسم من «الارتداد» وهو: الرجوعُ اهـ، وفي الشَّرْع: هي الرجوعُ عن الإيمان: قولاً بإجراء كلمة الكفرِ على اللسان، أو: فعلاً كالسُّجود لصنم، أو: اعتقاداً بأنَّ يَجْزِمَ في قلبه بما هو كُفْرٌ، كجُحود الخالق جلَّ وعزَّ، ولو لم يُعبِّر عن ذلك بلسانه.

والرجوعُ عن الإسلام بالقول أو: الفعل، يكفي لإجراء الأحكام الشرعية الدنيويَّة بحق المرتدِّ، أمَّا الكفرُ الاعتقاديُّ فهو رِدَّةٌ فيما بينه وبين الله تعالى، ولا تجري بحقه أحكام الرَّدَّة الدنيويَّة، إلَّا إذا أعلن ما اعتقده من الكفر، وقد اعتنى فقهاء المذاهب كافةً بأحكام الرَّدَّة وبيَّنوها، لئلا تزلَّ قدمُ المؤمن بعد ثبوتها.

ولا تُثبِتُ الرَّدَّةُ إلَّا بإقرار المرتدِّ عند الحنفيَّة والحنابلة، فلا تثبتُ بمجرد الشهادة، قال في «فتح القدير»: وإذا شهدوا على مسلم بالرَّدَّة وهو مُنْكَرٌ، لا يُتَعَرَّضُ له، لا لتكذيب الشهود العدول، بل لأن إنكاره توبةً ورجوعاً، اهـ.

وفي «الفروع» لشمس الدين ابن مُفلح الحنبلي: مَنْ شهدت عليه، بيَّنةً



بالرَّدَّةَ فَأَنْكَرَ حُكْمَ بِإِسْلَامِهِ، وَلَا يُحْتَاجُ أَنْ يُقَرَّ بِمَا شُهِدَ بِهِ عَلَيْهِ اهـ. وهذا إذا لم يَنْطِقْ بالشهادتين بعد الإنكار، قال في «المغني»: إذا ثبتت رَدَّتُهُ بِالْبَيِّنَةِ أَوْ غَيْرِهَا، فَشَهِدَ: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، لَمْ يُكْشَفْ عَنْ صِحَّةِ مَا شُهِدَ عَلَيْهِ بِهِ، وَخُلِّيَ سَبِيلُهُ، وَلَا يَكْلَفُ الْإِقْرَارَ بِمَا نُسِبَ إِلَيْهِ اهـ، وفي «جامع الفصولين» نقلاً عن «الخانيَّة»: المرتدُّ لو جَحَدَ الرَّدَّةَ فَهُوَ عَوْدٌ إِلَى الْإِسْلَامِ، اهـ.

أَمَّا عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ: فَتُقْبَلُ الشَّهَادَةُ بِالرَّدَّةِ مُطْلَقاً، عَلَى الْمَعْتَمَدِ فِي الْمَذْهَبِ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ، فَلَوْ شَهِدُوا بِرَدَّةٍ فَأَنْكَرَ حُكْمَ الشَّهَادَةِ، قَالَهُ النَّوَوِيُّ فِي «الْمَنْهَاجِ»، وَقَالَ الصَّاوِي الْمَالِكِيُّ فِي «بُلْغَةِ السَّالِكِ»: وَيَسْتَتَابُ الْمُرْتَدُّ وَجوباً ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ يَوْمِ الْحُكْمِ، أَيُّ: ثُبُوتِ الرَّدَّةِ عَلَيْهِ، لَا مِنْ يَوْمِ الْكُفْرِ، وَلَا مِنْ يَوْمِ الرَّفْعِ إِلَى الْحَاكِمِ اهـ.

وَلِلرَّدَّةِ بَعْدَ ثُبُوتِهَا أَحْكَامٌ كَثِيرَةٌ فِي الدُّنْيَا، بَلَّةَ الْآخِرَةِ، إِنْ لَمْ يَثْبُتِ الْمُرْتَدُّ، أَسْوَأُهَا: «إِبَاحَةُ دَمِهِ»، لِقَوْلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَأَحْمَدُ وَأَصْحَابُ السُّنَنِ، أَيُّ: يُقْتَلُ بَعْدَ الِاسْتِتَابَةِ وَجوباً عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنْبَلِيَّةِ، وَاسْتِحْبَاباً عِنْدَ الْحَنْفِيَّةِ، قَالَ فِي «بَدَائِعِ الصَّنَائِعِ»: يُسْتَحَبُّ أَنْ يُسْتَتَابَ الرَّجُلُ وَيُعْرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ، لِاحْتِمَالِ أَنْ يُسَلِّمَ، لَكِنْ لَا يَجِبُ، لِأَنَّ الدَّعْوَةَ بَلَّغَتْهُ، فَإِنْ أَسْلَمَ فَمَرْحَباً وَأَهْلاً وَسَهْلاً بِالْإِسْلَامِ، وَإِنْ أَبَى: نَظَرَ الْإِمَامُ فِي ذَلِكَ: فَإِنْ طَمِعَ فِي تَوْبَتِهِ أَوْ: سَأَلَ الْمُرْتَدَّ التَّاجِيلَ، أَجَلَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَإِلَّا قَتَلَهُ مِنْ سَاعَتِهِ اهـ، وَفِي «الْخَانِيَّةِ»: وَلَا يُؤَجَّلُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَيُعْرَضُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ التَّاجِيلِ اهـ.

وَأَخَذَ الْفُقَهَاءُ التَّاجِيلَ ثَلَاثاً، مِنْ قَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ أَخْبَرَ عَنْ مُرْتَدٍّ: «مَا فَعَلْتُمْ بِهِ؟»، قَالُوا: ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، فَقَالَ



عمر: «ألا حبستموه ثلاثاً، وأطعتموه كلَّ يومٍ رغيفاً، واستبثموه لعله يتوب ويراجع أمر الله؟»، رواه مالك في «الموطأ»، قال الزُّرقانيُّ في شرحه: وبحسبه ثلاثاً قال عثمان وعليُّ وابن مسعود رضي الله عنهم، قال الباجيُّ: يَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَخَذَ الثَّلَاثَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى لِقَوْمٍ صَالِحٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [٦٥].

وَأَجْمَعَ الْفُقَهَاءُ كَافَّةً عَلَى قَتْلِ الرَّجُلِ الْمُرْتَدِّ إِنْ لَمْ يَتُبْ، أَمَّا الْمَرْأَةُ فَلَا تُقْتَلُ عِنْدَ الْحَنْفِيَّةِ، لَكِنْ تُحْبَسُ حَتَّى تُسْلِمَ، وَعِنْدَ الْأَثَمَةِ الثَّلَاثَةَ: تُقْتَلُ كَالرَّجُلِ بَعْدَ الْإِسْتِثْنَاءِ، وَعَلَّلَ الْحَنْفِيُّ قَتْلَ الرَّجُلِ الْمُرْتَدِّ دُونَ الْمَرْأَةِ الْمُرْتَدَّةِ: بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ، وَلِأَنَّ الْأَصْلَ تَأْخِيرُ الْأَجْزِيَةِ إِلَى الْآخِرَةِ لَأَنَّهَا دَارُ الْجَزَاءِ، إِذْ تَعْجِيلُ الْأَجْزِيَةِ يُخِلُّ بِمَعْنَى «الْإِبْتِلَاءِ» ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [النساء: ٣٥]، وَإِنَّمَا عُدِلَ عَنْ هَذَا الْأَصْلِ شَرْعاً فِي حَقِّ الرَّجُلِ، دَفْعاً لَشَرِّ نَاجِزٍ وَهُوَ: «الْجِرَابُ»، لِأَنَّ تَرْكَ الْمُرْتَدِّينَ مِنْ دُونَ عِقَابٍ، يُعَرِّضُ الْأُمَّةَ لِلانْشِقَاقِ وَالتَّمَرُّقِ بِالْفِتَنِ، وَلَا يُتَوَقَّعُ ذَلِكَ مِنَ النِّسَاءِ، فَصَارَتِ الْمُرْتَدَّةُ كَالْكَافِرَةِ الْأَصْلِيَّةِ، لَكِنْ تُحْبَسُ حَتَّى تُسْلِمَ.

وَتَتَحَقَّقُ تَوْبَةُ الْمُرْتَدِّ، وَالتِّي لَا خِلَافَ فِي صَحَّتِهَا وَقَبُولِهَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَفِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا: بِالنُّطْقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ بِنِيَّةِ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، مَعَ التَّبَرِّيِّ حَقِيقَةً مِمَّا كَفَرَ بِسَبَبِهِ، فَإِنْ أَتَى الْمُرْتَدُّ بِكَلِمَتِي الشَّهَادَةِ عَلَى الْعَادَةِ لَا يُجْزئُهُ ذَلِكَ، مَا لَمْ يَرْجِعْ عَنْ سَبَبِ رَدَّتِهِ، لِأَنَّ بَيَانَهَا عَلَى الْعَادَةِ لَا يَرْتَفِعُ الْكُفْرُ، وَذَكَرَ ابْنُ حَجَرٍ فِي كِتَابِهِ: «الْإِعْلَامُ بِقَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ»: أَنَّ مَذْهَبَ الْحَنْفِيَّةِ: أَنَّهُ لَا يَكْفِي فِي تَجْدِيدِ الْإِيمَانِ مَجْرَدُ لَفْظِ الشَّهَادَةِ، بَلْ لَا بُدَّ مَعَهُ مِنَ التَّبَرِّيِّ مِمَّا كَفَرَ بِهِ، ظَاهِراً مُوَافِقاً لِمَذْهَبِنَا، فَيَنْبَغِي التَّنْبِيهُ لِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَإِنَّهَا مُهِمَّةٌ، وَكَثِيرٌ مَا يُغْفَلُ عَنْهَا، وَيُظَنُّ: أَنَّ مَنْ وَقَعَ فِي مُكْفَرٍ، يَرْتَفِعُ حُكْمُهُ عَنْهُ بِمَجْرَدِ تَلَفُّظِهِ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ لَا بُدَّ مِمَّا ذُكِرَ. اهـ.

أَمَّا فِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا: فَسَمَاعُ نُطْقِهِ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَتَبَرِّيهِ مِمَّا كَفَرَ بِسَبَبِهِ،



كافٍ لا اعتباره تائباً عائداً إلى الإسلام، فتجري بحقه أحكام المسلمين، وليس لنا عِلْمُ ما في قلوب العباد، وللعلماء أقوالٌ وتفصيلٌ في «توبة المرتد»، مبسوطةٌ في كتب الفقه.

المسألة الثانية: «الرَّدَّةُ بالنِّيَّة».

وإليها أشار الناظم بقوله:

٣٧ - وَمَنْ يَنْوِ ارْتِدَاداً بَعْدَ دَهْرٍ يَصِرْ عَنْ دِينِ حَقِّ ذَا انْسِلَالٍ

«مَنْ»: اسم شرطٍ جازمٌ، و«ينو»: فعلُ الشرط مجزومٌ بحذفِ حرفِ العلة من آخره، وقوله: «يَصِرْ»: جواب الشرط مجزوم، وهو من الأفعال الناقصة، واسمه: الضميرُ المستترُ فيه يعودُ على «مَنْ»، وقوله: «ذَا» أي: صاحبٌ، خَبَرٌ «يَصِرْ» منصوبٌ، وأَعْرَبَهُ بعضهم مفعولاً به، والصَّوابُ ما ذكرناه، وَعَدَّاهُ الناظمُ بـ «عن» لأنَّ معناه: التحوُّلُ، قال ابن عقيل في شرح «الْأَلْفِيَّة»: ومعنى «صار»: التحوُّلُ عن صفةٍ إلى أخرى اهـ.

و«الدَّهْر» هو: الزَّمانُ الطويلُ والأَمَدُ المحدود، كذا في «القاموس المحيط»، ومرادُ الناظم: بعدَ زمانٍ ولو طال.

وقوله: «انْسِلَالٍ» قال في «القاموس المحيط»: السَّلُّ: انتزاعُ الشيء وإخراجهُ في رَفْقٍ كالاستِلالِ، وانسَلَّ: انطلقَ في خفاءٍ، اهـ.

ومعنى البيت: أَنَّ مَنْ يَنْوِ الارتدادَ عن دينِ الإسلام، ولو بعد حينٍ طويلٍ من الزَّمن، فإنه بذلك يَنْسَلُّ من الإسلام، ويخرج منه في الحال، باتفاق أهل العلم، لأنَّ بقاءَ الجَزْمِ شَرْطٌ لصحة الإيمان، ونيَّةُ الارتداد وإن لم يكن في الحال، تُزيلُ الجَزْمَ فيزولُ الإيمانُ، قال في «الفتاوى البَرْزَايَّة»: إذا عَزَمَ على الكفر بعد حينٍ، يكفر في الحال، لزوالِ التصديق المُستَمِرِّ، اهـ.



وَإِذَا عَزَمَ الْكَافِرُ عَلَى الْإِيمَانِ فِي الْحَالِ أَوْ: بَعْدَ حِينٍ، فَلَا يُعْتَبَرُ بِذَلِكَ مُؤْمِنًا، وَلَا يُخْرِجُهُ مِنْ كُفْرِهِ، مَا لَمْ يُؤْمِنْ بِالْفِعْلِ، لَمَّا تَقَرَّرَ فِي «عِلْمِ الْأَصُول»: أَنَّ «الثَّرُوكَ» تَخْضُلُ بِمَجَرَّدِ النِّيَّةِ كَالْإِقَامَةِ، فَإِنَّ الْمَسَافِرَ يَصِيرُ مَقِيمًا بِمَجَرَّدِ نِيَّةِ الْإِقَامَةِ، لِأَنَّهَا: تَرُكُ السَّفَرِ، بِخِلَافِ «الْأَفْعَالِ»، فَإِنَّ الْمَقِيمَ لَا يَصِيرُ مَسَافِرًا إِلَّا بِالْخُرُوجِ، لِأَنَّ السَّفَرَ فِعْلٌ لَا يَتَحَقَّقُ بِالنِّيَّةِ وَحْدَهَا، وَكَذَا الْإِسْلَامُ وَالْكَفَرُ، فَالْمُسْلِمُ يَصِيرُ كَافِرًا بِمَجَرَّدِ نِيَّةِ الْكَفَرِ، لِأَنَّهُ تَرُكُ الْإِسْلَامِ، وَلَا يَصِيرُ الْكَافِرُ مُؤْمِنًا بِمَجَرَّدِ النِّيَّةِ، بَلْ لَا بُدَّ مِنَ النُّطْقِ، لِأَنَّ الْإِسْلَامَ فِعْلٌ.

أَمَّا مَا يَتَرَدَّدُ فِي النَّفْسِ مِنْ خَوَاطِرَ يَكْرَهُهَا الْمُؤْمِنُ، وَلَا يَمْلِكُ دَفْعَهَا، فَلَا مَوَازِيَةَ فِيهِ، لَمَّا رَوَاهُ الشَّيْخَانُ وَغَيْرُهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ نَجَاوَزَ لِأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسُهَا، مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ»، وَفِي ضَبْطِ كَلِمَةِ: «أَنْفُسُهَا» وَجْهَانِ، قَالَ النَّوَوِيُّ فِي «شرح مسلم»: ضَبَطَ الْعُلَمَاءُ «أَنْفُسُهَا» بِالنَّصْبِ وَالرَّفْعِ وَهُمَا ظَاهِرَانِ، إِلَّا أَنَّ النَّصْبَ أَظْهَرُ وَأَشْهَرُ، قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: «أَنْفُسُهَا» بِالنَّصْبِ، وَيُدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: «إِنَّ أَحَدَنَا يَحْدُثُ نَفْسَهُ» قَالَ: قَالَ الطَّحَاوِيُّ: وَأَهْلُ اللُّغَةِ يَقُولُونَ: «أَنْفُسُهَا» بِالرَّفْعِ، يَرِيدُونَ: بِغَيْرِ اخْتِيَارِهَا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَفَعَلُوا مَا تُؤْمِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [ق: ١٦] اهـ.

وَرَوَى مُسْلِمٌ: أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، جَاؤُوا فَسَأَلُوهُ فَقَالُوا: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا، مَا يَتَعَاطَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: «وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ»، وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْوَسْوَاسَةِ قَالَ: «تِلْكَ مَخْضُ الْإِيمَانِ»، قَالَ النَّوَوِيُّ فِي «شرح مسلم»: فَقَوْلُهُ ﷺ: «ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ»، وَ«مَخْضُ الْإِيمَانِ» مَعْنَاهُ: اسْتِعْظَامُكُمْ الْكَلَامَ بِهِ هُوَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ، فَإِنَّ اسْتِعْظَامَ هَذَا، وَشِدَّةَ الْخَوْفِ مِنْهُ وَمِنْ النُّطْقِ بِهِ، فَضْلًا عَنْ اعْتِقَادِهِ، إِنَّمَا يَكُونُ مِمَّنْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ اسْتِكْمَالًا مُحَقَّقًا، وَانْتَفَتْ عَنْهُ الرِّيْبَةُ وَالشُّكُوكُ، اهـ.



المسألة الثالثة: «حَكْمُ التَّلَفُّظِ بِلَفْظِ الْكُفْرِ».

وإليها أشار الناظم بقوله:

٣٨ - وَلَفْظُ الْكُفْرِ مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادٍ بِطُوعٍ، رَدُّ دِينٍ بِاغْتِفَالٍ  
قوله: «وَلَفْظُ» مبتدأ، خبره: «رَدُّ»، و«بَطُوعٍ» أي: بطُوع الَّلَافِظِ واختياره، فَخَرَجَ المَكْرَهَ عَلَى التَّلَفُّظِ بِالْكَفْرِ، و«رَدُّ دِينٍ» أي: رَدُّ لِلدِّينِ وَرَفْضُ لَهُ، وقوله: «بِاغْتِفَالٍ» قال في «لسان العرب»: غَفَلَ عَنْهُ يَغْفُلُ وَأَغْفَلَهُ: تَرَكَهُ وَسَهَا عَنْهُ، ويقال: تَغَفَّلْتُه وَاسْتَغْفَلْتُهُ أَي: تَحَيَّنْتُ غَفْلَتَهُ اه، والباء فيه وفي قوله: «بَطُوعٍ» لِلْسَّبَبِيَّةِ، ويقال: لِلْمَلَابَسَةِ وَالْمَصَاحِبَةِ، وقال القاريُّ في شرحه: الباء في قوله: «بِاغْتِفَالٍ» لِلْسَّبَبِيَّةِ، والصوابُ ما قلناه، ولكنه في شرح البيت صرح بأنَّها لِلْمَلَابَسَةِ بقوله: حَالُ كَوْنِهِ مُتَلَبِّسًا بِالْغَفْلَةِ، إِذْ مَعْنَى الْبَيْتِ: أَنَّ لَفْظَ الْكُفْرِ مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادٍ مَعْنَاهُ، طَائِعًا مُخْتَارًا، وَغَافِلًا عَنْ الْمَعْنَى الْكُفْرِيَّةِ، هُوَ رِدَّةٌ عَنِ الْإِسْلَامِ كَمَا سَنَبِّينُ.

والجار والمجرور في: «مِنْ غَيْرِ» و«بَطُوعٍ» و«بِاغْتِفَالٍ» متعلق بقوله: «وَلَفْظُ» لا بقوله: «رَدُّ» كما قيل.

وقد اضطربت عبارات بعض الشارحين: كالقاريُّ والرَّيْحَاوِيُّ والأَحْسَائِيُّ، في شرح هذا البيت، اضطراباً أَخْلَ بِمَرَادِ النَّازِمِ، يُذَرِّكُهُ الْمُحَقِّقُ الْمُتَأَمِّلُ.

وتحقيقُ القول في هذه المسألة: أَنَّ لَفْظَ كَلِمَةِ الْكُفْرِ: إمَّا أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِأَنَّهَا كُفْرٌ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ جَاهِلًا بِذَلِكَ، وَالْعَالِمُ بِأَنَّهَا كُفْرٌ: إمَّا أَنْ يَكُونَ مُعْتَقِدًا مَعْنَاهَا، وَإِمَّا أَنْ لَا يَكُونَ، فَتَحَصَّلَ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

القول الأول: أَنَّ مَنْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ، عَالِمًا بِأَنَّهَا كُفْرٌ، وَعَامِدًا مُخْتَارًا، وَمُعْتَقِدًا مَا فِيهَا مِنْ كُفْرٍ، فَقَدْ كَفَرَ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ، قَضَاءً وَدِيَانَةً، فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.



والقول الثاني: أَنَّ مَنْ تَكَلَّمَ بكلمة الكفر، عالماً بأنها كُفْرٌ، وعامداً مختاراً، إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ مَعْتَقِدِ الْكُفْرِ فِيهِ قَوْلَانِ:

قال في «الْبَرَّازِيَّةِ»: قيل: لا يكفر، والصحيح أَنَّهُ يَكْفُرُ، وفي «الجامع الأصغر»، إِذَا أَطْلَقَ رَجُلٌ كَلِمَةَ الْكُفْرِ عَمْدًا، لَكِنْ لَمْ يَعْتَقِدِ الْكُفْرَ: قال بعض أصحابنا: لا يكفر، لِأَنَّ الْكُفْرَ يَتَعَلَّقُ بِالضَّمِيرِ، وَلَمْ يَعْتَقِدِ الضَّمِيرَ عَلَيْهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَكْفُرُ وَهُوَ الصَّحِيحُ عِنْدِي اهـ، وَجَزَمَ قَاضِيخَانُ بِكُفْرِهِ فَقَالَ فِي «الْخَانِيَّةِ»: رَجُلٌ كَفَرَ بِلِسَانِهِ طَائِعًا، وَقَلْبُهُ عَلَى الْإِيمَانِ يَكُونُ كَافِرًا، وَلَا يَكُونُ عِنْدَ اللَّهِ مُؤْمِنًا، اهـ.

ومقتضى قول القائلين بعدم تكفيره: أَنَّهُ يُصَدِّقُ فِي دَعْوَاهِ عَدَمَ اعْتِقَادِ مَا تَلَفَّظَ بِهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَعَلَى الْقَوْلِ الثَّانِي لَا يُصَدِّقُ مُطْلَقًا، وَهَذَا مَا قَرَّرَهُ ابْنُ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيُّ فِي كِتَابِهِ: «الْإِعْلَامُ بِقَوَاطِعِ الْإِسْلَامِ» حَيْثُ قَالَ: مَنْ سَبَقَ لِسَانُهُ لِمَكْفُرٍ، لَا يَكْفُرُ بِالنِّسْبَةِ لِلْبَاطِنِ، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلظَّاهِرِ: فَظَاهِرُ مَا ذَكَرَهُ أَثْمَنًا - الشَّافِعِيُّ - فِي «بَابِ الطَّلَاقِ»: أَنَّهُ لَا يُصَدِّقُ فِي ادِّعَائِهِ أَنَّهُ سَبَقَ لِسَانُهُ إِلَّا بِقَرِينَةٍ، اهـ، وَالْقَرِينَةُ تُوجَدُ فِي سَبَقِ اللِّسَانِ، أَمَّا الْإِعْتِقَادُ أَوْ: عَدَمُهُ، فَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِالْقَلْبِ، وَلَا يُسْتَدَلُّ عَلَى مَا فِيهِ بِالْقَرَائِنِ، فَيَكُونُ اللَّفْظُ بِالْكَفْرِ كَفْرًا، كَالْقَوْلِ الصَّحِيحِ عِنْدَ الْحَنْفِيَّةِ.

والقول الثالث: وَهُوَ مَرَادُ النَّازِمِ: أَنَّ مَنْ أَتَى بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ، مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادٍ لِمَعْنَاهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهَا كُفْرٌ، وَأَتَى بِهَا عَنْ اخْتِيَارٍ فَقَدْ كَفَرَ، هَذَا مَا جَزَمَ بِهِ النَّازِمُ، وَفِي «جَامِعِ الْفُصُولَيْنِ»: كَفَرَ عِنْدَ عَامَّةِ الْعُلَمَاءِ خِلَافًا لِلْبَعْضِ، وَلَا يُعْذَرُ بِالْجَهْلِ، وَفِي «الْخَانِيَّةِ»: إِذَا تَكَلَّمَ بِكُفْرٍ، وَلَمْ يَذَرِ أَنَّهُ كُفْرٌ، اخْتَفَلُوا فِيهِ: قَالَ بَعْضُهُمْ: لَا يَكُونُ كَفْرًا وَيُعْذَرُ بِالْجَهْلِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَصِيرُ كَافِرًا وَلَا يُعْذَرُ بِالْجَهْلِ اهـ، هَذَا عِنْدَ الْحَنْفِيَّةِ، أَمَّا مَذْهَبُ الشَّافِعِيَّةِ: فَقَدْ بَيَّنَّهُ ابْنُ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيُّ فِي «الْإِعْلَامِ بِقَوَاطِعِ الْإِسْلَامِ»، مُعَقِّبًا



على قولِ الحنفية بكفره، وَعَدَمَ عُذْرِهِ بِالْجَهْلِ قَائِلًا: مَذْهَبُنَا مُوَافِقٌ لِجَمِيعِ مَا قَالَهُ، إِلَّا فِي إِطْلَاقِهِ عَدَمَ الْعُذْرِ بِالْجَهْلِ، فَإِنَّهُ عِنْدَنَا يُعْذَرُ إِنْ قُرِبَ إِسْلَامُهُ، أَوْ: نَشَأَ بَعِيدًا عَنِ الْعُلَمَاءِ، اهـ.

المسألة الرابعة: «ارتكابُ الكبيرة ليس كفرًا».

وإليها أشار النَّازِمُ بقوله:

٣٩ - وَلَا يُقْضَى بِكُفْرٍ وَارْتِدَادٍ بِعَهْرٍ أَوْ: بِقَتْلِ وَاخْتِزَالٍ

قوله: «بِعَهْرٍ» بفتح العين المهملة وسكون الهاء أي: زِنَى، و«العاهر»: الزَّانِي، ومنه الحديث المتواتر، المرويُّ عن بضعةٍ وعشرين صحابيًا عن النَّبِيِّ ﷺ: «النَّسَبُ لِلْفَرَّاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ».

وقوله: «واختزال» قال في «اللِّسَانِ»: الاختزال: الاقتطاع، يقال: اختزل فلانُ المالَ: إذا اقتطَعَهُ، ويقال: اقتَطَعَ من ماله قطعةً: أَخَذَ منه شيئاً، والمراد: أَخَذَهُ بغيرِ حَقٍّ، ومنه حديثُ مسلم: «مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بيمينه، فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»، فقال رجل: وَإِنْ كَانَ شيئاً يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «وَإِنْ كَانَ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكِ».

وأشار النَّازِمُ بذكر: «الزَّنى، والقَتْلِ، وأَكْلِ مَالِ الْغَيْرِ بغيرِ حَقٍّ»، وهي ثلاثة من أكبر الكبائر، إلى «الْكَلْبِيَّاتِ الْخَمْسِ» الواجبِ حِمَايَتُهَا مِنَ الْعُدْوَانِ وهي: «الدِّينُ، والعَقْلُ، والعِرْضُ، والنَّفْسُ، والمَالُ»، وَخَصَّ الثَّلَاثَةَ الْآخِرَةَ بِالذِّكْرِ، لِأَنَّ غَالِبَ الْعُدْوَانِ يَكُونُ عَلَيْهَا.

وترتيبُ النَّازِمِ هذه الكبائرَ بِالذِّكْرِ، مُوَافِقٌ لِتَرْتِيبِهَا فِي الرُّتْبَةِ، لِأَنَّ الزَّنى أَفْحَشُهَا، ثُمَّ الْقَتْلُ، ثُمَّ الْعُدْوَانُ عَلَى الْمَالِ، وَهُوَ قَوْلُ فَرِيقٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الزَّوْاجِرِ» فِي شَرْحِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا زَيْنَةَ

إِنَّكُمْ كَانُمْ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]: وَأَطْلَقْتُ «الْفَاحِشَةَ» عَلَى الزَّنى،



لزيادته في القُبْحِ على كثيرٍ من القبائح، وأنَّ كلَّ فاعلٍ له، يعتقده فُحْشاً وعاراً إلى الغاية، اهـ، وقال بعضُ أهلِ العلم: القتلُ أفحشُ من الزَّنى، وبه قال عليُّ القاريُّ في شرحه.

ومعنى البيت: أنَّ مذهبَ أهلِ السُّنَّةِ والجماعة هو: أنَّ المؤمنَ إذا فعلَ كبيرةً، فلا يخرج بذلك من الإيمان، لأنَّ التصديقَ باقٍ، فمجرَّدُ الإقدام على الكبيرة، لِعَلْبَةِ شهوةٍ، أو: لكسلٍ ونحو ذلك، لا يُخرجُ العبدَ من حقيقة الإيمان، إلَّا إذا كان بطريق الاستحلال للحرام، أو: الاستخفاف بالشرع، فيكون عندها كفراً وريدَّةً، لكونه علامةً للتكذيب.

والدليل على ذلك: الآياتُ والأحاديثُ الناطقةُ بإطلاق وَصْفِ الإيمانِ على العاصي كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحریم: ٨]، فسَمَّى الله تعالى العصاةَ مؤمنين، وأمرهم بالتوبة النَّصُوحَ، وهي: التوبةُ التي لا عودةَ بعدها إلى الذَّنْبِ، وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، فوصف الطائفتين بالإيمان، وإحداهما عاصيةٌ باغيةٌ، وَجَبَ قتالُها حتى تَفِيءَ إلى أمرِ الله تعالى، وكحديث أبي ذرِّ الغفاريِّ رضي الله عنه عند الشيخين واللفظُ للبخاري: قال أبو ذرٍّ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وعليه ثوبٌ أبيضٌ وهو نائمٌ، ثم انتَبَهَ وقد استيقظ فقال: «ما مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»، قلتُ: وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ؟ قال: «وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ، رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ»، وكان أبو ذرٍّ إِذَا حَدَّثَ بهذا الحديث قال: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ.

فإنَّ تابَ مرتكبُ الكبيرة قَبْلَ موْتِهِ تَوْبَةً صحيحةً، تابَ الله عليه قطعاً، لوعده تعالى بقبولِ توبةِ التائبِ، ووَعْدُهُ سبحانه لا يُخْلَفُ، وإنَّ مَاتَ مِنْ دُونِ تَوْبَةٍ، فَأَمَرُهُ إِلَى اللَّهِ تعالى، إِنْ شَاءَ عفا عنه، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، ثُمَّ يُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ، وَلَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ، إِلَّا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ تعالى.



وذهب «المعتزلة»: إلى أَنَّ مرتكبَ الكبيرة، ليس بمؤمنٍ ولا كافرٍ،  
وأنَّه بمنزلةٍ بين المنزلتين عندهم، وذهب «الخوارج» إلى أَنَّ فاعلَ المعصيةِ  
ولو صغيرةً كافرٌ، ولا واسطةَ بين الإيمان والكفرِ عندهم، وهذانِ مذهبانِ  
فاسدانِ، يخالفانِ النُّصوصَ الصَّريحةَ كما تقدم.

المسألة الخامسة: «حُكْمُ رَدِّةِ السَّكَرَانِ».

وإليها أشار النَّازِمُ بقوله:

٤٠ - وَلَا تَحْكُمْ بِكَفْرِ حَالِ سُكْرٍ      بِمَا يَهْذِي وَيَلْغُو بَارْتِجَالِ

قوله: «تَحْكُمُ» بالتاء المثناة أوله: فعل مضارع مجزوم بـ«لا» الناهية،  
والمخاطبُ هو: مَنْ يُطَلَّبُ منه الفتوى في هذه المسألة: أي: لا تحكم أيُّها  
المفتي بكفر السكران، هذا هو الصواب في ضبط هذا الفعل.

وقوله: «سُكْرٍ»: جاء في معاجم اللغة: «السَّكْرُ»: ضدُّ الصَّخْرِ،  
و«هَذَا يَهْذِي»: إذا هَذَرَ بكلام لا يُفْهَمُ كالمعتوه، و«الْهَذْيَانِ»: سَقَطَ الكلامِ  
الذي لا يُعْبَأُ به، ومِثْلُهُ: «الْهَذْرُ» يقال: أَهْذَرَ الرجلُ: إذا هَذَى في كلامه،  
و«لغا يَلْغُو»: إذا تكلَّم بالمُطَرَّحِ من القولِ أو: قال باطلاً، و«ارتجال»:   
يقال: ارتَجَلَ الخُطْبَةَ وَالشَّعْرَ: ابتدأها من غير تهيئةٍ قبل ذلك.

وقول النَّازِمِ: «بِمَا يَهْذِي وَيَلْغُو بَارْتِجَالِ»، هو: بيانٌ لحدِّ «السَّكَرَانِ»،  
بناءً على قولِ أبي يوسفٍ ومحمدٍ، قال ابنُ نُجَيْمٍ في «الأَشْبَاهِ»: واخْتَلَفَ في  
حدِّ «السَّكَرَانِ» فقيل: مَنْ لَا يَعْرِفُ الْأَرْضَ مِنَ السَّمَاءِ، وَالرَّجُلَ مِنَ الْمَرْأَةِ،  
وبه قال الإمامُ الأعظمُ رحمه الله، وقيل: مَنْ فِي كَلَامِهِ اخْتِلَاطٌ وَهَذْيَانٌ،  
وهو قولُهما، وبه أَخَذَ كثيرٌ من المشايخ اهـ، ويقول الإمامُ أَخَذَ قاضيخان في  
«فتاويه» فقال: كُفِّرَ السَّكَرَانُ: إِنْ كَانَ يَعْرِفُ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ، وَالْأَرْضَ مِنَ  
السَّمَاءِ، فَكَفَرَهُ يَكُونُ كُفْرًا فِي الْأَحْكَامِ، وَإِنْ كَانَ لَا يَعْرِفُ الْأَرْضَ مِنَ



السَّمَاءِ وَالْخَيْرِ مِنَ الشَّرِّ، فَلَا يَكُونُ كُفْرًا عِنْدَ عِلْمَانِنَا، اهـ، وَالْفَرْقُ مَا بَيْنَ قَوْلِي الْإِمَامِ وَصَاحِبِيهِ: أَنَّ «السَّكَرَانَ» عِنْدَ الْإِمَامِ، أَسْوَأُ حَالًا مِنْهُ عِنْدَهُمَا.

وَفِي «فَتْحِ الْقَدِيرِ»: وَالسَّكَرَانُ الَّذِي لَا يَغْلِقُ كَالْمَجْنُونِ، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ وَأَحْمَدَ فِي رِوَايَةٍ، وَالشَّافِعِيُّ فِي قَوْلٍ، وَقَالَ فِي قَوْلٍ آخَرَ: يَصْحُ ارْتِدَاؤُهُ كَطَلَاقِهِ، قُلْنَا: الرَّدَّةُ تُبْنَى عَلَى تَبَدُّلِ الْإِعْتِقَادِ، وَنَعْلَمُ أَنَّ السَّكَرَانَ غَيْرُ مُعْتَقَدٍ لِمَا قَالَ، وَوُقُوعُ طَلَاقِهِ لِأَنَّهُ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى الْقَضْدِ، وَلِذَا لَزِمَ طَلَاقُ النَّاسِي اهـ، فَالسَّكَرَانُ بِمُحَرِّمٍ كَالصَّاحِي عِنْدَ الْحَنْفِيَّةِ، إِلَّا فِي ثَلَاثٍ هِيَ: «الرَّدَّةُ»، وَ«الْإِقْرَارُ بِالْحُدُودِ الْخَالِصَةِ»، وَ«الْإِشْهَادُ عَلَى شَهَادَةِ نَفْسِهِ»، وَزَادَ «ابْنُ نُجَيْمٍ» مَسَائِلَ أُخْرَى بَسَطَهَا فِي كِتَابِهِ: «الْأَشْبَاهُ وَالنِّظَائِرُ»، أَمَّا عِنْدَ الْحَنَابِلَةِ: فَالْمُعْتَمَدُ فِي الْمَذْهَبِ: أَنَّ رَدَّةَ السَّكَرَانِ تَصَحُّ، وَهُوَ أَظْهَرُ الرِّوَايَتَيْنِ عَنْ أَحْمَدَ، وَمَنْ مَاتَ فِي سُكْرِ رَدَّتِهِ مَاتَ كَافِرًا، وَإِنْ أَسْلَمَ فِي سُكْرِهِ صَحَّ إِسْلَامُهُ، وَهُوَ أَيْضًا مَذْهَبُ الشَّافِعِيَّةِ، قَالَ النَّوَوِيُّ فِي «الْمَنْهَاجِ»: الْمَذْهَبُ: صِحَّةُ رَدَّةِ السَّكَرَانِ وَإِسْلَامِهِ، اهـ.









## البَابُ الثَّامِنُ

في: أصحابِ رسول الله ﷺ رضي الله عنهم

- وفيه: خمسُ مسائل:
- المسألة الأولى: تعريفُ: «الصَّحَابِيَّ»
- المسألة الثانية: فَضْلُ الصَّحَابَةِ
- المسألة الثالثة: تفاضُلُ الخلفاء الراشدين:
- ١ - فَضْلُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ؓ
- ٢ - فَضْلُ الْفَارُوقِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ؓ
- ٣ - فَضْلُ ذِي النُّورِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ ؓ
- ٤ - فَضْلُ الْكَرَّارِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ؓ
- المسألة الرابعة: تفاضُلُ الزُّهْرَاءِ والصِّدِّيقَةِ ؓ
- المسألة الخامسة: الكلامُ في «يَزِيدَ بْنِ معاويةَ»







## الباب الثامن:

### في: اصحاب رسول الله ﷺ رضي الله عنهم

وفيه: خمس مسائل:

#### المسألة الأولى: تعريف الصحابي.

جاء في «لسان العرب»: «الأصحاب»: يُطلق على جماعة «الصحب»، و«الصحب»: جمع «صاحب»، و«الصحابة»: مصدر: صحبه يصحبه «صحبة» بالضم و«صحابة» بالفتح اهـ، و«الصحابي» منسوب إلى «الصحابة»، لأن رسول الله ﷺ صاحبهم وهم صحبوه، فهم: صحابته وصحبه وأصحابه ﷺ أجمعين.

أمّا «الصحابي» في الاصطلاح: فأحسن ما قيل في تعريفه: ما قاله ابن حجر في «الإصابة في تمييز الصحابة» قال: وأصح ما وقفت عليه في تعريف «الصحابي» أنه: «من لقي النبي ﷺ مؤمناً به، ومات على الإسلام، طالت لُفياه له أو: قصرت، روى عنه أو: لم يرو، غزا معه أو: لم يغز»، وقال أيضاً: وهذا التعريف مبني على الأصح والمختار عند المحققين، كالبخاري وشيخه أحمد بن حنبل ومن تبعهما، ووراء ذلك أقوال أخرى شاذة اهـ.

#### المسألة الثانية: فضل الصحابة ﷺ.

الكلام في هذه المسألة من وجهين:

أولهما: فضل الصحابة ﷺ على سائر قرون الأمة بعدهم إلى يوم القيامة، وقد أجمعت الأمة على أن الصحابة أفضل قرون الأمة على



الإطلاق، لحوزهم شَرَفَ صحبة خير الخلق سيِّدنا محمد ﷺ، وهو شَرَفٌ لم ينلُه ولن ينالُه سواهم، وشَرَفٌ أخذ عقائد الإسلام وأحكامه عنه ﷺ من دون واسطة، والنُّصوصُ من الكتاب والسنة في ذلك كثيرة، قال ابن حجر في «الإصابة»: وشأنُ الصُّحبة لا يَغْدِلُهُ شيءٌ، كما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخُدريّ رضي الله عنه قوله ﷺ «والذي نفسي بيده، لو أنفقَ أحدكم مثلَ أُحُدٍ ذَهَباً، ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفُهُ»، وتواترَ عنه ﷺ قوله: «خَيْرُ القرونِ قرني، ثم الذين يلونهم» اهـ. قال ابن عبد البر في «الاستيعاب»: وقد رَوَى هذا الحديث عن النبي ﷺ: عمر بن الخطاب، وعمرانُ بن حصين، والنُّعمان بن بشير، وبريدةُ الأسلمي، وجَعْدَةُ بن هُبيرة، وأبو هريرة، اهـ. وهم أَوَّلُ مَنْ خاطبهم الله تعالى بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ولو لم يكونوا كذلك، لانتفى الصَّدُق عن خبره تعالى، وذلك مستحيل شرعاً وعقلاً.

### والوجه الثاني: تفاضُّلُ الصُّحابة رضي الله عنهم فيما بينهم.

ومسألة التفضيل بين الصحابة، فيما لم يَرُدْ فيه نصٌّ صريحٌ كما سنبين، ليست من الأصول التي يُضَلَّلُ المخالفُ فيها عند جمهور أهل السُّنة والجماعة، ولكن يُخَطَّأُ مَنْ خالف ما عليه الجمهور، لأنَّ أَضلَّ التفاضل ثابت.

والمراد من «الأفضلية» كما قال اللَّقَائِي في شرح «جوهرة»: «أكثريةُ الثَّواب»، أي: أيُّ الصُّحابة أكثرُ ثواباً، لما أنهم آووا ونَصَرُوا، وجاهدوا وصَبَرُوا، وتَصَدَّقُوا بأموالهم على فاقةٍ، وباعوا النفوس لله سبحانه رغبةً في محبته اهـ، وقال اللَّقَائِي: قال السَّعْدُ التفتازاني في القول بتفاضل الصحابة رضي الله عنهم: على هذا وَجَدْنَا السَّلَفَ والخَلَفَ، والظاهر: أَنَّهُ لو لم يكن لهم دليلٌ على ذلك لما حَكَمُوا به، اهـ.



فمن الثابت بالنص القرآني، تفضيل الذين آمنوا وأنفقوا وقاتلوا قبل فتح مكة، على من فعل ذلك بعد الفتح، لقوله جلّ وعزّ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَغْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْمُسْتَقِينَ﴾ [الحديد: ١٠]، وهم الذين قال تعالى فيهم: ﴿وَالسَّيْفُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

أمّا تفاضل أولئك السابقين وهؤلاء اللاحقين من الصحابة فيما بينهم، فلاهل العلم فيه أقوالٌ مُلَخَّصٌ أشهرها:

أنَّ أفضل الأئمة بعد رسول الله ﷺ هم: الخلفاء الراشدون الأربعة، كما سنبين في المسألة التالية، ثم باقي العشرة المبشرين بالجنة بعد الخلفاء الأربعة وهم: «طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة عامر بن الجراح»، ثم أهل «بدر الكبرى»، وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، ثم أهل «أحُد»، ثم أهل «بيعة الرضوان» عام الحديبية وكانوا ألفاً وأربعمائة، أو: وخمسمائة.

### المسألة الثالثة: «تفاضل الخلفاء الراشدين».

ذكرنا في المسألة السابقة: أنَّ الخلفاء الراشدين الأربعة: «أبا بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب»، هم أفضل الأئمة بعد سيدنا محمد ﷺ، أمّا تفاضلهم فيما بينهم، فهو على ترتيبهم في الخلافة، فأفضلهم: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، وهذا قول الجمهور، وبه قال أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي، وتقديم عثمان على علي هو الأصح، وكان مالك يقول بتفضيل علي ولكنه



رَجَعَ عَنْهُ إِلَى قَوْلِ الْجُمْهُورِ، وَقَالَ بِتَفْضِيلِ عَثْمَانَ عَلَى عَلِيٍّ ﷺ أَجْمَعِينَ.

وَذَكَرَ النَّازِمُ الْخُلَفَاءَ الرَّاشِدِينَ الْأَرْبَعَةَ بِصِفَاتِهِمْ دُونَ أَسْمَائِهِمْ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَا لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِنْ مَزِيَّةٍ:

فَأَوَّلُهُمْ: «خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ»، وَفِيهِ قَالَ النَّازِمُ:

٤١ - وَلِلصِّدِّيقِ رُجْحَانٌ وَفَضْلٌ عَلَى الْأَصْحَابِ مِنْ غَيْرِ اخْتِمَالٍ

وَمَعْنَاهُ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ ﷺ، هُوَ أَفْضَلُ الْأَصْحَابِ كَافَّةً، قَوْلًا وَاحِدًا لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، لَا وَجْهَ لِأَيِّ اخْتِمَالٍ بِتَفْضِيلِ سِوَاهُ عَلَيْهِ.

فَهُوَ: «أَبُو بَكْرٍ»، وَلَمْ أَجِدْ فِيمَا رَجَعْتُ إِلَيْهِ مِنَ الْمَرَاجِعِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ، مَنْ ذَكَرَ سَبَبَ تَكْنِيئِهِ أَوْ: تَسْمِيَّتِهِ بِهِ، مَعَ شَهْرَتِهِ.

وَأَسْمَاهُ: «عَبْدُ اللَّهِ»، قَالَ النَّوَوِيُّ فِي «التَّهْذِيبِ» وَهُوَ الصَّحِيحُ الْمَشْهُورُ، وَقِيلَ: اسْمُهُ «عَتِيقٌ»، وَالصَّوَابُ: أَنَّهُ لَقَبُهُ لِعِتْقِهِ مِنَ النَّارِ، وَقِيلَ: لِعَتَاقَةِ وَجْهِهِ، قَالَهُ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ وَجَمَاعَةٌ، وَأَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى تَسْمِيَّتِهِ بِالصِّدِّيقِ، لِأَنَّهُ بَادَرَ إِلَى تَصْدِيقِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا زَمَ الصِّدْقَ، فَلَمْ تَقَعْ مِنْهُ وَقْفَةٌ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، مِنْهَا: قَصَّتُهُ يَوْمَ لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ، وَثَبَاتُهُ وَجَوَابُهُ لِلْكَفَّارِ فِي ذَلِكَ، وَهَجْرَتُهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمِلَازِمَتُهُ فِي الْغَارِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَوَاقِفِ أَه.

فَهُوَ: خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ: عَثْمَانُ بْنُ عَامِرِ النَّيْمِيِّ»، وَوُلِدَ فِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ لِعَامِ الْفِيلِ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ، صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ النَّبُوَّةِ وَبَعْدَهَا، وَشَهِدَ مَعَهُ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا، بَايَعَهُ الصَّحَابَةُ خَلِيفَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يُسَمَّ أَحَدٌ مِنَ الْخُلَفَاءِ بِهَذَا مِنْ بَعْدِهِ،



فَشَدَّ اللَّهُ بِهِ أَرْزَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَسَرَ شَوْكَةَ الْمُرْتَدِّينَ، وَتَارَكِي الصَّلَاةِ، وَمَانَعِي الزَّكَاةِ، إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ عَشْرَةَ لِلْهِجْرَةِ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ وَسْتِينَ سَنَةً، وَدُفِنَ بِجَوَارِ سَيِّدِ الْخَلْقِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

ثُمَّ بَيَّنَ النَّازِمُ فَضْلَ «أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ: الْفَارُوقِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ»، فَقَالَ:

٤٢ - وَلِلْفَارُوقِ رُجْحَانٌ وَقُضْلٌ عَلَى عِثْمَانَ ذِي النُّورَيْنِ عَالِي

وَمَعْنَاهُ: أَنَّ الْفَارُوقَ «عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ»، أَفْضَلَ مِنْ ذِي النُّورَيْنِ «عِثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ ﷺ» فَضْلاً عَالِياً، وَذَلِكَ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنْ دُونِ مُخَالَفٍ، وَلِهَذَا جَاءَتْ عِبَارَةُ النَّازِمِ جَازِمَةً بِذَلِكَ.

فَهُوَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ بْنِ ثَقِيلٍ الْقُرَشِيُّ الْعَدَوِيُّ» أَبُو حَفْصٍ، لَقَّبَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْفَارُوقِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعَزَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا عَبَدْنَا اللَّهَ جَهْرَةً حَتَّى أَسْلَمَ عَمْرٌ، وَوُلِدَ بَعْدَ الْفِيلِ بِثَلَاثِ عَشْرَةِ سَنَةً، أَسْلَمَ بَعْدَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا وَاحِدِي عَشْرَةَ امْرَأَةً، وَكَانَ إِسْلَامُهُ فَتْحًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَفَرَجًا لَهُمْ مِنَ الضَّيْقِ، وَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا، بَوِيَغَ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ وَفَاةِ الصُّدِّيقِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ ثَلَاثِ عَشْرَةَ، وَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ الْفُتُوحَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَسَمَّى بِـ «أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ»، وَمَنْ أَرَّخَ التَّارِيخَ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، قَتَلَهُ الْخَبِيثُ أَبُو لُؤْلُؤَةَ الْمَجُوسِيُّ سَنَةَ ثَلَاثِ وَعِشْرِينَ، طَعَنًا بِخَنْجَرِهِ، وَهُوَ يُسَوِّي الصَّفُوفَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ بِالْمَدِينَةِ، وَدُفِنَ إِلَى جَوَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبِهِ الصُّدِّيقِ فِي بَيْتِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ثُمَّ بَيَّنَ النَّازِمُ فَضْلَ «أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ: ذِي النُّورَيْنِ ﷺ» فَقَالَ:

٤٣ - وَذُو النُّورَيْنِ حَقًّا كَانَ خَيْرًا مِنْ الْكَرَّارِ فِي صَفِّ الْقِتَالِ



ومعنى البيت: أَنَّ «عثمان بن عفَّان» رضي الله عنه، كان أفضلَ على القول الرَّاجح، من «علي بن أبي طالب» رضي الله عنه، المشهور بشجاعته وكرهه في صفِّ القتال.

ومن فضائله: أَنَّهُ هاجر الهجرتين: إلى الحبشة، وإلى المدينة، وجَهَّز جيشَ العُسرة، ولم يتزوَّج بنتي نبيِّ غيره، وهو أوَّلُ مَنْ جَمَعَ القرآنَ، وأَمَرَ بنسخه كلَّه بخط واحدٍ، نُسَخاً سَيَّرَهَا إلى عدد من الأنحاء كمصر والشَّام ومكَّة.

فهو: أمير المؤمنين «عثمان بن عفَّان القرشي الأموي»، ولد بعد الفيل بستِّ سنين، زَوَّجَهُ رسولُ الله ﷺ ابنته «رُقِيَّة»، وتوفيت عنده في أيامِ بَدْرِ، وتخلَّفَ عنها بسبب مرضها رضي الله عنها، فزَوَّجَهُ النَّبِيُّ ﷺ أختها «أمَّ كُلثوم»، فلذلك لُقِّبَ بـ «ذي النُّورين».

بويع خليفةً على المسلمين بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حتى قتله البغاة في داره وهو يقرأ كتابَ الله تعالى، سنةَ خمس وثلاثين للهجرة، ودُفِنَ بالبقيع، فانفتح بمقتله بابُ الفتنة، فكان ما كان بعد ذلك، وما هو كائن مِنْ فُرْقَةٍ في الأمَّة، والله المستعان.

ثم بيَّن الناظم فضل أمير المؤمنين: علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال:

٤٤ - وَلِلْكَرَّارِ فَضْلٌ بَعْدَ هَذَا عَلَى الْأَغْيَارِ طَرًّا لَا تَبَالٍ

والمعنى: أَنَّ لعلِّي بن أبي طالب، الشُّجاعِ الكَرَّارِ في القتال، فضلاً بعد هؤلاء الثلاثة الخلفاء، على غيرهم من الصحابة جميعاً، فخذ هذا القول الذي هو لأهل السُّنَّة والجماعة، ولا تبالِ بما سواه من الأقوال.

والكَرَّار هو: أمير المؤمنين «علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي» أبو الحسن، كان أوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الصُّبَّيَّان، وُلِدَ قبل البعثة بعشر سنين على الصَّحيح، وتربَّى في حِجْرِ النَّبِيِّ ﷺ ولم يفارقه،



زَوْجَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ابْنَتَهُ السَّيِّدَةَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءَ ﷺ، فولدت له سَيِّدِي شباب أهل الجنة: الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ ﷺ، وشهد معه المشاهد إلا غزوة «تبوك»، لَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُ بِالْبَقَاءِ فِي الْمَدِينَةِ، وَقَدْ اشْتَهَرَ بِالْفُرُوسِيَّةِ وَالشَّجَاعَةِ مِنْذُ شَبَابِهِ، تَوَلَّى الْخِلَافَةَ بَعْدَ مَقْتَلِ عِثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَقِيَ مِنْ آثَارِ مَقْتَلِهِ كَثِيرًا مِنَ الْفِتَنِ وَالْحُرُوبِ، حَتَّى تَمَكَّنَ مِنْهُ الشَّقِيُّ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مَلْجَمٍ، فَقَتَلَهُ وَهُوَ يَدْخُلُ مَسْجِدَهُ بِالْكُوفَةِ سَنَةَ أَرْبَعِينَ لِلْهِجْرَةِ.

المسألة الرابعة: «تفاضل الزَّهْرَاءِ وَالصَّدِيقَةِ ﷺ».

وإليها أشار الناظم بقوله:

٤٥ - وَلِلصَّدِيقَةِ الرَّجْحَانُ فَاعْلَمْ عَلَى الزَّهْرَاءِ فِي بَعْضِ الْخِلَالِ

«الصَّدِيقَةُ» هِيَ: أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةُ «عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَزَوْجُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

«وَالزَّهْرَاءُ» هِيَ: السَّيِّدَةُ «فَاطِمَةُ بِنْتُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقوله: «الْخِلَالُ»: جَمْعُ «الْحَلَّةِ» بفتح الخاء المعجمة وهي: الْحَصْلَةُ الجميلة، أَمَّا «الْحَصْلَةُ» بفتح الخاء أيضاً: فجمعها: «خِصَالُ»، وَتُطْلَقُ عَلَى الرَّذِيلَةِ وَالْفَضِيلَةِ تَكُونُ فِي الْإِنْسَانِ، وَقَدْ غَلَبَتْ عَلَى الْفَضِيلَةِ.

ومعنى البيت: أَنَّ لِلْسَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، رُجْحَانًا فِي بَعْضِ الْخِلَالِ عَلَى السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، مِنْ جِهَةٍ: عِلْمُهَا وَفَقْهُهَا، وَكَثْرَةُ الرِّوَايَةِ عَنْهَا، وَكُونُهَا فِي الْآخِرَةِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، لِأَنَّهَا زَوْجَتُهُ فِي الدُّنْيَا، وَنَزُولُ بَرَاءَتِهَا فِي «سُورَةِ النُّورِ».

وَأَمَّا رُجْحَانُ الزَّهْرَاءِ: فَمِنْ جِهَةٍ كُونِهَا بَضْعَةً رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَفَى بِهَا



شَرَفًا، ولهذا ذهب بعضُ العلماءِ إلى التوقُّفِ، وبعضهم فضَّلَ عائشة، وبعضهم فضَّلَ فاطمة عليها السلام، ولكنَّهما تشتركان في الصُّحْبَةِ، فكلُّ منهما «صحابيَّة» من أصحاب رسول الله ﷺ.

وفي تخصيص الناظم الصَّدِيقَةَ والزَّهْرَاءَ بالذكر: إشارة إلى أنَّ أزواج رسول الله ﷺ هنَّ جميعاً من «أهل البيت» كقرباته عليهم السلام، ففي صحيح مسلم من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه وقد سئل: مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ؟ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: «نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ: مَنْ حُرِّمَ الصَّدَقَةُ بَعْدَهُ»، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمْ: آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ»، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ قَرَابَتَهُ ﷺ هُمْ وَحْدَهُم الَّذِينَ حُرِّمُوا الصَّدَقَةُ وَلَا يَأْكُلُونَهَا، أَمَّا نِسَاؤُهُ فَهِنَّ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ لَمْ تَحْرُمْ عَلَيْهِنَّ الصَّدَقَةُ.

وَكُونُ نِسَائِهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، قَدْ جَاءَ صَرِيحاً فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وِغَايَةُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ بَيَانِ فَضَائِلِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَالصَّحَابَةِ عليهم السلام جَمِيعاً: حَثُّ النَّاسِ عَلَى مَحَبَّتِهِمْ وَتَكْرِيمِهِمْ، لِأَنَّهُمْ جَمِيعاً ذَوُو فَضْلٍ وَشَرَفٍ، وَوَاجِبٌ عَلَى الْأُمَّةِ مَحَبَّتَهُمْ، وَالدَّعَاءُ لَهُمْ، وَالتَّرَضِّي عَنْهُمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَشْكُرُ عَلَيْهٖ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣].

وَأَزْوَاجُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هُنَّ جَمِيعاً أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، فَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ هِيَ: «أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ»، فَعَائِشَةُ رضي الله عنها هِيَ: أُمُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ، وَمَنْ لَا يَعْتَبَرُهَا أُمَّةً فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ، لِأَنَّهُ يُكَذِّبُ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ.



المسألة الخامسة: «الكلام في يزيد بن معاوية».

وإليها أشار الناظم بقوله:

٤٦ - وَلَمْ يَلْعَنَ يَزِيداً بَعْدَ مَوْتِ سِوَى الْمِكْثَارِ فِي الْإِغْرَاءِ غَالِي

قوله: «يزيداً» بالتنوين مصروفاً لضرورة النظم، والأصل فيه المنع من الصِّرف للعلمية ووزن الفعل.

وقوله: «المكثار» بكسر الميم: المبالغ في الإكثار من الشيء، و«الإغراء»: مصدر، يقال: أغرى بينهم العداوة: ألقاها، ومنه قوله تعالى في كفره بني إسرائيل: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [المائدة: ١٤]، وقوله: «غالي»: أي: مبالغ في الإغراء أقصى الغاية.

ومعنى البيت: أنَّ الذين يلعنون «يزيد بن معاوية الأموي» مغالون متجاوزن الحد.

وقد اختلف العلماء في جواز لعن «يزيد»: فبالغ بعضهم في لعنه ومنهم: السَّعد التفتازاني في شرح «العقائد السَّفيّة»، وأجازهُ بعضهم على أنَّ تَرْكُهُ أَفْضَلُ، ومنهم: صاحب «البرازية» من الحنفية قال: اللَّعْنُ عَلَى يَزِيدٍ يَجُوزُ، وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ لَا يُفْعَلَ، وكذا على الحجاج اهـ.، وبالع بعضهم في الشَّاءِ عَلَى يَزِيدٍ وَشَتَّ عَلَى مَنْ طَعَنَ فِيهِ، ومنهم: أبو بكر بن العربي المالكي في كتابه: «العواصم من القواصم».

قال النَّوويُّ في «شرح مسلم»: واتفق العلماء على تحريم اللَّعْنِ، فَإِنَّهُ فِي اللَّغَةِ: الطَّرْدُ وَالْإِبْعَادُ، وَفِي الشَّرْعِ: الْإِبْعَادُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُبْعَدَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، مَنْ لَا يُعْرَفُ حَالُهُ وَخَاتِمَةُ أَمْرِهِ مَعْرِفَةً طَعْنَةً، فَلِهَذَا قَالُوا: لَا يَجُوزُ لَعْنُ أَحَدٍ بَعِينِهِ، مُسْلِماً كَانَ أَوْ كَافِراً، أَوْ دَابَّةً،



إِلَّا مَنْ عَلِمْنَا بِنَصْرِ شَرْعِيٍّ أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ، أَوْ يَمُوتُ عَلَيْهِ، كَأَبِي جَهْلٍ وَابْلِيسَ، أَمَّا اللَّعْنُ بِالْوَصْفِ فَلَيْسَ بِحَرَامٍ، كَلَعْنِ الْوَاصِلَةِ وَالْمُسْتَوْصِلَةِ، وَالظَّالِمِينَ، وَالْفَاسِقِينَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ، مِمَّا جَاءَتْ بِهِ النُّصُوصُ الشَّرْعِيَّةُ، بِإِطْلَاقِهِ عَلَى الْأَوْصَافِ لَا عَلَى الْأَعْيَانِ، اهـ.

وسبب اختلافهم في لعن «يزيد» هو: مَقْتَلُ «الحسين بن علي» وأهل بيته وأصحابه عليه السلام، في كَرْبَلَاءَ، في العاشر من المحرم، سنة إحدى وستين للهجرة، على يد جيش عبيد بن زياد أمير الكوفة والي يزيد، فقد رأى بعضهم: أَنَّهُ أَمَرَ بِقَتْلِهِمْ، وبعضهم: أَنَّهُ لَمْ يَأْمُرْ، وَلَمْ يَرْضَ بَعْدَ أَنْ عَلِمَ بِقَتْلِهِمْ، والصحيح: أَنَّهُ لَمْ يَأْمُرْ بِقَتْلِهِمْ، وَلَكِنَّهُ سَكَتَ بَعْدَ أَنْ عَلِمَ، وَلَمْ يِعَاقِبْ قَتْلَهُمْ كَمَا هُوَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ، فَهُوَ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ مَلُومٌ وَمُقَصَّرٌ وَإِثْمٌ، وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ تَوَلَّى أَمْرَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ وَكَفَى.

ولكن الله جلَّ وعزَّ، قَيَّضَ لِقَتْلَةِ الْحُسَيْنِ وَمَنْ مَعَهُ عليه السلام: «المختار بن أبي عبيد الثقفي». الكذاب، فقتلهم واحداً واحداً: فَقَتَلَ أَمِيرَ السَّرِيَّةِ الَّتِي قَتَلَتِ الْحُسَيْنَ: شِمْرَ بْنَ ذِي الْجَوْشَنِ، وَقَتَلَ: خَوْلِيَّ بْنَ يَزِيدِ الْأَصْبَحِيَّ، الَّذِي اخْتَرَّ رَأْسَ الْحُسَيْنِ، وَعُمَرَ بْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ أَمِيرَ الْجَيْشِ، أَمَّا أَمِيرُ الْكُوفَةِ: «عبيد بن زياد»، فَقَدْ قَتَلَهُ: إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْثَرِ النَّخَعِيُّ عَامَ سِتَّةٍ وَسِتِينَ، وَفِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَاحْتَرَّ رَأْسُهُ وَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيِ الْمُخْتَارِ الثَّقَفِيِّ، كَمَا وَضِعَ رَأْسُ الْحُسَيْنِ بَيْنَ يَدَيِ ابْنِ زِيَادٍ، وَالْحَكَمَ اللَّهُ وَحْدَهُ.





## الباب التاسع:

### في: عالم الآخرة

- وفيه: خمسة مباحث

﴿المبحث الأول: «القَبْرُ وما فيه»﴾ وفيه: ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: «تعريف القَبْرِ»

المسألة الثانية: «سؤال الملكين في القَبْرِ»

المسألة الثالثة: «عذاب القبر ونعيمه»

﴿المبحث الثاني: «يومُ القيامة»﴾ وفيه: ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: «أشراط الساعة»

المسألة الثانية: «النَّفْخُ في الصُّور»

المسألة الثالثة: «حقيقة البَغْثِ من القبور»

﴿المبحث الثالث: «ما بعد البَغْثِ»﴾ وفيه: ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: «الحَشْرُ إلى الموقف الأعظم»

المسألة الثانية: «الشَّفاعة العظمى»

المسألة الثالثة: «الحَوْضُ والكَوْثَرُ»

﴿المبحث الرابع: «العَرْضُ والحساب»﴾، وفيه: خمس مسائل:

المسألة الأولى: «إعطاءُ كُتُبِ الأعمال للعباد»

المسألة الثانية: «الحساب»

المسألة الثالثة: «الوَزْنُ والميزان»

المسألة الرابعة: «الصُّراط»

المسألة الخامسة: «الشَّفاعات»

﴿المبحث الخامس: «الجزاء»﴾ وفيه: ست مسائل:

المسألة الأولى: «وجود الجنة والنَّار الآن»

المسألة الثانية: «أصحاب الجنة وأصحاب النَّار»

المسألة الثالثة: «رؤيةُ الله تعالى في الجنة»

المسألة الرابعة: «دخولُ الجنة يكون بفضلِ الله تعالى»

المسألة الخامسة: «بقاءُ الجنة والنَّار وأهلها»

المسألة السادسة: «المؤمن العاصي لا يُخلَّد في النَّار»







## البَابُ التَّاسِعُ:

## فِي: عَالَمِ الْآخِرَةِ

وفيه: خمسة مباحث:

## المبحث الأول: «القبر»

وفيه: ثلاث مسائل

## المسألة الأولى: «تعريف القبر».

«الْقَبْرُ» لُغَةً: مَدْفَنُ الْإِنْسَانِ، جَمْعُهُ: «قُبُورٌ»، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتُمْ يُحْيِ الْمَوْتَى وَأَنْتُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٦ - ٧].

و«الْقَبْرُ» مَثْوَى الْمَيِّتِ وَمَأْوَاهُ الْآخِرُ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَمَّا لَهُمْ فَاقْتَرِفُوا﴾ (٢) [عَبَسَ: ٢١]، أَي: جَعَلَ لَهُ قَبْرًا، وَأَمَرَ أَنْ يُقْبَرَ وَيُوَارَى فِيهِ إِكْرَامًا لِلْإِنْسَانِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِمَّا يُلْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، تَأْكُلُهُ الطَّيْرُ وَالْعَوَافِي.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي «التَّذَكُّرَةِ»: وَحُكْمُ الْقَبْرِ: أَنْ يَكُونَ مُسَنَّمًا مَرْفُوعًا عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ قَلِيلًا، غَيْرَ مَبْنِيٍّ بِالطِّينِ وَالْحِجَارَةِ وَالْجِصِّ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْهْيٌّ عَنْهُ، رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ وَأَنْ يُقَعَّدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ»، وَخَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ أَيْضًا عَنْ جَابِرٍ قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنْ تُجَصَّصَ الْقُبُورُ، وَأَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهَا، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهَا، وَأَنْ تُوْطَأَ»، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَقَالَ عِلْمَاؤُنَا: وَكَرِهَ مَالِكٌ تَجْصِيسَ



القبور، لَأَنَّ ذَلِكَ مَبَاهَاةَ وَزِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَتِلْكَ مَنَازِلُ الْآخِرَةِ، وَلَيْسَ بِمَوْضِعِ الْمَبَاهَاةِ، وَإِنَّمَا يُزَيَّنُ الْمَيِّتُ فِي قَبْرِهِ عَمَلُهُ، اهـ.

وفي «القبر» عِبْرَةٌ وَمَوْعِظَةٌ، وَلِهَذَا حَثَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى شُهُودِ الْجَنَازَةِ حَتَّى تُدْفَنَ، رَوَى الشَّيْخَانُ وَأَصْحَابُ السُّنَنِ الْأَرْبَعَةُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يَصَلِّيَ عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانٌ»، قِيلَ: وَمَا الْقِيرَاطَانُ؟ قَالَ: «مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ»، وَفِي رَوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ: «أَصْغَرُهُمَا مِثْلُ أُحُدٍ».

وَحَثَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيْضاً عَلَى زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فِيهِ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَى وَأَبَكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ».

المسألة الثانية: «سؤال الملكين في القبر».

وإليها أشار الناظم بقوله:

٤٧ - وفي الأجداث عن توحيد ربِّي سَيُبْلَى كُلُّ شَخْصٍ بِالسُّؤَالِ

قوله: «الأجداث»: جمع «جَدَثٍ» بفتح الحاء أي: القبور، و«سَيُبْلَى» أي: سَيُخْتَبَرُ كُلُّ شَخْصٍ فِي إِيْمَانِهِ بِالسُّؤَالِ عَنْهُ فِي الْقَبْرِ.

قال في «العقيدة الطحاوية»: وَنُؤْمِنُ بِسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ الْعَبْدَ فِي قَبْرِهِ، عَنْ رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّهِ، اهـ.

وقال اللقاني في شرح «جوهرته»: مِمَّا يَجِبُ شَرْعاً اعْتِقَادُهُ: أَنَّ الْمَوْتَى تُسْأَلُ فِي قُبُورِهَا، بِأَنْ تُحْيَا وَتُعَادَ الرُّوحُ لِلْبَدَنِ وَفَتْ السُّؤَالِ، وَتُكَمَّلَ حَوَاسُّهَا، فَيُرَدَّ إِلَيْهَا مَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ فَهْمُ الْخَطَابِ، وَيَتَأْتَى مَعَهُ رَدُّ الْجَوَابِ، مِنْ عَقْلِهَا وَمِنْ عِلْمِهَا، وَهُوَ مَذْهَبُ الْجُمْهُورِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يُسْأَلُ الْبَدَنُ



بلا روح، وبعضهم قال: تُسألُ الرُّوحُ بلا بَدَنٍ، وأنكرهما الجمهور وعَلَّطُوا القائلين بهما، اهـ.

والدليل على سؤال الملكين قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، روى البخاري واللفظ له، ومسلم وغيرهما، عن البراء بن عازب رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ إِذَا سئلَ فِي الْقَبْرِ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»، فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

والسؤال في القبر عن العقائد فقط، يقول الملك للميت: مَنْ رَبُّكَ؟ وما دينُكَ؟ وما كُنْتَ تقول في هذا الرَّجُلِ الذي بُعثَ فيكم؟

وجاء بيان: متى يُسألُ الميتُ؟ وماذا يُسألُ؟ في حديث الصَّحَّاحِينَ من طريق قتادة، واللفظ للبخاري، عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيَقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ لِمُحَمَّدٍ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فيقال له: انظر إلى مقعدك في النَّارِ، وقد أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ: فيقال له: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُهُ النَّاسُ، فيقال له: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرُ الثَّقَلَيْنِ»، ومعنى قوله ﷺ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ أي: لَمْ تَدْرِ وَلَمْ تَتْلُ الْقُرْآنَ، فلم تتفع بذلك، وأصل: «تَلَيْتَ»، «تَلَوْتُ» قُلْتُ الْوَاوِ يَاءً لِلْإِزْدَوَاجِ مع: «دَرَيْتَ».

وقد أجمع أهلُ السُّنَّةِ والجماعة، ووافقهم جمهورُ المعتزلة، على وجوب الإيمان بسؤال الملكين على نحو ما تقدَّم ذكرُهُ، وأنكره الجهميَّةُ وبعضُ المعتزلة، ولا يكفُرُ منكرُهُ، بل هو فاسق مبتدع.



المسألة الثالثة: «عذاب القبر ونعيمه».

ولِهَا أَشَارَ النَّازِمُ بِقَوْلِهِ:

٤٨ - وَلِلْكَفَّارِ، وَالْفُسَّاقِ بَعْضُ: عَذَابُ الْقَبْرِ مِنْ سُوءِ الْفِعَالِ

«العذاب» في أصل اللغة: الْمَنْعُ، يقال: عَذَّبْتُهُ عَذَاباً: إِذَا مَنَعْتُهُ، وَسُمِّيَ الْمَاءُ الْحُلُو: «عَذْباً» لِأَنَّهُ يَمْنَعُ الْعَطَشَ، فَسُمِّيَ «العذاب» عَذَاباً: لِأَنَّهُ يَمْنَعُ الْمَعَاقِبَ مِنْ مَعَاوِدَةٍ مِثْلِ جُرْمِهِ، وَيَمْنَعُ غَيْرَهُ مِنْ مِثْلِ فِعْلِهِ.

و«الإضافة في قوله: «عذاب القبر» بمعنى: «اللام» عند الجمهور أي: عذابٌ للقبر، أو: بمعنى «في» عند ابن مالك أي: عذابٌ في القبر.

وقد اقتصر الناظم على ذِكْرِ عَذَابِ الْقَبْرِ دون نعيمه، لِأَنَّ النَّاسَ يَجَادِلُونَ فِي الْعَذَابِ وَاسْتِحْقَاقِهِ أَكْثَرَ مِنَ النَّعِيمِ، وَلَمَّا قَالَ السَّعْدُ التَّفْتَازَانِيُّ: أَنَّ مَا فِي عَامَّةِ الْكُتُبِ، مِنَ الْاِقْتِصَارِ عَلَى إِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ دون تنعيمه، بِنَاءً عَلَى أَنَّ النُّصُوصَ الْوَارِدَةَ فِي عَذَابِهِ أَكْثَرُ، وَعَلَى أَنَّ عَامَّةَ أَهْلِ الْقُبُورِ كَفَّارٌ وَعَصَاةٌ، فَالتَّعْذِيبُ بِالذِّكْرِ أَجْدَرُ، اهـ.

ومعنى البيت: أَنَّ الْكَفَّارَ جَمِيعاً، سَيُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، وَأَنَّ بَعْضَ الْعَصَاةِ الْفُسَّاقِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ لَمْ يَشْمَلْهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِعَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ سَيُعَذَّبُونَ أَيْضاً، بِسَبَبِ سُوءِ أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا، فَقَوْلُهُ: «بَعْضُ» هُوَ بِالْجَرِّ بَدَلاً مِنْ «الْفُسَّاقِ»، أَيْ: «وَبَعْضُ الْفُسَّاقِ»، وَهَذِهِ هِيَ النُّسخةُ الصَّحِيحةُ كَمَا وَضَعَهَا النَّازِمُ، وَهُوَ يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ عَذَابَ الْفُسَّاقِ، إِنَّمَا هُوَ لِبَعْضِهِمْ لَا لِلْكَلِّ، فَلَيْسَ كُلُّ الْعَصَاةِ سَيُعَذَّبُونَ قِطْعاً فِي قُبُورِهِمْ، وَفِي جَهَنَّمَ، بَلْ مِنْهُمْ مَنْ يَشْمَلُهُ عَفْوُ اللَّهِ تَعَالَى فَلَا يُعَذَّبُ، وَلَا يَشْمَلُ الْعَفْوُ جَمِيعَهُمْ، إِذْ لَا بُدَّ مِنْ تَعْذِيبِ بَعْضِهِمْ، لِيَتَحَقَّقَ الْوَعْدُ الَّذِي أَوْعَدَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الْعَصَاةَ، وَفِي هَذَا الْمَعْنَى قَالَ اللَّقَائِنِيُّ فِي «جَوْهَرَتِهِ»:



فَوَاجِبٌ تَعْذِيبُ بَعْضٍ ارْتَكَبَ كَبِيرَةً، ثُمَّ الْخُلُودُ مُجْتَنَبٌ

ولا داعي لافتراض نُسخِ أُخرى، فيها بَدَلٌ: «بعض» نحو: «يُقْضَى»  
أَوْ: «بُغْضًا» بالغين، لِيُبْغِذَهَا عن المعنى المراد، كما فعل بعضُ الشُّرَاحِ.

وقد أجمع أهلُ السُّنَّةِ والجماعة، على وجوب الإيمان بعذاب القبر  
ونعيمه، قال في شرح «العقيدة الطحاويَّة»: وقد تواترت الأخبارُ عن رسول  
الله ﷺ، في ثبوت عذاب القبر ونعيمه، لمن كان لذلك أهلاً، اهـ.

ومُرَادُهُ: بِلَوْغٍ جُمِلَتْهَا التَّوَاتُرُ الْمَعْنَوِيُّ، والدليلُ على ذلك أيضاً قوله  
تعالى: ﴿وَعَاقَ بِقَالٍ فِرْعَوْنَ سُوءَ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا  
وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٥ - ٤٦].

وخالف بعضُ المبتدعة وأولوا النُّصوصَ في ذلك، على حالاتٍ تَرِدُ  
على الرُّوحِ من العذابِ الرُّوحانيِّ، ولهذا لا يُكْفَرُونَ بِإِنْكَارِهِ، كما لا يُكْفَرُ  
مُنْكَرُهُ مطلقاً، قال في «البَزَازِيَّةِ»: مَنْ أَنْكَرَ عَذَابَ الْقَبْرِ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ، اهـ.

وعذاب القبر هو: عذاب البرزخ، وأُضِيفَ إلى القبر لأنه الغالب،  
ولاً فكلُّ مَيِّتٍ أَرَادَ اللهُ تَعْذِيبَهُ، نَالَهُ مَا أَرَادَ اللهُ بِهِ، فُبِرَ أَوْ: لَمْ يُقْبَرْ، أَكَلَتْهُ  
السَّيْبُ، أَوْ احْتَرَقَ حَتَّى صَارَ رَمَاداً وَذَرَّتُهُ الرِّيَّاحُ، وَيَصِلُ إِلَى رُوحِهِ وَبَدَنِهِ  
مِنَ الْعَذَابِ مَا يَصِلُ إِلَى الْمَقْبُورِ، وَالْأَمْرُ فِي النَّعِيمِ كَذَلِكَ بِلَا فَرْقٍ، وَمَحَلُّ  
الْعَذَابِ وَالنَّعِيمِ: الرُّوحُ وَالْبَدَنُ جَمِيعاً، وَعَلَيْهِ جَمْهُورُ أَهْلِ السُّنَّةِ  
وَالْجَمَاعَةِ، وَلَا يَمْتَنِعُ عِنْدَ الْعَقْلِ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَعِيدُ الْحَيَاةَ فِي الْجَسَدِ،  
وَيُعَذِّبُهُ أَوْ يُنْعِمُهُ، وَكُلُّ مَا لَمْ يَمْنَعَهُ الْعَقْلُ وَوَرَدَ بِوُقُوعِهِ الشَّرْعُ، وَجَبَ قَبُولُهُ  
واعتقاده.



## المبحث الثاني: «يومُ القيامةِ»

وفيه: ثلاثُ مسائل

المسألة الأولى: «أَشْرَاطُ السَّاعَةِ».

والِهَا أَشَارَ النَّازِمُ بِقَوْلِهِ:

٤٩ - وَعَيْسَى سَوْفَ يَأْتِي ثُمَّ يَثْوِي لِـدَجَّالٍ شَقِيٍّ ذِي خَبَالٍ

قوله: «يَثْوِي» بالتاء المثناة الفوقية ساكنة، قال في «القاموس المحيط»: جاءَ تَوًّا: إذا جاءَ قاصداً لم يُعَرِّجْهُ شيءٌ، فإن أقام ببعض الطريق فليس بتَوًّا، وقوله: «ذِي خَبَالٍ» أي: فسادٍ، قال في «القاموس المحيط»: الخابلُ: المُفْسِدُ، و«خَبَالٍ»: كَسَحَابٍ: الهلاكُ والفناء.

ومعنى البيت: أن عيسى ﷺ سيقصد قوَرَ نزوله من دون تَوَقُّفٍ، لقتل الدَّجَالِ المُفْسِدِ في الأرضِ.

وظهور المسيح الدَّجَالِ، ونزولُ المسيح عيسى ابن مريم ﷺ، هما من أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الكبرى، قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨]، وقد جاءَ في تعدادها رواياتٌ، أجمَعُها: ما رواه أحمد واللفظُ له، ومسلم، وأهل السُّنَنِ الأربعة، عن حُذيفة بن أَسِيدٍ قال: أَطْلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ السَّاعَةَ فَقَالَ: «مَا تَذْكُرُونَ؟» قالوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، فقال: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْا عَشْرَ آيَاتٍ: الدُّخَانُ، والدَّجَالُ، والدَّابَّةُ، وطلوعُ الشَّمْسِ من مَغْرِبِهَا، ونُزُولُ عيسى ابن مريم، وبأَجُوجَ ومَأْجُوجَ، وثلاثةُ خُسوفٍ: خُسْفٌ بِالمَشْرِقِ، وخُسْفٌ بِالمَغْرِبِ، وخُسْفٌ بِجَزِيرَةِ العَرَبِ، وآخرُ ذلك: نارٌ تَخْرُجُ مِنْ قِبَلِ عَدَنَ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»، وقد رواه مسلم موقوفاً على ابن أَسِيدٍ ومرفوعاً.



وقد تكلمنا في: «طلوع الشمس من مغربها»، في حكم «إيمان اليائس وتوبته» من «الباب السادس».

أَمَّا «يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ»، فقد ذكرهم الله تعالى بقوله: ﴿حَقَّ إِذَا فَتَحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٦)، وهم بشرٌ كسائر الناس.

وجاء ذكرُ «الدَّابَّةِ» في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (النمل: ٨٢).

وقد استوفينا الكلام في أشراط الساعة وأحوال يوم القيامة في كتابنا: «أشراط الساعة وأمور الآخرة».

وقد ذكر الناظم من أشراط الساعة اثنين هما: نزول عيسى عليه السلام وخروج الدَّجَالِ.

ولأنَّ الدَّجَالَ، سيخرج قبل نزول المسيح عليه السلام فَلَنَبْدَأُ بِخَبَرِهِ:

### خروج الدَّجَالِ:

جاء خبرُ الدَّجَالِ في كثيرٍ من الروايات، عن عددٍ من الصحابة رضي الله عنهم، فرواه: أحمد والشيخان والترمذي وغيرهم، وملخص ما ورد فيها: أَنَّ الله جَلَّ وَعَزَّ، يمتحن عباده بالدَّجَالِ، بما يخلقه معه من الخوارق المشاهدة في زمانه، كأمره السماء فتُمْطِرُ، والأرض تَنْبُت زرعاً تأكلُ منه أنعامُ أتباعه وأنفسهم، ومن لا يستجيب له تصيبهم السَّنة والقحط والقلة، وموتُ الأنعام، ونحو ذلك مما يَمْتَحِنُ الله به عباده في آخر الزَّمان، فيكفر المرتابون، ويزدادُ المؤمنون إيماناً، ويخرج الدَّجَالُ في موضع بين الشام والعراق، ويمكث في الأرض أربعين يوماً: يوماً كسَنة، ويوماً كشهر، ويوماً كجمعة، وسائر أيامه



كَأَيَّامِنَا، أَي: مَا مَجْمُوعُهُ: أَرْبَعُمِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَثَلَاثُونَ يَوْمًا، فَيَنْزِلُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُذْرِكَ بِيَابَ «لُدَّ» قَرَبَ بَيْتِ الْمَقْدَسِ، فَيَقْتُلُهُ وَتَنْتَهِى فَتْنَتُهُ.

وَفِي وَصْفِ الدَّجَالِ: رَوَى أَحْمَدُ وَالشَّيْخَانُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، إِلَّا إِنَّهُ أَعْوَرٌ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ»، وَفِي رَوَايَةٍ: «يَقْرَأُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٌ وَغَيْرُ كَاتِبٍ».

وَيَتَّبِعُ الدَّجَالُ كَثِيرٌ مِنَ الْمَرْتَابِينَ، وَالْيَهُودُ كَافَّةً، فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَتَّبِعُ الدَّجَالُ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّلِيلَةُ»، وَ«الطَّلِيلَةُ»: جَمْعُ «طَلِيلَسَانٍ» وَهُوَ لِبَاسٌ أَسْوَدٌ لِلْعَجَمِ.

### نَزُولُ الْمَسِيحِ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أَشِيرَ إِلَى نَزُولِهِ مِنَ السَّمَاءِ حَيْثُ رَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى، حِينَ حَاوَلَ الْكَفَرَةَ قَتْلُهُ وَصَلْبُهُ، فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: «وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (١٥٩)» [النساء: ١٥٩]، فَقَدْ رَوَى ابْنُ جُرَيْرٍ الطَّبْرِيُّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ: «قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ»، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَارِيخِهِ: وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشَكَّنَّ أَنْ يَنْزَلَ فَيَكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخَنزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَقْبِضُ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: «وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا» [النساء: ١٥٩]، وَمَعْنَى: «وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ» أَي: يَنْتَهِى الْعَمَلُ بِقَبُولِ الْجِزْيَةِ مِنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ، وَلَا



يبقى إلّا الإسلامُ أو السيِّفُ، وقد جَاءَ في نزول المسيح عيسى ﷺ عددٌ من الأحاديث، في الصَّحَّاحين وغيرهما.

المسألة الثانية: «النَّفْخُ فِي الصُّور».

وإليها أشار الناظم بقوله:

٥٠ - يُمِيتُ الْخَلْقَ طَرّاً ثُمَّ يُخْيِي فَيَجْزِيهِمْ عَلَى وَفْقِ الْخِصَالِ

قوله: «طَرّاً» بضم الطاء المهملة، أي: جميعاً عن آخرهم، وهو النُّسْخَةُ الصَّحِيحَةُ، وفي بعض النُّسخ: «قَهْراً» وهو غير مراد هنا، لأنَّ مراد الناظم: أَنَّ الْبَعْثَ يكون بعد موت الخلق جميعاً بالنفخة الأولى كما سنبين.

وقوله: «الخصال» جمع «خَصْلَةٍ» بفتح الخاء المعجمة، قال في «لسان العرب»: «الْخَصْلَةُ»: الفضيلة والرَّذِيلَةُ في الإنسان، وقد غَلَبَ على الفضيلة، والمراد بها هنا: الأعمالُ الصالحة والسَّيِّئَةُ.

وفي الشَّطْرِ الأوَّل من هذا البيت: إشارةٌ إلى «النَّفْخِ فِي الصُّور»، وهو موضوع هذه المسألة، وأشار في الشَّطْرِ الثاني منه إلى «الجزاء»، وسيأتي في «المبحث الخامس» من هذا الباب.

و«النَّفْخُ فِي الصُّور» حَقٌّ يجب الإيمانُ به، وَيَكْفُرُ مَنْكُرُهُ، لثبوته بصريح النُّصوص من الكتاب والسنة، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبا: ١٨].

وجاء بيانُ «الصُّور»: فيما رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي وحسَّنه، عن عبد الله بن عمرو بن العاصٍ رضي الله عنه قال: قال أعرابي: يا رسول الله ما الصُّور؟ قال: «قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ».

والنافخ في «الصُّور» هو: «إسرافيل» عليه السلام بأمر الله تعالى، فقد رَوَى



أحمد والترمذي وحسنه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كيف أنتم وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنى جبهته وأضغى سمعه ينتظر متى يؤمر»، قال المسلمون: يا رسول الله فما نقول؟ قال: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا».

والنفخ في الصور نفختان على الصحيح بينهما: أربعون سنة، هما: «نفخة الصعق» و«نفخة البعث»، وزاد بعضهم ثالثة قبلهما هي: «نفخة الفرع» وليس الأمر كذلك.

أما «النفخة الأولى» وهي: «نفخة الصعق والفناء»:

فهي ثابتة بصريح النصوص، منها: قول الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، أي: يموت أهل السموات والأرض، من الملائكة والإنس والجن والحيوان.

واختلفوا في المستثنى بقوله سبحانه: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٧]، فقيل: هم حملة العرش ورؤساء الملائكة الأربعة، وقيل: الشهداء، وقيل: بفناء «الأرواح» و«عجب الذنب»، ولكن: الراجح عدم فنائهما، و«عجب» بفتح العين المهملة وسكون الجيم آخره باء موحدة، وقد تبدل ميماً فيقال: «عجم»، هو: عظم كالخردلة في العضعص آخر سلسلة الظهر، يختص بالإنسان، وقد جاء بقاءه وعدم فئائه في الصحيحين وغيرهما، ففي مسلم قوله ﷺ: «كل ابن آدم يأكله التراب، إلا عجب الذنب، منه خلق، ومنه يركب».

أما «الأرواح»: فالصحيح عدم فئائها وأنها باقية، قال اللقاني في شرح «جوهرة»، لا خلاف بين المسلمين في بقاءها منعمة: أو: معذبة، فقد بلغت النصوص المفيدة له مبلغ التواتر، اه، يعني: التواتر المعنوي، وبمثله قال القرطبي، ورجحه تقي الدين السبكي.



واستدلَّ القائلون بفناء الروح وعَجَب الذَّنْب، بعموم قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَن عَلَيْهَا فَإِنَّ﴾ [الرحمن: ٢٦]، وقوله سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القَصَص: ٨٨].

وقد أجاب القائلون بعدم فنائهما، مُوجَّهين معنى الآيتين على وجهين: فقال بعضهم: إنَّ الهلاك والفناء عامٌ دَخَلَهُ الخصوصُ، وذهب مُحَقِّقُو المتأخرين: إلى أنَّه لا تخصيص، وأنَّ معنى: «هالك»: قابلٌ للهلاك من حيث إمكانه، ومعنى «فانٍ» كذلك.

وأما «النَّفخة الثانية»، وهي: «نفخة البعث»:

فقد أشار إليها الناظم بقوله: «ثُمَّ يُحْيِي» أي: الخلائق الذين ماتوا بالنَّفخة الأولى، كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ يُفْخِ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ بِنُظُرٍ﴾ [الزمر: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُفْخِ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبا: ١٨]، وقال جلَّ وعزَّ: ﴿وَيُفْخِ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [٥١] قَالُوا يَوَيْلَنَا مِنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥١ - ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥].

وقد استبعد كثيرٌ من الكفرة غلاظ العقول البعث بعد الموت، فدَمَعَ الله باطلهم بدليلٍ عقليٍّ أنزله في كتابه، لا يرفضه إلَّا مكابرٌ معاندٌ، فقال تعالى: ﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعْطِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [٧٨] قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [٧٩] [يس: ٧٨ - ٧٩]، وقال سبحانه: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

المسألة الثالثة: «حقيقة البعث».

إنَّ ممَّا يجب الإيمانُ به ويَكْفُرُ منكرُهُ: أنَّ البعث يوم القيامة، يكون



بِالرُّوحِ وَالْجَسَدِ مَعًا، حَيْثُ تَدْخُلُ كُلُّ رُوحٍ فِي جَسَدِهَا، وَتُبْعَثُ بِهِ كَمَا كَانَ فِي خَلْقِهِ الْأَوَّلِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يُحْيِيَ اللَّهُ الْخَلْقَ مَرَّةً أُخْرَى مِنَ الْعَدَمِ، بَعْدَ إِعَادَةِ خَلْقِ أَجْزَاءِ الْأَبْدَانِ ذَاتِهَا، بَعْدَ أَنْ صَارَتْ عَدَمًا عَلَى الصَّحِيحِ، وَقِيلَ: يَجْمَعُهَا اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ تَفَرُّقِهَا، وَيَعِيدُ تَكْوِينَ الْإِنْسَانِ مِنْهَا، وَهَذَا وَجْهُ ضَعِيفٌ.

وَخَالَفَ بَعْضُ الْفَلَّاسِفَةِ فَقَالُوا: إِنَّ الْبَعْثَ بِالرُّوحِ دُونَ الْجَسَدِ، وَيَنُوبُ عَلَى مَذْهَبِهِمُ الْفَاسِدِ هَذَا، قَوْلُهُمْ: بِأَنْ لَا وُجُودَ عَلَى الْحَقِيقَةِ لِلْجَنَّةِ وَلَا لِلنَّارِ، وَأَنْكَرُوا النِّعَمَ وَالْعَذَابَ، وَاعْتَبَرُوا ذَلِكَ كُلَّهُ أُمُورًا مَعْنَوِيَّةً، تُحِسُّ بِهَا الرُّوحُ فَقَطْ، أَمَّا الْجَسَدُ فَقَدْ بَلِيَ وَلَا يَعُودُ، فَكَانَ اعْتِقَادُهُمْ هَذَا أَحَدَ أَسْبَابِ كُفْرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ.

#### «الْمَسَائِلُ الَّتِي كَفَرَ بِهَا الْفَلَّاسِفَةُ»:

قَالَ الْغَزَالِيُّ فِي «الْاِقْتِصَادِ فِي الْاِعْتِقَادِ»: هُوَلاءِ الْفَلَّاسِفَةُ، يَجِبُ الْقَطْعُ بِتَكْفِيرِهِمْ فِي ثَلَاثِ مَسَائِلَ:

أَوَّلُهَا: إِنْكَارُهُمْ لِحَشْرِ الْأَجْسَادِ، وَالتَّعْذِيبِ بِالنَّارِ، وَالتَّنْعِيمِ فِي الْجَنَّةِ بِالْحُورِ الْعِينِ، وَالْمَأْكُولِ وَالْمَشْرُوبِ وَالْمَلْبُوسِ، وَإِذَا أُوْرِدُوا عَلَيْهِمْ آيَاتُ الْقُرْآنِ زَعَمُوا: أَنَّ اللَّذَاتِ الْعَقْلِيَّةَ تَقْصُرُ الْأَفْهَامُ عَنْ دَرْكِهَا، فَمَثَلُ لَهُمْ ذَلِكَ بِاللَّذَاتِ الْحِسِّيَّةِ، وَهَذَا الْمَذْهَبُ كُفْرٌ صَرِيحٌ، وَالْقَوْلُ بِهِ إِبْطَالٌ لِفَائِدَةِ الشَّرَائِعِ، وَسَدُّ لِبَابِ الْاهْتِدَاءِ بِنُورِ الْقُرْآنِ.

وَالْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَّةُ: قَوْلُهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَعْلَمُ الْجَزْئِيَّاتِ وَتَفْصِيلَ الْحَوَادِثِ، وَإِنَّمَا يَعْلَمُ الْكُلِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا الْجَزْئِيَّاتُ تَعْلَمُهَا الْمَلَائِكَةُ السَّمَاوِيَّةُ.

وَالْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: الَّتِي كَفَرَ بِهَا الْفَلَّاسِفَةُ، قَوْلُهُمْ: إِنَّ الْعَالَمَ قَدِيمٌ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُتَقَدِّمٌ عَلَى الْعَالَمِ بِالرُّتْبَةِ، مِثْلَ تَقَدُّمِ الْعِلَّةِ عَلَى الْمَعْلُولِ، وَإِلَّا فَلَمْ نَرِ فِي الْوُجُودِ إِلَّا مُتَسَاوِيَيْنِ، أَهْ، أَيْ: مُتَسَاوِيَيْنِ فِي كَوْنِ كُلِّ مَنْ: اللَّهُ تَعَالَى



والعالم: عِلَّةٌ أَوْ: معلولاً، وذلك مستحيلٌ عندهم، إذ لا بدَّ من تَقَدُّمِ الْعِلَّةِ القديمة وهي: «الله تعالى»، على معلولها القديم مثلها وهو: «العالم»، على مذهبهم الفاسد.

### المبحث الثالث: «ما بعد البعث من القبور»

وفيه: ثلاث مسائل:

#### المسألة الأولى: «الحشر إلى الموقف الأعظم».

يُبْعَثُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشْتَاتًا مَتَفَرِّقِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ۖ﴾ [الزُّلْفَةِ: ٦]، فَيَحْشَرُونَ جَمِيعًا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فِي الْمَوْقِفِ الْأَعْظَمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تُسْأَلُ الْجِبَالُ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۖ﴾ [الكهف: ٤٧]، وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَفَاةً عُرَاءَ غُرْلًا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ جَمِيعًا؟ يَنْظَرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، الْأَمْرُ أَشَدَّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ»، وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَفِيهِ: قَالَ ﷺ: «يَا فُلَانَةُ ۖ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُنْبِئُ» [عَبَسَ: ٣٧]، وَقَوْلُهُ ﷺ: «غُرْلًا»، بَضْمُ الْغَيْنِ الْمَعْجَمَةِ وَسُكُونُ الرَّاءِ أَيْ: غَيْرَ مَحْتُونِينَ، وَفِي الْمَحْشَرِ تَجْتَمِعُ كُلُّ أُمَّةٍ إِلَى نَبِيِّهَا عِنْدَ حَوْضِهِ.

#### المسألة الثانية: «الشَّفَاعَةُ الْعَظْمَى، أَوْ: الْمَقَامُ الْمَحْمُود».

فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الْمَهُولِ، يَشْتَدُّ الْأَمْرُ عَلَى الْخَلْقِ فَيَضْجُونَ، وَيَلْتَمِسُونَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ الشَّفَاعَةَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، لِإِرَاحَتِهِمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ، وَلِتَعْجِيلِ الْحِسَابِ، حَتَّى إِنْهُمْ يَتِمْنُونَ الْإِنْصِرَافَ مِنْ مَوْقِفِهِمْ ذَلِكَ وَلَوْ إِلَى النَّارِ، فَيُبْذَرُ كُلُّ نَبِيٍّ غُدْرًا، وَلَا يَقْبَلُ الشَّفَاعَةَ إِلَّا سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ،



فيشفع إلى المولى تبارك وتعالى، فَيَشْفَعُهُ في الخلق كَافَّةً، وهذه هي: «الشَّفَاعَةُ الْعَظْمَى» وهو: «المقام المحمود» الذي وَعَدَهُ اللهُ تعالى به في قوله سبحانه: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

وروى البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه موقوفاً عليه قوله: «حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللهُ مَقَامًا مَحْمُودًا»، وروى أحمد مثله عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الطبري في التفسير: قال أكثر أهل التأويل: ذلك هو المقام الذي يقومه محمد ﷺ يوم القيامة، للشفاعة للناس، ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه مِنْ شِدَّةِ ذلك اليوم اهـ، وهذه الشَّفَاعَةُ الْعَظْمَى هي المرادة بقوله ﷺ: «وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةُ» فيما رواه الشيخان وغيرهما، عن عدد من الصحابة وأولاه: «أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي»، وذلك لِأَنَّ ما دونها من الشَّفَاعَاتِ، قد أُعْطِيَها أيضاً غيره ﷺ من الشَّافِعِينَ.

وللْقَائِي في شرح «جوهرته» وَجْهٌ آخَرُ قال: الْحَقُّ أَنَّ الشَّفَاعَةَ الْعَظْمَى أَوَّلُ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ اهـ، وهذا قولٌ حَسَنٌ مُؤَدَّاهُ: أَنَّ سَائِرَ شَفَاعَاتِهِ ﷺ هي: من «المقام المحمود» الذي وعده الله تعالى به، فهو ﷺ أَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ، وَالْأَوْسَعُ شَفَاعَةً، وَيُؤَيِّدُهُ ما في مسلم، من حديث يزيد الفقير، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه وفيه: قال: فقلت: يا صاحبَ رسول الله ﷺ، ما هذا الذي تُحَدِّثُونَ؟ - أي: مِنْ خُرُوجِ بعض مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ مِنْهَا - والله تعالى قال: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السَّجْدَةُ: ٢٠]، فما هذا الذي تقولون؟ فقال: «أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قلت: نعم، قال: «فهل سمعتَ بمقام محمد ﷺ؟» يعني: الذي يبعثه الله فيه، قلت: نعم، قال: «فإنه مقام محمد ﷺ المحمود، الذي يُخْرِجُ اللهُ به مَنْ يُخْرِجُ».

وسيأتي بيان سائر الشَّفَاعَاتِ في «المسألة الخامسة»، في شرح البيت (الرابع والخمسين).



## المَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: «الْحَوْضُ وَالْكَوْثَرُ».

«الْحَوْضُ»: يَكُونُ فِي الْمَوْقِفِ قَبْلَ الصَّرَاطِ، لِأَنَّهُ يُنْمَعُ عَنْهُ أَقْوَامٌ قَدْ ارْتَدُّوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَمِثْلُ هَؤُلَاءِ لَا يَجَاوِزُونَ الصَّرَاطَ، وَلَكِنْ يَهْوُونَ فِي جَهَنَّمَ، وَقِيلَ: بَعْدَ الصَّرَاطِ، قَالَ الْغَزَالِيُّ فِي «قَوَاعِدِ الْعُقَائِدِ»، وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ.

وَقَدْ ثَبِتَ وَجُودُ «الْحَوْضِ» بَعْدَ مِنَ الْأَحَادِيثِ، فِي الصَّحَّاحِينَ وَغَيْرِهِمَا، عَنْ بَضْعَةٍ وَثَلَاثِينَ صَحَابِيًّا، قَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ «مُسْلِمٍ»: قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ: أَحَادِيثُ الْحَوْضِ صَحِيحَةٌ وَالْإِيمَانُ بِهِ فَرَضٌ، وَالتَّصَدِيقُ بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَهُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لَا يُتَأَوَّلُ، وَلَا يُخْتَلَفُ فِيهِ، وَحَدِيثُهُ مُتَوَاتِرٌ النَّقْلِ، رَوَاهُ خِلَافٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، اهـ.

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «نَهَايَةِ تَارِيخِهِ»: تَضَافَرَتِ الْأَحَادِيثُ الْمُتَوَاتِرَةُ الْمُتَعَدِّدَةُ مِنَ الطُّرُقِ الْكَثِيرَةِ فِي إِثْبَاتِهِ، اهـ، وَفِي تِلْكَ الْأَحَادِيثِ: أَنَّ سَعَةَ حَوْضِهِ ﷺ مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَأَنَّ مَاءَهُ أَيْضٌ مِنَ الثَّلْجِ، وَطَعْمُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيْزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأَنَّ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا، وَعِنْدَهُ يَكُونُ لِقَاءُ الْمُؤْمِنِينَ نَبِيَّهُمْ مُحَمَّدًا ﷺ كَمَا فِي الصَّحَّاحِينَ: «إِنَّكُمْ سَتَجِدُونِ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَأْتُونِي عَلَى الْحَوْضِ»، وَ«الْأَثَرَةُ» بِفَتْحَتَيْنِ: الْاسْتِبْدَادُ بِالشَّيْءِ.

أَمَّا «الْكَوْثَرُ» فَهُوَ: نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، وَالصَّحِيحُ: أَنَّهُ غَيْرُ «الْحَوْضِ»، جَمْعًا بَيْنَ النُّصُوصِ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «النَّهْيَةِ» مِنْ تَارِيخِهِ، بَعْدَ أَنْ أَوْرَدَ عِدَدًا مِنَ الْأَحَادِيثِ فِي «الْحَوْضِ» وَ«الْكَوْثَرِ»: وَمَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّهُ يَشْخُبُ مِنَ الْكَوْثَرِ مِيزَابَانِ فِي الْحَوْضِ.

رَوَى أَحْمَدُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَغْفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِغْفَاءَةً،



فرفع رأسه مُتَبَسِّمًا: إِمَّا قَالَ لَهُمْ، وَإِمَّا قَالُوا: لَمْ ضَحِكْتَ؟ فَقَالَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ أَنْفَاءُ سُورَةٍ، فَقَرَأْتُ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ \* إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ» حَتَّى خَتَمَهَا، قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ: مَا الْكَوْثَرُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هُوَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي الْجَنَّةِ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، تَرَدُّ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ» الْحَدِيثُ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، كَانَ يَفْسِّرُ «الْكَوْثَرَ» بِالْخَيْرِ الْكَثِيرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ نَبِيَّهٖ مُحَمَّدًا صلوات الله عليه، فَقَالَ أَبُو بَشِيرٍ الْوَاسِطِيُّ لِسَعِيدِ ابْنِ جَبْرِ رَاوِي الْحَدِيثِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: فَإِنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ: نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ سَعِيدٌ: النَّهْرُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ، هُوَ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ.

### الْمَبْحَثُ الرَّابِعُ: «الْعَرَضُ وَالْحِسَابُ»

وفيه: خمس مسائل:

المسألة الأولى: «إِعْطَاءُ كُتُبِ الْأَعْمَالِ لِلْعِبَادِ».

وفيهَا قَالَ النَّازِمُ:

٥١ - وَتُعْطَى الْكُتُبُ: بَعْضًا نَحْوُ يُمْنَى وَبَعْضًا نَحْوُ ظَهْرِ وَالشُّمَالِ

قَوْلُهُ: «وَتُعْطَى» بِالتَّاءِ الْمُثَنَّى الْفَوْقِيَّةِ، مَبْنِيٌّ لِلْمَفْعُولِ، وَقَوْلُهُ: «الْكَتُبُ» بِالرَّفْعِ نَائِبُ فَاعِلٍ لـ «تُعْطَى»، وَ«الْكَتُبُ»: أَصْلُهُ بَضْمَتَيْنِ: جَمْعُ «كِتَابٍ» وَسُكُنٌ هُنَا لِمُضَرَّةِ النَّظْمِ، أَيْ: تُعْطَى كُتُبُ الْأَعْمَالِ لِلْعِبَادِ: فَبَعْضُهُمْ يُعْطَى كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ، وَبَعْضٌ بِشِمَالِهِ، وَآخَرُونَ مِنْ وَرَاءِ ظُهُورِهِمْ، وَذَلِكَ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ، وَالْإِيمَانُ بِذَلِكَ وَاجِبٌ شَرْعًا، لَوُرُودِ السَّمْعِ بِهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَانْعِقْدِ عَلَيْهِ إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ، وَمُنْكَرُهُ كَافِرٌ.

فَإِذَا بُعِثَ الْخَلْقُ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَحُشِرُوا إِلَى الْمَوْقِفِ، وَقَامُوا فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، حَتَّى يَشْفَعَ لَهُمْ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٌ صلوات الله عليه شَفَاعَتُهُ



العظمى، فَيُسْقَعُهُ اللهُ سَبْحَانَهُ، فَيُعَجِّلُ الْحِسَابَ: أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِالْكَتَبِ الَّتِي كَتَبَهَا الْكَرَامُ الْكَاتِبُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَفِيهَا أَعْمَالُ النَّاسِ، أَنْ تُغَطَّى لِأَصْحَابِهَا:

فَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْتَى كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ، وَهُمْ: السُّعْدَاءُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي الدُّنْيَا، وَفِيهِمْ جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝﴾ [الانشقاق: ٧-٩]، قَالَ الرَّازِيُّ فِي التَّفْسِيرِ: وَالْحِسَابُ الْيَسِيرُ هُوَ: أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ أَعْمَالُهُ، وَيَعْرِفَ أَنَّ الطَّاعَةَ مِنْهَا: هَذِهِ، وَالْمَعْصِيَةَ: هَذِهِ، ثُمَّ يَثَابَ عَلَى الطَّاعَةِ، وَيَتَجَاوَزَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، فَهَذَا هُوَ: الْحِسَابُ الْيَسِيرُ، لِأَنَّهُ لَا شِدَّةَ عَلَى صَاحِبِهِ وَلَا مَنَاقِشَةَ، وَالْمُرَادُ بِ«أَهْلِهِ»: أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، أَوْ: مِنْ زَوْجَاتِهِ وَذُرَارِيهِ إِذَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ، اهـ.

وَهَذَا الْمَعْنَى جَاءَ بِهِ حَدِيثُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ»، فَقُلْتُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝﴾ [الانشقاق: ٨]، قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ الْحِسَابَ، إِنَّمَا ذَاكَ الْعَرَضُ، مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ»، رَوَاهُ الشَّيْخَانُ وَأَحْمَدُ وَغَيْرُهُمْ..

وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْتَى كِتَابُهُ بِشِمَالِهِ مِنْ أَمَامِهِ، وَهُمْ: الْأَشْقِيَاءُ الْكَفَّارُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كِتَابُهُ بِشِمَالِهِ ۖ فَيَقُولُ يَلَيِّنِي لَرَأَوْتُ كِتَابِيَةَ ۝﴾ وَلَرَأَوْتُ مَا حِسَابِيَةَ ۝﴾ [الحاقة: ٢٥ - ٢٦].

وَمِنَ الْعِبَادِ مَنْ يُؤْتَى كِتَابُهُ بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ وَهُمْ: الْأَشْقِيَاءُ الْكَافِرُونَ أَيْضًا، وَهُمْ أَسْوَأُ حَالًا وَمَصِيرًا مِنَ الَّذِينَ يُؤْتَوْنَ كِتَابَهُمْ بِالشَّمَالِ مِنْ أَمَامِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۖ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۝ وَيَصْلَى سَعِيرًا ۝﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي أَهْلِهِمْ مَسْرُورًا ۝﴾ إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُ لَنْ يَحُورَ ۝﴾ [الانشقاق: ١١-١٣].



١٠ - ١٤]، و«الثُّبُورُ»: الهلاك، والمعنى: لَمَّا أُوتِيَ كِتَابَهُ بغير يمينه، علم أَنَّهُ من أَهل النَّارِ، فيقول: وَاثْبُورَاهُ.

قال اللَّقَائِي في شرح «جواهرته»: فَإِنْ قُلْتُ: ليس في القرآن إِلَّا أَنَّ الطَّائِعَ يَأْخُذُ كِتَابَهُ بيمينه، والكافر يَأْخُذُهُ بِشماله أَوْ: مِنْ وِراءَ ظَهْرِهِ، فما حُكِّمَ الْمُؤْمِنُ الْفَاسِقُ الَّذِي مَاتَ عَلَى فِسْقِهِ دُونَ تَوْبَةٍ؟ قلت: جَزَمَ الماوردي - أَقْضَى الْقَضَاةَ: عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُتَوَفَّى عامَ أَرْبَعِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ - بِأَنَّ الْمَشْهُورَ: أَنَّهُ يَأْخُذُ كِتَابَهُ بيمينه، وَحَكَّى قَوْلًا بِالْوَقْفِ، وَلَا قَائِلَ بِأَنَّهُ يَأْخُذُهُ بِشماله، وَاخْتَلَفَ الْأَوَّلُونَ - الْقَائِلُونَ بِأَخْذِ الْمُؤْمِنِ الْفَاسِقِ كِتَابَهُ بيمينه - فَقِيلَ: يَأْخُذُونَهَا قَبْلَ الدُّخُولِ فِي النَّارِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ عَلَامةً عَلَى عَدَمِ خُلُودِهِمْ فِيهَا، وَقِيلَ: يَأْخُذُونَهَا بَعْدَ الْخُرُوجِ مِنْهَا، وَمِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ تَوَقَّفَ لَتَعَارُضِ النَّصُوصِ، اهـ.

وفي: قِرَاءَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ كِتَابَهُ، قال اللَّقَائِي: وظواهر النُّصوص: أَنَّ الْقِرَاءَةَ حَقِيقَةً، وَقِيلَ: مِجَازِيَّةٌ عُبِّرَ بِهَا عَنْ عِلْمٍ كُلِّ أَحَدٍ بِمَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ، قال الحسن البصري: يقرأ كُلُّ إِنْسَانٍ كِتَابَهُ أُمِّيًّا كَانَ أَوْ غَيْرَ أُمِّيٍّ، اهـ، وذلك لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْمُرُ الْإِنْسَانَ بِالْقِرَاءَةِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ لِّزَمَتُهُ لَطَمَتُهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخِرَ لَمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ (١٣) أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٤]، وَالْأَصْلُ فِي التَّكْلِيفِ الْحَقِيقَةُ، فَلَا يُعَدَّلُ عَنْهَا إِلَّا بِصَارِفٍ، وَهُوَ غَيْرُ مُتَوَقَّفٍ هُنَا.

### المسألة الثانية: «الحِسَابُ».

وفيها قال النَّازِمُ:

٥٢ - حِسَابُ النَّاسِ بَعْدَ الْبَعْثِ حَقٌّ فَكُونُوا بِالتَّحَرُّزِ عَنْ وَبَالِ

«التَّحَرُّزُ» هُوَ: التَّوَقُّفُ، يَقَالُ: اخْتَرَزَ مِنْ كَذَا وَتَحَرَّزَ مِنْهُ، أَي: تَوَقَّاهُ،



وأضلُّ معنى «الْوَبال»: الفساد، اشتقاقه من «الْوَيْيل»، يقال: المرعى الوَيْيلُ أي: الوَحيم.

والمعنى: فكونوا أيها الناس في دنياكم، مُتَوَقِّينَ سُوءَ الحساب يوم القيامة، فإنَّ الحسابَ بعد البعث حَقٌّ، يجب عليكم الإيمان به.

وتفسيرُ البعض «الْوَبال»، بالإنثم، الناشئ عن العُدوان على حقوق العباد كالقتل، هو في غير محلِّه، والصَّواب ما ذكرناه.

والحسابُ ثابتٌ بصريح الأدلَّة من القرآن والسُّنة، وعليه إجماع الأمة، ومُنكره كافر قطعاً، منها: قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشُنًا لَا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ۖ﴾ (٦) ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ﴾ (٧) ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ﴾ (٨) [الزلزلة: ٦ - ٨]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا إِنَّمَا إِنبَأَهُمْ ۖ﴾ (٩) ﴿ثُمَّ لَئِنْ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ۖ﴾ [الغاشية: ٢٥ - ٢٦]، وروى أحمد والشيخان وغيرهم، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى فِيهِ بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الدِّمَاءُ»، وفي أحاديث أخرى: ما يشمل جميع حقوق العباد، وروى أبو داود والترمذي، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يَحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ: صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ». وروى مسلم والترمذي، عن أبي بَرزَةَ الأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَا عَمِلَ فِيهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ».

و«الحساب» هو: عَرْضُ أَعْمَالِ الْعَبْدِ عَلَيْهِ، وَتَقْرِيرُهُ بِشَأْنِهَا، لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلِنَّهِنَّ أجمعينَ ۖ﴾ (٩١) ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢ - ٩٣]:



فيبدأ العرض بوضع كتاب أعمال العبد، كما قال جل وعز: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَقْدِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٩)، فإن أنكر العبد أعماله السيئة، شهدت عليه الأرض، فقد روى أحمد والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قرأ قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ (الزلزلة: ٤)، فقال: «أتدرون ما أخبارها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «أن تشهد على كل عبد وأمة بكل ما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا، يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها».

وتشهد على العبد أيضاً: جوارحه، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (يس: ٦٥)، فيعجب العبد من شهادة جوارحه: ﴿وَقَالُوا لِيُجْلِدَهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (فصلت: ٢١).

وجميع أمة سيدنا محمد ﷺ سيحاسبون، إلا سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، كما في الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه، وفيه: فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال ﷺ: «اللهم اجعله منهم»، ثم قام إليه رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «سَبِّكَ بِهَا عَكَاشَةُ».

قال القرطبي في «التذكرة»، قال بعض العلماء: ذكر الله تعالى الحساب جملة، وجاءت الأخبار بذلك، وفي بعضها: ما يدل على أن كثيراً من المؤمنين يدخلون الجنة بغير حساب، فصار الناس إذن ثلاث فرق: فرقة لا يحاسبون أصلاً، وفرقة تحاسب حساباً يسيراً، وهما من المؤمنين، وفرقة تحاسب حساباً شديداً، يكون منها مسلم وكافر، اهـ.



ثم قال الناظم في بيان: «الْوَزْنُ» و«الصَّرَاطُ»:

٥٣ - وَحَقُّ وَزْنُ أَعْمَالٍ، وَجَزْيٌ عَلَى مَثْنِ الصَّرَاطِ بِلَا اهْتِبَالٍ  
فأشار بقوله: «وَحَقُّ وَزْنُ أَعْمَالٍ» إلى:

المسألة الثالثة وهي: «الْوَزْنُ وَالْمِيزَانُ».

«الوزن» لغة: معرفة كميّة بأخرى تحقيقاً، لا تقريباً، على وجه مخصوص، والمعنى: أَنَّ وَزْنَ أَعْمَالِ الْعِبَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَقٌّ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٨٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩٠﴾ [الأعراف: ٨ - ٩]، وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر المعنوي.

و«الْوَزْنُ»: حقيقي وليس تمثيلاً، ويكون بميزان محسوس له كفتان ولسان، قال الغزالي في «قواعد العقائد»: وَأَنَّ يَوْمَئِذٍ بِالْمِيزَانِ ذِي الْكَفَّتَيْنِ وَاللِّسَانِ، اه، وهو قول: ابن عباس، والحسن البصري، وعزاه السَّعْدُ التفتازاني في «شرح العقائد» إلى كثير من المفسرين، واعتمده البَغَوِيُّ، وصحَّحه الطبري في «التفسير»، وَوَصَفَ مَنْكَرُهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، بِالْجَهْلِ بِتَوْجِيهِ خَبَرِ اللَّهِ تَعَالَى وَخَبَرِ رَسُولِهِ ﷺ وَجَهَّتْهُ، وَحَذَا الْقُرْطُبِيُّ فِي «التفسير» حَذْوَهُ فَقَالَ: وَالْمَرَادُ بِالْوِزْنِ: وَزْنُ أَعْمَالِ الْعِبَادِ بِالْمِيزَانِ، قَالَ ابْنُ عَمْرٍ: تُوزَنُ صِحَائِفُ أَعْمَالِ الْعِبَادِ. وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ وَهُوَ الَّذِي وَرَدَ بِهِ الْخَبَرُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: «الْمِيزَانُ»: الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ، وَعَنْهُ أَيْضاً وَالضَّحَّاكُ وَالْأَعْمَشُ: الْوَزْنُ وَالْمِيزَانُ بِمَعْنَى: الْعَدْلِ وَالْقَضَاءِ، وَذِكْرُ الْوِزْنِ ضَرْبُ مَثَلٍ كَمَا تَقُولُ: هَذَا الْكَلَامُ فِي وَزْنٍ هَذَا، وَفِي وَزَانِهِ، أَي: يَسَاوِيهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ وَزْنٌ، قَالَ الرَّجَّاجُ: هَذَا سَائِعٌ مِنْ جِهَةِ اللَّسَانِ، وَالْأَوَّلَى أَنْ يُتَّبَعَ مَا جَاءَ فِي الْأَسَانِيدِ الصَّحَّاحِ مِنْ ذِكْرِ الْمِيزَانِ، قَالَ الْقُشَيْرِيُّ: وَقَدْ أَحْسَنَ فِيمَا قَالَ، إِذْ



لو حُمِلَ المِيزَانُ عَلَى هَذَا، فَلْيُحْمَلِ «الصُّرَاطُ»: عَلَى: الدِّينِ الْحَقُّ، و«الْجَنَّةُ» وَالتَّارُ: عَلَى مَا يَرِدُ عَلَى الْأَرْوَاحِ دُونَ الْأَجْسَادِ، و«الشَّيَاطِينُ وَالْجِنُّ»: عَلَى الْأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ، و«الْمَلَأْنِكَةُ»: عَلَى الْقَوَى الْمَحْمُودَةِ، وَقَدْ أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ عَلَى الْأَخْذِ بِهَذِهِ الظُّوَاهِرِ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ، وَإِذَا أَجْمَعُوا عَلَى مَنَعِ التَّأْوِيلِ، وَجَبَ الْأَخْذُ بِالظَّاهِرِ، وَصَارَتْ هَذِهِ الظُّوَاهِرُ نُصُوصاً، اهـ.

أَمَّا الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: فَقَدْ رَجَّحَ قَوْلَ مُجَاهِدٍ وَالضَّحَّاكِ وَالْأَعْمَشِ، بِحُجَّةٍ أَنَّ حَمَلَ لَفْظِ «الْوِزْنِ» عَلَى «الْعَدْلِ وَالْقَضَاءِ» سَائِغٌ فِي اللَّغَةِ، وَتَقَدَّمَ الرَّدُّ عَلَيْهِ فِيمَا ذَكَرَهُ الْقُرْطُبِيُّ.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «التَّفْسِيرِ»: وَفِي وَزْنِ الْأَعْمَالِ خَمْسُ حِكَمٍ: إِحْدَاهَا: امْتِحَانُ الْخَلْقِ بِالْإِيمَانِ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا، وَالثَّانِيَّةُ: إِظْهَارُ عِلَاقَةِ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ فِي الْآخِرَةِ، وَالثَّالِثَةُ: تَعْرِيفُ الْعِبَادِ مَا لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِمْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَالرَّابِعَةُ: إِقَامَةُ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَالْخَامِسَةُ: الْإِعْلَامُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَادِلٌ لَا يَظْلَمُ، وَنَظِيرُ هَذَا: أَنَّهُ أُثْبِتَ الْأَعْمَالُ فِي كِتَابٍ وَاسْتَنْسَخَهَا، مِنْ غَيْرِ جَوَازِ النُّسْيَانِ عَلَيْهِ تَعَالَى، اهـ.

وَيَكُونُ الْوِزْنُ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْحِسَابِ، لِأَنَّ الْوِزْنَ لِلْجِزَاءِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بَعْدَ الْمَحَاسِبَةِ، فَإِنَّ الْمَحَاسِبَةَ لِتَقْرِيرِ الْأَعْمَالِ، وَالْوِزْنَ لِإِظْهَارِ مَقَادِيرِهَا، لِيَكُونَ الْجِزَاءُ بِحَسَبِهَا.

وَالْقَوْلُ بِوِزْنِ الْكُتُبِ كَمَا تَقَدَّمَ، لَا يَعْنِي وَزْنَ الْكِتَابِ مَجَرِّداً، وَلَكِنَّهُ فِي الْوَاقِعِ: وَزْنٌ لَهُ بِمَا فِيهِ مِنْ أَعْمَالِ الْعَبْدِ، فَتَنْقُلُ الْمَوَازِينَ وَتَخِفُّ، بِحَسَبِ أَعْمَالِهِ الْمَكْتُوبَةِ فِي الصُّحُفِ، وَبِهَذَا يُجْمَعُ بَيْنَ الْأَدَلَّةِ، فَلَا تَعَارِضُ بَيْنَ الْقَوْلِ بِوِزْنِ الْكُتُبِ، وَالْقَوْلِ بِوِزْنِ الْأَعْمَالِ.

المسألة الرابعة: «الصُّرَاطُ».

وفيهما قال الناظم في البيت «الثالث والخمسين» المتقدم:



..... وَجَرِيٌّ عَلَى مَثْنِ الصَّراطِ بِلَا اهْتِبَالٍ

قوله: «مَثْنٍ» مفرد: «مُتْنٌ»، والمَثْنُ من الأرض: ما صَلَبَ وارتَفَعَ، وفي الظَّهْرِ مَثْنَانِ هما: ما اكْتَنَفَا الصُّلْبَ عن يَمِينٍ وشَمَالٍ من عَصَبٍ ولَحْمٍ، والمراد هنا: ظَهْرُ الصَّراطِ.

و«الصَّراطِ» لُغَةً: الطَّرِيقُ الواضِحُ، وبالسَّيْنِ لُغَةً فِيهِ، وشرعاً: ما بَوَّبَ به البخاريُّ بقوله: (بَابُ: الصَّراطُ جِسْرُ جَهَنَّمَ) بفتح الجيم وبكسرهما، أي: منصوبٌ عليها لعبور المسلمين إلى الجنة.

وقوله: «بلا اهتبال» اختلفت أقوال الشَّارحين في المعنى المراد بـ «الاهتبال»، بسبب كثرة معانيها اللُّغَوِيَّة، فقال بعضهم: «الاهتبالُ»: الكذب والافتراء، واعتمده عليُّ القاريُّ ومَنْ تابعه، وقيل: هو ثِقْلُ البدَنِ، وقيل: إِنَّهُ بمعنَى: النَّقْصِ، وهذه المعاني صحيحة لُغَةً، وليس واحدٌ منها مراداً هنا، والمعنى المراد هو: أن «الاهتبال» هو: «الاحتِيالُ والاستعدادُ» ذَكَرَهُ الزَّيْدِيُّ في شرح «القاموس المحيط»، أي: البَحْثُ عن حيلةٍ ينجو بها، ويستعدُّ للعبور مُقَدِّماً، وقد أَخَذَ الناظم هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ (النساء: ٩٨)، وهذا الأمرُ فِطْرِيٌّ في الإنسان الذي يواجهُهُ خَطَرٌ، فهو يحتال قَدْرَ استطاعته للنَّجاة منه، وهذا المعنى هو ما نَفَاهُ النَّاطِمُ، لأنَّ العبورَ على الصَّراطِ ليس بعلم العبد المُسَبِّقِ، ليتوقَّفَ عند الصَّراطِ مفكراً في كيفية العبور، وبأَيَّةِ وسيلةٍ أو حيلةٍ، ولكنَّهُ عبورٌ قَسْرِيٌّ بأمرِ الله تعالى، وتجرى بهم أعمالهم كما سيأتي في الصَّحيح، فيكون معنى قول الناظم: أَنَّ العبورَ على الصَّراطِ هو بأمرِ الله تعالى، بلا استعدادٍ من العابرين، ولا احتيالٍ بحيلةٍ للنَّجاة، بل كُلُّ فَرْدٍ مرهونٌ بعمله، فينجو أو يَهْلِكُ.

والذي عليه جمهور أهل العلم: أَنَّ «الصَّراط» أدقُّ من الشَّعر، وأحدُّ



من السَّيْفِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَاسْتَدَلُّوا بِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه مَوْقُوفاً عَلَيْهِ قَالَ: «بَلَّغْنِي أَنَّ الْجِسْرَ، أَذَقُّ مِنَ الشَّعْرِ، وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ». وَفِي رِوَايَةٍ: «أَرْقٌ بِالرَّاءِ، وَمِثْلُهُ لَا يُقَالُ بِالرَّاءِ، وَخَالَفَ فِي ذَلِكَ بَعْضُهُمْ، قَالَ اللَّقَائِي فِي شَرْحِ «جَوْهَرَتِهِ»: وَأَنْكَرَ الْقَرَّافِيُّ كَوْنَهُ أَذَقُّ مِنَ الشَّعْرِ، وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ، وَسَبَقَهُ إِلَى ذَلِكَ شَيْخُهُ: الْعَزُّ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ، وَقَالَ الْقَرَّافِيُّ تَبَعاً لِلْبَيْهَقِيِّ: كَوْنُ الصُّرَاطِ أَرْقٌ مِنَ الشَّعْرِ، وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ، لَمْ أَجِدْهُ فِي الرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ، وَإِنَّمَا يُرَوَّى عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ، فَتَأَوَّلُ بِأَنَّ أَمْرَهُ أَذَقُّ مِنَ الشَّعْرِ، فَإِنَّ يُسْرَ الْجَوَازِ عَلَيْهِ وَعُسْرُهُ عَلَى قَدْرِ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي، وَلَا يَعْلَمُ حَدُودَ ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَقَدْ جَرَتْ الْعَادَةُ بِضَرْبِ دِقَّةِ الشَّعْرِ مِثْلاً لِلْغَامِضِ الْخَفِيِّ، وَضَرْبِ حَدِّ السَّيْفِ لِإِسْرَاعِ الْمَلَائِكَةِ فِي الْمَضِيِّ لَا مِثَالَ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى، فِي إِجَازَةِ النَّاسِ عَلَيْهِ، اهـ. وَقَدْ رَدَّ الْقُرْطُبِيُّ فِي «التَّذَكُّرَةِ» هَذَا التَّأْوِيلَ، لِأَنَّهُ لَا يُغْدَلُ عَنِ الْحَقِيقَةِ إِلَى الْمَجَازِ، إِلَّا عِنْدَ تَعَذُّرِ الْحَقِيقَةِ، وَلَا اسْتِحَالَةٍ فِي كَوْنِ الصُّرَاطِ أَذَقُّ مِنَ الشَّعْرِ، وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، لِلْآثَارِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ، وَثَبَاتِهَا بِنَقْلِ الْأَثَمَةِ الْعَدُولِ.

وَقَدْ ثَبِتَ «الصُّرَاطُ» وَأَحْوَالُ الْعَابِرِينَ عَلَى مَثْنِهِ، بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَاتَّفَقَتْ عَلَى ذَلِكَ كَلِمَةُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي الْجُمْلَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ [يسر: ٧٧]. وَفِي الصَّحِيحِينَ وَأَحْمَدَ وَالسُّنَنِ وَغَيْرِهَا، أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي ذَلِكَ، مُجْمَلٌ مَا جَاءَ فِيهَا:

أَنَّهُ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى مَثْنٍ جَهَنَّمَ، وَفِي حَافَتَيْ الصُّرَاطِ كَلَالِبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ، تَأْخُذُ مَنْ أَمَرَتْ بِهِ، فَمِنْهُمْ النَّاجِي الْمُسْلِمُ، وَمِنْهُمْ الْمَخْدُوشُ لَكَنَّهُ يَنْجُو، وَمِنْهُمْ الْهَالِكُ فِي النَّارِ، وَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى الصُّرَاطِ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ، تَجْرِي بِهِمْ: كَالْبَرْقِ، وَكَالرَّيْحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا، وَآخِرُ الْعَابِرِينَ يُسْحَبُ سَحْبًا، وَأَوَّلُ مَنْ



يَجُوزُ الصُّرَاطُ: سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٌ ﷺ، ودَعَاءُ الرِّسْلِ لِأَمَمِهِمْ يَوْمَئِذٍ:  
اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ يَنْكَرَهُ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتًّا مَقْضِيًّا ۖ ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ أَنْقَرُوا وَنَذَرُ الْفَالِغِينَ فِيهَا جَنَّاتٌ ۖ﴾ [مريم: ٧١-٧٢]، فَلَأَهْلَ الْعِلْمِ فِي الْمِرَادِ بِالْوُرُودِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ الْعَبُورُ عَلَى مَتْنِ الصُّرَاطِ، وَرَجَّحَهُ بَعْضُهُمْ، كَابْنِ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ، وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ «الْوُرُودَ» يَعْنِي: الدُّخُولَ فِي النَّارِ لِكُلِّ أَحَدٍ، وَلَا يَصُرُّ أَهْلَ الْجَنَّةِ، لِأَنَّهُمْ يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا يَبْقَى فِيهَا إِلَّا أَهْلُهَا، وَصَحَّحَ هَذَا الْقَوْلَ الْقُرْطُبِيُّ فِي «التَّذَكُّرَةِ»، وَظَاهِرُ الْآيَةِ يُؤَيِّدُهُ، وَلَكِنَّ الرَّاجِحَ هُوَ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ، لِكثَرَةِ النُّصُوصِ الْوَارِدَةِ فِيهِ، وَلِأَنَّهُ لَوْ كَانَ «الْوُرُودُ» يَعْنِي: الدُّخُولَ، لَمَا كَانَ لَوْجُودِ الصُّرَاطِ فَائِدَةٌ.

#### المسألة الخامسة: «الشَّفَاعَاتُ».

وفِيهَا قَالَ النَّازِمُ:

٥٤ - وَمَرْجُو شَفَاعَةُ أَهْلِ خَيْرٍ لِأَصْحَابِ الْكِبَائِرِ كَالْجِبَالِ

قَوْلُهُ: «مَرْجُو» هُوَ: مِنَ الرَّجَاءِ وَهُوَ: «الْأَمَلُ»، وَ«الشَّفَاعَةُ»: «سَوْأَلُ الْخَيْرِ لِلْغَيْرِ»، وَالْمِرَادُ بِ«أَهْلِ خَيْرٍ»: الْأَنْبِيَاءُ وَالْعُلَمَاءُ وَالشُّهَدَاءُ وَغَيْرُهُمْ كَمَا سَنَبِّينُ، وَشَبَّهَ «الْكِبَائِرَ» بِالْجِبَالِ، لِتَهْوِيلِ أَمْرِهَا، وَلِلْإِشْعَارِ بِأَنَّهُ إِذَا كَانَتِ الشَّفَاعَةُ تَنَالُ أَصْحَابَ الْكِبَائِرِ، فَمَا دُونَهَا أَوْلَى.

وَمَعْنَى الْبَيْتِ: أَنَّ أَصْحَابَ الْكِبَائِرِ الَّذِينَ مَاتُوا عَلَيْهَا مِنْ دُونِ تَوْبَةٍ، يَأْمَلُونَ أَمَلًا مُؤَكَّدًا فِي شَفَاعَةِ أَهْلِ الْخَيْرِ لَهُمْ.

وَ«الشَّفَاعَةُ» ثَابِتَةٌ عَلَى وَجْهِ الْإِجْمَالِ بِالْكِتَابِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ۖ﴾ [الْمُدَّثِّرُ: ٤٨]، وَوَرَدَتْ بِهَا الْأَحَادِيثُ الَّتِي بَلَغَتْ فِي مَجْمُوعِهَا مَبْلَغَ التَّوَاتُرِ الْمَعْنَوِيِّ، مِنْهَا: مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي



هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لَأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً»، فوجب الإيمانُ بها، ومنكرها مطلقاً كافر، قال في «الفتاوى البزازیة»: مَنْ أَنْكَرَ شَفَاعَةَ الشَّافِعِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَهُوَ كافر، اهـ.

واتفق علماء أهل السُّنَّة والجماعة، على أَنَّ «الشَّفَاعَةَ»: تكون لرفع درجات المطيعين والتائبين، وزيادة المَثُوبَات، وتكون أيضاً لأصحاب الكبائر في حَطِّ السَّيِّئَات، إمَّا قبل دخولهم النَّار، وإمَّا بعده، وأنكر المعتزلة الشَّفَاعَةَ للعصاة مطلقاً، وقالوا بها لرفع الدَّرَجَات وزيادة المَثُوبَات.

وأوَّلُ الشَّافِعِينَ: سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٌ ﷺ، ففي الصَّحَّاحِينَ: «أَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»، ثم يشفع الأنبياءُ كَافَّةً، ثم تكون شَفَاعَةُ للعلماء والشُّهَدَاءِ وصالحِي الْأُمَّة.

وسيدنا محمد ﷺ هو صاحب «الشَّفَاعَةَ الْعَظْمَى»، وهو: «المقام المحمود» يوم الحشر الأعظم، وقد فَصَّلْنَا الْقَوْلَ فِيهَا فِي «المسألة الثانية» من «المبحث الثالث» السَّابِق.

أَمَّا شَفَاعَتُهُ ﷺ الْأُخْرَى فَهِيَ:

\* شَفَاعَتُهُ ﷺ فِي قَوْمٍ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ، فَلَا يَدْخُلُونَهَا بِشَفَاعَتِهِ ﷺ.

\* وَشَفَاعَتُهُ ﷺ فِي مُؤْمِنِينَ عَصَاةٍ دَخَلُوا النَّارَ، فَيُخْرِجُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهَا بِشَفَاعَتِهِ ﷺ، وهؤلاء هم أصحاب الكبائر، الذين لم تشملهم مغفرةُ الله تعالى قبل دخولها.

\* وَشَفَاعَتُهُ ﷺ لِلْمُؤْمِنِينَ لِرَفْعِ دَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ.

\* وَشَفَاعَتُهُ ﷺ فِي إِدْخَالِ قَوْمٍ الْجَنَّةِ بِغَيْرِ حِسَابٍ.



وَأَمَّا الشَّافِعُونَ الْآخَرُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالشَّهَدَاءِ وَصَالِحِي الْأُمَّةِ: فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ شَفَاعَةٌ يُكْرِمُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا، وَالَّذِينَ لَمْ تَنْلُهُمْ شَفَاعَةً شَافِعٌ، يَتَفَضَّلُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِإِخْرَاجِهِمْ مِنَ النَّارِ بِلَا وَاسِطَةٍ أَحَدٍ، فِيهِ الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْمُرُ الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ: «مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خُرْدٍ لِي مِنْ إِيْمَانٍ فَأُخْرِجُوهُ»، أَي: مِنَ النَّارِ.

### المبحث الخامس: «الجزاء»

وفيه: سِتُّ مسائل:

المسألة الأولى: «وجود الجنة والنار الآن».

وفيهما قال الناظم:

٥٥ - وَلِلْجَنَّاتِ وَالنَّيرانِ كَوْنٌ عَلَيْهَا مَرَّ أَخَوَالٍ خَوَالِي

قوله: «كَوْنٌ»: مصدر «كان»، أي: وجود في الواقع، وقوله: «مَرَّ» فعلٌ ماضٍ فاعله: «أَخَوَالٌ» جمع «حَوْلٍ» وهو: السَّنةُ بأسرها، يقال: حال عليه الحَوْلُ: إذا مَرَّ، و«خَوَالِي»: جمع «خالية»، أي: ماضية.

ومعنى البيت: أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ موجودتان الآن، خلقهما الله تعالى، ومَرَّ عَلَى خَلْقِهِمَا وَتَكُونُهُمَا سَنِينَ كَثِيرَةً خَلَّتْ.

هذا هو الصَّوابُ في لفظ البيت ومعناه، وقد التبس الأمر على الشارح «أبي بكرٍ الأحسائي»، فاستعجل فغَيَّرَ القافية فجعلها: «عوالي» بدل: «خوالي»، وفي هذا توريطٌ للناظم وإساءةٌ إلى نظمهِ، إذ سبقت كلمة «عوالي» في قافية البيت «السابع والعشرين»، وتكرار القافية في القصيدة عيب في الشعر، لا يقع فيه مثلُ الناظم، ثم فَسَّرَ الأحسائي «الأحوال» بـ «الهيئات» فقال: أي: مَرَّ فِي ذِكْرِهَا بِالْدَّلَائِلِ السَّمْعِيَّةِ هَيْئَاتٌ عَالِيَةٌ فِي الْفَضَائِلِ



والفضاعات، اهـ، وهو يعني: فضائل الجنة وفضاعات النار وهو بعيد جداً، وبالجمله: فإن شرحه لهذه المنظومة، لا يُعتمد عليه في كثير من المواضع.

وقد ثبت وجود الجنة والنار الآن، بالكتاب والسنة، وانعقد عليه الإجماع قبل ظهور المخالفين من المبتدعة، فمن الكتاب قول الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقوله سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، و«الإعداد» في اللغة: التهيئة، ولا يُطلق على غير موجود، وفي مسلم قوله ﷺ: «قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر دُخراً، بله ما أظفنتكم عليه»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، وقوله ﷺ: «بله» بفتح أوله وسكون ثانيه بمعنى: غير، وفي مسلم أيضاً قوله ﷺ: «أرواح الشهداء في حواصل طير خضر، تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقة في العرش»، وفي الصحيحين واللفظ لمسلم: قوله ﷺ: «إذا جاء رمضان: فتحت أبواب الجنة، وغُلقت أبواب النار».

وبَوَّبَ البخاري في «بَدْءِ الْخَلْق» من صحيحه بابين فقال: (باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة)، وقال: (باب: ما جاء في صفة النار وأنها مخلوقة)، ثم رَوَى الأحاديث والأقوال المثبتة لذلك.

وخالف المعتزلة في كَوْنِ الجنة والنار موجودتين الآن، مع الإقرار بحقيقتهما، وبأنهما سيوجدان في الآخرة، إذ لا فائدة من وجودهما الآن وهما خاليتان ممن ينتفع ويتضرر بهما، وهذا مذهب مردودٌ بصريح الأدلة.

أما الفلاسفة: فقد أنكر جماعة منهم وجود الجنة والنار بالمرّة، وحملوا الجنة على اللذات العقلية، والنار على الآلام العقلية، وذلك لأنّ النفوس البشرية هي عندهم باقية لا تفنى بخراب البدن، بل تبقى بعد موته،



مُتَلَذِّذَةً بِكَمَالَاتِهَا، مَبْتَهَجَةً بِإِدْرَاكَاتِهَا، وَذَلِكَ هُوَ: سَعَادَتُهَا وَثَوَابُهَا وَجَنَّتُهَا، عَلَى اخْتِلَافِ الْمَرَاتِبِ وَتَفَاوُتِ الْأَحْوَالِ، أَوْ: مُتَأَلِّمَةً بِفَقْدِ الْكَمَالَاتِ، وَفَسَادِ الْإِعْتِقَادَاتِ، وَذَلِكَ هُوَ شَقَاوَتُهَا وَعِقَابُهَا وَنِيرَانُهَا، وَإِنَّمَا لَمْ تَنْتَبِهْ النُّفُوسُ لِذَلِكَ فِي هَذَا الْعَالَمِ، لِاسْتِغْرَاقِهَا فِي تَدْبِيرِ الْبَدَنِ، وَانْغِمَاسِهَا فِي كُدُورَاتِ عَالَمِ الطَّبِيعَةِ، وَقَوْلُ الْفَلَاسِفَةِ هَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى اعْتِقَادِهِمْ بِنَفْسِ الْمَعَادِ، وَإِنْكَارِهِمُ الْحِسَابَ وَالثَّوَابَ وَالْعِقَابَ، وَهُمْ كَافِرُونَ بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي آخِرِ «الْمَبْحَثِ الثَّانِي» مِنْ هَذَا الْبَابِ: أَسْبَابَ كُفْرِهِمْ.

وَالْخِلَاصَةُ: أَنَّ مَنكَرَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَمَا فِيهِمَا مِنْ نَعِيمٍ وَعَذَابٍ مُطْلَقًا، كَافِرٌ بِالْإِجْمَاعِ، أَمَّا نَافِيُ وَجُودِهِمَا الْآنَ كَالْمَعْتَزِلَةِ مَعَ الْإِيمَانِ بِحَقِيقَتِهِمَا، فَهُوَ مُبْتَدِعٌ فَاسِقٌ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَّةُ: «أَصْحَابُ الْجَنَّةِ وَأَصْحَابُ النَّارِ».

وَفِيهَا قَالَ النَّازِمُ:

٥٦ - لِأَهْلِ الْخَيْرِ جَنَّاتٌ وَنُعْمَى وَلِلْكَفَّارِ أَذْرَاكُ النَّكَالِ

المراد بـ «أهل الخير»: المؤمنون من كلِّ الأمم، وهم: أتباع الأنبياء، الذين أسلموا معهم لله ربِّ العالمين، و«نُعْمَى» بضم النون هو: النعيم الذي تَقَرُّ بِهِ الْعَيْنُ، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي «النَّهْايَةِ»: يُقَالُ: نُعْمَةٌ عَيْنٍ، وَنُعْمَى عَيْنٍ، أَي: قُرَّةُ عَيْنٍ، أَهْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٧] [السُّجْدَةُ: ١٧]. وَ«أَذْرَاكُ» بفتح أوله: جمع «دَرَكٍ» بفتح الرَّاءِ وَسكونِهَا لِفَتَانٍ، وَهُوَ: أَقْصَى قَعْرِ الشَّيْءِ، وَهُوَ لِأَسْفَلِ كَالدَّرَجِ إِلَى فَوْقٍ، فَيُقَالُ لِلْفَوْقِ: «دَرَجَاتٌ»، وَلِلْأَسْفَلِ: «دَرَكَاتٌ»، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النِّسَاءُ: ١٤٥]، وَقَرَأَهُ بَعْضُ الشَّارِحِينَ: «إِدْرَاكُ» بِكسر أوله، وَلَا مَحَلَّ لَهُ هُنَا، وَالصَّوَابُ مَا ذَكَرْنَاهُ، وَ«النَّكَالُ» هِيَ: الْعُقُوبَةُ الَّتِي يَنْكُلُ النَّاسُ وَيَمْتَنَعُونَ عَنْ فِعْلِ مَا جُعِلَتِ الْعُقُوبَةُ جَزَاءً لَهُ، قَالَ



الرَّمْخَشَرِيُّ فِي «أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ»: نَكَلْتُ بِهِ: جَعَلْتُ غَيْرَهُ يَنْكُلُ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَ فِعْلِهِ، وَهُوَ: النَّكَالُ، اهـ، فَالنَّكَالُ: عَقُوبَةُ لِلْفَاعِلِ وَعِزَّةٌ لَغَيْرِهِ.

ومعنى البيت: أَنَّ الْجَنَّاتِ بِدَرَجَاتِهَا، وَمَا فِيهَا مِنْ نَعِيمٍ مُقِيمٍ، هِيَ: لِأَهْلِ الْخَيْرِ مِنَ الْعِبَادِ، وَهُمْ: الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ كُلِّ الْأُمَمِ، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا، وَأَنَّ النَّارَ وَأَذْرَاكَهَا، وَمَا فِيهَا مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ دَائِمٍ، هِيَ: لِلْكَفَّارِ وَهُمْ: كُلُّ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ تَعَالَى إِيْمَانًا صَحِيحًا، وَبِمَا جَاءَ بِهِ رُسُلُهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا، وَالْأَدَلَّةُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ ﴿١٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَتَغَوَّنَ عَنْهَا حَوْلًا ۖ ﴿١٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧ - ١٠٨]، وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦]، وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِأُمِّ «حَارِثَةَ بْنِ سُرَّاقَةَ» وَقَدْ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ، حِينَ سَأَلَتْهُ عَمَّا إِذَا كَانَ وَلَدُهَا فِي الْجَنَّةِ فَلَنْ تَبْكِي عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَهِيَ جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ؟ إِنَّهَا جَنَّاتٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى».

المسألة الثالثة: «رُؤْيَا اللَّهِ تَعَالَى فِي الْجَنَّةِ».

وفيهما قال النَّازِمُ:

٥٧ - يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ بِغَيْرِ كَيْفٍ      وَإِذَا رَأَوْهُ وَضُرِبَ مِنْ مِثَالِ

٥٨ - فَيَنْسَوْنَ النَّعِيمَ إِذَا رَأَوْهُ      فَيَا خُسْرَانِ أَهْلَ الْإِعْتِرَالِ

أشار النَّازِمُ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ إِلَى ثَلَاثَةِ أُمُورٍ:

أَوَّلُهَا: ثُبُوتُ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ تَعَالَى فِي الْجَنَّةِ بِغَيْرِ كَيْفٍ. وَثَانِيهَا: أَنَّ هَذِهِ الرُّؤْيَا هِيَ أَعْلَى مَرَاتِبِ النَّعِيمِ بِقَوْلِهِ: «فَيَنْسَوْنَ النَّعِيمَ إِذَا رَأَوْهُ». وَثَالِثُهَا: مَخَالَفَةُ الْمُعْتَزَلَةِ بِإِنْكَارِهِمُ الرُّؤْيَا، فَيُخْسِرُونَهَا بِسَبَبِ ذَلِكَ.



فقوله في «البيت الأول»: «يراه»: الضمير فيه يعود إلى المولى تبارك وتعالى، وأعاد الضمير على غير مذكور، لأن العلم به مُتَحَقِّقٌ، و«كَيْفٌ»: اسمٌ مُبْهَمٌ، وُضِعَ في الأصل للاستفهام عن الأحوال، ويستعمل للتعجب، فإن قيل لك: كيف رأيت فلاناً؟ تقول: رأيته من مسافة كذا، في جهة كذا، في مكان كذا، واقفاً، أو: قاعداً، مقبلاً، أو: مُدْبِراً، فهذه وأمثالها «أحوالٌ» وهي: «الكيفية»، فالمؤمنون يَرَوْنَ رَبَّهُمْ بلا كيف ولا كيفية.

وقوله: «وإدراكٌ» بكسر أوله، ومعناه هنا: الإحاطة بكنه الشيء وحقيقته، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وحقيقة «الإدراك» لغة: اللحاق، يقال: أدركه: إذا لحق به، و«الإدراك» في البيت هو: نوعٌ من «الكيف» المنفي عن الله تعالى، وخصّه بالذكر من بين سائر الأحوال، لمعنى الآية المذكورة.

وقوله: «وضربٌ من مثالٍ»: الصحيح: أن «من» هنا زائدة، وهو معطوفٌ على «كيفٍ»، أي: وبغير ضربٍ مثالٍ، وضربُ المَثَلِ هو: حكاية المعقول بالمحسوس، فإذا كان المعنى المعقول خافياً، فإن تمثيله بالمحسوس يُظهره ويرفع عنه الشبهة، كتمثيل وهن عقائد الكافرين بوهن بيت العنكبوت في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخْتَدُوا مِنَ ذُوبٍ اللَّهُ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ أَخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١]، والمعنى: أن المؤمن، يرى الله تعالى وهو الذي ليس كمثله شيء، فلا يستطيع أن يضرب لما رآه مثلاً.

وقوله في «البيت التالي»: «فيا خُسرانَ أهلِ الإعتزال»: «خُسران»: منادى منصوب لأنه مضاف، ونصبه عند سيبويه، بفعلٍ محذوفٍ حذفاً لازماً، لكثرة الاستعمال، وللدلالة حرف النداء عليه، وإفادته حرف النداء إفادة الفعل



وهو: طَلَبُ الإِقْبَالِ، وأجاز المُبَرِّدُ نَضْبَهُ بحرفِ النَّدَاءِ لَسَدُهُ مَسَدٌ الفعل، والمعنى: قد خَسِرَ المعتزلةُ بِإِنْكَارِهِمْ هذه الرؤيةَ، و«الإعتزال» هنا بقطع الهمزة لضرورة النَّظْمِ.

ومعنى البيتين: أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ سَيَرُونَ رَبَّهُمْ جَلًّا وَعَزًّا فِي الْجَنَّةِ بعيني رؤوسهم، مُنْزَهًا عَنِ الْمَقَابِلَةِ، والجهة، والمكان، وسائر الأحوال، رُؤْيَةً بِلَا كَيْفٍ، وَلَا إِدْرَاكِ حَقِيقَةٍ، وَلَا ضَرْبِ مَثَالٍ، بِأَنْ يَقْوِيَهُمْ تَعَالَى لِرُؤْيَتِهِ، كَمَا قَوَّى مُوسَى ﷺ فِي الدُّنْيَا لِسَمَاعِ كَلَامِهِ، وَلَمْ يَقْوِهِ لِرُؤْيَتِهِ، حِينَ طَلَبَهَا قَائِلًا: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وَلَوْ قَوَّاهُ لَهَا، لَرَأَاهُ فِي الدُّنْيَا كَمَا سَمِعَ كَلَامَهُ حِينَ قَوَّاهُ لِسَمَاعِهِ.

ومعلوم: أَنَّ اللَّهَ يَقْوِي أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي أَجْسَامِهِمْ وَحَوَاسِّهِمْ وَجَوَارِحِهِمْ، كَيْ يَسْتَوْعِبُوا النَّعِيمَ الَّذِي لَا يَخْطُرُ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ففِي الصَّحِيحِينَ وَأَحْمَدُ قَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَدْخُلُونَهَا أَبْنَاءَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ، وَهُمْ عَلَى خَلْقِ آدَمَ وَصُورَتِهِ: سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي عَرْضِ سَبْعَةِ أَذْرُعٍ».

وَإِذَا رَأَوْهُ تَعَالَى فَإِنَّهُمْ يَنْسَوْنَ كُلَّ نَعِيمِ الْجَنَّةِ، لِأَنَّ النَّظَرَ إِلَيْهِ تَعَالَى، هُوَ أَعْلَى مَرَاتِبِ النَّعِيمِ، وَلِأَنَّ الْمُعْتَزِلَةَ يَنْكُرُونَهَا، فَيَصَابُونَ بِالْخُسْرَانِ بِحَرَمَانِهِمْ رُؤْيَتَهُ جَلًّا وَعَزًّا.

وإثبات الرؤية ووقوعها، هو مذهب أهل السنة والجماعة، مستدلّين بقوله جَلًّا وَعَزًّا: ﴿رُؤْيُوهُ يَوْمَئِذٍ تَأْخِذُ﴾ (٢٢) ﴿إِلَّا رِيحًا نَافِثَةً﴾ (٢٣) [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، وبتفسير «الزيادة» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَتَى وَزِيَادَةٌ﴾ بِأَنَّهَا النَّظَرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا فِي مُسْلِمٍ وَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِمَا، عَنْ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ صَحَابِيًّا مِنْهُمْ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَبِيٌّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، وَالسَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَفِي الصَّحِيحِينَ وَغَيْرِهِمَا، مِنْ حَدِيثِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَنَظَرْنَا إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ



البَذْرِ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَيَانًا، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ».

وأنكر المبتدعة ذلك، ومنهم المعتزلة، وأحالوا هذه الرؤية، زاعمين أَنَّ الرؤية لا تتعلق عقلاً، إلّا بما هو في جهة ومكان ومسافة مخصوصة، ولم يلتفتوا إلى النصوص المُثَبِّتة لها، وهذا سَبَبُ خُسرَانِهِمْ.

المسألة الرابعة: «بخول الجنة يكون بفضل الله تعالى».

وفيهما قال الناظم:

٥٩ - دُخُولُ النَّاسِ فِي الْجَنَّاتِ فَضْلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ يَا أَهْلَ الْأَمْوَالِ  
قوله: «فضل» هو لُغَةٌ: ضِدُّ «النَّقْصِ»، و«الفضيلة»: الدَّرَجَةُ الرَّفِيعَةُ، وَفَضْلُهُ تَفْضِيلًا: مَزَاهُ، أَي: أَعْطَاهُ مَزِيَّةً عَلَى غَيْرِهِ، و«أهل الأمالي»: جمع «إملاء» وهو: إلقاء الكلام عن الحِفْظِ عَلَى مَنْ يَكْتُبُهُ، وَتَقْدِمْ بَيَانُهُ فِي شَرْحِ «الْبَيْتِ الْأَوَّلِ»، وَمَرَادُهُ: أَهْلُ الْعِلْمِ.

ومعنى البيت: أَنَّ دُخُولَ الْجَنَّةِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، لَيْسَ عَنْ اسْتِحْقَاقِ الْمُؤْمِنِ ذَلِكَ لِقَاءَ عَمَلِهِ الصَّالِحِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ، وَأَمَّا رَفْعُ الدَّرَجَاتِ فِي الْجَنَّةِ، فَهُوَ يَقَعُ فِي مَقَابِلَةِ الْأَعْمَالِ، فَقَدْ رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ قَتَادَةَ السَّدُوسِيِّ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «تَجُوزُونَ الصَّرَاطَ بِعَفْوِ اللَّهِ، وَتَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَتُقْتَسِمُونَ الْمَنَازِلَ بِأَعْمَالِكُمْ»، لِأَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ وَإِنْ عَظُمَتْ، فَإِنَّهَا لَا تَفِي حَقَّ نِعْمَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ نِعَمِ الْخَالِقِ جَلًّا وَعِزًّا، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى تَفَضَّلَ عَلَى عِبَادِهِ، فَأَكْرَمَهُمْ بِالْوَعْدِ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، إِنَّهُمْ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَوَعْدُهُ تَعَالَى لَا يُخْلَفُ، فَلَا بُدَّ مِنْ دُخُولِ هَؤُلَاءِ الْعِبَادِ الْجَنَّةَ، لَا عَنْ اسْتِحْقَاقٍ، وَلَكِنْ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ، رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَارِبُوا وَسَدُّدُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُو أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ»،



قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ».

المسألة الخامسة: «بقاء الجنة والنار وأهلها».

وفيها قال الناظم:

٦٠ - وَلَا تَفْنَى الْجَحِيمُ وَلَا الْجَنَّةُ وَلَا أَهْلُوهما أَهْلُ انْتِقَالٍ

ومعنى البيت: أنه مما يجب اعتقاده والإيمان به: أن الجنة والنار باقيتان خالدتان، ولا تفتيان أبداً، بلا انقطاع ولا نهاية، وأن أصحاب الجنة وهم: المؤمنون، وأصحاب النار وهم: الكفار من الإنس والجن، خالدون فيهما أبداً، بلا انتقال منهما، إلا عصاة المؤمنين الذين أدخلوا النار بذنوبهم، فإنهم لا يُخلَّدون فيها، ومآلهم الجنة: إما بشفاعاة الشافعين، وإلا فبرحمة الله رب العالمين.

هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، ولا يُلتفت إلى ما زعمه بعضهم من فناء النار وأهلها في المال، لمخالفته النصوص وإجماع السلف والخلف، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۖ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۖ﴾ [الأحزاب: ٦٤ - ٦٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۖ﴾ [الكهف: ١٠٧ - ١٠٨].

وروى البخاري وأحمد واللفظ له، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صار أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، جيء بالموت حتى يوقف بين الجنة والنار ثم يُذْبَح، ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة خلُّوْا لا مَوْتَ، ويا أهل النار خلُّوْا لا مَوْتَ، فازداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، وازداد أهل النار حُزناً إلى حُزْنهم».



وبعد أن ذَكَرَ النَّاطِمُ: بقاء الجنة والنَّار، وخلود أهلها فيهما أبداً، أشار إلى عَصاة المؤمنين من مرتكبي الكبائر، الذين دخلوا النَّارَ بذنوبهم: أَنَّهُمْ لَا يَتَّقُونَ فيها وهذه هي:

**المسألة السادسة: «المؤمن العاصي لا يُخَلَّدُ في النار».**

وفيها قال النَّاطِمُ:

٦١ - وَذُو الْإِيمَانِ لَا يَبْقَى مُقِيمًا بِسُوءِ الذَّنْبِ فِي دَارِ اشْتِعَالٍ

قوله: «سُوءُ الذَّنْبِ» الباء للسببية، وفيه: إضافة الصِّفَةِ إلى الموصوف، وأصله: بسببِ الذَّنْبِ السَّيِّئِ، و«دار اشتعال» أي: جهنم، فهي مشتعلة دائماً وأبداً.

ومعنى البيت: أَنَّ المؤمنَ العاصي بارتكاب الكبائر، ولم تَشْمَلْهُ شَفَاعَةُ سيدنا محمد ﷺ بَأَن لا يدخل النَّارَ، أو لم يَشْمَلْهُ الله تعالى بعفوه ورحمته بعد انتهاء الشِّفَاعَاتِ، فإنَّه سيدخل النَّارَ جزاء ما ارتكب، ولكنَّه لا يُخَلَّدُ فيها، لأنَّ فِعْلَ الكبيرة سوى الشُّرْكَ بالله تعالى، لا يُخْرِجُ فاعِلَهَا من الإيمان، ومآله الخروجُ من النَّارِ إلى الجنة، لأنَّ الجنة هي دارُ خُلُودِهِ، قال في «البرازية»: مَنْ قال بتخليد أصحاب الكبائر فهو مُبْتَدِعٌ.

### خَاتِمَةُ النَّاطِمِ

ثُمَّ خَتَمَ النَّاطِمُ رحمه الله تعالى وجزاه خيراً، منظومته بِسِتَّةِ أبياتٍ بَيَّن فيها: بديعَ نَظْمِها، ودقائقَ معانيها، وفوائدَ حفظها واعتقاد ما فيها من مسائل الاعتقاد.

ثُمَّ طلب مِنْ قارئِ منظومته هذه: أَنْ يذكره بالخير في دعواتهم، لعلَّ الله تعالى يرحمه ويعطيه السَّعادة في الآخرة.



وَطَلَبُ الدُّعَاءِ مِنَ الْغَيْرِ مُسْتَحَبٌّ، فَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ - وَاللَّفْظُ لَهُ - وَابْنُ مَاجَهَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه): أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) فِي الْعُمْرَةِ فَقَالَ: «أَيُّ أَخِي، أَشْرَكْنَا فِي دَعَائِكَ وَلَا تَنْسَنَا»، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَفِي رَوَايَةٍ: «لَا تَنْسَنَا يَا أَخِي مِنْ دَعَائِكَ»، فَسَرَّ عُمَرُ (رضي الله عنه) بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) وَقَالَ: «مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا».

فَقَالَ الْأَوْشِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٦٢ - لَقَدْ أَلْبَسْتُ لِلتَّوْحِيدِ نَظْمًا      بَدِيعَ الشَّكْلِ كَالسُّخْرِ الْحَلَالِ

قوله: «نَظْمًا» هو: مصدر: نَظَمَهُ يَنْظُمُهُ، وَأَرَادَ بِهِ: «المنظوم» أي: ما نَظَمَهُ، و«بَدِيع»: معناه في الأصل: اختراعُ الشَّيْءِ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧].

وَمَعْنَى «الْبَدِيعِ» أَيْضًا: الشَّيْءُ الَّذِي يَكُونُ أَوَّلًا، يَقَالُ: أَبْدَعَ الشَّاعِرُ: جَاءَ بِالْبَدِيعِ، وَ«الشَّكْلُ»: الْمِثْلُ، أَيْ: هَذَا النِّظْمُ بَدِيعُ الْمِثْلِ، لَمْ يُنْظَمْ مِثْلُهُ لَهُ.

فَهُوَ يَصِفُ مَنْظُومَتَهُ بِعَدَمِ سَبْقِ أَحَدٍ إِلَى مِثْلِهَا، وَهِيَ كَذَلِكَ، فَقَدْ نَظَمَهَا عَلَى «الْبَحْرِ الْوَافِرِ»، وَغَالِبُ مَنْظُومَاتِ الْعُلُومِ مِنْ «بَحْرِ الرَّجَزِ»، وَكَلِمَاتُهَا مَخْتَارَةٌ عَنْ عِلْمٍ كَامِلٍ بِمَعْنَى كُلِّ كَلِمَةٍ، فَالَّذِينَ أَكْثَرُوا الْإِعْتِرَاضَ عَلَيْهِ مِنَ الشُّرَاحِ، لَمْ يَفْقَهُوا مَا أَرَادَ، وَقَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ فِي مَوَاضِعِهِ.

وَقَوْلُهُ: «كَالسُّخْرِ الْحَلَالِ»: «السُّخْرُ»: كُلُّ مَا لَطَفَ مَأْخِذُهُ وَدَقُّ، وَيُقَالُ: السُّخْرُ: «إِخْرَاجُ الشَّيْءِ فِي أَحْسَنِ مَعَارِضِهِ» - أَيْ: وَجُوهِهِ - حَتَّى يُفْتَنَ، وَلِذَلِكَ: يَقَالُ لِلرَّائِقِ الْمُعْجَبِ: هُوَ: السُّخْرُ الْحَلَالُ، وَوَصَفَ «السُّخْرَ» بِ«الْحَلَالِ»، لِإِخْرَاجِ السُّخْرِ الْمَحْرَمِ، وَهُوَ مَا يَفْعَلُهُ السَّحَرَةُ، وَهُوَ مِنْ بَابِ التَّشْبِيهِ.



وِخْلَاصَةُ مَعْنَى الْبَيْتِ: أَنَّكَ أَيُّهَا الْقَارِئُ، سَتَجِدُ عِلْمَ التَّوْحِيدِ وَمَسَائِلَهُ فِي كَلِمَاتِ هَذَا النَّظْمِ، الَّتِي جَعَلْتُهَا لِبَاسًا لِمَعَانِيهِ، وَهُوَ نَظْمٌ بَدِيعُ الشَّكْلِ، لَمْ أَسْبِقْ إِلَى مِثْلِهِ، وَسَتَكُونُ مُعْجَبًا بِهِ مَشْغُوفًا.

وَلَا بَأْسَ بِأَنْ يَمْدَحَ الْمُؤَلِّفُ أَوْ: النَّازِمُ عَمَلَهُ، لِحَثِّ الطَّلَبَةِ عَلَى اخْتِذِ الْعِلْمِ مِنْهُ، إِذَا أَخْلَصَتِ النِّيَّةُ لِلَّهِ تَعَالَى.

ثُمَّ تَابَعَ النَّازِمُ يَصِفُ نَظْمَهُ فَقَالَ:

٦٣ - يُسَلِّي الْقَلْبَ كَالْبُشْرَى بِرُوحٍ وَيُحْيِي الرُّوحَ كَالْمَاءِ الزُّلَالِ

فَاعِلُ قَوْلِهِ: «يُسَلِّي»: ضَمِيرٌ مُسْتَرٌّ يَعُودُ إِلَى «النَّظْمِ» فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ، يُقَالُ: سَلَّاهُ عَنْ هَمِّهِ وَأَسْلَاهُ أَيُّ: كَشَفَهُ عَنْهُ، أَوْ: جَعَلَهُ يَسْلُوهُ، وَقَوْلُهُ: «كَالْبُشْرَى»: هِيَ: الْحَبْرُ يُؤَثِّرُ فِي الْبَشَرَةِ تَغْيِيرًا، وَهَذَا يَكُونُ فِي الْحُزْنِ أَيْضًا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِكَذَابِ آلِهِمْ﴾ [آل عمران: ٢١]، لَكُنْ: غَلَبَ اسْتِعْمَالُهُ فِيمَا يُفْرِحُ، وَإِذَا أُطْلِقَتِ الْبُشْرَى أَوْ الْبَشَارَةُ اخْتُصَّتْ بِالْخَيْرِ، وَقَوْلُهُ: «بِرُوحٍ»، بِفَتْحِ الرَّاءِ: الْفَرَحُ وَالسُّرُورُ، يُقَالُ: رَوَّحَ قَلْبَهُ: أَنْعَشَهُ وَطَيَّبَهُ، وَقَوْلُهُ: «كَالْمَاءِ الزُّلَالِ» أَيُّ: الْعَذْبِ الصَّافِي، وَوَجْهُ الشَّبَهِ بَيْنَ هَذَا النَّظْمِ وَالْمَاءِ الزُّلَالِ: فِي الصِّفَاءِ وَالْخِلَاصِ مِنَ الْكَدْرِ وَالشَّوَابِ.

وَمَعْنَى الْبَيْتِ: أَنَّ نَظْمَهُ هَذَا يَكْشِفُ عَنِ الْقَلْبِ غَمَّ الْجَهْلِ، وَيُنْعِشُهُ بِمَا تَضَمَّنَهُ مِنْ عِلْمٍ، كَمَا تَكْشِفُ الْبُشْرَى هَمَّ الْقَلْبِ بِالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ، وَأَنَّ فِي هَذَا النَّظْمِ مِنَ الْعِلْمِ بِالْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ، مَا يُحْيِي رُوحَ الْمُؤْمِنِ بِعِلْمِهِ وَحِفْظِهِ وَاعْتِقَادِهِ، وَلِهَذَا حَثَّ النَّازِمُ عَلَى حِفْظِهِ وَاعْتِقَادِهِ مَا فِيهِ فَقَالَ:

٦٤ - فَخَوْضُوا فِيهِ حِفْظًا وَاعْتِقَادًا تَنَالُوا جِنْسَ أَصْنَافِ الْمَنَالِ

قَوْلُهُ: «فَخَوْضُوا»: يُقَالُ: خَاضَ الْعَمْرَاتِ: اقْتَحَمَهَا، وَخَاضَ الْقَوْمُ فِي الْحَدِيثِ وَتَخَاوَضُوا: أَيُّ: تَفَاوَضُوا فِيهِ، وَالْمَعْنَى: فَخَوْضُوا فِي هَذَا



النَّظْمَ بالحفظ والاعتقاد، فَإِنْ فَعَلْتُمْ يَا طَلَبَةَ الْعِلْمِ ذَلِكَ، تَنَالُوا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى كُلَّ أَصْنَافِ الْمَنَالِ وَالْعَطَاءِ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وأشار بقوله: «فخوضوا فيه حفظاً واعتقاداً»، إلى ما ينبغي أَنْ يَعْمَلَ بِهِ هَذَا النَّظْمُ، لَا أَنْ يَخَاضَ فِيهِ بِالنَّقْدِ وَالتَّشْكِيكِ وَالتَّجْرِيحِ، عَلَى طَرِيقَةِ الْحَاسِدِينَ أَوْ: الْجَاهِلِينَ.

ثُمَّ التَّمَسَّ الْمُسَاعِدَةُ مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ، الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي هَذَا النَّظْمِ حِفْظاً وَاعْتِقَاداً، بِأَنْ يَذْكُرُوهُ بِالْخَيْرِ طَوْلَ أَعْمَارِهِمْ فَقَالَ:

٦٥ - وَكُونُوا عَوْنَ هَذَا الْعَبْدِ دَهْرًا بِذِكْرِ الْخَيْرِ فِي حَالِ ابْتِهَالِ

«الدَّهْرِ»: الزَّمَانُ، جَمْعُهُ: «دُهُور»، ومراده به: مُدَّةُ عُمُرِكُمْ، وقوله:

«فِي حَالِ ابْتِهَالِ»: أَي: فِي حَالِ التَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالْاجْتِهَادِ فِي الدُّعَاءِ.

وَالْمَعْنَى: كُونُوا أَيُّهَا الْحَافِظُونَ هَذَا النَّظْمَ، وَالْمُعْتَقِدُونَ مَا فِيهِ، عَوْنًا لَهُ بِدُعَائِكُمْ لَهُ بِالْخَيْرِ، فِي حَالِ تَضَرُّعِكُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ الدَّاعِيَ وَالْمَدْعُوَّ لَهُ، وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِ«الْعَبْدِ»، تَقْرِيراً لِمَقَامِ الْعِبَادِيَّةِ، وَإِظْهَاراً لِلْفَقْرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ حَالٍ، وَكَانَ قَدْ افْتَتَحَ مَنَظُومَتَهُ بِذَلِكَ أَيْضاً بِقَوْلِهِ: «يَقُولُ الْعَبْدُ فِي بَيْدِ الْأَمَلِي».

وَلِأَنَّ الدُّعَاءَ لَا يَنْفَعُ إِلَّا إِذَا تَحَقَّقَتِ الِاسْتِجَابَةُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، أَضَافَ قَائِلاً:

٦٦ - لَعَلَّ اللَّهَ يَغْفُوهُ بِفَضْلِ وَيُعْطِيهِ السَّعَادَةَ فِي الْمَالِ

قَوْلُهُ: «لَعَلَّ اللَّهَ»: «لَعَلَّ» فِي اللُّغَةِ: لِلتَّرَجِّي، وَقَرَنَهَا النَّازِمُ بِلَفْظِ الْجَلَالَةِ لِيَرْفَعَ مَعْنَى: «التَّرَجِّي» إِلَى تَحَقُّقِ الْوُقُوعِ، أَي: إِنْ دَعَوْتُمْ لِي بِالْخَيْرِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَسْتَجِيبُ دُعَاءَكُمْ، وَذَلِكَ لِحُسْنِ ظَنِّهِ بِاللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ.



وقوله: «يَعْفُوهُ» مُتَعَدِّياً بِالضَّمِيرِ مَفْعُولاً بِهِ، أَي: يُبْرِئُهُ مِنَ الذُّنُوبِ  
يَقَالُ: أَعْفَاهُ مِنَ الْأَمْرِ: بَرَّأَهُ، وَيُلْفَظُ بِإِشْبَاعِ هَاءِ الضَّمِيرِ لِلزَّنِّ، وَقوله: «فِي  
الْمَالِ»: أَي: مَرَجَعَ الْعِبَادَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهُوَ يَقُولُ: إِنَّ  
أَنْتُمْ دَعَوْتُمْ لِي بِالْخَيْرِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِفَضْلِهِ يُبْرِئُنِي مِنْ ذُنُوبِي، وَيُعْطِينِي  
السَّعَادَةَ فِي الْآخِرَةِ.

ثم ختم الناظم سراج الدين الأوشي رحمه الله تعالى منظومته طالباً  
الدُّعَاءَ لَهُ بِالْخَيْرِ، وَمُبَادِلًا الدُّعَاءَ بِمِثْلِهِ فَقَالَ:

٦٧ - وَإِنِّي الدَّهْرَ أَدْعُو كُنْهُ وَسُعْيِي لِمَنْ بِالْخَيْرِ يَوْمًا قَدْ دَعَا لِي

مراده بالدَّهْرَ: مُدَّةُ عَمْرِهِ، وَقوله: «كُنْهُ وَسُعْيِي»: «كُنْهُ الشَّيْءِ» بضم  
الكَافِ: جَوْهَرُهُ وَغَايَتُهُ وَقَدْرُهُ، وَ«الْوُسْعُ»: الطَّاقَةُ، وَمَعْنَاهُ، أَنِّي أَظَلَّ طَوْلَ  
عَمْرِي أَدْعُو بِالْخَيْرِ لِمَنْ دَعَا لِي بِهِ.

والدُّعَاءُ لِلْغَيْرِ فِي ظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابٌ، لِأَنَّهُ دَعَاءٌ بِإِخْلَاصٍ وَصِدْقٍ،  
فَفِي مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ  
الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ  
بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ».

### خاتمة الشرح

كَانَ تِمَامُ هَذَا الشَّرْحِ الْمُبَارَكِ بِعَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى، فِي يَوْمِ السَّبْتِ:  
الْعَشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ، مِنْ عَامِ تِسْعَةِ وَعَشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَأَلْفٍ لِلْهَجْرَةِ  
النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ، الْمَوَافِقُ لِلْسَّادِسِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ نَيْسَانَ عَنْ عَامِ ثَمَانِيَةِ وَأَلْفَيْنِ  
لِلْمِيلَادِ، فِي مَدِينَةِ بَيْرُوتِ الْمَحْرُوسَةِ، بِيَدِ جَامِعِهِ الْقَاضِي: «مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ  
ابْنِ حَسَنَ بْنِ حُسَيْنِ كُنْعَانَ» رَئِيسِ «الْمَحْكَمَةِ الشَّرْعِيَّةِ السَّنِّيَّةِ الْعَلِيَا» فِي لُبْنَانَ.



وَأَخْتَمَهُ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ، نَسَجْتُهَا عَلَى مِثْوَالِ الْأَوْشِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى  
فَقُلْتُ:

وَلَا أَنْسَى فَضَائِلَهُ بِحَالٍ	وَلِلْأَوْشِيِّ أَذْعُو كُلَّ آتٍ
يُصَفِّيهِ بِنَظْمٍ كَاللَّائِلِي	فَمِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ رَشَفْتُ شَهْدًا
وَأَعْطَاهُ السَّعَادَةَ فِي الْمَالِ	جَزَاهُ اللَّهُ رَبِّي كُلَّ خَيْرٍ
بِمَا أَلْهَمْتَ مِنْ «بَذْءِ الْأَمَالِي»	يَا مَوْلَى الْعِبَادِ إِلَيْكَ شُكْرِي
مِنْ الْأَخْطَاءِ أَوْ: سَوْءِ الْمَقَالِ	يَا رَبَّ الْكَرِيمِ لَكَ اعْتِزَارِي
وَعَايَةَ مَقْصِدِي: إِصْلَاحُ بَالِي	فَعَفْوُكَ يَا رَحِيمُ مُرَادُ قَلْبِي
لِمَنْ بِالْخَيْرِ يَوْمًا قَدْ دَعَا لِي	وَأَذْعُو مِثْلَمَا الْأَوْشِيُّ يَذْعُو
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ	





## تَرْتِيبُ أَبْيَاتِ الْمَنْظُومَةِ كَمَا جَاءَتْ فِي الشَّرْحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ - يَقُولُ الْعَبْدُ فِي بَدْءِ الْأَمَالِي لِتَوْحِيدِ بَنْظَمٍ كَاللَّي

### البَابُ الْأَوَّلُ: فِي الْأُلُوهِيَّاتِ

- |   |  |
|---|--|
| <p>٢ - إِلَهُ الْخَلْقِ مَوْلَانَا قَدِيمٌ</p> <p>٣ - هُوَ الْحَيُّ الْمَدْبُرُ كُلِّ أَمْرٍ</p> <p>٤ - صِفَاتُ الذَّاتِ وَالْأَفْعَالِ طُرّاً</p> <p>٥ - وَمَا الْقُرْآنُ مَخْلُوقاً، تَعَالَى</p> <p>٦ - وَغَيْرَانِ الْمَكُونُ لَا كَشْيَةٍ</p> <p>٧ - صِفَاتُ اللَّهِ لَيْسَ عَيْنَ ذَاتٍ</p> <p>٨ - نُسَمِّي اللَّهَ شَيْئاً لَا كَالْأَشْيَاءِ</p> <p>٩ - وَلَيْسَ الْإِسْمُ غَيْراً لِلْمُسَمَّى</p> <p>١٠ - مُرِيدُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ الْقَبِيحِ</p> | <p>وَمَوْصُوفٌ بِأَوْصَافِ الْكَمَالِ</p> <p>هُوَ الْحَقُّ الْمَقْدَّرُ نُو الْجَلَالِ</p> <p>قَدِيمَاتٌ مَصُونَاتُ الزُّوَالِ</p> <p>كَلَامُ الرَّبِّ عَنْ جِنْسِ الْمَقَالِ</p> <p>مَعَ التَّخْوِينِ خُذُهُ لَا تَحْتَخَالِ</p> <p>وَلَا غَيْراً سِوَاهُ ذَا انْفِصَالِ</p> <p>وَذَاتاً عَنْ جِهَاتِ السُّتِّ خَالِي</p> <p>لَدَى أَهْلِ الْبَصِيرَةِ خَيْرِ آلِ</p> <p>وَلَكِنْ لَيْسَ يَرْضَى بِالْمُخَالِ</p> |
|---|--|

### البَابُ الثَّانِي: فِي التَّنْزِيهَاتِ

- |  |  |
|--|--|
| <p>١١ - وَمَا التَّشْبِيهُ لِلرَّحْمَنِ وَجْهاً</p> <p>١٢ - وَمَا إِنَّ جَوْهَرَ رَبِّي وَجِسْمَ</p> | <p>فَصُنْ عَنْ ذَلِكَ أَضْنَافَ الْأَهَالِي</p> <p>وَلَا كُلُّ وَبَغْضٍ نُو اشْتِمَالِ</p> |
|--|--|



- ١٣ - وَلَا يَفْضِي عَلَى النَّيَّانِ وَقْتُ  
وَأَحْوَالٍ وَأَزْمَانٍ بِحَالٍ  
١٤ - وَرَبُّ الْعَرْشِ فَوْقَ الْعَرْشِ لَكُنْ  
بِلَا وَضْفِ التَّمَكُّنِ وَاتِّصَالِ  
١٥ - وَمَا إِنْ فَعَلَ أَضْلَحَ ثُو افْتِرَاضِ  
عَلَى الْهَادِي الْمُقَنَّسِ ذِي التَّعَالِي  
١٦ - وَمُسْتَغْنِي إِلَهِي عَنْ نِسَاءِ  
وَأَوْلَادٍ إِنْسَانِيٍّ أَوْ رَجَالِ  
١٧ - كَذَا عَنْ كُلِّ ذِي عَوْنٍ وَنَضْرٍ  
تَفَرَّدَ نُو الْجَلَالِ وَنُو الْمَعَالِي

### البَابُ الثَّلَاثُ: فِي الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ

- ١٨ - وَثُنَيْنَا حَيِّثُ، وَالْهَيُولَى  
عَسِيمُ الْكَوْنِ، فَاسْمَعْ بِاجْتِدَالِ  
١٩ - وَفِي الْأَذْهَانِ حَقٌّ كَوْنُ جُزْءٍ  
بِلَا وَضْفِ التَّجَزِّيِّ يَا ابْنَ خَالِي  
٢٠ - وَمَا الْمَعْنُومُ مَزْنِيًّا وَشَيْنًا  
لِفَقْهِ لَاحٍ فِي يُفْنِ الْهَلَالِ

### البَابُ الرَّابِعُ: فِي النَّبَوِيَّاتِ

- ٢١ - وَنُو الْقَرْنَيْنِ لَمْ يُعْرِفْ نَبِيًّا  
كَذَا لُقْمَانُ، فَاخْذَرْ عَنْ جِدَالِ  
٢٢ - وَمَا كَانَتْ نَبِيًّا قَطُّ أَتْنَى  
وَلَا عَبْدٌ وَشَخْصٌ نُو افْتِعَالِ  
٢٣ - وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَفِي أَمَانٍ  
مِنَ الْعَصِيَانِ عَفْدًا وَانْعِرَالِ  
٢٤ - وَخَتَمَ الرُّسُلِ بِالصُّدْرِ الْمُعَلَّى  
نَبِيٍّ هَاشِمِيٍّ ذِي جَمَالِ  
٢٥ - إِمَامِ الْأَنْبِيَاءِ بِلَا اخْتِلَافِ  
وَتَاجِ الْأَصْفِيَاءِ بِلَا اخْتِلَالِ  
٢٦ - وَبَاقِ شَرْعُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ  
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَازْتِحَالِ  
٢٧ - وَحَقٌّ أَمْرٌ مِفْرَاجٍ وَصِنَقٌ  
وَفِيهِ نَصٌّ لَخَبَارِ عَوَالِي

### البَابُ الْخَامِسُ: فِي الْوِلَايَةِ وَالْكَرَامَةِ

- ٢٨ - كَرَامَاتُ الْوَالِيِّ بَدَارُ ثُنْيَا  
لَهَا كَوْنٌ فَهَمُّ أَهْلُ النُّوَالِ



٢٩ - وَلَمْ يَفْضُلْ وَلِيٌّ قَطُّ دَهْرًا نَبِيًّا أَوْ رَسُولًا فِي انْتِحَالِ

### الباب السادس: في أحكام الإيمان والتقليد فيه

٣٠ - وَمَا أَفْعَالَ خَيْرٍ فِي حِسَابٍ مِنْ الْإِيمَانِ مَفْرُوضِ الْوَصَالِ

٣١ - وَمَا عُذْرٌ لَدِي عَقْلٍ بِجَهْلٍ بِخَلْقِ الْأَسَافِلِ وَالْأَعَالِي

٣٢ - وَفَرَضَ لِزِمِّ تَضَدِّيقِ رُسُلٍ وَأَمْلَاكِ كِرَامٍ بِالتَّوَالِي

٣٣ - وَلِلدَّعَوَاتِ تَأْتِيْرٌ بَلِيغٌ وَقَدْ يَنْفِيهِ أَصْحَابُ الضَّلَالِ

٣٤ - وَإِنَّ السُّخْتَ رِزْقٌ مِثْلُ جِلٍّ وَإِنْ يَخْرَهُ مَقَالِي كُلُّ قَالِي

٣٥ - وَإِيمَانُ الْمُقْلَدِ نُو اعْتِبَارٍ لِأَنْوَاعِ الدَّلَائِلِ كَالنُّصَالِ

٣٦ - وَمَا إِيْمَانُ شَخْصٍ حَالٍ يَأْسٍ بِمَقْبُولٍ لِفَقْدِ الْإِمْتِنَالِ

### الباب السابع: في أحكام الرِّدَّة عن الإسلام

٣٧ - وَمَنْ يَنْتَوِي ارْتِدَادًا بَعْدَ دَهْرٍ يَحِزُّ عَنْ بَيْنِ حَقٍّ ذَا انْسِلَالِ

٣٨ - وَلَفْظُ الْكُفْرِ مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادٍ بِطُوعٍ، رَدُّ بَيْنٍ بِاغْتِفَالِ

٣٩ - وَلَا يُقْضَى بِكُفْرٍ وَارْتِدَادٍ بِعَهْرٍ أَوْ بِقَتْلِ وَلِخْتِرَالِ

٤٠ - وَلَا تَحْكُمُ بِكُفْرٍ حَالٍ سُخْرِ بِمَا يَهْذِي وَيَلْغُو بِازْتِجَالِ

### الباب الثامن: في أصحاب رسول الله ﷺ

٤١ - وَلِلصُّنِّيْقِ رُجْحَانٌ وَفَضْلٌ عَلَى الْأَصْحَابِ مِنْ غَيْرِ اخْتِمَالِ

٤٢ - وَلِلْفَارُوقِ رُجْحَانٌ وَفَضْلٌ عَلَى عَثْمَانَ ذِي النُّوْرَيْنِ عَالِي

٤٣ - وَنُو النُّوْرَيْنِ حَقًّا كَانَ خَيْرًا مِنَ الْكَرَّارِ فِي صَفِّ الْقِتَالِ

٤٤ - وَلِلْكَرَّارِ فَضْلٌ بَعْدَ هَذَا عَلَى الْأَغْيَارِ طُرًّا لَا تُبَالِ



- ٤٥ - وَلِلصُّنَيْفَةِ الرُّجْحَانُ فَاغْلَمَ عَلَى الزُّهْرَاءِ فِي بَعْضِ الْخِلَالِ  
٤٦ - وَلَمْ يَلْعَنُ يَزِيداً بَعْدَ مَوْتِ سِوَى الْمِخْتَارِ فِي الْإِعْرَاءِ غَالِي

### الباب التاسع: في عالم الآخرة

- ٤٧ - وَفِي الْأَجْدَاثِ عَنْ تَوْحِيدِ رَبِّي سَيُنْبَلَى كُلُّ شَخْصٍ بِالسُّؤَالِ  
٤٨ - وَلِلْكَفَّارِ، وَالْفُسَّاقِ بَغْضِ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنْ سُوءِ الْفِعَالِ  
٤٩ - وَعَيْسَى سَوْفَ يَأْتِي ثُمَّ يَتَوَي لِنَجَّالٍ شَقِيٍّ ذِي خَبَالٍ  
٥٠ - يُمِيتُ الْخَلْقَ طُرّاً ثُمَّ يُحْيِي فَيَجْزِيهِمْ عَلَى وَفْقِ الْخِصَالِ  
٥١ - وَتُغْفَى الْكُتُبُ: بَغْضاً نَحْوَ يُفْنَى وَبَغْضاً نَحْوَ ظَهْرِ وَالشَّمَالِ  
٥٢ - حِسَابُ النَّاسِ بَعْدَ الْبَغْثِ حَقٌّ فَكُونُوا بِالتَّحَرُّزِ عَنْ وَبَالِ  
٥٣ - وَحَقٌّ وَزَنُّ أَعْمَالٍ وَجَزْيٍ عَلَى مَثْنِ الصُّرَاطِ بِلَا اهْتِبَالِ  
٥٤ - وَمَرْجُو شَفَاعَةِ أَهْلِ خَيْرٍ لِأَصْحَابِ الْكِبَائِرِ كَالْجِبَالِ  
٥٥ - وَلِلْجَنَّاتِ وَالنَّيِّرَانِ كَوْنٌ عَلَيْهَا مَرُّ أَخْوَالٍ خَوَالِي  
٥٦ - لِأَهْلِ الْخَيْرِ جَنَّاتٌ وَتُغْمَى وَلِلْكَفَّارِ أَنْدَاكُ النُّكَالِ  
٥٧ - يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ بِغَيْرِ كَيْفٍ وَإِنْ أَرَاكَ وَضُرِبَ مِنْ مِثَالِ  
٥٨ - فَيَنْسَوْنَ النُّعِيمَ إِذَا رَأَوْهُ فَيَا خُسْرَانَ أَهْلِ الْإِغْتِرَالِ  
٥٩ - نُخُولُ النَّاسِ فِي الْجَنَّاتِ فَضْلٌ مِنَ الرُّحْمَنِ يَا أَهْلَ الْأَمَالِي  
٦٠ - وَلَا تَفْنَى الْجَحِيمُ وَلَا الْجِنَّانُ وَلَا أَهْلُوهما أَهْلُ انْتِقَالِ  
٦١ - وَثَوِّ الْإِيمَانِ لَا يَبْقَى مُقِيمَا بِسُوءِ النَّتَبِ فِي دَارِ اشْتِعَالِ

### خاتمة المنظومة

- ٦٢ - لَقَدْ أَلْبَسْتُ لِلتَّوْحِيدِ نَظْماً بَيْعَ الشُّكْلِ كَالسَّخْرِ الْخَلَالِ



- ٦٣ - يُسَلِّي الْقَلْبَ كَالْبُشْرَى بِرُوحِ  
وَيُخَيِّ الرُّوحَ كَالْمَاءِ الزُّلَالِ  
٦٤ - فَخَوْضُوا فِيهِ حِفْظاً وَاعْتِقَاداً  
تَنَالُوا جِنْسَ أَصْنَافِ الْمَنَالِ  
٦٥ - وَكُونُوا عَوْنٌ هَذَا الْعَبْدَ دَهْرًا  
بِذِكْرِ الْخَيْرِ فِي حَالِ ابْتِهَالِ  
٦٦ - لَعَلَّ اللَّهَ يَغْفُوهُ بِفَضْلِ  
وَيُعْطِيهِ السَّعَادَةَ فِي الْمَالِ  
٦٧ - وَإِنِّي الدَّهْرَ أَذْغُو كُنْهَ وَسْعِي  
لِمَنْ بِالْخَيْرِ يَوْمًا قَدْ دَعَا لِي

انتهت منظومة «بَدْءِ الْأَمَالِي»

وقال الشارح خاتماً شَرْحَهُ

- ١ - وَلِلْأَوْشِيِّ أَذْغُو كُلَّ أَنْ  
وَلَا أَنْسَى فَضَائِلَهُ بِحَالِ  
٢ - فَمِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ رَشَفْتُ شَهْدًا  
يُصَفِّيهِ بِنَظْمٍ كَاللَّالِي  
٣ - جَزَاهُ اللَّهُ رَبِّي كُلَّ خَيْرٍ  
وَأَعْطَاهُ السَّعَادَةَ فِي الْمَالِ  
٤ - وَيَا مَوْلَى الْعِبَادِ إِلَيْكَ شُكْرِي  
بِمَا آلَهَفْتُ مِنْ «بَدْءِ الْأَمَالِي»  
٥ - وَيَا رَبَّ الْكَرِيمِ لَكَ اعْتِذَارِي  
مِنْ الْأَخْطَاءِ أَوْ سُوءِ الْمَقَالِ  
٦ - فَعَفْوُكَ يَا رَحِيمٌ مُرَادُ قَلْبِي  
وَعَايَةُ مَقْصِدِي إِضْلَاحُ بَالِي  
٧ - وَأَذْغُو مِثْلَمَا الْأَوْشِيُّ يَذْغُو  
لِمَنْ بِالْخَيْرِ يَوْمًا قَدْ دَعَا لِي









## فهرس المحتويات

٥	..... مقدمة الكتاب
١٣	..... فاتحة المنظومة
١٣	..... جهات التكليف في العبد
١٣	..... ١ - اللسان
١٤	..... ٢ - القلب
١٦	..... ٣ - الجوارح

### الباب الأول: في الألوهيات

٢١	..... المبحث الأول: «الألوهية، وصفة الوجود، والصفات السلبية»
٢١	..... المسألة الأولى: «معنى: الإله»
٢٣	..... المسألة الثانية: «معنى: الخلق»
٢٣	..... المسألة الثالثة: «معنى: المولى»
٢٤	..... المسألة الرابعة: «صفة الوجود»
٢٥	..... المسألة الخامسة: «الصفات السلبية»
٢٥	..... الصفة الأولى: «القدم»
٢٦	..... والصفة الثانية: «البقاء»
٢٦	..... والصفة الثالثة: «مخالفته تعالى للحوادث»
٢٧	..... والصفة الرابعة: «قيامه تعالى بنفسه»
٢٨	..... والصفة الخامسة من الصفات السلبية: «الوحدانية»
٢٩	..... «المذاهب في تأثير الأسباب»
٢٩	..... المذهب الأول: «مذهب كثير من الفلاسفة والطبائعين»



٢٩	..... والمذهب الثاني: «مذهب المعتزلة»
٣٠	..... المذهب الثالث: «مذهب أهل السنة والجماعة».
٣١	..... المَبْحَثُ الثاني: «الصفات الوجودية والقَدَرُ»
٣٢	..... المسألة الأولى: «صفات الذات: المعاني والمَعْنَوِيَّةُ».
٣٧	..... المسألة الثانية: «صفات الأفعال»
٣٩	..... المسألة الثالثة: «القضاء والقَدَرُ».
٤٤	..... المسألة الرابعة: «قضاء الله تعالى وقَدَرُهُ، مُبَرَّمٌ لا رادَّ له».
٤٥	..... الرُّقِيَّةُ والدَّوَاءُ والثَّقَاةُ هي: من قَدَرَ الله تعالى
٤٦	..... والعَزْلُ لا يَرُدُّ القضاء والقَدَرُ
٤٦	..... والنَّذْرُ لا يَرُدُّ شيئاً من القَدَرِ
٤٦	..... والخِصَاءُ لا يَمْنَعُ القَدَرُ
٤٧	..... وأرزاق الخَلْقِ مَقْسُومَةٌ وآجالهم مضروبةٌ
٤٩	..... والدُّعاء مِنَ القَدَرِ، ولا يَرُدُّ القضاء ولا القَدَرُ
٥٠	..... المسألة الخامسة: «المَحْوُ والإثبات، والزيادةُ والنقصانُ».
٥٧	..... القضاء المَعْلُقُ
٦٢	..... المسألة السادسة: «قَدَمُ الصفات وبقاؤها».
٦٥	..... المسألة السَّابعة: «القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ»
٦٧	..... المسألة الثَّامنة: «التكوينُ غيرُ المَكُونِ»
٦٩	..... المسألة التاسعة: «التغايرُ والعينيةُ في الصفات».
٧٠	..... المَبْحَثُ الثالث: «الأسماءُ الحُسْنَى»
٧١	..... المسألة الأولى: «حَضَرُ الأسماءِ الحُسْنَى وتَعْيِينُهَا».
٧٢	..... المسألة الثانية: «تَسْمِيَةُ الله تعالى: شيئاً وذاتاً».
٧٦	..... المسألة الثالثة: «أسماءُ سَيِّدنا محمد ﷺ».
٧٧	..... المسألة الرابعة: «الاسمُ عَيْنُ المُسَمَّى».
٧٨	..... المَبْحَثُ الرابع: «حُسْنُ الخَيْرِ وقُبْحُ الشَّرِّ»



- ٧٩ ..... المسألة الأولى: «معنى: الحَيْرِ والَشَرِّ».
- ٨١ ..... المسألة الثانية: «التَّحْسِينُ والتَّقْيِيحُ».
- ٨٤ ..... المسألة الثالثة: «الإرادة والمشيتة، والرِّضا والأمر».

### الباب الثاني: في التَّنْزِيهَات

- ٩١ ..... المَبْحَثُ الأوَّلُ: «نفي التشبيه والتمثيل».
- ٩١ ..... المسألة الأولى: «المرجعُ في نفي التشبيه والتمثيل».
- ٩٣ ..... المسألة الثانية: «معنى السَّلَفِ والخَلْفِ».
- ٩٥ ..... المسألة الثالثة: «بيانُ معنى التفويض والتأويل».
- ٩٧ ..... مناهج أهل العلم في: التفويض والتأويل.
- ٩٨ ..... المسألة الرابعة: «ذكرُ أمثلةٍ للتفويض والتأويل عن السَّلَفِ والخَلْفِ».
- ١٠٣ ..... المسألة الخامسة: «بيانُ وجهِ الاختلافِ بين الجَهْمِيَّةِ ومنهج أهل التأويل».
- ١٠٤ ..... المَبْحَثُ الثَّانِي: «المَفَيَّاتُ عنه تعالى».
- ١٠٤ ..... المسألة الأولى: «نفي الجِسْمِيَّةِ والجزئية ونحوهما عنه تعالى».
- ١٠٧ ..... المسألة الثانية: «نفي جَرَيَانِ الزَّمانِ والأحوال على الله تعالى».
- ١١١ ..... المسألة الثالثة: «نفي الجهة والمكان في الاستواء وغيره».
- ١١٣ ..... المسألة الرابعة: «نفي وجوب الصَّلاح والأصلح على الله تعالى».
- ١١٧ ..... المسألة الخامسة: «استغناؤه تعالى عن الصَّاحبة والولد والمُعِين».

### الباب الثالث: «في الوجودِ والعَدَمِ»

- ١٢١ ..... المسألة الأولى: «حدوثُ العالم».
- ١٢٢ ..... «المذاهب في وجود العالم».
- ١٢٢ ..... المذهب الأوَّلُ: «مذهب أهل الحق».
- ١٢٣ ..... المذهب الثاني: «مذهب الدَّهْرِيَّةِ».
- ١٢٣ ..... المذهب الثالث: «مذهب فريق من الفلاسفة».



- المذهب الرابع: «مذهب جمهور الفلاسفة» ..... ١٢٣
- المسألة الثانية: «نفي وجود الهَيُولَى» ..... ١٢٤
- المسألة الثالثة: «إثبات وجود الجزء الذي لا يتجزأ عقلاً» ..... ١٢٨
- المسألة الرابعة: «المَعْدُوم ليس شيئاً» ..... ١٢٩

### الباب الرَّابِع: في «النَّبَوِيَّاتِ»

- المسألة الأولى: «تعريف الرُّسُولِ والنَّبِيِّ» ..... ١٣٥
- المسألة الثانية: «عَدَدُ الأنبياء والمرسلين» ..... ١٣٧
- المسألة الثالثة: «نفي نبوة ذي القرنين ولقمان» ..... ١٣٨
- المسألة الرابعة: «صفات الأنبياء عليهم السلام» ..... ١٣٩
- الصفة الأولى: «الرجولة» ..... ١٤٠
- الصفة الثانية: «الحرية» ..... ١٤٠
- الصفة الثالثة: «الآدمية» ..... ١٤٠
- الصفة الرابعة: «شرف النسب» ..... ١٤٢
- الصفة الخامسة من صفات الأنبياء: «الاضطفاء» ..... ١٤٢
- الصفة السادسة: «سلامة الجسم وجمال الوجه» ..... ١٤٣
- الصفة السابعة: «الفطنة» ..... ١٤٤
- الصفة الثامنة: «الصدق» ..... ١٤٥
- الصفة التاسعة: «الأمانة» ..... ١٤٥
- الصفة العاشرة من صفات الأنبياء ﷺ: «التبليغ» ..... ١٤٦
- المسألة الخامسة: «عِصْمَةُ الأنبياء ﷺ» ..... ١٤٦
- المسألة السادسة: «المُعْجِزَةُ» ..... ١٥١
- المسألة السابعة: «خَصَائِصُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ» ..... ١٥٣
- الخصوصية الأولى: «خَتَمُ الأنبياء والمرسلين به ﷺ» ..... ١٥٣
- الخصوصية الثانية: «شرف نسبه ﷺ» ..... ١٥٤
- الخصوصية الثالثة: «جماله ﷺ» ..... ١٥٥



- ١٥٦ ..... الحُصُوصِيَّةُ الرَّابِعَةُ: «تفضيلُهُ ﷺ على العالمين».
- ١٥٧ ..... الحُصُوصِيَّةُ الْخَامِسَةُ: «بقاءُ شَرْعِهِ ﷺ إلى يوم القيامة».
- ١٥٧ ..... الحُصُوصِيَّةُ السَّادِسَةُ: «الإسراء والمعراج».

### البَابُ الْخَامِسُ: فِي «الْوِلَايَةِ وَالْكَرَامَةِ»

- ١٦١ ..... المَبْحَثُ الْأَوَّلُ: «الْوِلَايَةُ»
- ١٦١ ..... الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: «تعريف: الْوَلِيِّ».
- ١٦٧ ..... الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَّةُ: «الولاية أدنى مرتبة من الثبوت قطعاً».
- ١٦٩ ..... المَبْحَثُ الثَّانِي: «الكَرَامَةُ»
- ١٦٩ ..... الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: «تعريف الكرامة».
- ١٧١ ..... الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَّةُ: «ثبوت الكرامة».
- ١٧٢ ..... الْمَسْأَلَةُ الثَّلَاثَةُ: «بِمَ تكون الكرامة؟».
- ١٧٥ ..... الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: «سَقَطَاتُ الصُّوفِيَّةِ».

### البَابُ السَّادِسُ: فِي أَحْكَامِ الْإِيمَانِ وَالتَّقْلِيدِ فِيهِ

- ١٨١ ..... المَبْحَثُ الْأَوَّلُ: فِي «الْإِيمَانِ»
- ١٨١ ..... الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: «معنى الإيمان وحقيقته»
- ١٨٣ ..... «الأقول في حقيقة الإيمان»
- ١٨٧ ..... الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَّةُ: «زيادة الإيمان ونقصانه».
- ١٩٠ ..... الْمَسْأَلَةُ الثَّلَاثَةُ: «الإيمان والإسلام».
- ١٩١ ..... الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: «شروط التكليف بالإيمان».
- ١٩٢ ..... الشَّرْطَانُ: الْأَوَّلُ وَالثَّانِي: «البلوغ والعقل»
- ١٩٥ ..... أَوَّلًا: مَذْهَبُ الْمَالِكِيَّةِ
- ١٩٥ ..... وَثَانِيًا: مَذْهَبُ الْحَنْفِيَّةِ
- ١٩٦ ..... وَثَالِثًا: مَذْهَبُ الْحَنْبَلِيَّةِ
- ١٩٧ ..... وَرَابِعًا: مَذْهَبُ الشَّافِعِيَّةِ



- ١٩٧ والشَّرْطُ الثالث من شروط التكليف بالإيمان: «بُلُوغُ الدَّعْوَةِ» ...
- ٢٠٠ والشرط الرابع من شروط التكليف بالإيمان: «سَلَامَةُ الْحَوَاسِّ»
- ٢٠١ المسألة الخامسة: «أركانُ الإيمان» .....
- ٢٠٢ «أولاً: الإيمان بالملائكة» .....
- ٢٠٤ وثانياً: «الإيمان بِالْكِتَابِ السَّمَاوِيِّ» .....
- ٢٠٤ وثالثاً: «الإيمان بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ﷺ» .....
- ٢٠٥ نبوّة آدم ﷺ .....
- ٢٠٦ دين الله تعالى واحد .....
- ٢٠٧ المسألة السادسة: «منافع الدعاء» .....
- ٢٠٩ المسألة السابعة: «معنى: الرِّزْقُ» .....
- ٢١٠ المبحث الثاني: «التقليدُ في الإيمان» .....
- ٢١٠ المسألة الأولى: «تعريفُ التقليد والمقلّد» .....
- ٢١٢ المسألة الثانية: «الفرقُ بين: العلم والاعتقاد» .....
- المسألة الثالثة: «تحقيق ما نُقِلَ عن الأشعريّ والجمهور في إيمان المقلّد» .....
- ٢١٣
- ٢١٥ المسألة الرابعة: «أقوال الأشعرية وتابعيهم في التقليد» .....
- ٢١٧ المسألة الخامسة: «أقوال الماتريدية وموافقيهم في التقليد» .....
- ٢١٩ المسألة السادسة: «حكمُ تعليم العقائد للعوام» .....
- ٢٢١ المسألة السابعة: «الصُّحَابَةُ ﷺ ليسوا مُقلِّدين» .....
- ٢٢٢ المسألة الثامنة: «أخذُ الطَّلَبَةِ هذا العلم عن المشايخ ليس تقليداً» ...
- ٢٢٢ المبحث الثالث: «إيمان اليائس وتوبته» .....
- ٢٢٢ المسألة الأولى: «معنى اليأس لُغَةً وَشَرْعاً» .....
- ٢٢٣ المسألة الثانية: «متى يتحقَّقُ اليأسُ» .....
- ٢٢٥ المسألة الثالثة: «حكمُ إيمان اليائس وتوبته» .....
- ٢٢٥ أولاً: «اليأسُ عند الغُرْعَةِ» .....



وثانياً: «معايِنَةُ العذاب والهلاك» ..... ٢٢٧

وثالثاً: «اليأسُ عند طلوع الشمس من مغربها» ..... ٢٢٩

### البَابُ السَّابِعُ: فِي أَحْكَامِ الرَّدَّةِ عَنِ الْإِسْلَامِ

المسألة الأولى: «معنى: الرَّدَّة، وحُكْمُهَا» ..... ٢٣٣

المسألة الثانية: «الرَّدَّةُ بِالنِّتَةِ» ..... ٢٣٦

المسألة الثالثة: «حُكْمُ التَّلَفُّظِ بِلَفْظِ الْكُفْرِ» ..... ٢٣٨

المسألة الرابعة: «ارتكابُ الكبيرة ليس كفراً» ..... ٢٤٠

المسألة الخامسة: «حُكْمُ رَدِّ السَّكَرَانِ» ..... ٢٤٢

### البَابُ الثَّامِنُ: فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

المسألة الأولى: «تعريفُ الصَّحَابِيِّ» ..... ٢٤٧

المسألة الثانية: «فَضْلُ الصَّحَابَةِ ﷺ» ..... ٢٤٧

المسألة الثالثة: «تفاضُلُ الخلفاء الراشدين ﷺ» ..... ٢٤٩

المسألة الرابعة: «تفاضلُ الزُّهْرَاءِ وَالصُّدِّيقَةِ ﷺ» ..... ٢٥٣

المسألة الخامسة: «الكلام في يزيد بن معاوية» ..... ٢٥٥

### البَابُ التَّاسِعُ: فِي: عَالَمِ الْآخِرَةِ

المبحث الأول: «القَبْرُ وَ: مَا فِيهِ» ..... ٢٥٩

المسألة الأولى: «تعريفُ القَبْرِ» ..... ٢٥٩

المسألة الثانية: «سؤالُ المَلَكَيْنِ فِي القَبْرِ» ..... ٢٦٠

المسألة الثالثة: «عذاب القبر ونعيمه» ..... ٢٦٢

المبحث الثاني: «يَوْمُ الْقِيَامَةِ» ..... ٢٦٤

المسألة الأولى: «أَشْرَاطُ السَّاعَةِ» ..... ٢٦٤

خروج الدَّجَّال ..... ٢٦٥

نزول المسيح: عيسى ابن مريم ﷺ ..... ٢٦٦

المسألة الثانية: «النَّفْخُ فِي الصُّورِ» ..... ٢٦٧



٢٦٨	«نفخة الأولى»: «نفخة الصَّعْق والفناء»
٢٦٩	«النَّفخة الثانية»: «نفخة البعث»
٢٦٩	المسألة الثالثة: «حقيقة البعث».
٢٧٠	المسائل التي كفر بها الفلاسفة
٢٧١	المبحث الثالث: «ما بعد البعث من القبور».
٢٧١	المسألة الأولى: «الحشرُ إلى الموقفِ الأعظم».
٢٧١	المسألة الثانية: «الشَّفاعةُ العظمى أو: المقامُ المحمود».
٢٧٣	المسألة الثالثة: «الحَوْضُ والكَوْثُرُ».
٢٧٤	المبحث الرابع: «العَرْضُ والحِسَابُ»
٢٧٤	المسألة الأولى: «إعطاءُ كُتُبِ الأعمال للعباد».
٢٧٦	المسألة الثانية: «الحِسَابُ».
٢٧٩	المسألة الثالثة: «الوزنُ والميزانُ».
٢٨٠	المسألة الرابعة: «الصُّراطُ».
٢٨٣	المسألة الخامسة: «الشَّفاعاتُ».
٢٨٥	المبحث الخامس: «الجزاء»
٢٨٥	المسألة الأولى: «وجودُ الجنَّة والنَّار الآن».
٢٨٧	المسألة الثانية: «أصحابُ الجنَّة وأصحابُ النَّار».
٢٨٨	المسألة الثالثة: «رؤيةُ الله تعالى في الجنَّة».
٢٩١	المسألة الرابعة: «دخولُ الجنَّة يكون بفضل الله تعالى».
٢٩٢	المسألة الخامسة: «بقاءُ الجنَّة والنَّار وأهلِهما».
٢٩٣	المسألة السادسة: «المؤمنُ العاصي لا يُخلَّد في النَّار».
٢٩٣	خاتمةُ النَّاطِمِ
٢٩٧	خاتمةُ الشَّرْحِ
٢٩٩	آيات المنظومة كما جاءت في الشَّرْحِ
٣٠٥	فهرس المحتويات